

الأغاني

أبو الفرج الأصفهاني

الجزء الأول

المكتبة العصرية



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الدار السنوية الجديدة

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية

بوليفار نزيه البرزي - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

لقد زخر التراث العربي - الإسلامي على مدى عصوره المتعاقبة، بأَمْهات الكتب والمؤلفات والدراسات والمخطوطات التي تحمل أسماء المشاهير من الأدباء والشعراء وأهل اللّغة والعلم والمعرفة على مختلف مشاربها واختصاصاتها وطرق مناهجها وتحليلاتها حتى باتت المكتبات العربية تتنافس فيما بينها لتقديم هذا التراث الضخم إلى القارئ الكريم، على أفضل ما يكون عليه من حسن الطباعة والإخراج في الشّكل، وعلى أيسر وأدق ما تكون عليه مادة الكتاب في المضمون، خاصّة بعد ما تبين لنا وجود الكثير من الأخطاء المطبعية والإملائية والصّرفية والنّحوية في كثير من كتب التراث بسبب التصحيف والنقل غير الدقيق وعدم تشكيل المفردات الأساسية التي تُخْرَجُ أحياناً العبارات عن معانيها وخاصّة في أبيات الشعر، إضافة إلى الخلل الحاصل في ضبط أوزانها بسبب النقص أو الزيادة في النص وغير ذلك من الملاحظات الهامة ذات الصّلة بالموضوع.

إن كلّ هذا، كان حافزاً لنا لكي نقدم إلى قرائنا الكرام وخاصة الدارسين والباحثين منهم، المجموعة الكاملة من «كتاب الأغاني» لصاحبه أبي الفرج الأصفهاني، في حلّة جديدة آخذين بالاعتبار الملاحظات المشار إليها بكل جدّيّة وبمهنّيّة عالية، آمليّن أن يكون هذا العمل الجاد الذي أخرج هذه الطبعة المتميّزة على أيدي نخبة من الأساتذة والمتخصصين، قد أضاف إلى المكتبة العربية رصيдаً جديداً من خلال آليّة البحث والتحقيق التي اقترنت بها هذه الطبعة الجديدة.

واللّهُ الموفّق

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أن يحاول كاتب أديب أو محقق ناقد، محاولة جادة للدخول إلى نافذة من كتاب أو باب من علم، فتلك مسألة ليست بالهينة حتى على أهل الاختصاص والمعرفة. فما بالك وأنت تحاول أن تقترب من البحور الهادرة والثغور القاهرة للوصول إلى كنز عميق أو سفّر ثقيل كانت تنوء بحمله كواهل الجبال وقوافل الرّحال وعزائم الرجال . . .

لقد توجّست خيفة ورهبة قبل محاولتي أن أخط بقلممي الصغير وأرسم بمداده الوفير هذه المقدمة للدخول إلى هذا السّفَر العظيم الموسوم «كتاب الأغاني». ولكن وأنا أسجّل الحروف الأولى لهذه المقدمة ورد إلى خاطري بيتان من الشعر للشاعر الكبير أحمد الصافي النجفي عندما اعتزم على تقديم ديوانه «التيّار» فقال:

يُقَدِّمُ تِيَّارِي إِلَى النَّاسِ نَفْسَهُ وليس له إِلَّا الْهَدِيرُ مُعَرَّفُ
وليس بِمُحْتَاجٍ مَقْدَمَةَ لَهُ مقدّمة التيّار ما سوف يجرفُ
عندئذٍ هدأت نفسي واستقرّت هواجسي على شاطي الأمان أترقب هدير التيّار
دون الدخول إلى مخاطره ومجاهله. إلا أنه كان لا بدّ في هذه الحالة من أن أُلقي
بالظلال أو أرمي بالشُّباك فأستشرف منها الأعماق وأستنبط فيها المجهول وأبحث عن
الدّرر واللالئ في بحور ديوان العرب الغائر الأعماق والمترامي الأطراف بدءاً من
جزيرة العرب وخليجائها، وفيافي صحرائها وشطآنها، ورياضها وسواقيها، وواحاتها
وظلال نخيلها، ومن عصورها الزاهية في التاريخ ومنعطفاته، المثقلة بالآرياح والأنواء
لستريح أمام مقام سيف الدولة الحمداني أمير دولة الحمدانيين التي عاصرها صاحب
كتاب الأغاني.

وكان لا بدّ أيضاً لاستكمال المشهد من رفع الستارة لمقاربة الرؤيا والتّطواف
حول المراحل التاريخية والثّقافية والاجتماعية التي أنتجت هذه الثقافة المتفردة والتي
جعلت من الأدب وخاصة الشعر، ديوان العرب على مدى عقود طويلة، ناهيك عن

حياة الشعراء وسيرهم الذاتية وعلاقاتهم بقبائلهم وأمرائهم وملوكهم ودولهم ضمن تلك الإمبراطورية الشاسعة الأرجاء، حيث كان لتفاعل الثقافات والحضارات الأثر الواضح في حياة الناس والأمراء والملوك وخاصة الأدباء والشعراء والمغنيين والمغنيات وفي أخبار الجواري والقيان والحديث عن الغلمان والخمور والكؤوس وتصوير مجالس الشراب، ثم انعكاس هذه البيئة على الحياة الاجتماعية والفكرية المتأثرة والمختلطة بالحياة الرومية والفارسية وغيرها من الثقافات التي امتدت إليها الإمبراطورية المترامية للدولة الإسلامية حيث كثرت النزعات الدينية وابتعدت أخلاق الكثير من المسلمين عن التعاليم الإسلامية السمة وخاصة في التيارات الفكرية والفلسفية وغيرها من الأسباب الكثيرة التي لا مجال لبحثها الآن والتي انعكست في كتاب الأغاني وغيره من كتب السيرة والتاريخ والأخبار التي كانت شاهداً على العصور المتتالية في سلبياتها وإيجابياتها حيث كان فيها الكثير من الجمال والإبداع والتنوع، كما كان فيها أيضاً العديد من مشاهد وعبارات البذاءة والقبح بما تم تناوله بالشعر الصريح الذي يمجّه الذوق وهو نتاج لعدد من الشعراء المختلفي الموارد والمشارب إذ ليس لنا يدٌ في تنظيم هذا الكتاب الضخم وخاصة بعض ما جاء فيه، فاعتمدنا تصنيف وترتيب صاحب كتاب الأغاني دون التدخل في مادته متيقنين أن هذه الإشارة كافية ليكون القارئ على وعي وعلم بها.

ولكن لم يكن كل هذا هو هدفي الحالي في هذه المقدمة إلا لِمَأمًا كما رأينا، وإن راودتني المحاولة المثيرة لولوج هذا البحر الهادر من هذا السُّفر العظيم الذي هو في الحقيقة مجموعة كتب في كتاب واحد!!

ولكن من هو مؤلف كتاب الأغاني هذا الذي أصبح اسمه كالأسطورة الخالدة في ديوان العرب الكبير؟!

— اسمه ونسبه :

هو علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم . . . الذي ينتهي بنسبه إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، والمعروف بأبي الفرج الأصفهاني.

— مولده ونشأته ووفاته :

ولد في مدينة أصفهان أو أصفهان سنة (٢٨٤هـ)، ونشأ فيها إلا أن حياته لم تدم كثيراً في أصفهان، فرحل إلى بغداد حيث اجتمع إلى أهل اللغة والأدب وحفظه ورواه الشعر كابن دريد والفضل بن الحباب والأخفش وغيرهم الكثير من أهل العلم

والمعرفة . وقد توفي بعد هذه الرحلة المثيرة في حياته وفكره وأدبه في مدينة بغداد سنة (٣٥٦هـ) وهي السنة التي توفي فيها سيف الدولة الحمداني حسب ما اتفق عليه أكثر المؤرخين .

— أشهر الأقوال فيه :

* قال عنه ابن خلكان : كان من أعيان أدباء بغداد وأفراد مصنفيهـا . . وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسّير .

* قال عنه ياقوت في معجم الأدباء : العلامة النسّابة الجامع بين سعة الرواية والحدق في الدراسة ، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنّها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعراً مجيداً .

* قال عنه ابن النديم في كتابه الفهرست : كان شاعراً مصنّفاً أديباً وله رواية يسيرة ، وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد .

* قال أبو محمد المهلبى : سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب؟ فقال : في خمسين سنة وإنه كتبه مرة واحدة في عمره وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار . وبلغ ذلك الصّاحب بن عبّاد فقال : لقد قصّر سيف الدولة ، وإنه ليستحقّ أضعافها إذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكتاب والمتأدّب بضاعة وتجارة وللبلطل رُجُلَةٌ وشجاعة وللمتظرف رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة .

وقد ذكر ابن خلكان فقال : إن الصّاحب بن عبّاد كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب فلما وصل إليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها .

كما أن هناك بعض المؤرخين والعلماء الذين تحدثوا عن حياته الشخصية وأشاروا إلى جانب من حياة اللّهُو عنده إضافة إلى مجالسته ومعاشرته وطريقة طعامه ولباسه وغير ذلك من شؤونه الخاصة التي لم تتقص من عظمة إنجازهِ الفريد في كتاب الأغاني وغيره من كتبه الهامة كأخبار القيان والإماء الشواعر والمماليك الشعراء وأدب الغرباء وكتاب الديارات والأخبار والنوادر ومقاتل الطالبيين وكثير غيرها ، وهي غنى للمكتبة العربية على مرّ العصور .

ولكي نبقي ضمن الفسحة الموضوعية لهذه المقدّمة وقبل الدخول في المنحى

الثاني منها، نختصر مطالعتنا التي شارفت على النهاية ونختم بشهادة العلامة ابن خلدون حيث قال في مقدّمته عن أبي الفرج: وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني وهو ما هو، كتابه في الأغاني، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في مائة الصوت التي اختارها المغنّون للرشد، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه. ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها.

وإننا إذ ندخل إلى المنحى الثاني من المقدّمة نوّد أن نوّكد أن ما قمنا بالتركيز عليه أثناء القراءة المتأنية والتدقيق والتحقيق الجادّين لهذا السّفَر الضخم، كان كافياً لإظهار هذه الطبعة الجديدة من كتاب الأغاني بالمستوى الذي تستحقّه بجدّتها ودقّتها وتميّزها عن الكثير من الطبعات الموجودة في المكتبة العربية التي يشوبها الكم الهائل من الأخطاء اللّغوية الصّرفية والنّحوية والإملائية ناهيك عن الأخطاء المطبعية وخاصّة الخلل في أوزان أبيات الشعر من خلال النقص الحاصل في بعض الأبيات إن من كلمة أو حرف، أو الزيادة لكلمة أو حرف إضافة إلى التّشكيل الخاطي لكثير من أبيات الشعر، الذي يُخرّجها عن معانيها، وكذلك الخلل في تقسيم بعض هذه الأبيات التي توجب القطع أو الوصل بين الشطرين، وغير ذلك الكثير من الملاحظات التي ستبيّن للقارئ المتخصص أو الجادّ عند الاطّلاع على هذه الطبعة التي رافقها جهد دؤوب ومهام صعبة في المقارنة بين عدة طبعات والرجوع إلى دواوين الشعراء المعنّين بالترجمة، واكتشاف الأخطاء وتصويب وضبط أوزان الشعر ووضع أسماء بحورها أمام كلّ قصيدة حتى لو كان بيت شعر واحد، لمعرفة بحر الشعر المتجانس مع القصيدة وبالتالي مع اللحن المرافق لكل من الأشعار المغنّاة كما جاءت في كتاب الأغاني. وكان العمل على تشكيل النص وخاصة أبيات الشعر من أولويات هذه المهام التي ساعدتنا على شرح المفردات بما يترافق مع النص إضافة إلى استنباط المعاني التي تحتزنها هذه المفردات خاصة بعد تصويبها من التصحيف أو الخطأ المطبعي أو الإملائي بالتحقيق والتدقيق والمقارنة إلى أن يتم تصحيحها ويكتمل معناها في الجملة أو في بيت الشعر.

ختاماً، وللتدليل على ما نقول نعطي مثلاً من خلال هذا البيت من الشعر، وهو كثير وشائع وقد تمّ ضبطه:

«لَكَنَّي فِي النَّوْمِ قَدْ أُرِيتُ رَطْلَ نَبِيذٍ (مُخْفَى) سُقِيَتْ
يتبين لنا فوراً الخلل في وزن الشعر، وفي الموضع المعين تبعاً للجرس
الموسيقى السليم الذي تلتقطه حاسة السمع المرهفة. ومن هنا يُصار إلى البحث عن
حقيقة الأمر لتصويب الخطأ بالدقة المتناهية بالمقارنة والتحقيق فنصل إلى النتيجة
الصحيحة:

«لَكَنَّي فِي النَّوْمِ قَدْ أُرِيتُ رَطْلَ نَبِيذٍ (مُخْفِسٍ) سُقِيَتْ
في الحالة الأولى: فكلمة (مُخْفَى) إضافة إلى الخلل من وزن الشعر، فهي كلمة
لا تتماشى مع النص. أما بعد التصويب فتأتي كلمة (مُخْفِسٍ) في مكانها الصحيح من
حيث الوزن والمعنى المقصود، وكلمة (مُخْفِسٍ) معناها (سريع الإسكار) وهي صفة
حقيقية للنبيذ، فيقال: شراب مُخْفِسٌ أي سريع الإسكار يُخرج بالرجل من سكره إلى
القيح.

لقد سعينا من كل هذا العمل الجاد الدؤوب أن نُسهّل على القارئ استنباط
المعاني الجميلة والخلاقة للنصوص الأدبية والشعرية المتوافقة مع سلامة اللغة من
خلال المفردات الصحيحة السليمة، بعيداً عن التصحيف والأخطاء الإملائية والمطبعية
أو الصّرفية والنحوية، آمليْن مساعدة القراء وخاصة الطلاب والدارسين على الاستفادة
القصوى من هذا السّفر العظيم، في بحوثهم ودراساتهم الأدبية والأكاديمية.

والله الموفق
محمد نعيم بربر
٢٠١٢/٢/١٠

ترجمة المؤلف

هو: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: من أئمة الأدب، والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسَّير والآثار واللغة والمغازي. ولد في أصفهان سنة ٢٨٤هـ = ٨٩٧م ونسب إليها، إنتقل إلى بغداد حيث نشأ وتآدب وبرع وألّف كتبه ومات سنة ٣٥٦هـ = ٩٦٧م.

قال الذهبي: «والعجب أنه أموي شيعي». وكان يرسل بتصانيفه سرّاً إلى صاحب الأندلس الأموي فيأتيه إنعامه.

– من كتبه: مقاتل الطالبين.

نسب بني عبد شمس.

القيان.

الإماء الشواعر.

أيام العرب، ذكر فيه ١٧٠٠ يوم.

التعديل والإنصاف،

في مآثر العرب ومثالبها.

جمهرة النسب.

الديارات.

مجرّد الأغاني.

الحانات.

الخمارون والخمارات.

آداب الغرباء.

الأغاني. أعظم كتبه، وبه كانت شهرته، لم يعمل في بابيه مثله.

عكف على جمعه خلال خمسين عاماً، وهو سبب شهرته وخلوده.

- دراسات حول صاحب الأغاني :

صاحب الأغاني ، لمحمد أحمد خلف الله .

دراسة الأغاني ، لشفيق جبري .

أبو الفرج الأصبهاني ، لشفيق جبري أيضاً .

أنظر ترجمته في :

وفيات الأعيان ١ : ٣٣٤ ، يتيمة الدهر ٢ : ٢٧٨ ، مفتاح السعادة ١ : ١٨٤ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٨ ، إرشاد الأريب ٥ : ١٤٩ - ١٦٨ ، سير النبلاء - خ ، الطبقة العشرون ، وفيه : « كان وسخاً زرياً ، خلط قبل موته ، وكانوا يتقون هجاءه » ، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٢٣ ، لسان الميزان ٤ : ٢٢١ ، جمهرة الأنساب : ٩٨ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٥١ .
الأعلام للزركلي ٤ : ٢٧٨

ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم، قال: حدثني أبي قال:

حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنّ أباه أخبره أنّ الرشيد - رحمة الله عليه - أمر المغنين، وهم يومئذ متوافرون، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء، فأجمعوا على ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله.

قال إسحاق: فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته، ونسبته إلى من شدا به، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممّن شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك، فاجتبيت^(١) منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه، فذكرته ولم أبخسه^(٢) ما يجب له، وإن كان قريب العهد؛ لأنّ الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان.

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العنبر بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر، فزعم: أنّ الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوت فاختروها، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختروها، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا. وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات، وخالفه في صوتين. وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحن معبد في شعر أبي قطيفة، وهو من خفيف الثقل الأول:

(١) جيئ الخراج جبايةً، أي: جمعته وحصلته. وجيئ المستقي الماء في الحوض جيباً وجبى.

(٢) البَخْسُ: أرض تنبت من غير سقي، والبَخْسُ: الظلم، تَبَخَّسَ أخاك حقه فتنقصه، كما ينقص الكيال مكياله فينقصه.

القصر، فالنخل فالجماء^(١) بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جَيرون^(٢)
[البسيط]

ولحن ابن سُرَيْج في شعر عمر بن أبي ربيعة، ولحنه من الثقيل الثاني:
تشكى الكميث^(٣) الجري لما جهده وبَيَّن لو يسطيع أن يتكلما
[الطويل]

ولحن ابن مُحرز في شعر نُصيب^(٤)، وهو من الثقيل الثاني أيضاً:
أهاج هواك المنزل المتقادم؟ نعم، وبه، مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ^(٥)
[الطويل]

وذكر جحظة عمن روى عنه، أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن محرز في شعر
المجنون^(٦)، وهو من الثقيل الثاني:
إذا ما طواك الدهرُ يا أمَّ مالِكٍ فشانُ المنايا القاضيات وشانِيا
[الطويل]

ولحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي، وهو من خفيف الثقيل الثاني:

-
- (١) جماء كل شيء: شخصه.
(٢) جَيرون، بالفتح، ذَكَرُ الْفَتْحِ مُسْتَدْرَكٌ: دَمَشَقُ نَفْسُهَا أو بابُها الذي بَقُرِبِ الجامع الكبير الأموي، عن الإمام المُطَرِّزِي، أو أَنَّ بَابَ جَيرونَ منسوبٌ إلى المَلِكِ جَيرونَ، لأنه كان حِصْنًا له، وبَابُ الحِصْنِ. ويقال إن الذي بناه اسمه جَيرونَ، وهو مِنَ الشَّيَاطِينِ، لَسَيِّدنا سُلَيْمانَ عليه السلام، فَسُمِّيَ به. قال السَّمْعَانِيُّ: وهذا الموضع من مُنْتَهاتِ دِمَشق.
(٣) الكميث: نعت الفرس الأحمر القاني، وهو ابن زيد الأسدي الكوفي من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بأدب العرب ولغاتها، ولد سنة ٦٠هـ وتوفي في سنة ١٢٦هـ.
(٤) نُصيب بن رباح أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسب والمدايح، كان عبداً أسوداً لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية، وأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه، له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم، توفي سنة ١٠٨هـ.
(٥) الشَّجْوُ: الهمُّ والحُزنُ، وقد شَجاني يَشْجُونِي شَجْواً إذا حَزَنَهُ، وأشجاني، وقيل: شَجاني طَرَبَنِي وهَيَّجَنِي.
(٦) مَجْنون لَيْلى، هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري. شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً، وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلي بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله، كان ذلك في سنة ٦٨ هـ.

إلى جيداً^(١) قد بعثوا رسولاً لِيُخْزِنَهَا، فلا صُحِبَ الرسول [الوافر]

ولحن ابن محرز في شعر نُصِيب، وهو على ما ذكر هَزَج:

أهَاجَ هَواكَ المَنزِلَ المَتَقَادِمُ؟ نَعَمْ، وبه، مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ [الطويل]

وحكى عن أصحابه أن هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق، لا تبقى نغمة في الغناء إلا وهي فيها.

[رواية وتفنيدها]

أخبرني الحسن بن علي الأدمي^(٢) قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال: حدثني محمد بن جبر المغنّي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غُنّي فيه، فاختاروا له لحن ابن مُحْرز في شعر نُصِيب:

أهَاجَ هَواكَ المَنزِلَ المَتَقَادِمُ؟

قال: وفيه دور كثير، أي صنعة كثيرة. والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن علي أصح عندي. ويدل على ذلك تباين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخرى في جودة الصنعة وإتقانها وإحكام مبادئها ومقاطعها وما فيها من العمل، وأن الأخرى ليست مثلها ولا قريبة منها. وأخرى هي أن جحظة حكى عمن روى عنه أن فيها صوتاً لإبراهيم الموصلي، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُلَيْح بن العوراء، وليس أحد منهما دونه إن لم يفقه^(٣)، فكيف يمكن أن يقال: إنهما ساعدا إبراهيم على اختيار لحن من صنعه في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفضلت عليها! ألم يكونا، لو فعلاً ذلك، قد حكما لإبراهيم على أنفسهما بالتقدم والحدق والرياسة وليس هو كذلك عندهما؟

ولقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حماد بن إسحاق عن أبيه: إنّه

(١) الجيد: مَجَالُ القِلَادَةِ على النحر، والجمع أجياد. ورجل أَجِيدٌ وامرأة جَيِّدٌ، إذا كانت طويلة العُنُق في اعتدال.

(٢) الأدمي: بائع الجلود.

(٣) ورد في بعض الطبقات «يفته» بدل «يفقه».

أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلماً، فقال له أبوه: يا بني، ما أعلم أحداً بلغ من برِّ ولده ما بلغته من برِّك، وإنني لأستقل ذلك لك، فهل من حاجة أصير فيها إلى محبتك؟ قلت: قد كان - جُعلتُ فداك - كل ما ذكرت فأطال الله لي بقاءك، ولكني أسالك واحدة: يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمع، فيقول الناس لي: ماذا، وأنا أحلُّ منك هذا المحلَّ؟ قال لي: ومن هو؟ قُلْتُ: ابن جامع. قال: صدقت يا بني؛ أسرجوا^(١) لنا. فجئنا ابن جامع، فدخل عليه أبي وأنا معه، فقال: يا أبا القاسم، قد جئتُك في حاجة، فإن شئت فاشتُمْنِي، وإن شئت فاقذفني، غير أنه لا بد لك من قضائها. هذا عبدك وابن أخيك إسحاق قال لي كذا وكذا، فركبتُ معه أسالك أن تسعفه في ما سأل. فقال: نعم، على شريطة^(٢): تقيمان عندي أطعمكما مشوشة^(٣) وقلية^(٤) وأسقيكما من نبيذ التمري وأُعَيِّكما، فإن جاءنا رسول الخليفة مضيئاً إليه وإلا أقمنا يومنا. فقال أبي: السمع والطاعة، وأمر بالدواب فردت. فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقلية ونبيذ التمري فأكلنا وشربنا، ثم اندفع فغننا، فنظرت إلى أبي يَقلُّ في عيني، ويعظم ابن جامع، حتى صار أبي في عيني كلاً شيء؛ فلما طربنا غاية الطرب جاء رسول الخليفة فركبا وركبت معهما. فلما كنا في بعض الطريق قال لي أبي: كيف رأيت ابن جامع يا بني؟ قلت له: أو تُعفيني جُعلتُ فداك! قال: لست أعفيك فقل. فقلت له: رأيتك ولا شيء أكبر عندي منك قد صغرت عندي في الغناء معه حتى صرت كلاً شيء. ثم مضيا إلى الرشيد، وانصرفتُ إلى منزلي؛ وذلك لأنِّي لم أكن بعد وصلتُ إلى الرشيد. فلما أصبحت أرسل إليَّ أبي فقال: يا بني، هذا الشتاء قد هجم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤنة، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه، فاصرف هذا المال في حوائجك. فقممت فقبَلْتُ يده ورأسه وأمرت بحمل المال واتبعته، فصوت^(٥) بي: يا إسحاق ارجع، فرجعتُ. فقال لي: أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال؟ قلت: نعم، جعلتُ فداك! قال: لِمَ؟ قلت: لصدقي فيك وفي ابن جامع. قال: صدقت يا بني، امض راشداً.

ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع، متفرقة في أماكن تحسن فيها، ويستغنى بما ذُكرَ ها هنا عنها. فإبراهيم يُحلُّ ابن جامع هذا المحل، مع

(١) السَّرْجُ: رحل الدابة، معروف، والجمع سُروج. وأسَرَجَهَا إِسراجاً: وضع عليها السرج.

(٢) شرط أو أمر يكون شرطاً لفعل شيء.

(٣) مشوشة: نوع من الطعام الدسم، يصنع من ضرب بياض البيض بالزيت.

(٤) القلية: نوع من المرققة تصنع من أكباد الجوزور ولحومها.

(٥) صوت: صرخ.

ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة، ثم يُقدّم على أن يختار في ما هو معه فيه، صوتاً لنفسه يكون مقدماً على سائر الغناء، ويطابقه هو وفُليح عليه! هذا خطأ لا يُتخيّل. وعلى ما به فإننا نذكر الصوتين اللذين رويانهما عن لحظة، المخالفين لرواية يحيى بن علي، بعد ذكرنا ما رواه يحيى، ثم نتبعهما باقي الاختيار. فأوّل ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى. فقامت فقبلت يده ورأسه وأمرت بحمل المال واتبعته، فصوت بي: يا إسحاق ارجع.

[الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت

فيه لحنان

القصر فالنّخل فالجمّاء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون
إلى البلاط فما حازت قرائنه دُرٌّ^(١) نزحن عن الفحشاء والهون
قد يكتُم الناس أسراراً فأعلّمها ولا ينالون، حتى الموت، مكنوني
[البسيط]

عروضه من أول البسيط. القصر الذي عناه هاهنا: قصر سعيد بن العاص بالعرصة^(٢). والنخل الذي عناه: نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجمّاء، وهي أرض كانت له فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد، ابتاعه من ابنه

(١) خبر لمبتدأ محذوف، حيث يقال «تلك دور» أو «هذه دور».

(٢) عُرصة: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وصاد مهملة: وهما عرصتان بعقيق المدينة، قال الأصمعي: كل جوبة متسعة ليس فيها بناء فهي عرصة، وقال غيره: العرصة ساحة الدار سميت لاعتراض الصبيان فيها أي للعبهم فيها، وقال: إن تُبْعاً مرّ بالعرصة وكانت تسمى السليل فقال: هذه عرصة الأرض، فسميت العرصة كأنه أراد ملعب الأرض أو ساحة الأرض؛ والعرصتان: بالعقيق من نواحي المدينة من أفضل بقاعها وأكرم أصقاعها؛ ذكر محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه أن بني أمية كانوا يمنعون البناء في العرصة عرصة العقيق ضناً بها، وأن سلطان المدينة لم يكن يقطع بها قطيعة إلا بأمر الخليفة حتى خرج خارجة بن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوّام إلى الوليد بن عبد الملك يسأله أن يقطعه موضع قصر فيها، فكتب إلى عامله بالمدينة بذلك فأقطعه موضع قصر وألحقه بالسراة أي بالحِزْم، فلم يزل في أيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وقد كان سعيد بن العاصي ابنتي بها قصراً واحترق بها بئراً وغرس النخل والبساتين، وكان نخل بستانه أكبر نخل بالمدينة، وكانت تسمى عرصة الماء.

عمرو باحتمال دينه عنه؛ ولذلك خبرٌ يذكر بعد وأبواب جيرون بدمشق، ويروى: «حاذت قرائنه» من المحاذاة. والقرائن: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة؛ سميت بذلك لاقترائنها. ونزحن: بعدن، والنازح: البعيد؛ يقال: نزح نزوحاً. والهون: الهوان. قال الراجز:

لَمْ يُبْتَذَلْ مِثْلُ كَرِيمٍ مَكْنُونٍ^(١) أَبْيَضَ ماضٍ كَالسِّنَانِ^(٢) الْمَسْنُونُ
كَانَ يَوْقِي^(٣) نَفْسَهُ مِنَ الْهُونِ

[الرجز]

والمكنون: المستور الخفي، وهو مأخوذ من الكن. الشعر لأبي قطيفة المعيطي، والغناء لمعبد، وله فيه لحنان: أحدهما خفيف ثقیل أول بالوسطى في مجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار، والآخر ثقیل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

(١) كنن: كَنَنْتُ الشيء: سترته وصنّته من الشمس. وأكُنَنْتُهُ في نفسي: أسررتَه.

(٢) السنان: كل ما أرق من الحديد.

(٣) وقى: وقاه الله وقياً ووقايةً وواقيةً: صانه.

خبر أبي قطيفة

[نسبه]

هو عَمَرُو بن الوليد بن عُقبة بن أَبِي مُعَيْط. واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالب. هذا الذي عليه النسَّابون.

وذكر الهيثم بن عدي في «كتاب المثالب» أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية، اسمه ذكوان فاستلحقه. وذكر أن دغفلاً النَّسَّابة دخل على معاوية فقال له: من رأيت من عليّة قريش؟ فقال: رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس، فقال: صفهما لي، فقال: كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه، في جبينه نور النبوة وعزّ الملك، يطيفُ به عشرة من بنيهِ كأنهم أسدٌ غاب. قال: فصف أمية، قال: رأيته شيخاً قصيراً^(١) نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان. فقال: مه، ذاك ابنه أبو عمرو. فقال: هذا شيء قلتموه بعدُ وأحدثموه، وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به.

ثم نعود إلى سِياقة النسب من لُؤَيِّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. والنضر عند أكثر النسَّابين أصل قريش، فمن وَلَدَه النضرُ عُدَّ منهم، ومن لم يُلِدْه فليس منهم. ثم نعود للنسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وولد إلياس يقال لهم خندف^(٢)، سَمُّوا بأُمهم خندف وهو لقبها، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة، وهي أم مُدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدَّ بن عدنان بن أَدَّ بن أَدِّ بن الهميسع بن يشجب - وقيل: أشجب - ابن نبت بن قidar بن إسماعيل بن إبراهيم،

(١) هذه العبارة، لم ترد في جميع النسخ.

(٢) الخَنْدَفَةُ: مشية كالهرولة للنساء والرجال، ويقال كان إلياس خرج في نجعة فنفرت إبله من أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر فتصيدا وطبخها، وانقمع عمير في الخباء، وخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس: أين تخندين، فقالت: ما زلت أخندف في أثركم، فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف.

هذا النسب الذي رواه نسابو العرب وروي عن ابن شهاب الزُّهري وهو من علماء قريش وفقهائها.

وقال قوم آخرون من النسابين ممن أخذ - في ما يزعم - عن دغفل وغيره:

مَعْدُ بن عدنان بن أدَد بن آمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عنز بن سُريج بن ملحَم بن العوام بن المحتمل بن رائمة بن العقبان بن عِلَّة بن شحدود بن الضرب بن عيفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الرائد بن بدوان بن أمامة بن دوس بن حصين بن التَّزال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صيفي بن نبت بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلم تسليماً. ثم أجمعوا أن إبراهيم بن آزر وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه، وهو في التوراة بالعبرانية تارح بن ناحور، وقيل: الناحر بن الشارع وهو شاروع بن أرغو وهو الرامح بن فالغ - وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها - ابن عابر بن شالغ بن أرفخشذ وهو الرافد بن سام بن نوح عليه السلام ابن لامك وهو في لغة العرب ملكان ابن المتوشلخ وهو المنوف بن أخنوخ وهو إدريس نبي الله عليه السلام ابن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قينان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر ابن شيث وهو هبة الله. ويقال له أيضاً شاث بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليماً. هذا الذي في أيدي الناس من النسب على اختلافهم فيه.

وقد روي عن النبي ﷺ تكذيب للنسابين ودفع لهم. وروي أيضاً خلاف لأسماء بعض الآباء. وقد شرحت ذلك في «كتاب النسب» شرحاً يستغنى به عن غيره.

[ذكر العنابس^(١) والأعياص]

العنابس والأعياص من بني أمية وإن أبا قطيفة من الأولين. وأبو قطيفة وأهله من

(١) العَنَابِسُ من قُرَيْشٍ: أَوْلَادُ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْأَكْبَرِ، السَّيِّئَةُ: وَهْمٌ حَرْبٌ، وَأَبُو حَرْبٍ، وَسُفْيَانُ وَأَبُو سُفْيَانَ، وَعَمْرُو، وَأَبُو عَمْرُو. سُمُّوا بِالْأَسَدِ، وَالْبَاقُونَ يُقَالُ لَهُمْ: أَعْيَاصٌ، كَذَا نَقَلَهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي ع ب س وَالَّذِي صَرَّحَ بِهِ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّ الْأَعْيَاصَ أَرْبَعَةٌ، وَالْعَنَابِسَ أَرْبَعَةٌ، فَأَمَّا الْأَعْيَاصُ فَهَمْ: الْعَاصُ وَأَبُو الْعَاصِ، وَالْعَيْصُ وَأَبُو الْعَيْصِ، وَأَمَّا الْعَنَابِسُ فَهَمْ: حَرْبٌ وَأَبُو حَرْبٍ، وَسُفْيَانُ وَأَبُو سُفْيَانَ وَاسْمُهُ عَنَبَسَةٌ، وَكُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِ أُمَيَّةَ الْأَكْبَرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَذَكَرَ عَمْرًا وَأَبَا عَمْرُو، لَكِنَّهُمَا عَدَهُمَا مِنَ الْعَنَابِسِ، وَكَانَتْهُمَا أَلْحَقًا بِهِمْ. قَالَ: وَمِنْ بَنِي حَرْبٍ بِنُ أُمَيَّةَ عَنَبَسَةُ بْنُ حَرْبٍ، أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ أَزْهَرَ الدَّوْسِيِّ، وَكَانَ وَلَاءَهُ مُعَاوِيَةُ الطَّائِفَ ثُمَّ عَزَلَهُ، وَوَلَّاهَا عُتْبَةَ. وَمِمَّا يُسْتَذْرَكُ عَلَيْهِ: عَنَبَسُ الرَّجُلُ: إِذَا حَرَجَ. هَكَذَا فِي اللِّسَانِ وَتَهْذِيبِ الْأَرْمَوِيِّ.

العنابس من بني أمية. وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً، كل واحد منهم يُكنى باسم صاحبه: وهم العاص، وأبو العاص، والعيص، وأبو العيص، وعمرو، وأبو عمرو، وحرب، وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، والعيص لا كنى له^(١). فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حرمي بن أبي العلاء - واسمه أحمد بن محمد بن إسحاق، والطوسي - واسمه أحمد بن سليمان - قالاً: حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه قال: الأعياص: العاص، وأبو العاص، والعيص، وأبو العيص، والعيص. ومنهم العنابس وهم: حرب، وأبو حرب، وسفيان، وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو. وإنما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعُكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتلاً شديداً فشبهوا بالأسد، والأسد يُقال لها العنابس، واحداً عنيسة.

وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي:

مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ^(٢)
[الوافر]

والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال: حدثنا المدائني وابن غزالة، قالوا:

أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة، عبد الله بن الزبير، فقال له: نَفِدَتْ نفقتي ونقبت^(٣) راحلتي. قال: أحضرها، فأحضرها، فقال: أقبل بها، أدبر^(٤) بها، ففعل. فقال: ارقعها بسبت^(٥) واخصفها^(٦) بهلب^(٧) وأنجد^(٨) بها يبرد خفها وسر البردين^(٩) تَصَحَّ. فقال ابن فضالة: إني أتيتك

(١) هذه العبارة هي السائدة في جميع الطبقات، ولعل الأصوب «لا يكنى به» أي لم يقع باسمه كنية لأخ من أخوته.

(٢) هذا الشعر لعبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف الأسدي. شاعر من الكوفة مشهور بالهجاء وسرعة الغضب وكثرة التقلب. عندما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً فأطلقه وأكرمه فمدحه وانقطع إليه. عمي بعد مقتل مصعب، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان عام ٧٥هـ.

(٣) نقب البعير: رقت أخفافه. (٤) أدبر: اذهب.

(٥) السبت: جلد تحدى منها النعال. (٦) الخصف: خرز جلد بجلد.

(٧) الهلب: شعر الخنزير يخرز به. (٨) أنجد: أخذ في بلاد نجد وهو موصوف بالبرد.

(٩) البردان: الغداة والعشي.

مُسْتَحِمًّا وَلَمْ آتَكَ مُسْتَوْصَفًا، فَلَعَنَ اللَّهُ نَاقَةً حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ! قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ: إِنَّ وَرَاكِبَهَا.

فانصرف عنه ابن فضالة وقال:

أَقُولُ لَغَلَمَتِي شَدُّوا رِكَابِي أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَمَالِي، حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ^(١) إِلَى «ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ»^(٢) مِنْ مَعَادِ
سَيِّعِدْ بَيْنَنَا نَصَ الْمَطَايَا^(٣) وَتَعْلِيْقُ الْأَدَاوَى^(٤) وَالْمَزَادِ^(٥)
وَكُلُّ مُعَبَّدٍ^(٦) قَدْ أَعْلَمْتَهُ مَنَاسِمُهُنَّ^(٧) طَلَاعِ النَّجَادِ^(٨)
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ «أَبِي خُبَيْبٍ» نَكِدْنَ^(٩) وَلَا أُمِّيَّةَ بِالْبِلَادِ!
مِنَ الْأَعْيَاصِ، أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُغْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ^(١٠)
[الوافر]

أَبُو خُبَيْبٍ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ، كَانَ يَكْنَى أَبَا بَكْرٍ. وَخُبَيْبٌ: ابْنُ لَهُ هُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَكْنِيهِ بِهِ إِلَّا مِنْ ذِمَّةٍ، يَجْعَلُهُ كَالْقَبْلِ لَهُ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الشَّعْرُ: عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ أَمْهَاتِي فَعِيرَنِي بِهَا، وَهِيَ خَيْرُ عِمَاتِهِ. قَالَ الْيَزِيدِيُّ: «إِنْ» هَا هُنَا بِمَعْنَى نَعَمْ، كَأَنَّهُ إِقْرَارٌ بِمَا قَالَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ^(١١):
وَيَقُولُنَّ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ
[مجزوء الكامل]

[عود إلى نسب أبي قطيفة]

وَأُمُّ أَبِي مُعَيْطٍ أَمْنَةُ بِنْتُ أَبَانَ بْنِ كَلَيْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ

- (١) ذات عرق: الحد بين نجد وتهامة.
- (٢) الكاهلية: أم خويلد بن أسد بن عبد العزى.
- (٣) نص المطايا: السير الجاهد.
- (٤) الأداوى: أوعية الماء.
- (٥) المزاد: القرب.
- (٦) المعبد: الطريق المذلل.
- (٧) أعلمته مناسمهن: أثر فيه بأخفافها.
- (٨) النجاد من الأرض: قفأها وصلابتها وما غلظ منها وأشرف وارتفع واستوى، والجمع نجد وأنجاد ونجاد ونجود ونجد.
- (٩) نكد: منعه عن الشيء.
- (١٠) نسب البعض هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي، ومع وجود شبه بينه وبين إحدى قصائد الزبير، ولكن يبدو أن هذا الشعر ليس له.
- (١١) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، ابن قيس الرقيات. شاعر قرشي في العصر الأموي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية، توفي في الشام سنة ٨٥هـ.

معاوية بن بكر بن هوازن، ولها يقول نابغة بني جعدة^(١):

وَشَارَكْنَا فُرَيْشاً فِي تُقَاهَا وَفِي أَنْسَابِهَا شِرْكَ الْعِنَانِ
بِمَا وَلَدَتْ نِسَاءً بَنِي هِلَالٍ وَمَا وَلَدَتْ نِسَاءً بَنِي أَبَانَ
[الوافر]

وكانت أمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس، فولدت له العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية. فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو. وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده. فولدت له أبا معيط، فكان بنو أمية من أمنة إخوة أبي معيط وعمومته، أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار.

قال الزبير: وحدثني عمي مُضْعَب قال: زعموا أن ابنها أبا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو، وكان هذا نكاحاً تُنْكِحُهُ الجاهلية. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَحْرِيمَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، فسمي نكاح المقت.

[قتل ورثاء]

وَأُسِرَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ فِي «يَوْمِ بَدْرٍ»^(٢)، فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَبْرًا^(٣).

(١) قيس بن عبد الله، بن عُدَس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلى. شاعر وصحابي من المعمرين، ولد سنة ٥٤ق.هـ، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم، وأدرك صفين فشهدا مع علي كرم الله وجهه، ثم سكن الكوفة فسبّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات سنة ٥٠هـ.

(٢) بَدْرٌ: بالفتح ثم السكون؛ قال الزّجّاج: بَدْرٌ أصله الامتلاء، يقال: غلامٌ بَدْرٌ إذا كان ممتلئاً شاباً لِحِمَاءً، وَعَيْنٌ بَدْرَةٌ؛ ويقال: قد بَدَرَ فلانٌ إلى الشيء وبَادَرَ إليه إذا سبق، وهو غير خارج عن الأصل لأنّ مَغْنَاهُ اسْتَعْمَلَ غَايَةَ قُوَّتِهِ وقدرته على السُّرْعَةِ أي استعمل ملء طاقته، وسمي بَدْرُ الطَّعَامِ بَدْرًا لأنّه أعْظَمُ الْأَمْكِنَةِ التي يجتمع فيها الطعام؛ ويقال: بَدَرْتُ من فلان بادرة أي سبقْتُ فَعَلُهُ عند حِدَّةٍ منه في غضب بلغت الغاية في الإسراع. وبَدْرٌ: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصّفراء بينه وبين الجار، وهو ساحل البحر، ليلة، ويقال: إنه ينسب إلى بَدْر بن يَحْمَد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضَمْرَةَ سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه؛ وقال الزبير بن بكار: قُرَيْشُ بْنُ الْحَارِثِ بن يَحْمَد، ويقال: مُحْمَدُ بْنُ النضر بن كنانة، به سميت قريش فغلب عليها لأنّه كان دليلها وصاحب ميرتها، فكانوا يقولون: جاءت عَيْرُ قريش وخرجت عير قريش؛ قال: وابنه بَدْرُ بْنُ قريش، به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة، لأنّه كان احتفرها، وبهذا الماء كانت الواقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة.

(٣) صبراً: حبساً.

حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا محمد بن حميد^(١) الرازي، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبر ذكره طويل، وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري، قالوا جميعاً: قتله رسول الله ﷺ صبراً. فقال له - وقد أمر بذلك فيه - يا محمد، أنا خاصة من قريش؟ قال: نعم. قال: فمن للصبية بعدي؟ قال: النار. فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار.

واختلف في قاتله، فقيل: إنَّ علي بن أبي طالب تولى قتله. وهذا من رواية بعض الكوفيين، حدثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال: حدثنا سليمان بن عباد قال: حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب:

أن النبي ﷺ أمر علياً «يوم بدر» فضرب عنق عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث. وروى ابن إسحاق أنَّ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري قتله، وأنَّ الذي قتله علي بن أبي طالب [هو] النضر بن الحارث بن كلدة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني الحسن بن عثمان قال: حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه، وحدثنا محمد بن جرير قال: حدثنا أحمد بن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه، قالوا: قتل رسول الله ﷺ «يوم بدر» عقبة بن أبي معيط صبراً: أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه، ثم أقبل من «بدر» حتى إذا كان بـ «الصفراء»^(٢) قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار، أمر علياً أن يضرب عنقه، قال عمر بن شبة في حديثه بـ «الأثيل»^(٣)، فقالت أخته^(٤) قتيلة بنت الحارث^(٥) ترثيه:

(١) لم يرد اسم والد الرازي في بعض النسخ.

(٢) وادي الصفراء: واد كثير الخُل والزرع، وهناك عين ماء، وهو لآل جَعْفَر بن أبي طالب.

(٣) الأثيل: واد من نواحي المدينة.

(٤) يروى أنها ابنته.

(٥) قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار من قريش. شاعرة من الطبقات الأولى في النساء. أدركت الجاهلية والإسلام وأسر أبوها النضر في وقعة بدر فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقتل فرثته بقصيدة أنشدتها بين يدي رسول الله تقول فيها:

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لَّه أرحام هناك تشقق =

يا رَاكِباً إِنَّ «الْأَثِيلَ» مَظِنَّةٌ
أَبْلَغُ^(١) بِهِ مَيْتاً فَإِنَّ تَحِيَّةَ
مَنْيَ إِلَيْكَ وَعَبْرَةَ مَسْفُوحَةٍ^(٣)
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ؟
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ^(٦)
صَبْرًا^(٨) يُقَادُّ إِلَى الْمَنِيَّةِ^(٩) مُتَعَبًا
أَمَحَمَّدَ وَلَاأَنْتَ نَسْلُ^(١١) نَجِيبَةٍ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ^(١٣) وَرُبَّمَا
لَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدِيَةٍ لَفَدَيْتُهُ
وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَخَذَتْ بَزْلَةً^(١٤)

مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ
مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا النِّجَائِبُ^(٢) تَخْفُقُ
جَادَتْ بِدَرْتِهَا^(٤)، وَأُخْرَى تَخْنُقُ
إِنْ كَانَ يَسْمَعُ هَالِكًا^(٥) لَا يَنْطِقُ
لِلَّهِ أَزْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقِّقُ^(٧)؟
رَسْفُ الْمُقِيدِ^(١٠) وَهُوَ عَانٍ مَوْثُقٌ
مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ^(١٢)
مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمُغِيظُ الْمُحْنَقُ
بَاعَزَ مَا يُغْلِي بِهِ مَنْ يُنْفِقُ
وَأَحْقُهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقَ يُعْتَقُ
[الكامل]

فبلغنا أن النبي ﷺ قال: «لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته»^(١٥)، فيقال: إن شعرها أكرم شعر موتورة^(١٦) وأعفه وأكفه وأحلمه. قال ابن إسحاق: وحدثني أبو

= نهى النبي عن قتل أسرى قريش بعد النضر، وأسلمت بعد مقتله، وروى الحديث، وتوفيت في خلافة عمر، وقصيدته سنة ٢٠ هـ.

- (١) في القصيدة بلّغ.
- (٢) في القصيدة «الرَّكَائِبُ» بدل «النَّجَائِبُ». والنَّجَائِبُ من نجب: في الحديث: «إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ رُفَقَاءَ». ابن الأثير: النَّجِيبُ الْفَاضِلُ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ؛ وَقَدْ نَجَّبَ يَنْجُبُ نَجَابَةً إِذَا كَانَ فَاضِلًا نَفْسِيًّا فِي نَوْعِهِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّاجِرَ النَّجِيبَ» أَيِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ السَّخِيِّ.
- (٣) مسفوحة: مصبوبة.
- (٤) في القصيدة «لِمَائِجِهَا» بدل «بدرتها».
- (٥) في القصيدة «مَيْتٌ» بدل «هالك».
- (٦) تنوشه: تتناوله.
- (٧) في القصيدة «تُمَزَّقُ» بدل «تشقق».
- (٨) ورد في القصيدة «قَسْرًا» بدل «صبرًا». والقسر من قسر، وهو المشي بإكراه.
- (٩) المنية: الموت.
- (١٠) مشي المقيد إذا مشى خطوة.
- (١١) ورد في القصيدة «نَجْلٌ» بدل «نسل».
- (١٢) عرق: فلان معرق له في الكرم أو اللؤم، وهو عريق فيه. وعرق فيه أعمامه وأخواله وأعرقوا. وهذا البيت في القصيدة يسبق البيت السابق.
- (١٣) ممن: أعطى بتفضل.
- (١٤) ورد في القصيدة «أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسَيْلَةٌ» بدل «أَقْرَبُ مَنْ أَخَذَتْ بَزْلَةً».
- (١٥) ورد هذا الحديث في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور.
- (١٦) الموتورة من وتر، وهي التي قتل لها قتيل، ولم تدرك دمه.

عبدة بن محمد بن عمّار بن ياسر أن رسول الله ﷺ لما كان بعرق الظبية^(١) قتل عقبة بن أبي معيط، فقال حين أمر به أن يقتل: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أحد بني عمرو بن عوف.

حدثني أحمد بن الجعد قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثني الأوزاعي قال: حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: حدثني عروة بن الزبير قال:

سألت عبد الله بن عمر فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ، فقال: بينا رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر - رحمة الله عليه - حتى أخذ بمنكبه^(٢) فدفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله!

[ولاية الوليد بن عقبة ثم عزله]

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت عامر بن كُريز، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله ﷺ توأمان. وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان، فولدت له الوليد وخالدًا وعمارة وأم كلثوم، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه. وولّى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة، فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة، وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد. وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه.

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يُكنى أبا الوليد. وأبو قطيفة لقبٌ لُقّب به. وأمّه بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة.

قال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة، مع نظائر له تشوّقاً إليها. حدثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبه البزار، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثني أبي قال: حدثني

(١) وتداركته أعراق صدق أو سوء. قال: وفلان يعارق صاحبه: يفاخره بعرقه. واستأصل الله تعالى عرقاتهم روي بالفتح والكسر. واعتقرت الشجرة واستعرت: ضربت بعروقها.

(٢) مجمع عظام العضد والكتف.

وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى «كتاب الأزارقة»، ونسخت بعضه من كتاب منسوب إلى الهيثم بن عدي. واللفظ للمدائني في الخبر ما اتسق، فإذا انقطع أو اختلف نسبت الخلاف إلى راويه. قال الهيثم بن عدي: أخبرنا ابن عياش عن مجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر:

[خروج ابن الزبير ووفد يزيد]

أنّ الحسين بن علي بن أبي طالب لما سار إلى العراق، شمر ابن الزبير للأمر الذي أَرادَه ولبس المعافري^(١)، وشَبَّرَ بطنه^(٢) وقال: إنّما بطني شَبَّرٌ، وما عسى أن يسع الشبر! وجعل يظهر عيب بني أمية ويدعو إلى خلافهم. فأَمَهلَه يزيد سنةً، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير. وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النَّفَر^(٣) الرَّكَبَ، منهم: عبد الله بن عِصاه الأشعري، ورَوْح بن زُنْبَاع الجُدامي، وسعد بن حمزة الهمداني، ومالك بن هبيرة السلولي، وأبو كبشة السكسكي، وزمَلُ بن عمرو العُدري، وعبد الله بن مسعود، وقيل: ابن مسعدة الفزاري، وأخوه عبد الرحمن، وشريك بن عبد الله الكناني، وعبد الله بن عامر الهمداني، وجعل عليهم النعمان بن بشير، فأقبلوا حتى قدموا مكة على عبد الله بن الزبير، وكان النعمان يخلو به في الحجر كثيراً.

فقال له عبد الله بنُ عِصاه يوماً: يا ابن الزبير، إن هذا الأنصاري والله ما أُمِرَ بشيء إلا وقد أُمِرنا بمثله، إلا أنه قد أُمِرَ علينا، إني والله ما أدري ما بين المهاجرين والأنصار.

فقال ابن الزبير: يا ابن عِصاه، ما لي ولك! إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة؟ قال: نعم، وما حرمة حمام مكة! يا غلام، ائتني بقوسي وأسهمي، فأنا بقوسه وأسهمه، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس^(٤) ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال:

(١) نوع من الثياب يصنع من قبل إحدى القبائل باليمن.

(٢) شبر بطنه: صار بطنه شبراً. الشَّبَرُ: ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر مذكر، والجمع أَشْبَارٌ؛ قال سيويه: لم يُجاوِزوا به هذا البناء. والشَّبَرُ، بالفتح: المصدر، مصدر شَبَرَ الثوبَ وغيره يَشْبُرُهُ وَيَشْبِرُهُ شَبْرًا كَالَهُ بِشْبِرِهِ، وهو من الشَّبَرِ كما يقال بُعِثَ من الباع.

(٣) النَّفَرُ: التَّفَرُّقُ. ويقال: لقيته قبل كل صَبْحٍ وَنَفَرٍ أي أولاً، والصَّبْحُ: الصَّيْحُ. والنَّفَرُ: التفرق؛ نَفَرَتِ الدابةُ تَنْفَرًا وَتَفَرَّتْ نَفَارًا وَتَفُورًا وَدَابَّةٌ نَافِرٌ.

(٤) كبد القوس هي ما بين طرفي مقبضها مجرى السهم منها.

يا حمامة، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر؟ قولي: نعم، فوالله: لئن فعلت لأرمينك. يا حمامة، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد ﷺ، وتقيمين في الحرم حتى يُستحلَّ بك؟ والله لئن فعلت لأرمينك. فقال ابن الزبير: ويحك! أويتكلم الطائر؟ قال: لا! ولكنك يا ابن الزبير تتكلم. أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتتعرفن راية الأشعرين في هذه البطحاء، ثم لا أعظم من حقها ما تعظم. فقال ابن الزبير: أويستحلُّ الحرم! قال: إنما يستحله من أُلحد فيه. فحبسهم شهراً ثم ردهم إلى يزيد بن معاوية ولم يجبه إلى شيء.

وفي رواية أحمد بن الجعد: وقال بعض الشعراء - وهو أبو العباس الأعمى، واسمه السائب بن فروخ يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه - :

ما زال في سورة الأعراف^(١) يدرُسُها حَتَّى فُؤَاذُكَ مِثْلُ الْخَزْ^(٢) فِي اللَّيْلِ
لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شَبْرًا قَدْ شَبِعَتْ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ^(٣)
[البيسط]

قال الهيثم: ثم إن ابن الزبير مضى إلى صفية بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر، فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله - عليه السلام - والمهاجرين والأنصار من أثر معاوية وابنه وأهله بالفية^(٤)، وسألها مسألة أن يبايعه. فلمَّا قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده، وأثنت عليه وقالت: ما يدعو إلا إلى طاعة الله جلّ وعزّ، وأكثرت القول في ذلك. فقال لها: أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحجّ عليهن الشُّهب، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن! قال المدائني في خبره:

وأقام ابن الزبير على خلع يزيد وماله على ذلك أكثر الناس. فدخل عليه عبد الله بن مُطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد، وأتوا المنبر فخلعوا يزيد. فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المُغيرة المخزومي: خلعتُ يزيد كما

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٣١ من سورة الأعراف ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

(٢) الْخَزْ، بالخاء والزاى، وهو ضرب من ثياب الإبريسم.

(٣) وهذه الأبيات تنسب إلى أبي وجزة السعدي يزيد بن أبي عبيد السلمي السعدي. نشأ في بني سعد، فغلب عليه نسبهم، وهو شاعر مشهور من التابعين وهو محدث مقرر. سكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير ومات بها سنة ١٣٠هـ.

(٤) الحديث ذَكَرُ الْفَيْءِ عَلَى اخْتِلَافٍ تَصْرُفِهِ، وهو ما حصلَ للمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا جِهَادٍ.

خَلَعْتُ عِمَامَتِي، ونزعها عن رأسه وقال: إِنِّي لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكنَّ عدوَّ الله سيَّير خمير. وقال آخر: خلعتك كما خلعت نعلي. وقال آخر: خلعتك كما خلعت ثوبي. وقال آخر: قد خلعتك كما خلعت خفي، حتى كثرت العمام والنعال والخفاف، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك، وامتنع منه عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب، وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثيرٌ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك، فخرج إلى مكة، وكان هذا أول ما هاج الشر بينه وبين ابن الزبير.

[وقعة الحرة]

قال المدائني: واجتمع أهل المدينة لإخراج بني أمية عنها، فأخذوا عليهم العهود ألا يُعينوا عليهم الجيش، وأن يردوهم عنهم، فإن لم يقدرُوا على ردهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم، فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان: أناشدكم الله في دماءكم وطاعتكم! فإنَّ الجنود تأتيكم وتطوكم، وأُعذِر لكم ألا تخرجوا أميركم، إنَّكم إن ظفرتُم وأنا مقيمٌ بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على إخراجي! وما أقول هذا إلا نظراً لكم أريد به حقن دماءكم. فشتموه وشتمو يزيد، وقالوا: لا نبداً إلا بك، ثم نخرجهم بعدك.

فأتى مروانُ عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنَّ هؤلاء القوم قد رَكِبونا بما ترى، فضمَّ عيالنا. فقال: لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء. فقام مروان وهو يقول: قَبَّحَ الله هذا أمراً وهذا ديناً. ثم أتى علي بن الحسين فسأله أن يضم أهله وثقله^(١) ففعل، ووجههم وامراته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعه ابنه: عبد الله ومحمد.

فعرض حُرَيْثُ رِقَاصَةً - وهو مولى لبني بهز من سليم كان بعضُ عمَّال المدينة قطع رجله، فكان إذا مشى كأنه يرقص، فسمي رِقَاصَةً - لثقل مروان وفيه أمٌ عاصم بنتُ عاصم بن عمر بن الخطَّاب، فضرِبته بعصاً فكادت تدقُّ عنقه، فولى ومضى. ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أمية. فحسَّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدوي وحُرَيْثُ (رِقَاصَةً)، فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه، وقالوا: لا يصلي والله بالناس أبداً، ولكن إن أراد أن يصلي بأهله فليصل، فصلى بهم ومضى.

فمرَّ مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزُّهري، فقال له: هلمَّ إلي يا أبا عبد الملك،

(١) الثقل: متاع المسافر وحشمه.

فلا يصل إليك مكروه ما بقي رجلٌ من بني زُهرة. فقال له: وصلتكَ رَحِمٌ، قومنا على أمرٍ^(١) فأكره أن أعرضك لهم.

وقال ابن عمر بعد ذلك - لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان - : لو وجدت سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت، فقد ظلموا ويُعَي عليهم. فقال ابنُه سالمٌ: لو كلمت هؤلاء القوم! فقال: يا بُني، لا يَنْزِعُ هؤلاء القومُ عما هم عليه، وهم بعين الله، إن أراد أن يُغيّر غير.

قال: فمضوا إلى «ذي خُشب»^(٢)، وفيهم عثمانُ بنُ محمد بن أبي سفيان والوليدُ بنُ عُتبة بن أبي سفيان، واتَّبَعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم. ثم رجع حُرَيْثُ (رقاصة) وأصحابه إلى المدينة، وأقامت بنو أمية بـ «ذي خشب» عشرة أيام، وسرَّحوا حبيب بن كرة إلى يزيد بن معاوية يعلمونه، وكتبوا إليه يسألونه الغوث^(٣). وبلغ أهل المدينة أنهم وجَّهوا رجلاً إلى يزيد، فخرج محمدُ بنُ عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث (رقاصة) وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها، فنحس^(٤) حريثُ بمروان فكاد يسقط عن ناقته، فتأخر عنها وزجرها^(٥) وقال: اعلي واسلمي. فلما كانوا «بالسويداء»^(٦) عرض لهم مولى لمروان، فقال: جعلت فداك! لو نزلت فأرحت وتغديت! فالغداء حاضر كثير قد أدرك^(٧). فقال: لا يدعني رقاصةً وأشباهه، وعسى أن يمكِّن الله منه فتقطع يده. ونظر مروان إلى ماله بـ «ذي خشب» فقال: لا مال إلا ما أحرزته العياب^(٨) فمضوا فنزلوا «حقيلاً» أو «وادي القرى»^(٩).

(١) على أمر: يبيتون أمراً.

(٢) ذي خشب: واد قرب المدينة.

(٣) «غوثُ» الرَّجُل، واستغاث: صاح: واعوثاه، وتقول: ضربَ فلانٌ فَعَوْتَ «تَعَوِثاً»، قال: واعوثاه، قال شيخنا: وقد صرَّح أئمة النُّحُو بأنَّ هذا هو أصله، ثم إنهم استعملوه بمعنى صَاح ونَادَى طلباً للغوث.

(٤) نحس: غَرَزَ جنبها أو مؤخرها بعود أو نحوه، وهو النَّحْسُ.

(٥) الزجر: المنع والنهي.

(٦) موضع بين المدينة والشام.

(٧) أدرك: أي حان وقت إنائه وانتهى نضجه.

(٨) العَيبة: وعاء من آدم، يكون فيها المتاع، والجمع عِيَابٌ وَعَيْبٌ، فأما عِيَابُ فعلى القياس، وأما عَيْبٌ فكأنه إنما جاء على جمع عيبة، وذلك لأنه مما سبيله أن يأتي تابعا للكسرة؛ وكذلك كلُّ ما جاء من فعله مما عينه ياء على فَعَلٍ.

(٩) ورد في معجم البلدان: «وادي القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سُمي وادي القرى، قال أبو المنذر: سمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى =

وفي ذلك يقول الأحوص^(١):

لا ترثينَ لحزمي رأيتَ به ضراً ولو طرَحَ الحَزْمِيُّ في النارِ
الناخسينَ بِمَروانٍ بذِي خُشْبٍ والمُقَحِّمينَ عَلَى عُثْمَانَ في الدارِ
[البسيط]

قال المدائني: فدخل حبيب بن كرة على يزيد - وهو واضع رجله في طست لوجع كان يجده - بكتاب بني أمية وأخبره الخبر. فقال: أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجل؟ قال: بلى! وثلاثة آلاف. قال: أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار؟ قال: كثرهم^(٢) الناس ولم تكن لهم بهم طاقة. فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني، فمات قبل أن يخرج الجيش، فأمر مسلم بن عقبة الذي يسمى مُسْرِفاً.

قال: وقال ليزيد: ما كنت مرسلأ إلى المدينة أحداً إلا قصر وما صاحبهم غيري، إني رأيت في منامي شجرة غرقيد^(٣) تصيح: على يدي مسلم، فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول: أدرك ثارك، أهل المدينة قتلة عثمان، فخرج مسلم وكان من قصة «الحرّة»^(٤) ما كان على يده، وليس هذا موضعه. فقال أبو قطيفة في ذلك - لما أخرجوا عن المدينة -:

صوت

من غير المائة فيه لحنان

[الشوق إلى المدينة]

بكى «أحد»^(٥) لما تحمّل أهله فكيف بذى وجِد من القوم ألف؟

= منظومة، وكانت من أعمال البلاد وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهاها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد، قال أبو عبيد الله السكوني: وادي القرى والججر والجناب منازل قضاة ثم جهينة وعذرة وبلبي وهي بين الشام والمدينة يمر بها حاج الشام، وهي كانت قديماً منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله، وآثارها إلى الآن باقية.

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري. من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلامي أموي هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصراً لجريير والفرزدق. نفي إلى دهلك (وهي جزيرة بين اليمن والحبشة) فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز وأطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق ومات بها سنة ١٠٥هـ.

(٢) تغلبوا عليهم لكثرتهم.

(٣) موضع بظاهر المدينة جرت فيه معركة كبيرة.

(٤) جبل قرب المدينة المنورة.

من أجل أبي بكرٍ جلت عن بلادها أميَّة، والأيامُ ذاتُ تصارِفٍ
[الطويل]

عروضه من الطويل، وفيه ثَقِيلٌ أول. والغناء لسائب خاثر، خفيف ثَقِيلٌ أول
بالوسطى، ذكر ذلك حمادٌ عن أبيه، وذكر أن فيه لحناً آخر لأهل المدينة لا يُعرف
صاحبه. قال الهيثم في خبره: وقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

قد حَلَّ في «دار البلاط»^(١) مجوِّعٌ ودار أبي العاص التميمي حَنَّتُفٌ^(٢)
فلم أر مثل الحي حين تحمَّلوا ولا مثلنا عن مثلهم يتنكَّفُ^(٣)
[الطويل]

وقال أبو قطيفة أيضاً:

صوت

من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بكى «أحد» لما تحمَّل أهلُه فسَلَعُ^(٤) فدارُ المالِ أمست تَصَدَّعُ
وبالشَّامِ إخواني وجلُّ عَشيرتي فَقَدْ جَعَلْتُ نفسي إليهم تَطْلُعُ
[الطويل]

عروضه من الطويل. غنى فيه دحمان، ولحنه ثَقِيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى
البنصر من رواية إسحاق. وفيه لمعبد ثَقِيلٌ أول بالوسطى من رواية حبش. وذكر
إسحاق أن فيه لحناً في خفيف الثَقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر مجهول
الصانع.

وقال أبو قطيفة أيضاً:

صوت

من غير المائة المختارة

ليَتَ شعري: هل البلاطُ كعهدي والمصلَّى إلى قصور العقيق؟

(١) البلاط: موضع مبلط بالمدينة بين المسجد والسوق.

(٢) هو الحنَّف بن السجف، من الذين خرجوا لقتال ابن الزبير.

(٣) تنكف: امتنع وانقبض أنفه وحمية.

(٤) آثار النار بالجسد.

لامني في هوائك - يا أم يحيى - من مبينٍ بغشه أو صديقٍ
[الخفيف]

عروضه من الخفيف . غناه معبد ويُقال دحمان ، ولحنه ثَقِيلٌ أول بالسبابة في
مجرى الوسطى ، وذكر إسحاق أنه لا يعرف صاحبه .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني محمد بن يونس بن الوليد
قال : كان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشام ،
فلما طال مقامه بها قال :

ألا ليت شعري هل تَغَيَّرَ بعدنا قباء وهل زال العقيق وحاضره؟
وهل برحت بطحاء قبر محمد لهم مُنتَهَى حُبي وصفو مودتي
أراهط غُرٌّ من قريش تباكره؟ ومَحْضُ الهوى مني وللناس سائره
[الطويل]

قال : وقال أيضاً :

صوت

من غير المائة المختارة

ليت شعري وأين مني ليت؟ أم كعهدي «العقيق» أم غيَّرتُه
وبأهلي بُدِّلَتْ «عكا» و«لخما» وتبدلت من مساكن قومي
كل قصرٍ مشيِّدٍ ذي أواسٍ إقر مني السلام إن جئت قومي
أعلى العهد يلبن قبراً؟ بعدي الحادثات والأيام؟
و«جُداماً»، وأين مني «جذام»؟! (١)
والقصور التي بها الآطام يتغنى على ذراه الحمام
وقليل لهم لدي السلام [الخفيف]

عروضه من الخفيف ، غناه معبد ، ولحنه ثَقِيلٌ بالخنصر في مجرى البنصر .
و«يلبن» و«برام» : موضعان ، والآطام : جمع أطم ، وهي القصور والحصون . وقال
الأصمعي : الآطام : الدور المسطحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أواس»
بالشين معجمة ، كأنه أراد به أن هذه القصور مَوْشاةٌ أي منقوشة . ورواه إسحاق :

(١) عكا ولخم وجدام : أسماء قبائل عربية .

«أواس» بالسین غیر معجمة، وقال: واحدها آسي، وهو الأصل. قال: ويقال: فلان في آسية؛ أي في أصله. والآسي والأساس واحد. وذرى كل شيء: أعاليه، وهو جمع، واحده ذروة. ويروى:

أَبْلَغَنَّ السَّلامَ إِنْ جِئْتَ قَوْمِي

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة، وزاد فيها:

أَقْطَعُ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِاِكْتِابِ	وَزَفِيرٍ فَمَا أَكَادُ أَنْامُ
نَحْوِ قَوْمِي إِذْ فَرَّقْتُ بَيْنَنَا الدَا	رُ وَحَادَاتٍ عَنْ قَصْدِهَا الْأَحْلَامُ
خَشِيَّةٌ أَنْ يَصِيبَهُمْ عَنَتُ الدَّهْدِ	رِ وَحَرْبٌ يَشِيبُ مِنْهَا الْغَلَامُ
فَلَقَدْ حَانَ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الدَّهْدِ	رِ عَنَّا تَبَاعِدٌ وَانْصِرَامُ

[الخفيف]

[عودة المنفي]

رجع الخبر إلى سياقه من رواية ابن عمار. وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الحزامي، وهو إبراهيم بن المنذر، عن مطرف بن عبد الله المدني قالاً: إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال: حنَّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله، من لقيه فليخبره أنه آمن فليرجع. فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً، فلم يصل إليها حتى مات.

قال ابن عمار: فحدثت عن المدائني أن امرأةً من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشام، فخرج بها إلى بلده على كُرِّه منها، فسمعت منشداً ينشد شعر أبي قطيفة هذا، فشبهت شهقةً وخرَّت^(١) على وجهها ميتةً، هكذا ذكر ابن عمار في خبره.

وأخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال: حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلب بن عبد مناف قال: خرجت امرأة من بني زهرة في خفٍّ^(٢)، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته، فسأل عنها فنسبت له، فخطبها إلى أهلها فزوجه إياها بكره منها، فخرج بها إلى الشام. وخرجت مخرجاً^(٣)، فسمعت متمثلاً يقول:

(١) خرَّت: سقطت، ويقال: خرَّ إذا سقط وذهب.

(٢) خفٌّ: الخفّ الجماعة القليلة، يقال: خرج فلان في خف من أصحابه؛ أي بجماعة قليلة.

(٣) خرجت مخرجاً: خرجت مرة.

صوت

من غير المائة المختارة

ألا ليت شعري، هل تغير بعدنا
وهل أدور^(٢) حول البلاط عوامر
إذا برقت نحو الحجاز سحابة
فلم أتركها رغبة عن بلادها
جَبُوبُ^(١) المصلّى أم كعهدي القرائن؟
من الحيّ أم هل بالمدينة ساكن؟
دعا الشوق مني برقها المتيامن
ولكنّه ما قدر الله كائن^(٣)

[الطويل]

عروضه من الطويل، يقال: إن لمعبد فيه لحناً، قال: فتنفست بين النساء فوقعت ميتة. قال أيوب: فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال: أتعرفها؟ قلت: لا. قال: هي والله عمتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي قال: أخبرني ابن عائشة، قال: لما أجلى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز قال أيمن بن خريم الأسدي^(٤):

كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَوْمَ رَاحُوا
شَمَارِيخُ^(٦) الْجِبَالِ إِذَا تَرَدَّتْ
وَعُرِّيَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ صِرَارُ^(٥)
بَزِينَتِهَا وَجَادَتِهَا الْقَطَارُ^(٧)

[الوافر]

(١) الجبوب: وجه الأرض. وقيل: هي الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين. وقيل: هي الأرض عامة، لا تجمع.

(٢) أدور: جمع دار.

(٣) لم نعثر على هذه الأبيات كما هي في أعمال أبي قطيفة.

(٤) أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي. كان من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر. ثم تحول عنه إلى أخيه بشر بن مروان بالعراق. عرض عليه عبد الملك مالا ليذهب إلى الحجاز ويقاتل ابن الزبير فأبى، توفي سنة ٨٠ للهجرة.

(٥) الصرار: الأماكن المرتفعة لا يعلوها الماء. وقيل: صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق؛ قاله الخطابي؛ وقال بعضهم: لعل صراراً أن تجيش بيارها. وقال نصر: صرار ماء قرب المدينة محتفر جاهلي على سمت العراق، وقيل: أطم لبني عبد الأشهل له ذكر كثير في أيام العرب وأشعارها؛ وإليه ينسب محمد بن عبد الله الصراري، يروي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، روى عنه يزيد بن الهاد وبكر بن نصر، وقال العمراني: صرار اسم جبل.

(٦) شमारخ الجبال: أعالي الجبال.

(٧) القطار: جمع قطر أي مطر.

وأخبرني الحسن بن علي الحَفَّافُ، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا العُمَرِيُّ عن العتبي قال: كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقبة إلى أبيه وهو متولي الكوفة لعثمان بن عفان:

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِي الْأَمِيرُ بَأْتَنِي أَرْقُ بِلَا دَاءٍ سِوَى الْإِنْعَاضِ^(١)
إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خِفْتُ إِثْمَكَ أَوْ أَرَى فِي الدَّارِ مَحْدُوداً^(٢) بَزُرْقٍ لِحَاضٍ
[الكامل]

يعني دار عثمان التي تقام فيها الحدود. فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه. أخبرني عبد الله بن محمد الرازي، قال: حدثنا الخراز عن المدائني، قال: كان أبو قطيفة من شعراء قريش، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بني أمية إلى الشام، فقال في ذلك:

وَمَا أَخْرَجْتَنَا رَغْبَةً عَنْ بِلَادِنَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ صَبَابَةً كَأَنِّي أُسِيرُ فِي السَّلَاسِلِ رَاهِنُ
[الطويل]

وكان يتحرَّق^(٣) على المدينة، فأتى عبَّادُ بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له: إنَّ خاله أخبره أن العراقيين^(٤) قد فتحا. فقال عبد الملك لأبي قطيفة لما يعلمه من حُبِّه المدينة: أما تسمع ما يقوله عبَّادُ عن خاله؟ قد طابَتْ لك المدينة الآن. فقال أبو قطيفة:

إِنِّي لِأَحْمَقُ مِنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ إِنْ غَرَّنِي مِنْ حَيَاتِي خَالُ عَبَّادٍ
أَنْشَأَ يَقُولُ لَنَا الْمَصْرَانِ قَدْ فُتِحَا وَدُونَ ذَلِكَ يَوْمٌ شَرُّهُ بَادٍ
[البسيط]

(١) الإنعاض من نعظ، يقال: نَعَضَ ذَكَرَ الرَّجُلِ يَنْعَضُ نَعَضًا وَنُعُوضًا؛ وَأَنْعَضَ الرَّجُلُ إِنْعَاضًا، وَأَنْعَضَتْ الْمَرْأَةُ إِنْعَاضًا إِذَا اهْتَاجَتْ. قال: وإنعاض الرجل: انتشار ذكره.

(٢) المحدود: الذي يقام عليه الحد أي العقوبة.

(٣) يتحرَّق: يتلهف شوقاً.

(٤) العراقُ بلاد تذكر وتؤنث وهو فارسي معرب. قال ابن بري: وقد جاء العراقُ اسماً لِفناء الدار، وقيل: سمي بعراق المَزَادَةِ وهي الجلدة التي تجعل على ملتقى طرفي الجلد إذا خُرِرَ في أسفلها لأنَّ العراقَ بين الرِّيفِ والْبَرِّ، وقيل: العراقُ شاطئُ النهر أو البحر على طوله، وقيل لبلد العراقِ عراقٌ لأنه على شاطئِ دِجْلَةَ والفُرَاتِ عِدَاءً حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ، وقيل: العراقُ معرب وأصله إِيْرَاقُ فَعَرَبْتَهُ الْعَرَبُ فَقَالُوا عِرَاق. والعِرَاقَانِ: الكوفة والبصرة.

قال: وأذن له ابن الزبير في الرجوع، فرجع فمات في طريقه.

[قصر سعيد بن العاص وشيء من أخباره]

وأما خبر القصر الذي تقدم ذكره وبيعه من معاوية، فأخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر مصعب بن عمارة بن مصعب بن عروة بن الزبير: أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة وهو في قصره هذا، قال له ابنه عمرو: لو نزلت إلى المدينة! فقال: يا بني، إن قومي لن يضنوا عليّ بأن يحملوني على رقابهم ساعة من نهار، وإذا أنا مت فآذنهم^(١)، فإذا واريثني^(٢) فانطلق إلى معاوية فأنعني له، وانظر في ديني، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل، واعرض عليه قصري هذا، فإنني إنما اتخذته نزهة^(٣) وليس بمال. فلما مات آذن به الناس، فحملوه من قصره حتى دُفن بالبقيع، ورواحل عمرو بن سعيد مَنَاحَةً، فعزاه الناس على قبره وودَّعوه، فكان هو أول من نعه لمعاوية، فتوجع له وترحم عليه، ثم قال: هل ترك ديناً؟ قال: نعم. قال: كم هو؟ قال: ثلاثمائة ألف [درهم]. قال: هي عليّ. قال: قد ظن ذلك وأمرني ألا أقبله منك، وأن أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه. قال: فاعرض عليّ. قال: قصره بالعَرَصَة. قال: قد أخذته بدينه. قال: هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية^(٤). قال: نعم.

فحملها له إلى المدينة وفرَّقها في غُرمائه، وكان أكثرها عِدَاتٍ^(٥). فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه. فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك، فلما قرأه بكى وقال: نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه. فقال له عمرو: من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنما هو صُغُلوك من صُعاليك قريش؟ قال: أخبرك عنه: مرّ سعيد بعد عزله، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله، فوقف له سعيد فقال: ألك حاجة؟ قال: لا، إلا أنني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك^(٦). فقال لي: ائتني بصحيفة، فأتيته بهذه، فكتب له على نفسه هذا الدين وقال: إنك لم تصادف عندنا

(١) آذن من أذن، ويقال: الأذان الإعلام.

(٢) وارى: دفن.

(٣) نزه أي: رَفَعَتْ نفسي عنه تَكْرَماً، ورغبة عنه.

(٤) أي بالدرهم الوافي وكان درهماً وأربعة دوانق، والدانق سدس الدرهم.

(٥) عِدَات: العطايا التي وُعد بها.

(٦) أصل جناحك: أنضم إليك.

شيئاً فخذ هذا، فإذا جاءنا شيء فأتنا. فقال عمرو: لا جرم والله لا يأخذها إلا بالوافية، أعطه إياها، فدفع إليه عشرين ألف درهم وافيةً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الصلت بن مسعود، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا هارون المدائني قال: كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده، فيقول: ما عندي، ولكن اكتب عليّ به، فيكتب عليه كتاباً، فيقول: أتروني أخذت منه ثمن هذا؟ لا، ولكنه يجيء فيسألني فينزو^(١) دم وجهه في وجهي فأكره رده. فأتاه مولى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال: إن أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه. فقال: ما عندي، ولكن خذ ما شئت في أمانتي. فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال: إنني أتيت أباك بابن فلان، وأخبره بالقصة. فقال له عمرو: فكم أخذت؟ قال: عشرة آلاف. فأقبل عمرو على القوم فقال: من رأى أعجز من هذا! يقول له سعيد: خذ ما شئت في أمانتي فياخذ عشرة آلاف! لو أخذت مائة ألف لأديتها عنك.

[اعتداد بالنسب وهجو]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العُمري عن ابن الكلبي، قال: قال أبو قطيفة - وكانت أمه وأم خالد بن الوليد بن عقبة عمّة أروى بنت أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعْتَب - :

أنا ابن أبي مُعيط حين أنمى وأنمى للعقائل من قُصَيٍّ وأروى من كُريزٍ قد نمتني كلا الحَيَّين من هذا وهذا فعدّد مثلهنّ - أبا دُباب - فما الزّرقاء لي أمّا فأخزى	لأكرم ضئضي ^(٢) وأعزّ جيلٍ ومخزوم؛ فما أنا بالضَّئيلِ وأروى الخير بنتُ أبي عقيلٍ - لعمر أبيك - في الشرف الطويلِ ليَعْلَم ما تقولُ ذوو العقولِ ولا لي في الأزارق من سبيلِ [الوافر]
---	---

(١) يقال: نُزِي دمه ونُزِف إذا جرى ولم ينقطع. وفي حديث أبي عامر الأشعري: أنّه كان في وقعة هوازن رُمي بسهم في رُكبتِه فنُزِي منه فمات. ويقصد هنا، شدة احمرار وجهه من الخجل.

(٢) ضاًضاً: الضُّضِيء والضُّؤُؤُ، وهو الأصل والمعدن. يقال: هو من ضئضيء صدق وضؤؤُ صدق.

قال: يعني بأبي الذُّباب^(١) عبد الملك. والزرقاء: إحدى أمهاته من كندة، وكان يُعَيَّرُ بها. أخبرني الحسن بن علي، قال: أخبرني محمد بن زكريا، قال: حدثنا قَعْنَبُ بن المُحرز، قال: حدثنا المدائني، قال:

بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك بن مروان يتنقَّصه، فقال:

نُبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ الْعَمَلِّسِ^(٢) عابني مَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الْبَرِيِّ الْمَسْلَمِ؟
مَنْ أَنْتُمْ خَبَرُونَا مِنْ أَنْتُمْ فَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ!
[الطويل]

فبلغ ذلك عبد الملك فقال: ما ظننت أنا نجعل، والله لولا رعايتي لحُرْمَتِهِ لألحقته بما يعلم، ولقطعت جلده بالسياط.

[طلاق وندامة]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العُثْبِيِّ قال: طلق أبو قطيفة امرأته، فتزوجها رجل من أهل العراق، ثم نَدِمَ بعد أن رحل بها الرجل وصارت له، فقال:

فِيَا أَسْفَالَ الْفُرْقَةِ أُمَّ عَمْرٍو وَرَحْلَةَ أَهْلِهَا نَحْوَ الْعِرَاقِ
فَلَيْسَ إِلَى زِيَارَتِهَا سَبِيلٌ وَلَا - حَتَّى الْقِيَامَةِ - مِنْ تَلَاقِي
وَعَلَّ اللَّهَ يُرْجِعُهَا إِلَيْنَا بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلٍ، أَوْ طَلَاقٍ
فَارْجِعْ شَامِتًا، وَتَقْرَأْ عَيْنِي وَيَجْمَعُ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ
[الوافر]

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عمي ومحمد بن جعفر قالوا: حدثنا الحسن بن عَلِيلٍ العنزِيّ قال: حدثنا محمد بن عليّ بن أبي حسان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه، قال: استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خُراسان، فلما عزله قدم المدينة بمالٍ وسلاح وثلاثين عبدًا من السُّعْدِ^(٣)، فأمرهم أن يبنوا له داراً. فبينما هو جالس فيها ومعه ابنُ سِيحان وابنُ زينة وخالد بن عقبة وأبو قطيفة إذ تأمروا بينهم فقتلوه، فقال أبو قطيفة يرثيه - وقيل: إنها لخالد بن عقبة-:

(١) استخدم الكاتب الكناية، لأنّ لثمة عبد الملك كانت تدمى فيقع عليها الذباب.

(٢) الذئب أو كلب الصيد الخبيث.

(٣) قال ابن الأثير: هي: بَسَاتِينُ نَرْهَةٍ وَأَمَاكُنْ مَثْمِرَةٌ بِسْمَرْقَنْدَ، وهو أحدُ مُتَنَزِّهَاتِ الدُّنْيَا.

يا عينُ جودي بدمعٍ منك تهتانا^(١) وابكي سعيدَ بن عثمان بن عفّانا
 إنّ ابن زينة لم تصدقْ مودتَهُ وفرّ عنه ابن أوطاة بن سيحانا
 [البسيط]

(١) تهتان من هتن، قال النضر: التَّهْتَانُ مطرٌ ساعةٍ ثم يفتر ثم يعود؛ ويقال: هَتَنَ المطرُ والدمعُ يَهْتِنُ هَتْنًا وهْتُونًا وَتَهْتَانًا قَطْرًا؛ وعين هَتُونُ الدَّمْعِ.

ذكر معبد وبعض أخباره

[نسبه ونشأته وأسلوب حياته]

هو مَعْبِد بن وَهَب، وقيل: ابن قَطْنِيّ مولى ابن قطر، وقيل: ابن قطن مولى العاص بن وابصة المخزومي، وقيل: بل مولى معاوية بن أبي سفيان.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال: معبد المغني ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال: قال ابن الكلبي: معبد مولى ابن قطر، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان.

وأخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو غسان، قال: معبد بن وهب مولى ابن قطن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم، وكان أبوه أسود وكان هو خلاسيّاً^(١) مديد القامة أحول.

وذكر ابن خردادبه^(٢) أنه غنّى في أول دولة بني أمية، وأدرك دولة بني العباس، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل^(٣)، فكان إذا غنّى يُضحك منه ويهزأ به. وابن خردادبه قليل التصحيح لما يرويه ويُضمّنه كُتبه. والصحيح أنّ معبدًا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده. وقد قيل: إنّ أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل.

(١) خلس الخاء واللام والسين أصل واحد، وهو الاختطاف والالتماع: يقال: اختلست الشيء، وفي الحديث: «لا قطع في الجلسة». وقولهم: أخلس رأسه، إذا خالط سواده البياض، كأن السواد اختلّس منه فصار لمعاً وكذلك أخلس الثبّت، إذا اختلط يابس برطبه.

(٢) كذا ضبط بالقلم في كتابه «المسالك والممالك» وضبطه شارح القاموس بالعبارة مادة روم بقوله: «بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال وكسر الذال المعجمة وسكون الباء التحتية وآخرها هاء.

(٣) بطل الباء والطاء واللام أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولُبثه. يقال: بطل الشيء يبطل بُطلاً وبُطُولاً، وسُمّي الشيطان الباطل لأنه لا حقيقة لأفعاله، وكلُّ شيء منه فلا مرجوع له ولا معول عليه.

صوته. فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبه ولا قاله ولا رواه عن أحد، وإنما جاء به مجازفةً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة المديني قال: حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة، قال: حدثني كردم ابن معبد المغني مولى ابن قطن، قال:

مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه، فنظرت حين أخرج نعشه إلى سلامة القس (جارية يزيد بن عبد الملك) وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير، وهي تبكي أبي وتقول:

قَدْ لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي	كَأَخِي الدَّاءِ الْوَجِيعِ
وَنَجِيُّ الْهَمِّ مَنِّي	بَاتَ أَدْنَى مِنْ ضَجِيعِي
كُلَّمَا أَبْصَرْتُ رَبْعًا	خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ ^(١) كَا	نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ
لَا تُلَمُّنَا إِنْ خَشَعْنَا	أَوْ هَمَمْنَا بِالْخُشُوعِ ^(٢)

[مجزوء الرمل]

[كرامة الفن]

قال كردم: وكان يزيد أمر أبي أن يعلمها هذا الصوت، فعلمها إياه فندبته به يومئذ. قال: فلقد رأيت الوليد بن يزيد والعمر أخاه متجردين في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى أخرج من دار الوليد، لأنه تولى أمره وأخرجه من داره إلى موضع قبره.

فأما نسبة هذا الصوت، فإن الشعر للأحوص، والغناء لمعبد، ذكره يونس ولم يجنسه. وذكر الهشامي أنه ثاني ثقل بالوسطى، قال: وفيه لحابة خفيف ثقل، ولا بن المكي ثقل أول نشيد. وفيه لسلامة القس عن إسحاق لحن من القدر الأوسط من الثقل الأول بالوسطى في مجراها.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال: قال أبو عبيدة:

ذكر مولى لآل الزبير - وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي - :

(١) ورد هذا البيت عند الأحوص على الشكل التالي: «إِذْ فَقَدْنَا سَيِّدًا» بدل «قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ»

(٢) هذه القصيدة للأحوص الأنصاري.

أن معبدًا عاش حتى كَبُرَ وانقطع صوته، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان، فلما غنى الشيخ لم يطرب القوم، وكان فيهم فتیانٌ نزل من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية، فضحكوا منه وهزئوا به، فأنشأ يغني:

فَضَحْتُمْ قُرَيْشًا بِالْفِرَارِ وَأَنْتُمْ قُمْدُونٌ^(١) سُدَانٌ^(٢) عِظَامُ الْمَنَاكِبِ
فَأَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمْ وَلَكِنَّ سِيرًا فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ^(٣)
[الطويل]

- وهذا شعرٌ هُجُوا به قديمًا - فقاموا إليه ليتناولوه؛ فمنعهم العثماني من ذلك وقال: ضحكتم منه حتى إذا أحفظتموه^(٤) أردتم أن تتناولوه، لا والله لا يكون ذلك! قال إسحاق: فحدثني ابنُ سلام قال: أخبرني من رآه على هذه الحال فقال له: أصرت إلى ما أرى؟ فأشار إلى حلقه وقال: إنما كان هذا؛ فلما ذهب ذهب كلُّ شيء.

[معبد المتفوق السباق]

قال إسحاق: كان معبد من أحسن الناس غناءً، وأجودهم صنعةً، وأحسنهم حلقاً؛ وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء، وأخذ عن سائب خاثر، ونشيط مولى عبد الله بن جعفر، وعن جميلة مولاة بهز - بطن من سليم -، وكان زوجها مولى لبني الحارث بن الحَزْرَج؛ ف قيل لها مولاة الأنصار لذلك. وفي معبد يقول الشاعر:

أَجَادَ طَوَيْسٌ وَالسَّرِيُّ جِيَّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبَدٍ^(٥)
[الطويل]

(١) الْقَمْدُ: الإباء، والتَمَنُّعُ، والإقامة في خير أو شرٍّ، وبالتحريك: الطُولُ، أو ضَحْمُ العُنُقِ في طُولٍ، والتَّعْتُ: أَمَدٌ، وهي: قَمْدَاءٌ وَقُمْدٌ وَقُمْدَةٌ وَقُمْدَانِيَّةٌ. وَذَكَرَ قُمْدٌ، كَعُتْلٍ: شديد الإنعاض. وَرَجُلٌ قُمْدٌ، مُحَفَّفَةٌ، وَقُمْدٌ وَقُمَادٌ، كَغُرَابٍ، وَقُمْدُودٌ وَقُمَادِيٌّ وَقُمْدَانٌ وَقُمْدَانِيٌّ: شديد، أو غليظ. وَأَقْمَدٌ: طَمَحَ بَعْنَقِهِ، وَأَنْعَطَ، وَأَسَالَ. وَأَقْمَهْدٌ: لَيْسَ مِنْ قَمَدٍ وَوَهُمَ الْجَوْهَرِيُّ.

(٢) السودان: جمع الأسود.

(٣) البيتان للحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبها بها، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة وتوفي بها سنة ٨٠ هـ.

(٤) الحِفْظَةُ مصدر الاحتفاظ عندما يَرَى من حَفِظَةِ الرَّجُلِ، تقول: أَحَفَظْتُهُ فَاحْتَفَظَ حِفْظَةً أَيِ اغْضَبْتُهُ.

(٥) العجز في هذا البيت لأبي تمام.

قال إسحاق: قال ابن الكلبي عن أبيه: كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام، وذلك في أيام مُسْلِم بن عقبة المرِّي، وقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: إن عاش كان مُعْنِي بلاده. ولمعبد صنعة لم يسبقه إليها من تقدم، ولا زاد عليه فيها من تأخر. وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رقه، وربما رعى الغنم لمواليه، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيط الفارسي وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر، حتى اشتهر بالحذق وحسن الغناء وطيب الصوت وصنع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدم على أهل عصره.

أخبرني الحسين بن يحيى، قال: قال حماد: قرأت على أبي:

قال الجُمَحِي: بلغني أن معبدًا قال: واللّه لقد صنعتُ أَلحانًا لا يقدر شعبانٌ ممتليءٌ ولا سقاءٌ يحمل قربةً على الترنم بها، ولقد صَنَعْتُ أَلحانًا لا يقدر المتكيء أن يترنم^(١) بها حتى يقعد مستوفزاً^(٢)، ولا القاعد حتى يقوم.

قال إسحاق: وبلغني أن معبدًا أتى ابن سريج - وابن سريج لا يعرفه -، فسمع منه ما شاء، ثم عرض نفسه عليه وغنّاه وقال له: كيف كنت تسمع جعلت فداءك؟ فقال له: لو شئت كنت قد كُفيت بنفسك الطلب من غيرك. قال: وسمعتُ من لا أحصي من أهل العلم بالغناء يقولون: لم يكن في من غنّى أحدٌ أعلم بالغناء من معبد. قال: وحدثني أيوب بن عباية قال: دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة، فتحدث فذكر معبدًا فقال: أدركته يلبس ثوبين مُمَشَّقَيْن^(٣)، وكان إذا غنى علا منخراه. فقالت عاتكة: يا سيدي أو أدركت معبدًا؟ قال: إي واللّه وأقدم من معبد. فقالت: استحييتُ لك من هذا الكبر.

(١) رنم: الرّينيمُ والتّرنيُم: تطريب الصوت. وفي الحديث: «ما أذنَ اللّهُ لشيءٍ أدنّه لنبيٍّ حسن التّرنّم بالقرآن»، وفي رواية: «حسن الصوت يترنّم بالقرآن»؛ التّرنّم: التطريب والتغنّي وتحسين الصوت بالتلاوة، ويطلق على الحيوان والجماد، ورنّم الحَمَامُ والمُكَاء والجُنْدُب.

(٢) وفز الواو والفاء والزاي كلمة تدلّ على عَجَلَةٍ وقَلّة استقرار، وأنا على وفزٍ وأوفازٍ، أي عَجَلَة، قال الشَّيباني: هو على أوفازٍ، ولم يُقَلّ منه واحد؛ الوَفَز: النَّشَز من الأرض، وكذلك يقال: جَلَس مُستوفزاً، كأنه غير مستقرّ.

(٣) مشق الميم والشين والقاف أصلٌ صحيح يدلّ على سُرعة وخِفّة. يقولون: مَشَق، إذا أَسْرَعَ الكتابة، ومَشَق: طَعَن طَعْنًا بِسرعة، ومَشَق في أكله: أَسْرَعَ واشتدّ، والمَشَق: جَذَب الشيء ليمتدّ ويطول، والوتر يُمَشَق حتّى يَلِين؛ وامتشقتُ الشيء: اقتطعته بسرعة، ومَشَقْتُ الثَّوبَ: مزَقته. وفرسٌ مَشِيقٌ وممشوق: طويل مُنجرد خفيف، وجاريةٌ ممشوقة: حسنة القَوَام، والأصل في الجميع واحد؛ ومَشَق الرَّجُل يَمَشَق: اصطكّت أليته حتّى تَسَحَّجا. ومما شدّ عن الباب المَشَق: المَعْرَة، وثوب مُمَشَّق: صُبغ بها.

[علو كعبه]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسختُ من كتاب حمّاد: قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام، قال: حدّثني جرير، قال: قال معبد: قَدِمْتُ مكة فقليل لي: إن ابن صفوان قد سَبَقَ بين المغنين جائزةً، فأتيتُ بابه فطلبت الدخول، فقال لي أذنه: قد تقدم إليّ ألا أذن لأحدٍ عليه ولا أؤذنه به. قال: فقلت: دعوني أدن من الباب فأغنّ صوتاً. قال: أما هذا فنعم. فدنوت من الباب، فغنيت [صوتاً]، فقالوا: معبد! وفتحوا لي، فأخذت الجائزة يومئذٍ.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حماد: قال أبي: وذكر عورك - وهو الحسن بن عتبة اللّهي - أن الوليد بن يزيد كان يقول: ما أقدرُ على الحج. فقليل له: وكيف ذاك؟ قال: يستقبلني أهل المدينة بصوتي معبد:

القصرُ فالنخل فالجماء بينهما^(١)

[البسيط]

و «قَتِيلَةٌ» يعني لحنه:

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قَتِيلَةً عَنْ جِي دِ تَلِيْعٍ^(٢) تَزِينُهُ الْأَطَوَاقُ^(٣)

[الخفيف]

قال إسحاق: قيل لمعبد: كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء؟ قال: أرْتَجِلُ قُعودي وأُوَقِّع بالقضيب على رحلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت. فقليل له: ما أبينَ ذلك في غنائك!

قال إسحاق: وقال مُصَعَّبُ الزُّبَيْرِيّ: قال يحيى بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير: حدّثني أبي قال:

قال معبد: كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم، وكُنْتُ أتلقي الغنم بظهر الحرّة، وكانوا تجاراً أعالجُ لهم التجارة في ذلك، فأتيتُ صخرةً بالحرّة ملقاةً بالليل فاستند إليها، فأسمع وأنا نائمٌ صوتاً يجري في مسامعي، فأقوم من النوم فأحكيه، فهذا كان مبدأ غنائي.

(١) هذا البيت لأبي قتيبة.

(٢) تلغ التاء واللام والعين أصل واحد، وهو الامتداد والطول صُعْدًا؛ يقال: أَتَلَعَتِ الطَّيْبَةُ إِذَا سَمَتْ بِجِيدِهَا.

(٣) هذا البيت للأعشى مع خلاف بسيط في الصدر، إذ ورد «يوم أبدت» بدل «يوم تبدي»

[إقرار بتفوق معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حماد: قال أبي: قال محمد بن سعيد الدوسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال إنسانٌ لمالك: أنشدك الله، أنت أحسن غناء أم معبد؟ فقال مالك: والله ما بلغتُ شِراكه قط، والله لو لم يُغنَّ معبدٌ إلا قوله:

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرِقُ بَيْضُهُ^(١) ترى حوله الأبطال في حلقِ شُهْبٍ
[الطويل]

لَكَانَ حَسْبُهُ! قال: وكان مالك إذا غنى معبدٌ يُخَفِّفُ منه، ثم يقول: أطال الشعرَ معبدٌ ومَطَطَهُ، وحذفته أنا. وتما هذا الصوت.

صوت

من غير المائة المختارة

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرِقُ بَيْضُهُ ترى حوله الأبطال في حلقِ شُهْبٍ
إِذَا أَنْفَدُوا الرِّقَّ الرَّوِّيَّ وَصَرَّعُوا نشاوى فلم أقطع بقولي لهم حَسْبِي
بَعَثْتُ إِلَى حَانُوتِهَا فَسَبَّأْتُهَا^(٢) بغير مكاسٍ^(٣) في السُّومِ^(٤) وَلَا غَضْبٍ
[الطويل]

(١) برق الباء والراء والقاف أصلاً، تتفرع الفروع منهما: أحدهما لمعان الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء، وما بعد ذلك فكله مجازٌ ومحمولٌ على هذين الأصلين. ويقال للسيف بوارق؛ الأصمعي: يقال أبرق فلان بسيفه إبراقاً، إذا لمع به؛ ويقال رأيت البارقة، ضوء برق السيف.

(٢) سبأت الحمر، أي: اشتريتها واسمها: السبيّة، ومصدرها: السباء، والاشتراء: الاستيلاء لنفسك. وسبأته النار: محشته فأحرقت شيئاً من أليه. وسبأته السباط: لدعته. وسبأ على يمين كاذبة، أي: مر عليها غير مكترث.

(٣) مكس: الميم والكاف والسين كلمة تدل على جبي مالٍ وانتقاص من الشيء، ومكس، إذا جبي؛ والمكس: الجباية.

(٤) السّم: خزت الإبرة. وكل مشاق الرّجل والدابة سُموم، واحدها سُم. والسُموم: الثّقوب كلها؛ =

عروضه من الطويل. والشعر لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة. هكذا ذكر إسحاق، وغيره يذكر أنه من مراد. ولهذا الشعر خبرٌ طويل يذكر بعد هذا. والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقیلاً أول بالوسطى، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سريج. ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لحنٌ من الثقیل الأول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول: إن مالكا أخذ لحنه فيه فحذف بعض نغمه وانتحلّه، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة. وقد ذُكر أن هذا الشعر لرجل من مراد، ورؤي له فيه حديثٌ طويلٌ. وقد أخرج خبره في ذلك وخبر مالك بن أبي كعب الخزرجي أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وآله في موضع آخر أفرد له، إذ كانت له أخبارٌ كثيرة، ولأجله لا تصلح أن تذكرها هنا.

رجع الخبر إلى معبد - أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو غسان عن يونس الكاتب قال: أقبلت من عند معبد، فلقيني ابنُ محرز ببطحان^(١)، فقال: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي عباد. فقال: ما أخذت عنه؟ قلت: غنى صوتاً فأخذته. قال: وما هو؟ قلت:

ماذا تأمل واقفٌ جملاً في ربيع دارٍ عابِه قَدْمُه
[الكامل]

- الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد - فقال لي: ادخل معي دار ابن هرمة وألقه علي، فدخلت معه، فما زلت أردد عليه حتى غناه، ثم قال: ارجع معي إلى أبي عباد، فرجعنا فسمعته منه، ثم لم نفترق حتى صنع فيه ابن محرز لحناً آخر.

= المسمعان والمنخران والفم. والسَّمان: عِرْقَان في خَيْشُوم الفرس، ويُجمَع السَّوام. وسامٌ أبرص: ضربٌ من كبار الوزغ، وتقول: ساماً أبرص وسَوامٌ أبرص. والسَّوام كالسَّوم، استعراض السلع وتقدير أثمانها من البائع أو من المشتري.

(١) بَطْحَان: بالضم ثم السكون، كذا يقوله المحدثون أجمعون؛ وحكى أهل اللغة: بَطْحَان، بفتح أوله وكسر ثانيه، وكذلك قيده أبو عليّ القالي في كتاب البارع وأبو حاتم والبكري وقال: لا يجوز غيره؛ وقرأت بخط أبي الطيب أحمد ابن أخي محمد الشافعي وخطه حجة: بَطْحَان، بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو وادٍ بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة؛ قال غير واحد من أهل السير: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة فاستوخموها فأتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزوراً، وهما واديان يهبطان من حرة هناك تنصب منها مياه عذبة، فاتخذ بها بنو النضير الحدائق والآطام وأقاموا بها إلى أن غزاهم النبي، صلى الله عليه وسلم، وأخرجهم منها.

صوت

نسبة هذا الصوت

ماذا تَأْمَلْ واقِفْ جَمَلاً في ربع دارِ عابِه قَدَمُه
أَقْوَى وأَقْفَر غير مُنْتَصِبٍ لِبِدِ الرَّمَادَةِ ناصِعِ حُمُه
[الكامل]

غناه معبّدٌ، ولحنه ثَقِيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه خفيف ثَقِيلٌ أول بالوسطى ينسب إلى الغريض وإلى ابن محرز. وذكر عمرو بن بانه أن الثَقِيلَ الأول للغريض. وذكر حبش أن فيه لمالك ثانياً ثَقِيلاً بالوسطى. وفيه رملٌ بالوسطى ينسب إلى سائب خائِرٍ، وذكر حبش أنه لإسحاق.

[تقدير الأكفاء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: نسخت من كتاب حماد: قال أبي: قال ابن الكلبي: قدم ابنُ سريج والغريضُ المدينة يتعرّضان لمعروف أهلها، ويزوران من بها من صديقهما^(١) من قریش وغيرهم. فلما شارفاها^(٢) تقدما ثقلهما ليرتادا منزلاً، حتى إذا كانا بالمغسلة - وهي جَبَانَةٌ^(٣) على طرف المدينة يغسل فيها الثياب - إذا هما بغلامٍ مُلْتَحِفٍ بإزارٍ وطرفه على رأسه، بيده حِبالَةٌ يتصيد بها الطير وهو يتغنى ويقول:

القصرُ فالنخل فالجَمَاءَ بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جَيْرُونِ^(٤)^(٥)
[البسيط]

(١) الصديق: يقال للواحد والجمع، قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

(٢) شارف الشيء: دنا منه واقترب.

(٣) الجَبَانَةُ، مُشَدَّدَتَيْنِ: المقبرة، والصَّحْرَاءُ، والمَنْبِتُ الكريم، أو الأرضُ المُسْتَوِيَّةُ في ارتفاع.

(٤) هذا البيت لأبي قطيفة.

(٥) جَيْرُون: بالفتح، قال ابن الفقيه: ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق في بناء سليمان بن داود، عليه السلام، يقال: إن الشياطين بنته، وهي مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها، قال: واسم الشيطان الذي بناه جيرون فسَمِي به، وقيل: إن أول من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، وبه سَمِي باب جيرون وسميت المدينة إرم ذات العماد، وقيل: إن المُلْك لما تحول إلى ولد عاد نزل جيرون بن عاد في موضع دمشق فبناها، وبه سَمِي باب جيرون، وقال آخر من أهل السير: إن حصن جيرون بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جيرون في الزمن القديم ثم بنته الصابة بعد ذلك وبنت داخله بناءً لبعض الكواكب يقال إنه المشتري، ولباقى الكواكب أبنية عظام في أماكن مختلفة متفرقة بدمشق، ثم بنت النصارى الجامع؛ =

وإذا الغلام معبد. قال: فلما سمع ابن سريج والغريض معبداً مالا إليه واستعاداه الصوت فأعاده، فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قط. فأقبل أحدهما على صاحبه فقال: هل سمعت كالיום قط؟ قال: لا والله! فما رأيك؟ قال ابن سريج: هذا غناء غلام يصيد الطير، فكيف بمن في الجوبة! - يعني المدينة - قال: أما أنا فثكلته والدته إن لم أرجع. قال: ففكرًا راجعين.

[تنافس الموهوبين]

قال: وقال معبد: قدمت مكة، فذهب بي بعض القرشيين إلى الغريض، فدخلنا عليه وهو مُتَصَبِّحٌ^(١)، فانتبه من صُبْحَتِهِ وقعد، فسَلَّمَ عليه القرشي، وسأله فقال له: هذا معبدٌ قد آتَيْتُكَ به، وأنا أُحِبُّ أن تسمع منه. قال: هات، فغنيته أصواتاً. فقال^(٢) بمدري^(٣) معه في رأسه، ثم قال: إنك يا معبد لمليح الغناء. قال: فأحفظني ذلك، فَجَثَوْتُ على رُكْبَتَيْ، ثم غنَّيته من صنعتي عشرين صوتاً لم يُسَمِعْ بمثلهما قط، وهو مُطَرِّقٌ واجمٌ قد تغير لونه حسداً وخجلاً.

[مع تلامذته]

قال إسحاق: وأُخْبِرْتُ عن حكم الوادي قال: كنت أنا وجماعة من المغنين نَخْتَلِفُ إلى معبدٍ نأخذُ عنه ونتعلمُ منه، فغننا يوماً صوتاً من صنعته وأعجب به، وهو:

القصرُ فالنخل فالجماء بينهما

فاستحسنناه وعجبنا منه. وكنت في ذلك اليوم أول من أخذه عنه واستحسنه مني

= وقال أبو عبيدة: جيرون عمود عليه صومعة؛ هذا قولهم، والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو باب الشرق، يقال له باب جيرون، وفي قَوَّارة يُنزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح، وقال قوم: جيرون هي دمشق نفسها، وقال الغوري: جيرون قرية الجبابرة في أرض كنعان، وقد أكثر الشعراء القدماء والمحدثون من ذكره؛ وقد نسب إليه بعض الرواة، منهم: هبة الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن طاوس المقري الجيروني إمام جامع دمشق، كان ثقة، رحل إلى العراق وأصبهان في طلب الحديث، سمع أبا الحسين عاصم بن الحسن العاصمي وأبا القاسم علي بن محمد بن علي المصيصي؛ ذكره أبو سعد في شيوخه، ومات في محرم سنة ٥٣٦، ومولده في سنة ٤٦٢.

(١) التصبيح: النوم في الغداة.

(٢) قال: بمعنى حرك.

(٣) مدري: أداة يحكّ بها الرأس.

فأعجبني نفسي، فلما انصرفت من عند معبد عَمِلْتُ فيه لحناً آخر وبكرت على مَعْبِدٍ مع أصحابي وأنا مُعَجَّبٌ بلحني. فلما تَغَنَّينا أصواتاً قلت له: إِنِّي قد عملت بعدك في الشعر الذي غَنَّيتناه لحناً، واندفعت فغنيتته صوتي، فَوَجَمَ معبداً ساعةً يتعجبُ مني ثم قال: قد كُنْتُ أَمْسِ أَرْجى مني لك اليوم، وأنت اليوم عندي أبعدُ من الفلاح. قال حكماً: فأنسيت - يعلم الله - صوتي ذلك منذ تلك الساعة فما ذكرته إلى وقتي هذا.

[في الطريق إلى الحجاز]

قال إسحاق: وقال معبد: بعث إليَّ بعضُ أمراء الحجاز - وقد كان جُمِعَ له الحَرَمَانِ - أن اشخص إلى مكة؛ فشخصت. قال: فتقدمتُ غلامي في بعض تلك الأيام، واشتد عليَّ الحرُّ والعطشُ، فانتهيت إلى خباء فيه أسودُ وإذا حِباب^(١) ماء قد بُرِدَتْ، فملت إليه فقلت: يا هذا، اسقني من هذا الماء، فقال: لا. فقلت: فأذن لي في الكِنِ^(٢) ساعة. قال: لا، فَأَنَحْتُ ناقتي ولجأتُ إلى ظلِّها فاستترت به، وقلْتُ: لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أقدم به عليه، ولعليَّ إِنْ حَرَكْتُ لساني أَنْ يَبْلُ حَلْقِي رِيقِي فيخفف عني بعضُ ما أجده من العطش! فترنمت بصوتي:

القصرُ فالنخل فالجَمَاء بينَهُما

فلما سمعني الأسود، ما شَعَرْتُ بِهِ إِلَّا وقد احتملني حتى أدخلني خِباءه، ثم قال: إي، بأبي أنت وأمي! هل لك في سويق السُلْتِ^(٣) بهذا الماء البارد؟ فقلت: قد منعني أفل من ذلك، وشَرَبْتُ ماءً تُجَزِّنِي. قال: فسقاني حتى رَوَيْتُ، وجاء الغلام فأقمت عنده إلى وقت الرّواح. فلما أردت الرحلة قال: إي، بأبي أنت وأمي! الحرُّ شديدٌ ولا آمَنُ عليك مثل الذي أصابك، فأذن لي [في] أَنْ أَحْمِلَ معك قِرْبَةً من ماء على عُنْقِي وأسعى بها معك، فكلما عَطِشْتَ سَقَيْتُكَ صَحناً^(٤) وغنيتني صوتاً! قال: قلت: ذاك لك. فوالله ما فارقتني يسقيني وأغنيته حتى بلغت المنزل.

(١) حباب: جمع حب وهي الجرة صغيرة كانت أم كبيرة.

(٢) كن: السترة والجمع أكنان. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾. والأكنة: الأغطية. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، الواحد كنان، ويقال: إنها تستعمل لكل ما وقى الحر والعطش.

(٣) سلت: السلت: شعير لا قشر له [أجرد، يكون] بالغور، وأهل الحجاز يتبردون بسويقه في الصيف.

(٤) الصحن: شبه العس الضخم إلا أن فيه عرضاً وقرب قعر. والسائل يتصحن الناس: أي يسأل في قصعة ونحوها.

[معبد وابن سريج]

نسخت من كتاب جعفر بن قدامة بخطه: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال: كان معبدً خارجاً إلى مكة في بعض أسفاره، فسمع في طريقه غناءً في «بطن مرٍّ»^(١) فقصد الموضع، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرفٍ بركةٍ فارقٍ شعره حسن الوجه، عليه دُرّاعةٌ قد صبغها بزعفرانٍ، وإذا هو يتغنى:

صوت

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَابَا وَدَعَا إِلَهُمَّ شَجْوَهُ فَأَجَابَا
ذَاكَ مِنْ مَنَزِلٍ لِسَلَمَى خَلَاءِ لَا بَسَ مِنْ عَفَائِهِ جَلْبَابَا
عَجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعَا أَنْ يَرُدَّ رُبْعُ جَوَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمَنَسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ بِ وَأَبْدَى الْهُمُومَ وَالْأَوْصَابَا^(٢)
[الخفيف]

فقرع معبدٌ بعصاه وغنى:

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقَّ تُقَلُّبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
فَكَأَنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا الْأَغْرَاضُ^(٣)
[الكامل]

فقال له ابن سريج: بالله أنت معبد؟ قال: نعم، وبالله أنت ابن سريج؟ قال: نعم، ووالله لو عرفتكم ما غنيتُ بين يديك.

صوت

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَابَا وَدَعَا إِلَهُمَّ شَجْوَهُ فَأَجَابَا

(١) بطن مرّ: من نواحي مكة عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً، ويقال له «مرّ الظهران».

(٢) هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، مع بعض التعديلات حيث ورد الصدر على الشكل التالي: «ظَلْتُ فِيهِ وَالرَّكْبُ حَوْلِي وَقُوفٌ»، كما غُدِّلَ في ترتيب أبيات القصيدة حيث ورد البيت الرابع في القصيدة بعد البيت الأول.

(٣) هذان البيتان للفرزدق مع بعض التعديلات على البيت الأول، حيث ورد بهذه الصيغة: مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَطَيَّبَهَا حَدَقَّ يُقَلِّبُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ

فَاسْتَشَارَ الْمَنْسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ بِ وَأَبْدَى الْهُمُومَ وَالْأَوْصَابَا
 ذَاكَ مِنْ مَنَزَلٍ لِسَلَمَى خَلَاءٍ لَا بَسٍ مِنْ عَفَائِهِ جَلْبَابَا
 عِجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكِبِ عُوجُوا طَمَعًا أَنْ يَرُدَّ رُبْعَ جَوَابَا
 ثَانِيًا مِنْ زِمَامٍ وَجَنَاءٍ^(١) عَنَسٍ^(٢) قَانِيًا لَوْنُهَا يُخَالُ خِضَابَا
 جَدُّهَا الْفَالِجُ^(٣) الْأَشْمُ أَبُو الْبُخْ تِ^(٤) وَخَالَتُهَا انْتُخِبْنَ عَرَابَا^(٥)
 [الخفيف]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان: رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو.

صوت

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقْتُ ثُقُلُهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
 فَكَأَنَّ أَفِيدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقْتُ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا الْأَغْرَاضُ
 [الكامل]

الشعر للفرزدق، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أول عن الهشامي.

[رحلة معبد إلى الأهواز]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سباط قال: حدثني يونس الكاتب قال: كان معبدٌ قد علّم جاريةً من جوارى الحجاز الغناء - تدعى «ظبية» - وعُني بتخريجها، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك، فاشتراها رجلٌ من أهل الأهواز، فأعجب بها وذَهَبَتْ بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَ أَنْ أَقَامَتْ عِنْدَهُ بُرْهَةً^(٦) مِنَ الزَّمَانِ وَأَخَذَ جَوَارِيَهُ أَكْثَرَ غَنَائِهَا عَنْهَا؛ فَكَانَ لِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهَا وَأَسْفَهٍ عَلَيْهَا لَا يَزَالُ يَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِ مَعْبَدٍ وَأَيْنَ مُسْتَقَرُّهُ؟ وَيُظْهِرُ التَّعَصُّبَ لَهُ وَالْمِيلَ إِلَيْهِ وَالتَّقْدِيمَ لَغَنَائِهِ عَلَى سَائِرِ

(١) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٢) العنس من أسماء الناقة سميت به لتمام سنّها وشدة قوتها.

(٣) الفالج: الجمل الضخم الذي يجلب من السند للفحلة.

(٤) البختية: الأنثى من الجمال البخت، والذكر بختي، وهي جمال طوال الأعناق، وتجمع على بخت وبختاتي، واللفظة معربة، تتحدث عن الإبل الخراسانية التي تنتج من عربية وفالج.

(٥) الجمل العربي، وهي خلاف البراذين. والعرب خصت بالعيش عراب الإبل البيض خاصة.

(٦) البرهة ويضم: الزمان الطويل أو أعم.

أغاني أهل عصره إلى أن عُرِفَ ذلك منه، وبلغ معبدًا خبره، فخرج من مكة حتى أتى البصرة، فلما وردها صادفَ الرجلَ قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى^(١) سفينةً. وجاء معبدٌ يلتمس سفينةً ينحدر فيها إلى الأهواز، فلم يجد غيرَ سفينةِ الرجل، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبه، فأمر الرجلُ الملاح أن يُجْلِسَهُ معه في مؤخر السفينة ففعلوا وانحدروا، فلما صاروا في فم نهر الأبلّة^(٢) تغدّوا وشربوا، وأمر جواريه فغثين، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر، وعليه فروٌّ وخفّان غليظان وزيّ جافٍ من زيّ أهل الحجاز، إلى أن غثت إحدى الجوارى:

صوت

بانتُ سُعادٌ وأمسى حبْلُها انصرَمَا واحتلّت الغور^(٣) والأجراع^(٤) من إضمّا^(٥)
إحدى بليّ^(٦) وما هامَ الفؤادُ بها إلّا السّفاه^(٧) وإلّا ذكّرة^(٨) حلّما
[البسيط]

- (١) كرى: أجر المستأجر من دار أو دابة أو أرض ونحوها. واكتريته: أخذته بأجرة .
- (٢) الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .
- (٣) الغور: تهامة وما يلي اليمن، وأغار الرجل: دخل الغور. وغور كل شيء: بعد قره .
- (٤) الجرع: مصدر جرع الماء يجرعه جرعا. والجرع: جمع جرعة وجرع: دعص من الرمل لا ينبت شيئا .
- (٥) إضم: بالكسر ثم الفتح ، وميم، ذو إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينية، وقيل: ذو إضم جوف هناك به ماء وأماكن يقال لها الحناظل، وله ذكر في سرايا النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال السيد علي: إضم واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلى منها عند السد يسمى الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضمّا إلى البحر، وقال سلامة بن جندل:

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدكادك من قوفم عصوب
كانت لها مرة داراً فغيّرَها مرّ الرياح بسافي الترب مجلوب

قال ابن السكيت: إضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، وأعلى إضم القناة التي تمر دون المدينة، وقيل: إضم واد لأشجع وجهينة ، ويوم إضم من أيامهم، وعن نصر: إضم أيضاً جبل بين اليمامة وضربة، وقال غيره: ذو إضم ماء بين مكة واليمامة عند السمينية يطؤه الحاج .

هذا البيت للناطقة الذيباني، مع اختلاف في بعض الألفاظ، حيث ورد:

بانتُ سُعادٌ وأمسى حبْلُها انجَدّما واحتلّت الشرعَ فالأجراعَ من إضمّا

- (٦) البلوي: بفتح الباء المنقوطة بواحدة واللام وفي آخرها الواو، هذه النسبة إلى «بلي» وهي قبيلة من قضاة.
- (٧) السفه والسفاه والسفاهة: نقيض الحلم . وسفّهت أحلامهم . وسفه الرجل: صار سفيهاً. وسفه حلمه، ورأيه وتفسه، إذا حملها على أمر خطأ .
- (٨) بالكسر والضم، وهو نقيض النسيان.

قال حمّاد: والشعر للنابغة الذبياني. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومحدثة.

فلم تُجدْ أداءه، فصاح بها معبد: يا جارية، إن غناءك هذا ليس بمستقيم. قال: فقال له مولاها: - وقد غَضِبَ - : وأنت ما يدريك الغناء ما هو؟ ألا تُمسك وتلزم شأنك! فأمسك، ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم، حتى غنت:

صوت

بابنة الأزديّ قلبي كئيبٌ مُستهامٌ عندها ما يُنيبُ
ولقد لاموا فقلتُ: دعوني إنّ من تنهون عنه حبيبُ
إنما أبلى عظامي وجسمي حُبُّها والحبُّ شيءٌ عجيبُ
أيّها العائبُ عندي هواها أنت تفدي من أراك تعيبُ
[المديد]

- والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر، والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر - قال: فأخلت ببعضه. فقال لها معبد: يا جارية، لقد أخللت بهذا الصوت إخلالاً شديداً. فغَضِبَ الرجلُ وقال له: ويلك! ما أنت والغناء! ألا تكف عن هذا الفضول! فأمسك، وغنى الجوّاري مليّاً، ثم غنت إحداهنّ:

صوت

خليليّ عوجاً منكما ساعةً معي على الرّبعِ نقضِ حاجةً ونودّع
ولا تعجلاني أن أَلِمَّ بدمنةٍ لِعِزَّةٍ لاحت لي ببِداءٍ بلقّع
وقولا لِقَلْبٍ قد سلا راجعِ الهوى ولِلْعَيْنِ أذري من دُموعِكِ أو دعي
فلا عيشٌ إلّا مثلُ عيشٍ مضى لنا مصيفاً أقمنا فيه من بعد مَرَبَع
[الطويل]

الشعر لكثير، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى، وفيه رملٌ للغريض قال: فلم تصنع فيه شيئاً. فقال لها معبد: يا هذه، أما تقومين على أداء صوت واحد؟ فغَضِبَ الرجلُ وقال له: ما أراك تدعُ هذا الفضولَ بوجهٍ ولا حيلة! وأقسمُ بالله لئن عاودت لأُخْرِجَنَّكَ من السفينة، فأمسك معبد، حتى إذا سكنت الجوّاري سكتةً اندفع يُغني الصوت الأول حتى فرغ منه، فصاح الجوّاري: أحسنت

والله يا رجل! فأعده. فقال: لا والله ولا كرامة. ثم اندفع يغني الثاني، فقلن لسيدهن: ويحك! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً. فقال: قد سمعتن سوء ردّه عليكن وأنا خائفٌ مثله منه، وقد أسلفنا الإساءة، فاصبرن حتى نُداريه. ثم غنى الثالث، فلزل عليهم الأرض. فوثب الرجلُ فخرج إليه وقبّل رأسه وقال: يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك. فقال له: فهبك لم تعرف موضعي، قد كان ينبغي لك أن تثبّت ولا تسرع إليّ بسوء العشرة وجفاء القول، فقال له: قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى، وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي. فقال: أما الآن فلا. فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه.

فقال له الرجل: ممن أخذت هذا الغناء؟ قال: من بعض أهل الحجاز، فمن أين أخذه جواريك؟ فقال: أخذه من جارية كانت لي ابتاعها رجلٌ من أهل البصرة من مكة، وكانت قد أخذت عن أبي عبّاد معبدٍ وغني بتخريجها، فكانت تحلّ مني محلّ الروح من الجسد، ثم استأثر الله عزّ وجلّ بها، وبقي هؤلاء الجوّاري وهنّ من تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضلُ صنعته على كل صنعة. فقال له معبدٌ: أو إنك لَأنت هو! أفترفني؟

قال: لا. قال: فصكّ^(١) معبدٌ بيده صلّته ثم قال: فأنا والله معبدٌ، وإليك قدِمْتُ من الحجاز، ووافيتُ البصرة ساعةً نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز؛ والله لا قصّرتُ في جواريك هؤلاء، ولأجعلنّ لك في كلّ واحدةٍ منهنّ خلفاً من الماضية. فأكبّ الرجلُ والجوّاري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون: كتمنا نفسك طولَ هذا اليوم حتى جفّوناك في المخاطبة، وأسأنا عِشْرَتَكَ، وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه. ثم غيّر الرجل زيّه وحاله وخلع عليه عدة خلع^(٢)، وأعطاه في وقته ثلاثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها، وانحدر معه إلى الأهواز، فأقام عنده حتى رضيَ حذقَ جوّاريه وما أخذه عنه، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز.

[عند الوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالاً: حدثنا محمد بن

(١) صكك: صكه، أي ضربه.

(٢) خلع ثوبه ونعله وقائده خلعاً. وخلع عليه خلعة، وخلع امرأته خلعاً بالضم. والخلعة: خيار المال.

زكريا الغلابي قال: حدثني مهدي بن سابق قال: حدثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال: حدثني عمر القاري بن عدي قال: قال الوليد بن يزيد يوماً: لقد اشتقت إلى معبد، فوجه البريد إلى المدينة فأتني بمعبد، وأمر الوليد ببركة قد هُيئت له فَمُلئت بالخمير والماء، وأتني بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما، وبينهما ستر قد أرخى، فقال له غنّني يا معبد:

صوت

لَهْفِي عَلَى فِتْيَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا
مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانُوا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاؤُ
أَبْكَى فِرَاقَهُمْ عَيْنِي وَأَرْقَاهَا إِنْ التَّفَرُّقُ لِلْأَحْبَابِ بَكَّاءُ
[البسيط]

- الغناء لمعبد خفيف ثقيل، وفيه ليحيى المكي رمل، ولسليمان هزج، كلها رواية الهشامي - قال: فغناه إياه، فرفع الوليد الستر ونزع ملاءةً مُطَيَّبةً كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة، فنهل فيها نهلةً، ثم أتى بأثوابٍ غيرها وتلقوه بالمجامير^(١) والطيب، ثم قال غنّني:

صوت

يَا رَبْعُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مَتِيماً قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِراً وَمُسَلِّماً
جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَّالَةٍ حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرَةٍ مَتَبَسِّماً
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ دَعَاكَ، أَجَبْتَهُ وَبَكَيْتَ مِنْ حُرْقٍ عَلَيْهِ - إِذَا - دَمَا
[الكامل]

- الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى والخنصر عن ابن المكي. وفيه لعلوية ثاني ثقيل آخر بالبنصر في مجراها عنه - قال: فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينار فصبتها بين يديه، ثم قال: انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت.

وأخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص، قال: حدثني

(١) المجامر من جمر، والجمر جمع جمرة من النار، والجمرة أيضاً واحدة جمرات المناسك وهي ثلاث جمرات يرمين بالجمار، والجمرة الحصاة، والمجمرة بكسر الميم واحدة المجامر، وكذا المجمر بكسر الميم وضمها فبالكسر اسم الشيء الذي يجعل فيه الجمر وبالضم الذي هيأ... له الجمر.

هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثني سليمان بن سعد الحلبي قال : سمعت القاري بن عدي يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجه إليه إلى المدينة فأخضِرَ . وبلغ الولي قدومه ، فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء وردٍ قد خُلِطَ بمسك وزعفران ، ثم فُرشَ للوليد في داخل البيت على حافة البركة ، وبُسطَ لمعبدٍ مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجيء بمعبدٍ فرأى سِتْرًا مُرخى ومجلس رجل واحد . فقال له الحُجَّاب : يا معبد ، سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ؛ فسلم فردَّ عليه الوليد السلام من خلف الستر ، ثم قال له : حيَّاك الله يا معبد ! أتدري لِمَ وجهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتكَ فأحببت أن أسمع منك . قال معبد : أأغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنني :

ما زال يعدو عليهم ريبٌ دهرهم حتى تفانوا وريبُ الدهرِ عداءُ
[البسيط]

فغنَّاه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف^(١) ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجواري بثيابٍ غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له : غنني يا معبد :

يا ربُّع مالِكَ لا تُجيبُ متيماً قد عاج نحوك زائراً ومُسَلِّماً
جادتُك كلُّ سحابةٍ هطَّالةٍ حتى تُرى عن زهرةٍ متبسِّماً
لو كنتَ تدري من دعاكَ أجبتُهُ وبكيتَ من حُرِقَ عليه إذا دما
[الكامل]

قال : فغنَّاه ، وأقبل الجواري فرفعن السُّترَ ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له : غنني . فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : غنني :

عَجِبَتْ لِمَا رَأَتْنِي أَنْدُبُ الرِّبْعِ الْمُحْيِلِ^(٢)
وَاقِفًا فِي الدَّارِ أَبْكِي لَا أَرَى إِلَّا طُطُولًا
كَيْفَ تَبْكِي لِأَنَاسٍ لَا يَمْلُؤُونَ الذَّمَّ إِلَّا^(٣)

(١) السجفان : ستر باب الحجلة ، وكل باب يستره ستران مشقوق بينهما ، فكل شق سجف ، وكذلك سجف الخباء ، وسمي خلف الباب سجفًا . والسجف والتسجيف : إرخاء السجفين .

(٢) المحيل : الذي أتت عليه الأحوال فغيرته .

(٣) الذميل : ضرب من سير الإبل . قال أبو عبيد : فإذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزید ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم . يقال : ذمل يذمل ويذمل ذميلاً .

كُلَّمَا قُلْتُ اطْمَأْنَنْتَ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا^(١)

[مجزوء الرمل]

قال: فلما غناه رمى نفسه في البركة ثم خرج، فردّوا عليه ثيابه، ثم شرب وسقى معبدًا، ثم أقبل عليه الوليد فقال له: يا معبد، من أراد أن يزداد عند الملوك حُظْوَةً فليكنتم أسرارهم. فقلت: ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به. فقال: يا غلام، احمل إلى مَعْبَدٍ عشرة آلاف دينار تُحْصَلُ^(٢) له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه، فَحَمَلْتُ إليه كلُّها، وَحُمِلَ على البريد^(٣) من وقته إلى المدينة.

[معبد في الحمام]

قال إسحاق: وقال مَعْبَدٌ: أرسل إلي الوليد بن يزيد فَأَشْخَصْتُ إليه. فبينما أنا يوماً في بعض حمامات الشام إذ دخل عليّ رجلٌ له هيبة ومعه غلمانٌ له، فاطلّ^(٤) واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس. فَقُلْتُ: واللّه لئن لم أُطْلِعْ هذا على بعض ما عندي لأكوننّ بمزجِرٍ^(٥) الكلب؛ فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني، ثم ترنمت، فالتفت إليّ وقال للغلمان: قَدِّمُوا إليه «جميع» ما ها هنا، فصار جميع ما كان بين يديه عندي. قال: ثم سألتني أن أسير معه إلى منزله فأجبتّه، فلم يدع من البرّ والإكرام شيئاً إلا فعله، ثم وضع النبيذ، فجعلت لا آتي بحسنٍ إلا خرجت إلى ما هو أحسن منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى مني. فلما طال عليه أمري قال: يا غلام، شيخنا شيخنا، فَأَتَيْتُ بشيخ، فلما رآه هَشَّ^(٦) إليه، فأخذ الشيخ العودَ ثم اندفع يُعْنِي:

(١) أشجع بن عمرو السلمي أبو الوليد من بني سليم من قيس عيلان. شاعر فحل، كان معاصراً لبشار، ولد باليمامة ونشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة، واستقر ببغداد، توفي في ١٩٥هـ.

(٢) تحصل: تدفع وتسلم.

(٣) البريد: ستة أميال يتم بها فرسخان. والبريد: الرسول المبرد على دواب البريد، وقال الراجز: رأيت للموت رسولاً مبرداً، ويروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إذا أبردتم إلي بريداً فأجعلوه حسن الوجه حسن الاسم». وقال بعض العرب: الحمى بريد الموت، أراد أنها رسول الموت تنذر به. وسكك البريد، كل سكة منها اثنا عشر ميلاً، والسفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة.

(٤) اطلّ: لطف نفسه بنورة أو نحوها.

(٥) يقال: «فلان مني مزجر الكلب» يريدون أنه بعيد كبعد المكان الذي تزجر إليه الكلب، ويراد بهذا الذم.

(٦) الهش والهشيش من كل شيء: ما فيه رخاوة ولين، وشيء هش وهشيش، وهش يهش هشاشة، فهو هش وهشيش. وخبزة هشة: رخوة المكسر، ويقال: يابسة، وأترجة هشة كذلك. وهش الخبز يهش، بالكسر: صار هشاً. وهش هشوشة: صار خواراً ضعيفاً. هششت الورق أهشّه هشاً: خبطته بعضاً ليتحات.

سَلَوُرُ فِي الْقَدْرِ وَيَلِي عِلْوَهُ^(١) جَاءَ الْقِطُّ أَكَلَهُ وَيَلِي عِلْوَهُ
السُّلُورُ: السَّمَكُ الْجَرِّي^(٢) بَلْغَةُ أَهْلِ الشَّامِ - قَالَ: فَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَنْزَلِ يُصَفِّقُ
وَيَضْرِبُ بِرِجْلِهِ طَرِبًا وَسُرُورًا. قَالَ: ثُمَّ غَنَّاهُ:

وَتَرْمِينِي حَبِيبَةً بِالدُّرَاقِنِ وَتَحَسَبُنِي حَبِيبَةً لَا أَرَاهَا
[الوافر]

الدُّرَاقِنُ: اسْمُ الْخَوْخِ بَلْغَةُ أَهْلِ الشَّامِ، قَالَ: فَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ جِلْدِهِ طَرِبًا.
قَالَ: وَانْسَلَّتْ مِنْهُمْ فَانصَرَفْتُ وَلَمْ يُعْلَمْ بِي. فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطُّ غَنَاءً
أَضِيعَ، وَلَا شَيْخًا أَجْهَلَ!

[معبد وابن عائشة]

قَالَ إِسْحَاقُ: وَذَكَرَ لِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ
كَانَ يُلْقِي عَلَيْهِ وَعَلَى رُبَيْحَةِ الشَّمَّاسِيَّةِ، فَدَخَلَ مَعْبَدٌ فَأَلْقَى عَلَيْهِمَا صَوْتًا، فَانْدَفَعَ ابْنُ
عَائِشَةَ يُعَنِّيهِ وَقَدْ أَخَذَهُ مِنْهُ؛ فَغَضِبَ مَعْبَدٌ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا بَنَ عَاهِرَةِ الدَّارِ، تُفَاخِرُنِي!
فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا أَبَا عَبَادٍ - وَلَكِنِّي أَقْتَبِسُ مِنْكَ، وَمَا أَخَذْتَهُ إِلَّا
عَنْكَ، ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ يَا بَنَ شَمَّاسٍ، هَلْ قُلْتَ لَكَ: قَدْ جَاءَ أَبُو عَبَادٍ فَاجْمَعْ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ أَقْتَبِسُ مِنْهُ. قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ لَابْنِ عَائِشَةَ، وَقَدْ غَنَى
صَوْتًا أَحْسَنَ فِيهِ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ أَحْسَنَ النَّاسِ غَنَاءً، فَقِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ أَصْبَحْتَ أَحْسَنَ
النَّاسِ غَنَاءً؟ قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ أَبِي عَبَادٍ أَحَدَ عَشَرَ صَوْتًا، وَأَبُو
عَبَادٍ مَغْنِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَالْمُقَدَّمُ فِيهِمْ!

أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي
أَيُّوبُ بْنُ عَبَايَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ قَالَ:

[قدومه مكة]

قَالَ مَعْبَدٌ: غَنَيْتُ فَأَعْجَبَنِي غَنَائِي وَأَعْجَبَ النَّاسَ وَذَهَبَ لِي بِهِ صَيْتٌ وَذِكْرٌ،
فَقُلْتُ: لَا تَيْنَنَّ مَكَةَ فَلَا سَمْعَنَّ مِنَ الْمَغْنِينِ بِهَا وَلَا غَنِيَّتَهُمْ وَلَا تَعْرِفَنَّ إِلَيْهِمْ، فَابْتَعَتْ حَمَارًا

(١) لعل هذه الكلمة عامية، كانت تستخدم في بلاد الشام.

(٢) الجري: سمك يعيش في النيل، وهو طويل أملس ليس له فصوص ولا ريش وله رأس يميل إلى الطول، وفم مستطيل كالخرطوم.

فخرجت عليه إلى مكة . فلما قدمتها بعثت حماري وسألت عن المعنّين أين يجتمعون؟
 فقيل: بقُعَيْقَعَانَ^(١) في بيت فلان، فجئت إلى منزله بالغلس^(٢) فقرعت الباب، فقال:
 من هذا؟ فقلت: انظر عافاك الله! فدنا وهو يُسَبِّحُ ويستعيد كأنه يخاف، ففتح فقال: من
 أنت عافاك الله؟ قلت: رجلٌ من أهل المدينة. قال: فما حاجتك؟ قلت: أنا رجلٌ أشتهي
 الغناء، وأزعم أنني أعرفُ منه شيئاً، وقد بلغني أنّ القومَ يجتمعون عندك، وقد أحببتُ أن
 تُنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم، فإنه لا مؤونة عليك ولا عليهم مني. فلَوَى^(٣)
 شيئاً ثم قال: انزل على بركة الله؛ قال: فنقلتُ متّاعي فنزلت في جانب حُجْرته. ثم جاء
 القومُ حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا، فأذكروني وقالوا: من هذا الرجل؟
 قال: رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويَطْرَبُ عليه، ليس عليكم منه عَنَاءٌ ولا
 مكروهٌ. فرحبوا بي وكلمتهم، ثم انبسطوا وشربوا وغَنّوا، فجعلت أعجب بغنائهم وأظهرُ
 ذلك لهم ويُعْجِبُهُمْ مني، حتى أقمنا أياماً، وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً
 وأصواتاً وأصواتاً. ثم قلت لابن سريج: إني فديتك! أمسِكْ علي صوتك:

قُلْ لِهِنْدٍ وَتَرْبِهَا قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا

[البسيط]

قال: أوتحسنُ شيئاً؟ قلت: تَنْظُرُ^(٤)، وعسى أن أصنع شيئاً، واندفعتُ فيه
 فغنيته، فصاح وصاحوا وقالوا: أحسنت قاتلك الله! قلت: فأمسِكْ علي صوت كذا
 فأمسكوه علي، فغنيته، فازدادوا عجباً وصياحاً، فما تركت واحداً منهم إلا غنيته من
 غنائه أصواتاً قد تخيرتها. قال: فصاحوا حتى علت أصواتهم وهرفوا^(٥) بي وقالوا:
 لأنت أحسنُ بأداء غنائنا عنا مئناً. قال: قلت: فأمسكوا علي ولا تضحكوا بي حتى
 تسمعوا من غنائي، فأمسكوا علي؛ فغنيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي، ثم غنيتهم
 آخر وآخر فوثبوا إلي وقالوا: نَحْلِفُ بالله إن لك لصيتاً واسماً وذكراً، وإن لك فيما ها
 هنا لسهماً عظيماً، فمن أنت؟ قلت: أنا معبدٌ. فقبلوا رأسي وقالوا: لفقت^(٦) علينا
 وكُنَّا نتهاونُ بك ولا نَعُدُّكَ شيئاً وأنت أنت؛ فأقمْتُ عندهم شهراً آخذُ منهم ويأخذون
 مني، ثم انصرفت إلى المدينة.

(١) قُعَيْقَعَان: اسم قرية بها مياه وبئر وزرع ونخيل، بينها وبين مكة اثنا عشر ميلاً.

(٢) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

(٣) أي تمكث قليلاً.

(٤) تَنْظُرُ: تأنّ وترث.

(٥) الهرف: شبه الهذيان من الإعجاب بالشيء. فلان يهرف بفلان نهاره كله، هرفاً.

(٦) لفقت: أي سترت أمرك حتى لم نعرفك.

صوت

نسبة هذا الصوت

قُلْ لِهِنْدٍ وَتَرْبِهَا قَبْلَ شَحْطٍ^(١) النَّوَى عَدَا
 إِنْ تَجُودِي فَطَالَمَا بَتْ لَيْلِي مُسَهَّداً^(٢)
 أَنْتِ فِي وَدِّ بَيْنِنَا خَيْرُ مَا عِنْدِنَا يَدَا
 حِينَ تُدْلِي مُضَقَّراً^(٣) حَالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا
 [البسيط]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج عن حماد ولم يجنسه. وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق. وقال الهشامي: فيه لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى.

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

تَشْكِي الْكَمِيْتُ الْجَرِي لَمَّا جَهْدَتْهُ وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا
 فَقُلْتُ لَهُ إِنْ أَلَقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكِلَ وَتَسَامَا
 عَدِمْتُ إِذَا وَفَرِي وَفَارَقْتُ مُهْجَتِي لَئِنْ لَمْ أَقِلْ قَرْنًا إِذَا اللَّهُ سَلَّمَا
 لِذَلِكَ أَذْنِي دُونَ خَيْلِي مَكَانَهُ^(٤) وَأَوْصِي بِهِ أَنْ لَا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
 [الطويل]

عروضه من الطويل. قوله: (لئن لم أقل قرنا)، يعني أنه يجد في سيره حتى يقل بهذا الموضع، وهو قرن المنازل، وكثيراً ما يذكره في شعره.

الشعر لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، والغناء في هذا اللحن المختار لابن

(١) الشحط: البعد. وقد شحط يشحط شحطاً وشحوطاً. يقال: شحط المزار، أي بعد. وأشحطته: أبعدته. وتشحط المقتول بدمه، أي اضطرب فيه.

(٢) السهاد: الأرق، وقد سهد الرجل بالكسر يسهد سهداً. والسهد بضم السين والهاء: القليل من النوم.

(٣) ضفر: نسج.

(٤) في القصيدة: «رباطه» بدل «مكانه».

سريع، ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانه. وفيه ثقيلٌ أول يقال إنه ليحيى المكي. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لأحمد بن موسى المنجم. وفيه للمعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة. وقد كان عمرو بن بانه صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعه. أخبرني جحظة قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي قال:

صنع عمرو بن بانه لحناً في «تَشَكَّى الكميتُ الجري» فأخبرني بعض عجائزنا بذلك، قالت: فأردنا أن نعرضه على مُتَمِّم لنعلم ما عندها فيه، فقلنا لبعض من أخذه عن عمرو: غنّ «تَشَكَّى الكميتُ الجري» في اللحن الجديد، فقالت مُتَمِّم: أيش^(١) هذا اللحنُ الجديد والكميتُ المحدث؟ قلنا: لحنٌ صنعه عمرو بن بانه. فغنته الجارية، فقالت مُتَمِّم لها: اقطّعي اقطّعي، حسبك حسبك هذا! والله لحمار حنينٍ المكسورُ أشبه منه بالكميت.

(١) منحوتة من «أي شيء».

ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة. واسم أبي ربيعة: حُذَيْفَةُ بن المُغِيرَةِ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر؛ وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة. ويُكنى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطاب». وكان أبو ربيعة جدّه يسمى «ذا الرُّمَحَيْن» سُمِّيَ بذلك لطوله، كان يُقَالُ: كَأَنَّهُ يَمْشِي على رَمَحَيْن.

أخبرني بذلك الحرْمِيُّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه الضحاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي. وقيل: إنّه قاتل يوم عكاظ برمحين فسمّي «ذا الرمحين» لذلك.

وأخبرني بذلك أيضاً علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب الزبيري والمدائني والمسيبي ومحمد بن سلام، قالوا: وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى^(١):

أَلَا لِّلَّهِ قَـوْمٌ وَ لَدَتْ أَخْتُ بَنِي سَهْمِ
هَشَامٌ وَأَبُو عَبْدٍ مَنَافٍ مِدْرَهُ^(٢) الْخَصْمِ
وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَالُ^(٣) عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ

(١) عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي، وأمه عاتكة الجمحية بنت عبد الله بن عمير. شاعر قرشي في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال حسان فيه أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر له بحلة. قد سجل في شعره حادثة الفيل وحرمة مكة ومنعتها، وتحدث عن حرب الفجار وبلاء بني المغيرة فيها، ومن الأحداث التي أثرت في نفسه وسجلها في شعره أن أناساً من قصي دخلوا دار الندوة لبعض أمره فأراد عبد الله أن يدخل معهم فيسمع مشورتهم فمنعوه فكتب شعراً في باب الندوة، توفي ١٥ هـ.

(٢) المדרه: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم والمدافع عنهم.

(٣) هكذا وردت في جميع النسخ، ولكن الأصوب أن يقال «شباك» كما ورد في «أمالى القالي».

فَهَـذَانِ يَـذُودَانِ وَذَا مِن كَثَبٍ يَـرْمِي
أَسُودٌ تَزْدَهِي^(١) الْأَقْرَا نَ مَتَاعُونَ لِلْهَضَمِ
وَهُمْ يَوْمَ عَكَاظٍ^(٢) مَ نَعُوا النَّاسَ مِنَ الْهَزْمِ
وَهُمْ مَن وَلَدُوا أَشْبَوُا^(٣) بِسِرِّ الْحَسَبِ الضَّخَمِ
فَإِنْ أَحْلَفَ وَبَيْتِ اللَّـ هِ لَا أَحْلَفَ عَلَى إِثْمِ
لَمَّا مِنْ إِخْوَةٍ بَيْنَ قُصُورِ الشَّامِ وَالرَّدَمِ
بِأَزْكَى مِنْ بَنِي رَيْطَ ةٍ أَوْ أَوْزَنَ فِي الْحِلْمِ
[الهج]

أبو عبد مناف: الفاكه بن المغيرة. وريطة هذه التي عَنَاهَا هي أم بني المغيرة، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم، ولدت من المغيرة هشاماً وهاشماً وأبا ربيعة والفاكه.

وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالًا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال: أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه قال:

قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام - وجئته أطلب منه مَعْرَماً -: يا خال، هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل: سمعتُ حسان يُنشدُها رسول الله ﷺ. فقلت: أعوذ بالله أن أفترى على الله ورسوله، ولكن إن شئت أن أقول: سمعتُ عائشة تُنشدُها فعلتُ. فقال: لا، إلا أن تقول: سمعتُ حسان يُنشدُها رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ، فأبى عليّ وأبئتُ عليه، فأقمنا لذلك لا نتكلم عدّة ليالٍ. فأرسل إليّ فقال: قل أبياتاً تمدها بها هشاماً - يعني ابن المغيرة - وبني أمية. فقلت: سمهم لي، فسماهم وقال: اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك. فقلت:

أَلَا لِّلَّهِ قَـوْمٌ وَ لَدَتِ أَخْتُ بَنِي سَهْمِ
[الهج]

(١) تزدهي الأقران: تستخف بهم وتتهاون.

(٢) عكاظ اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كلّ سنة شهراً ويتناشدون ويتفاخرون ثم يفترقون، فهدمه الإسلام.

(٣) الشَّبْوُ: الأدى. وجارية شَبْوَةٌ: جريئة كثيرة الحركة فاحشة. وأشبى الرجل: ولد له ولد كَيْسٌ ذَكِيٌّ.

قال: ثم جئتُ فقلتُ: هذه قالها أبي. فقال: لا، ولكن قل: قالها ابنُ الزُّبَيْرِ. قال: فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب الناس إلى ابن الزُّبَيْرِ.

قال الزُّبَيْرُ: وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال: أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائل هذه الأبيات:

أَلَا لِّلَّهِ قَـوْمٌ وَ لَدَتْ أَخْتُ بَنِي سَهْمٍ
[الهزج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبى، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني عبد العزيز بن عمران قال: حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه. وزاد فيه عمر بن شبة.

قال محمد بن يحيى: وأختُ بني سَهْم التي عنها رِبْطَةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤي بن غالب، وهي أُم بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهم: هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكه، وعدَّةٌ غيرُهُم لم يُعقبوا^(١)، وإياهم يعني أبو ذؤيب^(٢) بقوله:

صَخْبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَانَهُ عَبْدٌ لِأَبِي رَبِيعَةَ مُسَبِّعٌ
[الكامل]

ضَرَبَ بعزَّهم المثل. وقال: وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بِحَيْرًا، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله؛ وكانت قريش تُلَقِّبُهُ «العَدْلُ»، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنَّةً، ويكسوها من ماله سنَّةً، فأرادوا بذلك أنه وحده عَدْلٌ لهم جميعاً في ذلك. وفيه يقول ابن الزُّبَيْرِ:

بَحِيرُ بْنُ ذِي الرُّمَحِينَ قَرَّبَ مَجْلِسِي وَرَاحَ عَلَيَّ خَيْرُهُ غَيْرَ عَاتِمٍ
[الطويل]

(١) وَعَقِبُ الرَّجُلِ: وَلَدُهُ. وَوَلَدٌ الْباقُونَ مِنْ بَعْدِهِ. وَقَوْلُهُمْ: لَا عَقَبَ لَهُ: أَي لَمْ يَبْقَ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرَ.

(٢) أَبُو ذُؤَيْب، خويلد بن خالد بن محرث أبو ذؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري. شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (٢٦ هـ) غازياً. فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها سنة ٢٧ هـ. والبيت على البحر الكامل.

(٣) مسبيع: وصف لحمار وحش، ويقال عبد مسبيع: أي عبد ترك حتى صار كالسبع.

وقد قيل: إن العدل هو الوليد بن المُغيرة.

وكان عبدُ الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً، وكان مَتَجَرُّهُ إلى اليمن، وكان من أكثرهم مالاً. وأمه أسماء بنت مُخَرَّبَةَ، وقيل: مُحَرَّمَةُ، وكانت عَطَّارَةً يَأْتِيهَا العطر من اليمن. وقد تزوجها هشام بن المُغيرة أيضاً، فولدت له أبا جهل والحارث ابني هشام، فهي أمهما وأم عبد الله وعيَّاش ابني أبي ربيعة.

أخبرني الحرمي والطوسيُّ قالا: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي عن الواقدي قال: كانت أسماء بنت مُخَرَّبَةَ تبيع العطر بالمدينة. فقالت الرُّبِيعُ بنت معوذ بن عفراء الأنصارية - وكان أبوها قتل أبا جهل بن هشام يوم بدر واحتزَّ رأسه عبد الله بن مسعود - وقيل: بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله - فذكرتُ أنَّ أسماء بنت مُخَرَّبَةَ دخلتُ عليها وهي تبيع عطراً لها في نسوة، قالت: فسألت عتاً، فانتسبنا لها. فقالت: أنت ابنة قاتل سيده؟ تعني أبا جهل، قلت: بل أنا بنت قاتل عبده. قالت: حرامٌ عليَّ أن أبيعك من عطري شيئاً، قلت: وحرامٌ عليَّ أن أشتري منه شيئاً، فما وجدت لعطر تننأ غير عطرك، ثم قمت، ولا والله ما رأيت عطراً أطيب من عطرها، ولكنني أردتُ أن أعيبه لأغیظها.

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المهن، وكان عددهم كثيراً، فروي عن سفيان بن عُيَيْنَةَ أنه قيل لرسول الله ﷺ حين خرج إلى حُتَيْن: هل لك في حبش بني المغيرة تستعين بهم؟ فقال: «لا خير في الحبش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا، وإن فيهم لخلَّتَيْن»^(١) حسنتين إطعام الطعام والبأس يوم البأس». واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي ربيعة على الجند^(٢) ومَخَالِفَهَا^(٣)، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتِلَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه. هذا من رواية الزبير عن عمه. قال: وحدثني ابن الماجشون عن عمِّه أن عثمان بن عفان - رحمه الله - استعمله أيضاً عليها.

[أُم عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث]

وأُم عمر بن أبي ربيعة أُم ولدٍ يقال لها «مَجْدُ»، سُبِّيت من حضرموت، ويقال

(١) الخَلَّة: الحَصْلَةُ.

(٢) الجُنْد: بالضم ثم السكون، واحد الأجناد، وأجناد الشام خمسة، وقد ذكرت في أجناد، والجند: جبل باليمن؛ ذكره نصر في قرينة الجند.

(٣) المخاليف: جمع مخلاف: القرى والأصقاع.

من حمير. قال أبو مُحَلَّم ومحمد بن سلام: هي من حمير، ومن هناك أتاه الغزل، يقال: غزل يمان، ودلَّ حِجَازِيٌّ.

وقال عمر بن شبة: أم عمر بن أبي ربيعة أم ولد سوداء من حبش يقال لهم: فرسان. وهذا غلط من أبي زيد، تلك أم أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له: «القباع»، [وكانت نصرانية]. وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً ديناً وسيداً من سادات قريش.

قال الزبير بن بكار: ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاه عبد الله بن الزبير، فقال: أرسل عوفاً^(١) وقعد! «لا حرَّ بوادي عوف». فقال له يحيى بن الحكم: ومن الحارث ابن السوداء! فقال له عبد الملك: ما ولدت والله أمة خيراً مما ولدت أمه!.

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي: أن أمه ماتت نصرانية وكانت تسرُّ ذلك منه. فحضر الأشراف جنازتها، وذلك في عهد عمر بن الخطاب - رحمة الله عليه - فسمع الحارث من النساء لَعَطاً، فسأل عن الخبر، فعرف أنها ماتت نصرانية وأنه وجد الصليب في عنقها، وكانت تكتُمه ذلك. فخرج إلى الناس فقال: انصرفوا رحمكم الله، فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم فاستحسن ذلك منه وعجب الناس من فعله.

صوت

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

أَلَا لِيْلَهُ قَـوْمٌ وَ	لَدَتْ أَخْتُ بَنِي سَهْمٍ
هَشَامٌ وَأَبُو عَبِيدٍ	مَنَافٍ مِدْرَهُ الْخَصْمِ
وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَاكَ	عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ
فَهَذَانِ يَذُودَانِ	وَذَا مِنْ كَثْبٍ يَرْمِي

[الهج]

(١) هو عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، وقد طلب منه عمرو بن هند أن يسلم إليه مروان القرظ، وكان قد أجاره فأبى وقال: «لا حر بوادي عوف»، أي أنه يقهر من حل بواديه، فكل من فيه كالعبيد له ولطاعتهم إياه، وأخذ هذا القول مثلاً، يضرب للرجل الذي يسود الناس فلا ينازعه أحد منهم في سيادته.

[رأي يزيد في غناء معبد وابن سريج]

عروضه من مكفوف الهزج . الغناء لمعبد خفيف رمل من رواية حماد .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : قال إسماعيل بن مجمع : أخبرنا المدائني عن رستم ابن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عباد، إني أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلت فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاش أن تزده علي ، فقد أدنيت لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربك بموضع لا يعصيك إلا ضال ، ولا يرد عليك إلا مخطيء .

قال : إن الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج : أجد في غنائك متانة ، وفي غنائيه انحناءاً وليناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أمة نبيه ﷺ ، ما عدا^(١) صفتي وصفه ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ، ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني^(٢) ذاك عنده فعل ، قال : لا والله ، ولكني أؤثر الطرب على كل شيء ، قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التام ، فأغرب أنا ويشرق هو ، فمتى نلتقي؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق بن سريج؟ قال : نعم ، فصنع من وقته لحناً من الخفيف في :

أَلَا لِهَ قَوْمٌ وَ لَدَتْ أَخْتُ بَنِي سَهْمٍ
[الهزج]

... الأربعة الأبيات . فغناه ؛ فصاح يزيد : أحسنت والله يا مولاي ! أعد فداك أبي وأمي ، فأعاد ، فرد عليه مثل قوله الأول ، فأعاد ، ثم قال : أعد فداك أبي وأمي ، فأعاد ، فاستخف الطرب حتى وثب وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول :

يَا دَارُ دَوْرِي نَنِي يَا قَرْقَرُ امْسِكِي نِي
أَلَيْتِ مُنْذُ حِينِ حَقَّالَتْ ضَرْمِي نِي

(١) أي ما جاوز ما قلت صفتي وصفه ابن سريج .

(٢) الضعة والضة : خلاف الرقة في القدر ، والأصل وضعة ، حذفوا الفاء على القياس كما حذفوا من عدة وزنة ، ثم إنهم عدلوا بها عن فعلة فأقروا الحذف على حاله وإن زالت الكسرة التي كانت موجبة له ، فقالوا : الضعة فندرجوا بالضعة إلى الضعة ، وهي وضعة كجفة وقضة لا لأن الفاء فتحت لأجل الحرف الحلقى كما ذهب إليه محمد بن يزيد ؛ ورجل وضيع ، وضع يؤضع وضاعة وضعة وضعة : صار وضيعاً ، فهو وضيع ، وهو ضد الشريف .

وَلَا تُوَاصِلِينِي بِاللَّهِ فَارْحَمِينِي
لَمْ تَذْكُرِي يَمِينِي!

[مجزوء الرمل]

قال: فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدورن معه، حتى خر مغشياً عليه ووقع فوقه ما يعقل ولا يعقلن، فابتدره الخدم فأقاموه، وأقاموا من كان على ظهره من جواريه، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت.

[سيرة جُوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة وكان لعمر بن أبي ربيعة ابن صالح يقال له «جُوان»، وفيه يقول العرجي^(١):

شَهِيدِي جُوانَ عَلَى حُبِّهَا أَلَيْسَ بِعَدْلِ عَلَيْهَا جُوانُ
[المتقارب]

فأخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان قال: جاء جُوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أمير على الحجاز، فشهد عنده بشهادة، فتمثل:

شَهِيدِي جُوانَ عَلَى حُبِّهَا أَلَيْسَ بِعَدْلِ عَلَيْهَا جُوانُ
[المتقارب]

- وهذا الشعر للعرجي - ثم قال: قد أجزنا شهادتك، وقبله. وقال غير الزبير: إنه جاء إلى العرجي، فقال له: يا هذا! ما لي وما لك تشهرني في شعرك! متى أشهدتني على صاحبك هذه! ومتى كنت أنا أشهد في مثل هذا! قال: وكان امرأ صالحاً.

وأخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني بكار بن عبد الله قال: استعمل بعض ولاة مكة جُوان بن عمر على تبالة^(٢)، فحمل على خنعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً، فجعلت خنعم سنة جُوان تاريخاً، فقال ضبارة بن الطفيل:

(١) العرجي، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر. شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، كان مشغولاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين، صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعه بأرض الروم، ولقب بالعرجي لسكناء قرية (العرج) في الطائف، توفي ١٢٠هـ.

(٢) تَبَالَة: المقصود هنا تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن.

أَتَلْبِسُنَا^(١) لَيْلَى عَلَى شَعَثِ بَنَا مِنْ الْعَامِ أَوْ يُرْمَى بَنَا الرَّجْوَانُ^(٢)
[الطويل]

صوت

رَأْتَنِي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ^(٣) وَرَاقَهَا أَخُو غَزَلٍ ذُو لِمَّةٍ وَدِهَانِ
وَلَوْ شَهِدْتَنِي فِي لَيْلٍ مُضَيْنَ لِي لِعَامَيْنِ مَرَّاقِبَلِ عَامِ جُوانِ
رَأْتَنَا كَرِيمِي مَعْشِرِ حُمِّ بَيْنِنَا هَوَى فَحْفِظْنَاهُ بِحُسْنِ صِيَانِ
نَذُودُ النَفُوسَ الْحَائِمَاتِ عَنِ الصَّبَا وَهَنَّ بِأَعْنَاقٍ إِلَيْهِ ثَوَانِي
[الطويل]

ذكر حبش أن الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقليل بالنصر، وذكر الهشامي أنه لقراريط.

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا: وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها: «أمة الواحد» وكانت مُسْتَرْضَعَةً فِي هُذَيْلٍ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة - وقد خرج يطلبها فَضَّلَ الطريق - :

لَمْ تَدْرِ وَلَيَغْفِرْ لَهَا رَبُّهَا مَا جَشَّمَتْنَا أُمَّةَ الْوَاحِدِ
جَشَّمَتِ الْهَوْلَ بَرَاذِينَنَا^(٤) نَسْأَلُ عَنْ بَيْتِ أَبِي خَالِدِ
نَسْأَلُ عَنْ شَيْخِ بَنِي كَاهِلٍ أَعْيَا خَفَاءَ نَشْدَةِ النَّاشِدِ
[السريع]

[مولد عمر ووفاته]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلبی قالاً: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم قال: حدثنا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم - قال: أراه عن الحسن - قال:

وُلِدَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ لَيْلَةَ قَتْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - فَأَيَّ حَقٍّ

- (١) لبس: لبست قوماً أي تمليت بهم دهرًا، ويقال: لبست فلانة عمري أي كانت معي شبابي، كما يقال: ألبس الناس على قدر أخلاقهم؛ أي عاشرهم.
- (٢) مثل سائر، يعني: «استهين به كما يستهان بالدلو يرمى به رجوا البئر».
- (٣) أشلاء اللجام: سُيُورُهُ، أو التي تَقَادَمَتْ فَدَقَّ حَدِيدُهَا.
- (٤) البرذون: جمع برذونة وهو خلاف العراب من الخيل أي الأكاديش، وكانت تجلب من بلاد الروم، قال الكسائي: الأثنى من البراذين برذونة.

رُفِعَ، وأي باطلٍ وُضِعَ! قال عوانة: ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها.

أخبرني الجوهري والمهلبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم قال: حدثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال: كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنه وُلِدَ في أول الإسلام.

[عمر في مجلس ابن عباس]

[أخبرني]^(١) الجوهري والمهلبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال: حدثنا ابن أبي ثابت، وحدثني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام، قالوا: قال أيوب بن سيار، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد العزيز بن عمران عن أيوب بن سيار عن عمر الركاء قال: بَيْنَا ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَعِنْدَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ^(٢) وَنَاسٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَسْأَلُونَهُ، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ مُورَّدَيْنِ أَوْ مُمَصَّرَيْنِ^(٣) حَتَّى دَخَلَ وَجَلَسَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ أَنْشَدْنَا فَأَنْشَدَهُ:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمُهَجِّرُ
[الطويل]

... حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يابن عباس! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقل عنا، ويأتيك غلامٌ مُتَرَفٌّ من مُتَرَفِي قَرِيْشٍ فَيُنْشِدُكَ:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ^(٤) فَيَخْزِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسَرُ
[الطويل]

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى^(٥) وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ^(٦)
[الطويل]

(١) في بعض النسخ [حدثني] بدل [أخبرني].

(٢) نافع بن الأزرق شخصية خارجية، خرجت على يزيد بن معاوية، قتل سنة ٦٥هـ.

(٣) المُمَصَّرُ: ثوبٌ مَصْبُوغٌ فِيهِ صُفْرَةٌ قَلِيلَةٌ.

(٤) عارضت: قابلت، والضمير محذوف أي عارضته.

(٥) يضحى: يظهر الشمس.

(٦) خسر أصلاً: أحدهما البُرد، والآخر وسط الشيء.

فقال: ما أراك إلا وقد حفظت البيت! قال: أجل! وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها، قال: فإني أشاء، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها.

وفي غير رواية عمر بن شبة: أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة، وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً^(١). قال: وهذا غاية الذكاء. فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قط. فقال: لكنني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول. قال: ولامه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة:

«أمن آل نعم...» فقال: إنا نستجيدُها. وقال الزبير في خبره عن عمه: فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المُغِيرِيُّ شيئاً بعدنا؟

قال: وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال:

كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة:

فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصُرُ

قال: لا؛ بل:

فَيَخْزِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسَرُ

قال عمر بن شبة وأبو هفان والزبير في حديثهم:

ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال: أنشد، فأنشده:

تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا^(٢)

[المقارب]

وسكت، فقال ابن عباس:

وَلَدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقال له عمر: كذلك قلت - أصلحك الله - أفسمعتَه؟ قال: لا، ولكن كذلك

ينبغي.

(١) صَفَحَ الْقَوْمَ صَفْحًا: عَرَضَهُمْ واحداً واحداً، وَصَفَحْتُ الْإِبِلَ عَلَى الْحَوْضِ إِذَا أَمَرْتَهَا عَلَيْهِ.

(٢) البيت هذا صدره أما عجزه: «وَلَدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ».

[شهادة الشعراء فيه]

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني يعقوب بن إسحاق قال: كانت العرب تُقَرُّ لقريشٍ بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر، فإنها كانت لا تُقَرُّ لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً.

قال الزبير: وسمعت عمي مصعباً يحدث عن جدي أنه قال مثل هذا القول. قال: وحدثني عدة من أهل العلم أن النصيب قال: لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال.

قال المدائني: قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة: ما يمنعك من مدحنا؟ قال: إني لا أمدح الرجال، إنما أمدح النساء. قال: وكان ابن جريج يقول: ما دخل على العواتق^(١) في حبالهن^(٢) شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة! قال الزبير: وحدثني عمي عن جدي - وذكره أيضاً إسحاق فيما روينا عن أبي هفان عن المدائني - قال: قال هشام بن عروة: لا ترووا^(٣) فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لئلا يتورطن في الزنا تورطاً، وأنشد:

لقد أرسلت جاريتي^(٤) وقلت لها خذي حذرَكَ
وقولي في ملاطفة لزَيْنَب: نولي عُمرَكَ
[مجزوء الوافر]

أخبرنا علي بن صالح قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبيري قال: حدثني أبي عن سمر الدوماني^(٥) من حمير قال:

إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطواف، ف قيل لي: هذا عمر بن أبي ربيعة. فقبضت على يده وقلت له: يا ابن أبي ربيعة، فقال: ما تشاء؟ قلت: أكل ما قلته في شعرك فعلته؟

-
- (١) العواتق من عتق، قال الخليل: جارية عاتق، أي شابة أول ما أدركت، قال ابن الأعرابي: إنما سميت عاتقاً لأنها عتقت من الضبا وبلغت أن تدرع. والعاتق الفتاة التي أدركت فحدرت في بيت أهلها ولم تتزوج، سميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة أبويها ولم يملكها زوجها.
- (٢) حجلة العروس: معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسيرة والستور.
- (٣) لا ترووا: لا تحملوهن على روايته، يقال: روايته الشعر وأرويته: حملته على روايته.
- (٤) في القصيدة «بعثت ولبدتي سحراً» بدلا «لقد أرسلت جاريتي».
- (٥) نسبة إلى «دومان»: بطن من همدان، وهمدان قبيلة باليمن.

قال: إليك عني، قلت: أسألك بالله! قال: نعم وأستغفر الله.

قال إسحاق: وحدثني الهيثم بن عدي عن حماد الراوية: أنه سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال: ذاك المُستَقُّ المَقشَّر.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار، ووقع هذا عليه. قال: وكان بالكوفة رجلاً من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذكرون العلم، فذكر يوماً شعر عمر بن أبي ربيعة فَهَجَّته. فقالوا له: بمن ترضى؟ ومر بهم حماد الراوية فقال: قد رضيت بهذا. فقالوا له: ما تقول فيمن يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً؟ فقال: أين هذا؟ اذهبوا بنا إليه، قالوا: نصنع به ماذا؟ قال: ننزّو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر.

قال إسحاق: وقال أبو المقوم الأنصاري: ما عُصِيَ الله بشيء كما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وحدثني قيس بن داود قال: حدثني أبي قال:

سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول: لقد كنت وأنا شابُّ أُعَشِّقُ ولا أَعَشَّقُ، فاليوم صرت إلى مداراة الحسان إلى الممات، ولقد لقيتني فتاتان مرةً فقالت لي إحداهما: ادنُ مني يا ابن أبي ربيعة أسِرَّ إليك شيئاً. فدنوت منها ودنت الأخرى فجعلت تَعْضُنِي، فما شعرت بعض هذه من لذة سِرار هذه.

قال إسحاق: وذكر عبد الصمد بن المُفَضَّل الرِّقَاشي عن محمد بن فلان الزُّهري - سقط اسمه - عن إسحاق عن عبد الله بن مَسْلَمَةَ بن أسلم قال: لقيت جريراً فقلت له: يا أبا حَزْرَةَ، إنَّ شعرك رُفِعَ إلى المدينة، وأنا أحب أن تسمعني منه شيئاً. فقال: إنكم يا أهل المدينة تعجبكم النسيب؛ وإنَّ أنسب الناس المخزومي، يعني ابن أبي ربيعة.

قال إسحاق: وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، قال: أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيْس، وبنو أخيه معه وهم مُحَرِّمون، فقال لبعضهم: خُذْ بيدي، فأخذ بيده، وقال: ورب هذه البنية^(١) ما قلت لامرأة قط شيئاً لم تقله لي، وما كشفت ثوباً عن

(١) البنية: نقيض الهدم، بناءً يَبْنِيهِ بَنَاءً وَبُنِيَ بِنَاءً وَبُنِيَ وَبِنَاءً، وَابْتَنَاهُ وَبَنَاهُ، والمقصود هنا مكة.

حرام قطُّ. قال: ولما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جَزَع أخوه الحارث جَزَعاً شديداً. فقال له عمر: أحسبك إنما تَجَزَعُ لما تَظُنُّه بي، واللَّه ما أعلم أنني ركبت فاحشةً قطُّ! فقال: ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك، وقد سلّيت عني.

قال إسحاق: حدثني مصعبُ الزبيري قال: قال مصعب بن عروة بن الزبير: خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكة مُعْتَمِرَيْن أو حَاجِّين، فلما طَفْنَا بالبيت مَضِينَا إلى الحجر نَصْلِي فِيهِ، فإذا شيخٌ قد فرج بيني وبين أخي فأوسعنا له. فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال: من أنتما؟ فأخبرناه، فرحب بنا، وقال: يا ابني أخي، إني مُوَكَّلٌ بالجمال أَتْبِعُهُ، وإني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه، ثم قام، فسألنا عنه؛ فإذا هو عمر بن أبي ربيعة.

أخبرنا الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن الضحاك قال: عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة، فتك^(١) منها أربعين سنة، ونسك أربعين سنة. قال الزبير: وحدثني إبراهيم عن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال:

حَجَجْتُ مع أبي وأنا غلامٌ وعليَّ جُمَّة^(٢). فلما قدمت مكة جئت عمر بن أبي ربيعة، فسلمت عليه وجلست معه، فجعل يمد الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه! حتى فعل ذلك مراراً. ثم قال لي: يا بن أخي، قد سمعتني أقول في شعري: قالت لي وقلت لها، وكلّ مملوكٍ لي حرٌّ إن كنت كشفت عن فرج حرام قط! فقمْتُ وأنا متشككٌ في يمينه، فسألت عن رفيقه فقبل لي: أما في «الحوك» فله سبعون عبداً سوى غيرهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت:

مررت بجذك عبد الله بن مصعب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائهِ ومعِي دفتر، فقال: ما هذا معك؟ ودعاني، فجئتته وقلت: شعر عمر بن أبي ربيعة، فقال: ويحك! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إن لشعره لمَوْقِعاً من القلوب ومَدْخَلاً لطيفاً، لو كان شعرٌ يسحر لكان هو، فارجعي به. قالت: ففعلت.

قال إسحاق: وأخبرني الهيثم بن عدي قال:

(١) فُتِكَ: بالفتح ثم السكون، وآخره كاف، وهو أن يأتي الرجلُ صاحبه وهو غارٌ غافلٌ فيقتله.

(٢) الجُمَّة: الشعر. ويقول البعض: مجتمع شعر الرأس.

قَدِمَت امرأةٌ مكة وكانت من أجمل النساء. فبينما عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه، فدنا منها فكلّمها، فلم تلتفت إليه. فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها، فقالت له: إليك عني يا هذا، فإنك في حَرَمِ اللَّهِ وفي أيام عزيمة الحُرمة. فألح عليها يكلّمها، حتى خافت أن يشهرّها. فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها: اخرج معي يا أخي فأرني المناسك، فإني لست أعرفها، فأقبلت وهو معها. فلما رآها عمر أراد أن يعرض لها، فنظر إلى أخيها معها فعدل عنها، فتمثّلت المرأة بقول النابغة^(١) (٢):

تَعْدُو الذُّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمَسْتَأْسِدِ^(٣) الْحَامِي
[البسيط]

قال إسحاق: فحدثني السّديّ مولى أمير المؤمنين أن المنصور قال - وقد حُذِّث بهذا الخبر - : وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ تَبَقْ فَتَاةٌ مِنْ قَرِيشٍ فِي خَدْرِهَا إِلَّا سَمِعْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ .
قال إسحاق: قال لي الأصمعي: عمر حُجَّةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِ إِلَّا قَوْلُهُ:

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالثُّرَابِ^(٤)
[الخفيف]

(١) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمانة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شب في قصيدة له بالمتجدة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه، توفي عام ١٧ ق. هـ.

(٢) لم يرد هذا البيت في النسخ المتداولة لديوان النابغة ولا في ديوان جرير، مع العلم أن كتاب «العقد الثمين» المحقق والمصحح من قبل وليم بن الورد البروسي، المطبوع في مدينة غريفزولد سنة ١٨٦١، ينسب هذا البيت للنابغة الذبياني. وورد هذا البيت منسوباً إلى النابغة في كتاب «شرح الأشعار الستة» للأعلام الشتمري ضمن قصيدة ميمية للنابغة:

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

.....

تَعْدُو الذُّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمَسْتَأْسِدِ الْحَامِي

(٣) ورد في قصيدة النابغة «مَرَبَضَ الْمُسْتَفْرِ» بدل «صَوْلَةَ الْمَسْتَأْسِدِ».

(٤) قد ورد «النجم» بدل «الرمل».

وله في ذلك مخرج، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن الناس من يزعم أنه إنما قال:

قيل لي هل تُحبُّها قلت بَهراً

نسبة ما مضى في هذه الأخبار

من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت لم تنسب هناك لطول شرحها.

[شعره المغنى]

منها ما يُعنى فيه من قوله:

صوت

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
أَشَارَتْ بِمُدْرَاهَا^(٢) وَقَالَتْ لِأَخْتِهَا
فَقَالَتْ: نَعَمْ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنُهُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
أَخَا سَفَرٍ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ
وَلَيْلَةَ ذِي دُورَانَ^(٤) جَشَمْتَنِي السُّرَى^(٥)
فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ^(٦) فَإِمَّا أَفَوْتُهُمْ

غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرُ
فَتُبْلَغُ غُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذَرُ^(١)
أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ؟
سُرَى اللَّيْلِ يُحْيِي نَصَّهُ^(٣) وَالتَّهَجُّرُ
فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ
بِهِ فَلَوَاتٌ فَهوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ
وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوْلَ الْمُحِبُّ الْمُعَرَّرُ
وَأِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَثَارُ

[الطويل]

(١) يقصد الشاعر في هذا البيت: هي في غاية من السر لا يجاب عليها إذا سُئِلَ عنها. والإعذار: نفي العذر.

(٢) ورد في صدر القصيدة «فَفي فَنَظُرِي أَسْمَاءَ هَلْ تَعْرِفِينَهُ» بدل «أشارت بمدراها وقالت لأختها». والمدرى والمدرة: حديدة يحك بها الرأس.

(٣) نص السرى: إسرعه، وأصله حث الدابة ودفعها للسير بأقصى سرعة ممكنة.

(٤) ذو دُورَانَ: أرض ملهم من أرض اليمامة كانت به وقعة في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، بين ثُمَامَةَ بن أثال ومسيلمة الكذاب.

(٥) سري: السرى: سير الليل، وكلُّ شيءٍ طرق ليلاً فهو سارٍ.

(٦) أباديهم: أجاهرهم وأظهر لهم.

هذه الأبيات جُمِعَت على غير توالٍ؛ لأنَّه إنما ذكر منها ما فيه صنعةٌ.

غنى في الأول والثاني من الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن أحمد بن المكي. وذكر حبش أن فيهما لمعبدٍ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر. وغنى ابن سريج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى، وذكر حبش أن فيهما لحناً من الهزج بالوسطى لحكم. وغنى ابن سريج في الخامس والسادس لحناً من الرمل بالوسطى عن عمرو بن بانه. وذكر يونس أن في السابع والثامن لابن سريج لحناً ولم يذكر طريقته، وذكر حبش أن فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان^(١) قال: أخبرني محمد بن إسحاق قال: أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي:

أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام، فقال: مَتَّعَنِي اللَّهُ بك! إن نفسي قد تآقت إلى قول الشعر ونازعتني إليه، وقد قُلْتُ منه شيئاً أحببت أن تسمعه وتُسَرُّهُ عليَّ. فقال: أنشدني، فأَنشدته:

أَمِنْ آلِ نُعمِ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

فقال له: أنت شاعرٌ يا ابن أخي، فقل ما شئت! قال: وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عَوْفِ الزُّهْرِيِّ وهو راكبٌ، فوقف وما زال شائعاً^(٢) ناقتة حتى كُتِبَتْ له.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال: حدثني الحسين بن إسماعيل، قال: حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال:

كان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعرٌ تَهَامِيٌّ إذا أنجد وجد البرد، حتى أنشد قوله:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ^(٣)
قَلِيلًا عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحَبَّرُ^(٤)

(١) المَرْزُبَان كلمة فارسية تعني الرجل العظيم القدر، ومعناه في اللغة العربية حافظ الحد.

(٢) شَتَّقَ البعيرَ يَشْتَقُّهُ وَيَشْتَقُّهُ: كَفَّهُ بِزِمَامِهِ حَتَّى أُلْزِقَ ذِفْرَاهُ بِقَادِمَةِ الرَّحْلِ، أَوْ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ رَاكِبُهُ، كَأَشْتَقُّهُ، فَاشْتَقَّ البعيرُ، نَادِرٌ.

(٣) الْخَصَرُ: الْبَرْدُ الَّذِي يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي أَطْرَافِهِ.

(٤) وَالْمُحَبَّرُ: الشَّيْءُ الْمَزِينُ، وَكَانَ يُقَالُ لَطُفِيلٍ الْغَنَوِيِّ مُحَبَّرٌ، لِأَنَّهُ كَانَ يَحَبِّرُ الشَّعْرَ وَيَزِينُهُ.

وَأَعَجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَانُ^(١) مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهُمُّهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ
[الطويل]

فقال جرير: ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر.

أخبرني محمد بن خلف قال: أخبرني أبو عبد الله اليمامي قال: حدثني الأصمعي قال: قال لي الرشيد: أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوّحه^(٢) السفر؛ فأنشدته قول عمر بن أبي ربيعة:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْضَرُ
أَخَا سَفَرٍ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهَوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ
[الطويل]

... الأبيات كلها. قال: فقال لي الرشيد: أنا والله ذلك الرجل. قال: وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم.

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إليّ، قال: حدثنا محمد بن سلام قال: أخبرني شعيب بن صخر قال:

كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن معمر كلام، فسهرت ليلة فقالت: إن ابن أبي ربيعة لجاهل بليتي هذه حيث يقول:

وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهُمُّهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ
[الطويل]

أخبرني علي بن صالح قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني إسحاق عن المدائني قال:

عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرة، فمرّ به رجل من أهل الشام معه تُرْسٌ^(٣) خَلِقٌ^(٤) سَمِجٌ^(٥)، فنظر إليه يزيد وضحك، وقال له: ويحك! ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك.

(١) رَيَانُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وآخره نون، والرَيَان ضد العطشان.

(٢) لَوَّح: غيّر، ويقال: لآحه العطش لَوْحًا وَلَوَّحَه: غَيَّرَه وَأَضْمَرَه؛ وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن.

(٣) التُّرْس من السلاح: الْمُتَوَقَّى بها، معروف، وجمعه أَتْرَاسٌ وتَرَاسٌ وتِرْسَةٌ. قال يعقوب: ولا تقل أَتْرَسَةً. وكل شيء تَتَرَسَّتْ به، فهو مِتْرَسَةٌ لك. ورجل تَارِسٌ: ذو تُرْس. ورجل تَرَّاسٌ: صاحب تُرْس. والتُّرْسُ: التَّسْتُرُ بالتُّرْس، وكذلك التَّتْرِيس. وتَتَرَسُّ بالتُّرْس: تَوَقَّى، وحكى سيبويه اتُّرَس.

(٤) خَلِق: البالي، يستعمل للمذكر والمؤنث، يقال: ثوب خلق وجبة خلقة.

(٥) سَمِج: سَمِج قبح وبابه ظرف فهو سَمِجٌ بالسكون مثل ضَحْمٌ فهو ضَحْمٌ وسَمِجٌ بالكسر مثل خَشْنٌ =

يريد قول عمر:

فَكَانَ مِجَنِّي^(١) دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ^(٢) وَمُعْصِرُ^(٣) (٤)

[الطويل]

أخبرنا جعفر بن قدامة قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: سمع أبو الحارث جُمَيْرٌ مغنيةً تغني:

أشارت بمدراها وقالت لأختها أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ؟

[الطويل]

فقال جميز: امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ بها عينه، هلا أشارت إليه بنقائق^(٥) مطرف بالخرذل^(٦)، أو سنْبُوسَجَةٍ^(٧) مغموسة في الخل، أو لَوَزِينَجَةٍ^(٨) شَرِقةٍ^(٩) بالدهن! فإن ذلك أنفع له، وأطيب لنفسه، وأدل على مودة صاحبه.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطف بن خالد الوابصي عن عبد الرحمن بن حرمة قال:

أنشد سعيد بن المسيب قول عمر بن أبي ربيعة:

وَعَابَ قُمْمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُعِيَانٌ وَنَوْمٌ^(١٠) سُمَّرُ

[الطويل]

= فهو خَشِنٌ، وَسَمِيحٌ مثل قبح فهو قبيح وقوم سَمَاجٌ بالكسر مثل ضخام.

(١) مجني: يشتق من مجن وهو الترس، وحذفت هاء التأنيث من العدد حملاً على المعنى لأنه قصد بالشخص المرأة.

(٢) الكُعْبَانِ العظمانِ الناتئانِ، عند مفصل الساق والقدم، عن الجنين، وهو من الفرس ما بين الوظيفين والساقين، وقيل: ما بين عظم الوظيف وعظم الساق وهو الناتئ من خلفه، والجمع أَكْعَبٌ وَكُغُوبٌ وَكِعَابٌ. ويقال: الكاعب: التي نهذ ثديها.

(٣) المعصر: التي دخلت في عصر شبابها.

(٤) هو ينسب أيضاً إلى جحظة البرمكي.

(٥) نقائق: أصلها لقائق وهو اسم لأحد الأعماء، وبه سمي معي الغنم المحشو المغلي.

(٦) مطرف بالخرذل: محسن بالخرذل الذي يوضع عليه.

(٧) السنْبُوسج: نوع من الرقائق التي تحشى بقدر وقطع من اللحم والجوز ونحوه من الرقاق المعجون بالسمن أو الشبرج.

(٨) اللوزينج: من الحلواء يشبه القطائف يؤدم بدهن اللوز.

(٩) شرقة: غاصة ممتلئة.

(١٠) نَوْمٌ: من نام، والتضعيف للمبالغة.

فقال: ما له قاتله الله! لقد صَعَّرَ ما عَظَمَ الله! يقول الله عز وجل: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾^(١) الْقَدِيرِ ﴿٢﴾.

[شعره في فاطمة الكندية]

ومنها ما فيه غناء لم ينسب في موضعه من الأخبار فنسبها هنا:

صوت

تَشُطُّ^(٣) غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلْدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ
إِذَا سَلَكَتْ غَمَرَ ذِي كِنْدَةٍ^(٤) مَعَ الرِّكْبِ قَصْدٌ لَهَا الْفَرْقَدُ^(٥)
عِرَاقِيَّةٌ وَتَهَامِيَّ الْهَوَى يَغُورُ^(٦) بِمَكَّةَ أَوْ يُنَجِّدُ^(٧)
وَحَثَّ الْحُدَاةُ^(٨) بِهَا عَيْرَهَا^(٩) سِرَاعاً إِذَا مَا وَنَتْ^(١٠) تُطْرَدُ^(١١)
هُنَالِكَ إِمَّا تُعَزِّي الْفُؤَادَ وَإِمَّا عَلَىٰ إِثْرَهَا تَكْمَدُ^(١٢)

(١) العُرْجُونُ أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريح فيبقى على النخل يابساً.

(٢) سورة يس الآية ٣٩.

(٣) شطط: شطَّ الدار تشطُّ بضم الشين وكسرهما شَطًّا وشَطُوطاً بُعِدَتْ وأَشْطَطَ في القضية أي جار وأشد في السوم واشتَطَّ أي أبعد.

(٤) غمر ذي كندة: موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين.

(٥) فرقد: الْفَرْقَدُ ولد البقرة وَالْفَرْقَدَانِ نجمان قريبان من القطب، ويقال: إنهما من نجوم الدب الأصغر وهي في الشمال.

(٦) الغور: غُور كل شيء قعره يقال: فلان بعيد الغُور والغُور أيضاً المظمئن من الأرض والغُور تهامة وما يلي اليمن.

(٧) نجد: أصل واحد يدل على اعتلاء وقوة وإشراق. منه النَّجْدُ: الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، وَنَجْدَ الرَّجُلُ يُنَجِّدُ نَجْدَةً، إِذَا صَارَ شُجَاعاً، وَهُوَ نَجْدٌ وَنَجْدٌ وَنَجْدٌ وَنَجْدٌ وَنَجْدٌ، وَالشُّجَاعَةُ نَجْدَةٌ، وَالْمُنَاجِدُ: الْمُقَاتِلُ، وَلَا تَقَىٰ فَلَانٌ نَجْدَةً، أَي شَدَّةً، أَمراً عَالَهُ، وَيُقَالُ: النَجْدُ مَا غَلِظَ وَارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ.

(٨) الحداة: جمع حاد وأصله المغني للإبل لتنشط في السير، وقد يراد به الزاجر والسائق.

(٩) العير: الإبل.

(١٠) ونت: ضعفت وتباطأت.

(١١) تطرد: طَرَدَهُ أبعدته من باب نصر وطَرَدَ أيضاً بفتحيتين ويقال: طَرَدَهُ فذهب ولا يقال فيه انفعَلَ ولا افتعل إلا في لغة رديئة وهو مَطْرُودٌ وَطَرِيدٌ وَطَرَدَهُ السُّلْطَانُ بِالْأَلْفِ أَمْرٌ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ بَلَدِهِ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: أَطْرَدَ الرَّجُلَ غَيْرَهُ صَيَّرَهُ طَرِيداً وَطَرَدَهُ نَفَاهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ أَذْهَبْ عَنْنا وَاطْرَدَ الشَّيْءُ أَطْرَاداً تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضاً.

(١٢) في القصيدة «إِثْرَهُمْ يَكْمَدُ» بدل «إِثْرَهَا تَكْمَدُ».

وَلَيْسَتْ بِبِدْعٍ إِذَا دَارُهَا^(١) نَأَتْ^(٢) فَالْعَزَاءُ إِذَا أَجَلَدُ
صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَلِمَ تُتْ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَوْرِدُ
وَجَرَبْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفَ تُتْ مَا أَتَوَّقَى وَمَا أَحْمَدُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِجَرَسِ النِّبَاحِ إِذَا الضُّوْءُ وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
نَأَيْنَا عَنِ الْحَيِّ حَتَّى إِذَا تَوَدَّعَ^(٣) مِنْ نَارِهَا الْمَوْقِدُ
وَنَامُوا بَعَثْنَا لَنَا نَاشِدًا وَفِي الْحَيِّ بُغْيَةً مَنْ يَنْشُدُ
أَتَيْنَا تَهَادَى^(٤) عَلَى رِقَبَةٍ^(٥) مِنَ الْخَوْفِ أَحْشَاؤُهَا تُرْعَدُ
تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجَدًا^(٦) بِنَا وَوَجَدِي وَإِنْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدُ
لِمِمَّا شَقَائِي تَعَلَّقْتُكُمْ وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَكُمْ مَقْعَدُ^(٧)
وَكَفَّتْ سَوَابِقَ مِنْ عَبْرَةٍ عَلَى الْخَدِّ جَالٍ بِهَا الْإِثْمُ^(٨)
فَإِنَّ الَّتِي شَيَّعَتْنَا الْغَدَاةَ^(٩) مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ
كَأَنَّ أَقَا حَيَّ مَوْلِيَّةً^(١٠) تَحْدَرُ مِنْ مَاءِ مَزْنٍ نَدِي^(١١)
[المقارب]

غنى معبد في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من أصوات قليلات
الأشباه عن إسحاق. وغنى فيها أشعب «المعروف بالطامع» ثاني ثقيل بالوسطى عن
الهشامي. وللغريض في الأبيات الأربعة الأول ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. ولا بن
سريج في الرابع عشر وهو:

وَكَفَّتْ سَوَابِقَ مِنْ عَبْرَةٍ

- (١) في القصيدة « فَلَسْتُ بِبِدْعٍ لَئِنْ دَارُهَا » بدل « وَلَيْسَتْ بِبِدْعٍ إِذَا دَارُهَا ».
- (٢) نأت: النَّأَى البُعد، يقال: نَأَى يَنُأَى نَأً؛ وانتأى: افتعل منه، والمُنتَأَى: الموضع البعيد.
- (٣) تودع: سكنت ناره وانطفأت.
- (٤) تتهادى: إِذَا تَمَايَلَتِ الْمَرْأَةُ فِي مِشْيَتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمَاشِيَهَا أَحَدٌ، قيل: تتهادى.
- (٥) الرقبة: التحفظ والفرق.
- (٦) الوجد: الشغف والشوق الشديد.
- (٧) المراد من هذا البيت: إني تعلقتكم وكان لي عندكم مكانة ومنزلة.
- (٨) الإثم: نوع من الحجر للكحل.
- (٩) في القصيدة « فَتِلْكَ الَّتِي شَيَّعَتْهَا » بدل « فَإِنَّ الَّتِي شَيَّعَتْنَا الْغَدَاةَ ».
- (١٠) وليت الأرض ولياً إِذَا مَطَرَتْ بِالْوَلِيِّ أَوْ الْوَلِيِّ بِالتَّسْكِينِ وهو المطر يأتي بعد المطر سمي بذلك لأنه يلي الوسمي؛ والوسمي مطر الربيع الأول.
- (١١) البيت الأخير ليس من القصيدة الأصلية، التي صيغت على البحر المتقارب.

ثم الأول والتاسع رملٌ بالوسطى عن ابن المكي . ولمالك - ويقال إنه لمعبد - خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأول عن الهشامي . وفي السابع والثامن والأول لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي . وفي الأول والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيهما ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه . وفي الرابع والخامس رملٌ لمعبد عن ابن المكي، وقيل: إنه من منحول أبيه إلى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشامي . وفي الأول والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكي، وقال أيضاً: فيه للأبجر لحن آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأول والثاني رملٌ من كتابه . ولعلية بنت المهدي في الثالث عشر والأول ثقيل أول . ولابن مسجح في الثاني عشر والأول رملٌ، ويقال إنه للرباط، وذكر حبش أنه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متواليه خفيف رمل بالوسطى ينسب إلى معبد وإلى يحيى المكي، وزعم حبش أن فيها رملًا بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أن في:

تَشُطُّ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

خمسة ألحان: اثنان لمعبد، واثنان لمالك، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أن الذي عرف صحته من الغناء فيه سبعة ألحان: ثقيل أول، وثاني ثقيل، وخفيف ثقيل، ورمل، وخفيفه .

أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أن الذي أحصي فيه إلى وقته ستة عشر لحنًا . والذي وجدته فيه مما جمعته ها هنا - سوى ما لم يذكر يونس طريقته - تسعة عشر لحنًا: منها في الثقيل الأول لحنان، وفي خفيف الثقيل لحنان، وفي الثقيل الثاني ستة، وفي الرمل سبعة، وفي خفيف الرمل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجّت فهويها وراسلها، فواصلته ودخل إليها وتحدث معها وخطبها، فقالت: أما ها هنا فلا سبيل إلى ذلك، ولكن إن قدمت إلى بلدي خاطباً تزوجتك، فلم يفعل .

أخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا محمد بن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال: سمعت بُدَيْحاً يقول: حجت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّة، فراسلها عمر بن أبي ربيعة وواعدها أن يتلقاها مساء الغد، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً يَنُشِّدُ - إن

لم يمكنه أن يرسل رسولاً - يُعَلِّمُهَا بمصيره إلى المكان الذي وعدّها؛ قال بُدَيْح: فلم أشعر به إلا مثلثماً، فقال لي: يا بديح، انت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا. فغَيَّبَ بَعْلَتَهُ عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فأنشدها لي في زُفَاقِ الحاج، فذهبت فنشدتها، فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية، فأتته لموعده؛ وذلك قوله:

وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ تَسْمَعِي إِذَا جِئْتُكُمْ نَاشِدًا يَنْشُدُ
[المتقارب]

قال بديح: فلما رأيته مقبلةً عرفت أنه قد خدعني بَشْدِي البغلة، فقلت له: يا عمر، لقد صدقت التي قالت لك:

أَهَذَا سَحَرُكَ النُّسُوا نَ قَدْ خَبَّرَنِي خَبَرَكَ
[مجزوء الوافر]

قد سحرتني وأنا رجل! فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن! وما آمَنُكُ بعدّها، ولو دخلت الطواف ظننْتُ أَنَّك دخلته لبِلْيَةٍ. قال: وحدثها بحديثي، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني.

قال الزبير: فحدثني أبو الهندام مولى الرَبْعِيِّين عن أبي الحارث بن عبد الله الرَبْعِيِّ قال:

لقي ابن أبي عتيق بُدَيْحاً فقال له: يا بديح، أخدعك ابن أبي ربيعة، أنّه قُرْشي؟ فقال بديح: نعم! وقد أخطأه ذلك عند القسري^(١) وصوابه. فقال ابن أبي عتيق: ويحك يا بديح! إن من تغابى لك ليغيب عنك، فقد ضُمَّت عليه قبضتُك إن كان لك ذهنٌ، أما رأيت لمن كانت العاقبة؟ واللّه ما بالي ابن أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه.

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا العمري عن كعب بن بكر المحاربي: أن فاطمة بنت محمد بن الأشعث حجّت، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار.

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله المذكورين، قالوا:

(١) المراد به، - كما يظهر - خالد بن عبد الله القسري المعروف بالخريّت، الذي روي عنه أنه نشأ في المدينة وكان في حدائته مخنثاً ويحب المخنثين ويتبعهم، صاحب عمر بن أبي ربيعة، وكان الوسيلة التي يرسل من خلالها عمر النساء.

حَجَّتْ بِنْتُ لِمَحْمَدِ بْنِ الْأَشْعَثِ - هَكَذَا قَالَ إِسْحَاقُ وَهُوَ عِنْدِي الصَّحِيحُ - وَكَانَتْ مَعَهَا أُمُّهَا وَقَدْ سَمِعَتْ بِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، فَجَاءَهَا فَاسْتَنْشَدَتْهُ، فَأَنْشَدَهَا:

تَشُطُّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

[المقارب]

وذكر القصة بطولها. قال: وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه سترًا رقيقًا تراه من ورائه ولا يراها، فجعل يُحَدِّثُهَا حَتَّى اسْتَنْشَدَتْهُ، فَأَنْشَدَهَا هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، فَاسْتَخَفَّهَا الشَّعْرُ فَرَفَعَتْ السَّجْفَ، فَرَأَى وَجْهًا حَسَنًا فِي جِسْمٍ نَاحِلٍ، فَخَطَبَهَا وَأَرْسَلَ إِلَى أُمِّهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ، فَأَبَتْ وَحِجْبَتَهُ وَقَالَتْ لِلرَّسُولِ: تَعُودُ إِلَيْنَا. فَكَأَنَّ الْفَتَاةَ غَمَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا: قَدْ قَتَلْتَ الْوَجْدَ بِهِ فَتَزَوَّجِيهِ. قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا يَتَحَدَّثُ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَنِّي أَنِّي جِئْتُ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ أَخْطَبُهُ، وَلَكِنْ إِنْ أَتَانِي إِلَى الْعِرَاقِ تَزَوَّجْتَهُ. قَالَ: وَيُقَالُ إِنَّهَا رَاسَلَتْهُ وَوَعَدَتْهُ أَنْ تَزُورَهُ، فَأَجْمَرَ بَيْتَهُ وَأَعْطَى الْمُبَشِّرَ مِائَةَ دِينَارٍ، فَأَتَتْهُ وَوَعَدَتْهُ إِذَا صَدَرَ النَّاسُ ^(١) أَنْ يُشَيِّعَهَا، وَجَعَلَتْ عَلَامَةً مَا بَيْنَهُمَا أَنْ يَأْتِيَهَا رَسُولُهُ يَنْشُدُهَا نَاقَةً لَهُ ضَلَّتْ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، فَعَلَ ذَلِكَ عُمَرُ؛ وَفِيهِ يَقُولُ وَقَدْ شَيَّعَهَا:

صوت

قَالَ الْخَلِيطُ ^(٢) غَدَاً تَصْدُعُنَا ^(٣) أَوْ بَعْدَهُ أَقْلًا تُشَيِّعُنَا

أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ ^(٤) الدَّارُ تَجْمَعُنَا

لِتَشَوْقُنَا هِنْدٌ وَقَدْ عَمِلْتُ عِلْمًا بِأَنَّ الْبَيْنَ يُفْزَعُنَا ^(٥)

عَجَبًا لِمَوْقِفِهَا وَمَوْقِفِنَا ^(٦) وَبِسَمْعِ تَرْبِيهَا تُرَاجِعُنَا!

وَمَقَالِهَا سِرَّ لَيْلَةٍ مَعَنَا نَعْهَدُ ^(٧) فَإِنَّ الْبَيْنَ فَاجِعُنَا ^(٨)!

(١) صدر الناس: انصرفوا ورجعوا.

(٢) الخليط: القوم المختلطون الذين أمرهم واحد.

(٣) تصدع القوم: تفرقوا.

(٤) تقول: تظن.

(٥) ورد في القصيدة «فاجعنا» بدل «يُفزعنا». والفزع الفاء والزاء والعين أصلان صحيحان، أحدهما الذعر، والآخر الإغاثة.

(٦) جرى تقديم موقفنا وتأخير موقفها.

(٧) نعهد من عهد، أي نأخذ عليك العهد والميثاق أن تلقانا بعد افتراقنا.

(٨) ورد في القصيدة «شائعنا» بدل «فاجعنا».

قُلْتُ الْعُيُونُ كَثِيرَةٌ مَعَكُمْ وَأَظُنُّ أَنَّ السَّيْرَ مَا نَعُنَا
لَا بَلْ نَزَوْرُكُمْ بِأَرْضِكُمْ فَيُطَاعُ قَائِلُكُمْ وَشَافِعُنَا
قَالَتْ أَشْيَاءُ أَنْتَ فَاعِلُهُ هَذَا لَعَمْرُكَ أَمْ تُخَادِعُنَا؟
بِاللَّهِ حَدَّثَ مَا تُؤَمِّلُهُ وَاصْدُقْ فَإِنَّ الصَّدْقَ وَاسِعُنَا
إِضْرِبْ لَنَا أَجْلاً نَعُدُّ^(١) لَهُ إِخْلَافُ مَوْعِدِهِ تَقَاطِعُنَا
[الكامل]

الغناء لابن سريج ثقیلٌ أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر عمرو أنه للغريض بالوسطى. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشامي، وذكر حبش أنه لموسى شهوات.

[شعره في زينب بنت موسى الجمحية]

ومنها مما لم يُنسب أيضاً:

صوت

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي^(٢) وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي حَذْرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ لَزَيْنَبَ: نَوَّلِي عَمْرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وَقَالَتْ: مَنْ بِذَا أَمْرَكَ
أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَ، قَدْ خَبَّرَنِي خَبْرَكَ
[مجزوء الوافر]

غنى فيها ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو، وقال قوم: إنه للغريض. وفيها لمالك خفيف ثقیل عن ابن المكي. وفي هذا الشعر ألحان كثيرة، والشعر فيها على غير هذه القافية، لأن هذه الأبيات لعمر من قصيدة رائية موصولة الرءاء بألفٍ، إلا أن المغنين غيروا هذه الأبيات في هذين اللحنين، فجعلوا مكان الألف كافاً، وإنما هي:

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي حَذْرَا
[مجزوء الوافر]

(١) نعد من عد، أي نحسب الأيام والليالي في انتظاره.

(٢) ورد في القصيدة «بَعَثْتُ وَلِيدَتِي سَحْرًا» بدل «لقد أرسلت جاريتي».

وأول القصيدة:

صوت

تَصَابِي الْقَلْبُ وَأَذْكَرَا
لِزَيْنَبٍ إِذْ تُجِدُّ لَنَا
أَلَيْسَتْ بِأَلَّتِي قَالَتْ
أَشِيرِي بِالسَّلامِ لَهُ
لَقَدْ أَرْسَلْتَ جَارِيَتِي
وَقَوْلِي فِي مُلَاطَفَةٍ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً
أَهَذَا سِحْرُكَ النُّسْوَا
«طَرِبْتَ وَرَدَّ مَنْ تَهْوَى
فَقُلْ لِلْمَالِكِيَّةِ^(١) لَا
صِبَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ظَهَرَا
صَفَاءً لَمْ يَكُنْ كَدَرَا
لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهَرَا
إِذَا هُوَ نَحْوَنَا نَظَرَا
وَقُلْتَ لَهَا: خُذِي خَذَرَا
لِزَيْنَبَ نَوْلِي عُمَرَا
وَقَالَتْ: مَنْ بِذَا أَمَرَا!
نَ، قَدْ خَبَّرَنِي الْخَبَرَا
جِمَالُ الْحَيِّ فَا بَتَّكَرَا
تَلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهَرَا»^{(٢)(٣)}
[مجزوء الوافر]

وذكر يونس أن لمعبد في هذا الشعر الذي أوله:

تَصَابِي الْقَلْبُ وَأَذْكَرَا

لحنين لم يذكر جنسيهما، وذكر الهشامي: أن أحدهما خفيف [ثقيل] والآخر رمل، وفي الأبيات التي غنى فيها الغريض رملٌ لدحمان عن الهشامي، قال: ويقال: إنه لابنة الزبير.

وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة ها هنا، يقال لها: زينب بنت موسى أختُ قدامة بن موسى الجُمَحِيِّ.

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري. وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال: حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال:

(١) ورد في بعض النسخ «البربرية» بدل «الملكية».

(٢) ورد في بعض النسخ «هجر» بدل «جهر».

(٣) البيتان اللذان وضعاً بين شولتين ليسا من القصيدة الأصلية.

شَبَّبَ عمر بن أبي ربيعة بزَيْنَب بنت موسى الجُمَحِيَّة في قصيدته التي يقول

فيها :

صوت

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي وَالْمَا الْعَدَاةُ بِالْأَظْعَانِ
لَا تَلُومَا فِي أَهْلِ زَيْنَبَ إِنَّ الـ قَلْبَ رَهْنٍ بِآلِ زَيْنَبَ عَانِ
مَا أَرَى مَا حَيِّثُ أَنْ أَذْكَرَ الْمَو قَفَ مِنْهَا بِالْخَيْفِ^(١) إِلَّا شَجَانِي
[الخفيف]

- غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رمل بالنصر عن عمرو - :

لَمْ تَدْعَ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا^(٢) غَيْرَ مَا قُلْتُ مَازِحًا بِلِسَانِي
وَهِيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالْوَدِّ مِنِّي وَإِلَيْهَا الْهَوَى فَلَا تَعْذُلَانِي
حِينَ^(٣) قَالَتْ لِأَخْتِهَا^(٤) وَلَا أُخْرَى مِنْ قَطِينٍ^(٥) مُوَلَّدٍ: حَدَّثَانِي
كَيْفَ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَرَى عُمَرَ الْمُر سَلَ سِرًّا فِي الْقَوْلِ أَنْ يَلْقَانِي؟
قَالَتَا: نَبْتَغِي إِلَيْهِ رَسُولًا وَنُمِيتُ الْحَدِيثَ بِالِكْتِمَانِ
إِنَّ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نَالَ مِنْهَا كَالْمَعْمَى^(٦) عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
[الخفيف]

(١) خَيْفٌ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره فاء؛ والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى.

(٢) ورد في القصيدة «نصيباً» بدل «حظاً».

(٣) ورد في القصيدة «ثُمَّ» بدل «حين».

(٤) ورد في القصيدة «لِثَرَبِهَا» بدل «لأختها».

(٥) قطين: الخدم والحشم والأتباع، والمولد من العبيد من الإماء، من ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم. وقيل: قُطَيْنٌ: قرية من مخلاف سِنْحَانَ باليمن.

(٦) المعمى من عمى: ورجل عمى القلب أي جاهل وامرأة عَمِيَّةٌ عن الصواب وعمية القلب على فعلة فيهما وقوم عَمُون وفيهم عَمِيَّتُهُمْ أي جهلهم. قلت: هو بتشديد الميم والياء يعرف من التهذيب وعَمِيْتُ معنى البيت تَعْمِيَّةٌ ومنه الْمُعْمَى من الشعر وقرئ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ﴾ بالتشديد، وقولهم: ما أعماه إنما يراد به ما أعمى قلبه لأن ذلك ينسب إليه الكثير الضلال، ولا يقال في عَمَى العيون: ما أعماه لأن ما لا يتزيد لا يتعجب منه.

قال: وكان سبب ذكره لها أن ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها، فقال فيها الشعر وشبّب بها، فبلغ ذلك ابن أبي عتيق، فلامه فيه وقال له: أتتطرق الشعر في ابنة عمي؟ فقال عمر:

صوت

لا تَلْمَنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي
لا تَلْمَنِي وَأَنْتَ زَيْنَتْهَا لِي
إِنَّ بِي دَاخِلًا مِّنَ الْحُبِّ قَدْ أَبَى
لَوْ بَعَيْنَاكَ يَا عَتِيقُ نَظَرْنَا
إِذْ بَدَا الْكَشْحُ^(١) وَالْوِشَاحُ مِّنَ الدَّرِّ
قَدْ قَلَى^(٢) قَلْبِي النِّسَاءَ سِوَاهَا
وأول هذه القصيدة:

إِنَّنِي الْيَوْمَ عَادَ لِي أَحْزَانِي
وَتَذَكَّرْتُ ظَبِيَّةَ أُمِّ رِئِمٍ
وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي^(٥)
هَاجَ لِي الشَّوْقُ ذِكْرَهَا فَشَجَانِي^(٦)
[الخفيف]

غنى أبو العُبَيْس بن حمدون في «لا تلمني عتيق...» لحناً من الثقيل الأول المطلق. وفيه رَمْلٌ طنبوريٌّ مجهولٌ.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال:

أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله:

- (١) كشح: هو بعض خلق الحيوان. فالكشح: الخصر، والكشح: داءٌ يصيب الإنسان في كشحه.
- (٢) لم يرد هذا البيت في القصيدة التي نشرت في ديوانه.
- (٣) القَلَى: البُعْضُ، وَقَلَيْتُهُ أَقْلِيهِ قَلَى: أَبْعَضْتُهُ.
- (٤) البيت الأخير من القصيدة لا يتطابق مع القصيدة، حيث ورد العجز على الشكل التالي: «بَعْدَمَا كَانَ مُعْرَمًا بِالْعَوَانِي».
- (٥) هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:
- (٦) «إِنَّنِي الْيَوْمَ عَادَنِي أَحْزَانِي وَتَذَكَّرْتُ مَيِّعَتِي فِي زَمَانِي» العجز في الديوان على الشكل التالي: «صدع القلب ذكرها فشجاني».

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامِ دَعَانِي وَأَلَمَّا الْغَدَاةَ بِالْأَظْعَانِ
لَا تَلُومَا فِي أَهْلِ زَيْنَبَ إِنَّ الْـ قَلْبَ رَهْنٌ بِأَلِ زَيْنَبَ عَانِ
[الخفيف]

... القصيدة، قال: فبلغ ذلك أبا وداعة السهمي فأنكره وغضب. وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له: إن أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى، وقال: لا أقرُّ لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأة من بني هُصَيص في شعره، فقال ابن أبي عتيق: لا تلوموا أبا وداعة أن يُعْظَ^(١) من سمرقند على أهل عدن!

قال الزبير: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري، قال: حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال:

شُبَّ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بِزَيْنَبَ بِنْتِ مُوسَى فِي أَبْيَاتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

لَا تَلُومَا فِي أَهْلِ زَيْنَبَ إِنَّ الْـ قَلْبَ رَهْنٌ بِأَلِ زَيْنَبَ عَانِ
[الخفيف]

فقال له ابن أبي عتيق: أما قلبك فقد غُيِّبَ عَنَّا، وأما لسانك فشاهدٌ عليك.

قال عبد الرحمن بن عبد الله: قال عمران بن عبد العزيز: عَدَلَ ابن أبي عتيق عمر في ذكره زينب في شعره، فقال عمر:

لَا تَلْمَنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَاعَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي
لَا تَلْمَنِي وَأَنْتَ زَيْنَتْهَا لِي^(٢)

[الخفيف]

قال: فبدره ابن أبي عتيق، فقال:

أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

فقال ابن أبي ربيعة: هكذا ورب البيت قُلْتُه. فقال ابن أبي عتيق: إن شيطانك ورب القبر ربما ألمَّ بي، فَيَجِدُ عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فَيُصِيبُ مني وأصيب منه.

(١) نَعِظُ: يَقُولُونَ: نَعِظُ الرَّجُلُ يَنْعِظُ نَعْظًا وَنُعُوظًا: تَحَرَّكَ مَا عِنْدَهُ.

(٢) هذا صدر لبيت يقول:

«لَا تَلْمَنِي وَأَنْتَ زَيْنَتْهَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ»

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني قدامة بن موسى قال:

خرجت بأختي زينب إلى العُمرة، فلما كنت بسرف^(١) لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلم عليّ. فقلت له: إلى أين أراك متوجّهاً يا أبا الخطاب؟ فقال: ذُكِرَتْ لي امرأة من قومي بَرَزَةٌ^(٢) الجمال، فأردت الحديث معها، فقلت: هل علمت أنها أختي؟ فقال: لا! واستحيا وثني عُتُقَ فرسه راجعاً إلى مكة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم قال: حدثنا العمري عن لقيط بن بكر المحاربيّ قال: أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر:

صوت

وَمَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ
أَقُولُ لِمَنْ يَبْغِي الشِّفَاءَ مَتَى تَجِيئُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُشَفِّ مِّنْ سَقَمِي بِهَا^(٣)
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَّيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا
خَلَاءَ بَدَتِ قَمَرَاؤُهُ وَتَكَشَّفَتْ
فَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَّنَا
نَجِيَّينَ نَقْضِي اللَّهْوَ فِي غَيْرِ مَائِمٍ
لَزَيْنَبَ نَجْوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
بَزَيْنَبَ تُدْرِكُ بَعْضَ مَا أَنْتَ لَامِسُ
فَلِإِنِّي مِّنْ طَبِّ الْأَطِبَّاءِ آيِسُ^(٤)
لَزَيْنَبَ حَتَّى يَعْلُوَ الرَّأْسُ رَامِسُ^(٥)
دُجْنَتْهُ وَغَابَ مَن هُوَ حَارِسُ
كَلَانَا مِّنَ الثَّوْبِ الْمُورِدِ^(٦) لَا يَسُ
وَلَوْ رُغِمَتْ مِ الْكَاشِحِينَ الْمَعَاطِسُ
[الطويل]

قال: فقال ابن أبي عتيق: أُمِنَّا يسخر ابن أبي ربيعة! فأُيُّ محرم بقي! ثم أتى

(١) سرف: هو موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة وتسعة واثني عشر، تزوج به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ميمونة بنت الحارث وهناك بنى بها وهناك توفيت.

(٢) برزة: يقال امرأة بَرَزَةٌ أي جليلة.

(٣) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي: «فإنك إلا تأتي يوماً بزينب».

(٤) ورد في القصيدة «يائس» بدل «آيس».

(٥) ارْتَمَسَ في الماء إذا انغمس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه. وفي حديث ابن عباس: أنه رامسٌ عُمَرَ بالجُحْفَةِ وهما مُحْرَمَانِ أي أدخلَا رؤوسهما في الماء حتى يغطيهما، وهو كالعُمَس، بالغين، وقيل: هو بالراء أن لا يطيل اللبث في الماء، وبالغين أن يطيله.

(٦) المورد: الذي صُبع بلون الورد.

عمر فقال له: يا عمر، ألم تخبرني أنك ما أتيت حراماً قط؟ قال: بلى! قال: فأخبرني عن قولك:

كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُوَرَّدِ لَا بِسُ

ما معناه؟ قال: والله لأخبرنك! خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريده، فالتقينا فاتعدنا^(١) لبعض الشعاب، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء، فكرهت أن يرى بثيابها بلل المطر، فيقال لها: ألا استترت بسقائف المسجد إن كنت فيه، فأمرت غلماني فسترونا بكساء خز كان عليّ؛ فذلك حين أقول:

كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُوَرَّدِ لَا بِسُ

فقال له ابن أبي عتيق: يا عاهر! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة! الغناء في هذه الأبيات التي أولها:

وَمَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ

لرذاذٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ، وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدعي أنه له ولم يُصدّق. أخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال:

قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى:

صوت

طَالَ مِنْ آلِ زَيْنَبَ الْإِعْرَاضُ لِّلْتَعْدِي وَمَا بِهَا^(٢) الْإِبْغَاضُ
وَوَلِيدِينَ كَانَ عُلَّقَهَا الْقَلْدُ بْ إِلَى أَنْ عَلَا الرُّؤُوسَ بَيَاضُ^(٣)
حَبْلُهَا عِنْدَنَا مَتِينٌ وَحَبْلِي عِنْدَهَا وَاهِنُ الْقَوَى أَنْقَاضُ^(٤)
[الخفيف]

الغناء في هذه الأبيات لابن محرز خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. وقال الهشامي: فيه لابن جامع خفيف رمل آخر.

(١) اتعدنا: تواعدنا.

(٢) في القصيدة ورد «بنا» بدل «بها».

(٣) في القصيدة ورد «البياض» بدل: «بياض».

(٤) والأنقاض: جمع نقض بالكسر، وهو الحبل الذي لم يُحسن فتله ولم يبرم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: قال عبد الرحمن بن عبد الله: وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال:

لما قال عمر بن أبي ربيعة في زينب:

لَمْ تَدَعْ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيبًا غَيْرَ مَا قُلْتُ مَازِحًا بِلِسَانِي
[الخفيف]

قال له ابن أبي عتيق: رضيت لها بالمودة، وللنساء بالدهفشة. قال: والدهفشة: التجميش^(١) والخديعة بالشيء اليسير. «وقال غير الزبير في هذا الخبر: الدهقشة، مكان الدهفشة».

ومما قاله عمر في زينب وغني فيه قوله:

صوت

أَيُّهَا الْكَاشِحُ الْمُعَيَّرُ^(٢) بِالضَّرِّ
لَا مُطَاعٌ فِي آلِ زَيْنَبَ فَارْجِعْ
نَجْعَلُ اللَّيْلَ مَوْعِدًا حِينَ نُمْسِي
كَيْفَ صَبْرِي عَنْ بَعْضِ نَفْسِي وَهَلْ يَصِدُّ
وَلَقَدْ أَشْهَدُ الْمُحَدَّثَ عِنْدَ الْـ
فِي زَمَانٍ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَدُنْ^(٣)

م تَزَحَّزَحَ فَمَا لَهَا الْهَجْرَانُ
أَوْ تَكَلَّمْ حَتَّى يَمَلَّ اللِّسَانُ
ثُمَّ يُخْفِي حَدِيثَنَا الْكِتْمَانُ
بِرُّ عَنْ بَعْضِ نَفْسِهِ الْإِنْسَانُ
مَقْصَرٍ فِيهِ تَعَفُّفٌ وَبَيَانُ
قَدْ مَضَى عَصْرُهُ وَهَذَا زَمَانُ

[الخفيف]

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو ودنانير. وذكر يونس أن فيه لحناً لابن محرز ولحناً لابن عباد الكاتب، أول لحن ابن عباد الكاتب: «لا مطاع في آل زينب...» وأول لحن ابن محرز: «ولقد أشهد المحدث...».

ومما غنّي فيه لابن محرز من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى

قوله:

(١) التجميش من جمش، وقال أبو العباس: قيل للمُغَاوَلَةِ تَجْمِيشٌ مِنَ الْجَمْشِ، وهو الكلام الخفي. وقيل أيضاً: المداعبة والمغازلة.

(٢) ورد في القصيدة «المُعَرَّضُ» بدل «المُعَيَّرُ».

(٣) ورد في القصيدة «لَخَّ» بدل «لَدُنْ».

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيِّمٍ كَلِفٍ يَهْذِي بِخَوْدٍ^(١) مَرِيضَةِ النَّظَرِ
تَمْشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضْلاً وَهِيَ كَمِثْلِ الْعُسْلُوجِ^(٢) فِي الشَّجَرِ

- للغريض في هذين البيتين خفيف رمل بالوسطى، ولا بن سريج رمل بالنصر
عن الهشامي وحش - .

مَا زَالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزَتْ^(٣) حَتَّى رَأَيْتُ التُّقْصَانَ فِي بَصْرِي
أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
مَا إِنْ طَمَعْنَا بِهَا وَلَا طَمِعَتْ حَتَّى التَّقَيْنَا لَيْلاً عَلَى قَدَرٍ^(٤)
بِيضاً حَسَاناً خَرَائِداً قُطُفَاً^(٥) يَمْشِينَ هَوْنًا كَمَشِيَةِ الْبَقْرِ
قَدْ فُزْنَ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ مَعاً وَفُزْنَ رِسَالاً^(٦) بِالذَّلِّ وَالْخَفَرِ^(٧)
يُنْصِتْنَ يَوْماً لَهَا إِذَا نَطَقَتْ كَيْمَا يُشْرَفْنَهَا^(٨) عَلَى الْبَشْرِ
قَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا تُحَدِّثُهَا لِنُفْسِدَنَّ الطَّوْافَ فِي عُمَرِ
قَوْمِي تَصَدِّي لَهُ لِيَعْرِفْنَا^(٩) ثُمَّ اغْمُزِيهِ يَا أُخْتُ فِي خَفَرِ
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ^(١٠) تَسْعَى عَلَى أَثَرِي
مَنْ يُسَقِّ بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَتَهَا يُسَقِّ بِمِسْكِ وَبَارِدِ خَصْرِ
[المنسرح]

- (١) خَوْد: الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً؛ وقيل: الجارية الناعمة، والجمع خَوْدَاتٌ وخَوْد، بضم الخاء، مثل رَمَحَ لُذْنٌ وَرِمَاحَ لُذْنٌ وَلَا فَعْلَ لَهُ.
- (٢) عَسْلُجٌ: بفتح أوله وثانيه واللام مشددة وتفتح وتكسر، وآخره جيم، كذا ضبطه الأزهرى، وهو من العُسْلُوجِ واحد العساليج، وهو الغصن ابن سنة: وهي قرية ذات نخل وزرع تسقيها شعبة من عين مُحَلَم.
- (٣) ورد في القصيدة «نظرت» بدل «برزت».
- (٤) على قدر: على غير موعد.
- (٥) قطاف: جمع قطوف، وهي البطيئة بالسير.
- (٦) الرُّسْل والرُّسْلَة: الرُّفْق والتَّوَدَّة.
- (٧) الخفر أصلان: أحدهما الحياء، والآخر المحافظة.
- (٨) ورد في القصيدة «يُفَضِّلُنَهَا» بدل «يشرفنها».
- (٩) ورد في القصيدة «لِيُبَصِّرَنَا» بدل «ليعرفنا».
- (١٠) اسبطرت: اسبطرت في سيرها أسرع وأمتدت.

غَنَى فِي هَذَا الشَّعْرِ الْغَرِيضُ خَفِيفٌ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَغَنَى فِيهِ ابْنُ سَرِيحٍ رَمْلًا بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَحَبَشٍ .

صوت

أَلَا يَا بَكْرٌ قَدْ طَرَقَا خَيَالٌ هَاجَ لِي الْأَرْقَا
لِزَيْنَبَ إِنَّهَا هَمِّي فَكَيْفَ بِحَبْلِهَا خَلَقَا
خَذَلَجَةً^(١) إِذَا انْصَرَفَتْ رَأَيْتَ وَشَاحَهَا قَلِقَا
وَسَاقًا تَمَلُّ الْخَلْخَا لَ فِيهِ تَرَاهُ مُخْتَنِقَا
إِذَا مَا زَيْنَبُ ذُكِرَتْ سَكَبْتُ الدَّمْعَ مُتَّسِقَا
كَأَنَّ سَحَابَةً تَهْمِي بِمَاءٍ حُمِّلَتْ غَدَقَا^(٢)

[مجزوء الوافر]

الغناء لِحُثَيْنِ رَمْلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ . وَفِيهِ لَابْنُ عِبَادٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لِيُونُسَ . وَمِمَّا قَالَهُ «فِيهَا» أَيْضًا وَغَنَى فِيهِ :

صوت

أَلَمِمْ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا^(٣) قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
قَدْ حَلَفْتُ لَيْلَةَ الصُّورَيْنِ^(٤) جَاهِدَةً وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الْجِلْفُ مُجْتَهِدَا
لِاخْتِيهَا وَلِأُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا^(٥) لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا
لَوْ جُمِعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفْوَتُهُمْ شَخْصًا مِنَ النَّاسِ ، لَمْ أَعْدِلْ بِهِ أَحَدَا

[البسيط]

الغناء لابن سريح رملٌ بالسبابة والبنصر في الأول والثاني عن يحيى المكي ، وله فيه أيضاً خفيف رملٌ بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو . ولمعبد ثقیلٌ أول في الأول والثاني عن الهشامي . وفي الأبيات الأربعة خفيف ثقیل ينسب إلى الغريض ومالك .

(١) الْخَذَلَجَةُ ، مُشَدَّدَةُ اللَّامِ : الْمَرْأَةُ الْمُتَمَلِّئَةُ الذَّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ .

(٢) وَالْغَدَقُ : الْمَاءُ الْجَارِي بِقُوَّةٍ .

(٣) أَفَدَ : تَدَلَّى عَلَى دُنُو الشَّيْءِ وَقُرْبُهُ . وَيُقَالُ : أَفَدَ الرَّحِيلُ : قُرْبٌ ، وَالْأَفْدُ الْمُسْتَعْجِلُ .

(٤) الصُّورَانِ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ بِالْبَقِيعِ .

(٥) الْمَنْصَفُ : الْخَادِمُ .

أخبرني علي بن صالح قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن مصعب الزبيري قال: اجتمع نسوة فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه، فتشوقن إليه وتمنيته. فقالت سَكِينَةُ: أنا لكَنَّ به، فبعثت إليه رسولا أن يوافي الصوريين ليلة سمّتها، فوافاهن على رواحله، فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن، فقال لهن: واللّه إني لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة في مسجده، ولكنّي لا أخلط بزيارتكن شيئا^(١). ثم انصرف إلى مكة وقال في ذلك:

أَلِمَّ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا

وذكر الأبيات المتقدمة.

[شهادة جرير]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن لقيط قال: أنشد جرير قول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

سَائِلَا الرَّبْعَ بِالْبُلَى^(٢) وَقَوْلَا
أَيْنَ حَيٍّ حَلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُو
قَالَ سَارُوا فَأَمَعْنُوا^(٤) وَاسْتَقَلُّوا^(٥)
سَمُونَا وَمَا سَمْنَا مَقَامًا^(٦)
هَجَتْ شَوْقًا لِي^(٣) الْغَدَاةَ طَوِيلَا
فَبِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلَا؟
وَبِرْغَمِي لَوْ اسْتَطَعْتَ سَبِيلَا
وَأَحْبُبُوا^(٧) دَمَائَةً وَسُهِولَا
[الخفيف]

فقال جرير: إنّ هذا الذي كنا ندور^(٨) عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي.

وفي هذه الأبيات رملان: أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى؛

(١) ورد في بعض النسخ: «غيرها» بدل «شيئا».

(٢) بُلَى: بالضم ثم الفتح، وياء مشددة؛ في كتاب نصر: البُلَى تلّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق، وربما ثني في الشعر.

(٣) في الديوان ورد «لنا» بدل «لي».

(٤) في الديوان «بأجمع» بدل «فأمعنوا».

(٥) استقلوا: واصلوا السير وجدوا في الارتحال.

(٦) في الديوان ورد «بين» بدل «مقاماً».

(٧) في الديوان ورد «وأرادوا» بدل: «وأحبوا».

(٨) يقال: دار عليه وبه وحوله: طاف، والمراد هنا: إنّ هذا الأمر الذي نبحت عنه لنصل إليه.

والآخر لإسحاق مطلقاً في مجرى البنصر جميعاً من روايته. وذكر عمرو: أن فيها رملاً ثالثاً بالوسطى، لابن جامع، وقال الهشامي: فيها ثلاثة أرمال لابن سريج، وابن جامع، وإبراهيم. ولأبي العبيس بن حمدون فيها ثاني ثقیل. وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: وجدتُ كتاباً بخط محمد بن الحسن دُكرَ فيه أن فليح بن إسماعيل حدثه عن معاذٍ صاحب الهروي أن النصيب قال: عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال.

أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: سمعت جدك يقول - وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة -:

صوت

يَا لَيْتَنِي قَدْ أَجَزْتُ الْحَبْلَ نَحْوَكُمُ حَبْلَ الْمُعْرِفِ^(١) أَوْ جَاوَزْتُ^(٢) ذَا عُسْرِ^(٣)
إِنَّ الثَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكَ بِهَا فَاسْتَيْقَنِيهِ ثَوَاءَ حَقٍّ ذِي كَدَرٍ
وَمَا مَلِلْتُ وَلَكِنْ زَادَ حُبُّكُمْ وَمَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا ظِلْتُ كَالسِّدْرِ^(٤)
وَلَا جَذِلْتُ لِشَيْءٍ كَانَ بَعْدَكُمْ وَلَا مَنَحْتُ سِوَاكَ الْحُبِّ مِنْ بَشَرٍ
[البسيط]

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسَلام بن الغساني رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع «وقفا النجار»^(٥) لحنان من كتاب إبراهيم ولم يجنسهما. وتمام الأبيات:

أُذْرِي الدُّمُوعَ كَذِي سُقْمٍ يُخَامِرُهُ وَمَا يُخَامِرُنِي^(٦) سُقْمٌ سِوَى الذِّكْرِ

(١) الْمُعْرِفُ: اسم المفعول من العرفان ضد الجهل: وهو موضع الوقوف بعرفة.

(٢) أَجَزْتُ: جاز أي قطع، ويقال: جاوزته أي تخطيته.

(٣) ذو عشر: واد بين مكة والبصرة.

(٤) سدر: السين وال달 والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شبه الخبيرة واضطراب الرأي.

(٥) لعل هذه العبارة تحريف «نقش النضار» وهو لقب لنافع بن طنبورة المغني.

(٦) ورد في الفصيحة «وَمَا يُخَامِرُ مِنْ» بدل «يخامرني».

كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجْدَى^(١) تَذَكَّرُكُمْ يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ
[البسيط]

- قالت: فقال جدك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموقعاً في القلب، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره، ولو كان شعرٌ يسحر لكان شعره سحراً.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمامة بن عمر قال: رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير، يسأل المسور بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة، فجعل يذكر له شيئاً لا يعرفه، فيسأله أن يكتبه^(٢) إياه فيفعل، فرأيته يكتب ويده ترعد من الفرح.

[المفاضلة بين شعره وشعر الحارث^(٣)]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عمه يوسف قال:

ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام، فقال: صاحبنا - يعني الحارث بن خالد - أشعرهما، فقال له ابن أبي عتيق: بعض قولك يا ابن أخي، لشعر عمر بن أبي ربيعة نوبة^(٤) في القلب، وعلوق^(٥) بالنفس، ودركٌ للحاجة ليست لشعر، وما عصي الله جلَّ وعزَّ بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصفُ لك: أشعرُ قریش من دقِّ معناه، ولطف مدخله، وسهّل مخرجه، ومتن حشوه، وتعطف حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته! فقال المفضل للحارث: أليس صاحبنا الذي يقول:

(١) ورد في القصيدة «أجزي» بدل «أجدي».

(٢) الإكتاب: الإملاء، يقال: اكتبني هذه القصيدة أي أملاها عليّ.

(٣) الحارث المخزومي، الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قریش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها، وله معها أخبار كثيرة. ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة وتوفي بها في ٨٠ للهجرة.

(٤) النوبة: التعلق.

(٥) علق مَصْنَعَةً ومَصْنَعَةً، ويقال: فلان ذو معلقة، إذا كان مُغِيرًا يعلق بكل شيء؛ وأَعْلَقْتُ، أي صادفت علقاً نفيساً، وجمع العلق عُلُوق.

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةً مِّنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يَوْوُدُهَا^(١) الْعُقْلُ
لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا^(٢) سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ^(٣) وَالْمَحَلُ^(٤)
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا، بِمَا احْتَمَلْتُ مَنِّي الضُّلُوعُ، لِأَهْلِهَا، قَبْلُ
[الكامل]

فقال له ابن أبي عتيق: يابن أخي، استر على نفسك، واكتم على صاحبك، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا؛ أما تطير الحارث عليها حين قلب ربيعها فجعل عاليه سافلها! ما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى، لها حجارة من سجيل^(٥)؛ ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحْبَةٍ للربيع من صاحبك، وأجمل مخاطبةً حيث يقول:

سَائِلَا الرَّبْعَ بِالْبُلْيَى وَقَوْلَا هَجْتَ شَوْقًا لِي، الْغَدَاةَ، طَوِيلَا
[الطويل]

وذكر الأبيات الماضية. قال: فانصرف الرجل خجلًا مُذْعِنًا.

[شيء من أخبار الحارث]

أخبرني علي بن صالح قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جده، قالوا: كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش، وإثماً لقب القُبَاع لأن عبد الله بن الزبير كان ولاه البصرة، فرأى مكيالاً لهم فقال: إن مكيالكم هذا لقُبَاع - قال: وهو الشيء الذي له قعر - فلقب بالقُبَاع.

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال: حدثنا خالد بن سعيد قال:

- (١) أود: آده الأمر أوداً وأووداً: بلغ منه المجهود والمشقة؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يُوَدُّهُمْ حَظُّهُمْ﴾؛ قال أهل التفسير وأهل اللغة معاً: معناه ولا يكرهه ولا يثقله ولا يشق عليه من آده يؤوده أوداً.
- (٢) في الديوان «لَوْ بَدَّلْتُ مَعْنَى دِيَارِهِمْ» بدل «لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا».
- (٣) الأقواء جمع قواء، ويقال أقوت الدار: أقفرت وخلت من أهلها.
- (٤) محل الميم والحاء واللام أصل صحيح له معنيان: أحدهما قلة الخير، والآخر الوشاية والسعاية. فالمَحْلُ: انقطاع المطر ويُسُّ الأرض من الكلاء، يقال: أرضٌ مُحُول، على فَعُول بالجمع.
- (٥) أما السَّجِيل فمن السَّجَل، وقالوا: السَّجِيل: الشديد. وقالوا: السجيل فارسي معرب بمعنى الطين المتحجر.

استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة، فأتوه بمكيال لهم، فقال لهم: إن مكيالكم هذا لقباع، فغلب عليه. وقال أبو الأسود الدؤلي - وقد عتب عليه - يهجو ويخاطب ابن الزبير:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُزَيْتَ خَيْرًا أَرْحَنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمُغِيرَةِ
بَلَوْنَاهُ وَلُمْنَاهُ فَأَعْيَا عَلَيْنَا مَا يُؤْمَرُ^(١) لَنَا مَرِيرَهُ
عَلَى أَنَّ الْفَتَى نِكَحُ^(٢) أَكُولُ وَوَلَّاجُ^{(٣)(٤)} مَذَاهِبُهُ كَثِيرُهُ
[الوافر]

[خروج وحنين]

قالوا: وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه، فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحج وأبين مخافة أن يهجيهم مقامه بمكة على قول الشعر، فطرب يوماً فقال:

صوت

هَيِّهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَابِ مَنْزِلُنَا إِذَا حَلَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ^(٥) مِنْ عَدَنٍ
وَاحْتَلَّ^(٦) أَهْلُكَ أَجْيَادًا^(٧) وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذْكَرُ أَوْ حَظٌّ مِنَ الْحَزَنِ
لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ بِالْجَزَعِ عَبْرَتَهُ مِنْ أَنْ يُعْرَدَ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنَنِ^(٨)

(١) أمره: أحكمه وأبرمه، والمراد به أنه لا يمكنهم أن يسوسهم ولا يلي أمرهم.

(٢) نكح: النون والكاف والحاء أصل واحد، وهو البضاع، ونكح ينكح. وامرأة ناكح في بني فلان، أي ذات زوج منهم؛ والنكاح يكون العقد دون الوطء، يقال نكحت: تزوجت، وأنكحت غيري.

(٣) ورد في القصيدة «ومسهاب» بدل: «وولاج».

(٤) وَلَجَ يَلِجُ وَلُجًا وَلِجَةً: دَخَلَ، كَاتَلَجَ، عَلَى افْتَعَلَ. وَأَوَلَجْتُهُ وَأَتَلَجْتُهُ. وَالْوَلِيجَةُ: الدَّخِيلَةُ، وَخَاصَّتُكَ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ مَنْ تَتَّخِذُهُ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِكَ. وَهُوَ وَلِجَتُهُمْ، أَي: لَصِيقُ بِهِمْ.

(٥) سيف البحر: ساحل البحر.

(٦) فِي الْقَصِيدَةِ «وَحَلَّ» بَدَلَ «وَاحْتَلَّ».

(٧) أَجْيَادٌ: بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ، كَأَنَّهُ جَمْعُ جَيِّدٍ، وَهُوَ الْمُتَّقَى. وَأَجْيَادٌ أَيْضًا جَمْعُ جَوَادٍ مِنَ الْخَيْلِ، يُقَالُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَجِيَادٌ وَأَجَاوِيدُ، حَكَاهُ أَبُو نَصْرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِ هَذَا الْمَوْضِعِ جِيَادٌ، أَيْضًا، فَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَبَّعًا لِمَا قَدَّمَ مَكَّةَ رَبَطَ خَيْلَهُ فِيهِ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ، وَهُمَا أَجْيَادَانِ: أَجْيَادُ الْكَبِيرِ وَأَجْيَادُ الصَّغِيرِ.

(٨) فِي الْقَصِيدَةِ وَرَدَ الْبَيْتُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

«فَلَوْ شَهِدَتْ غَدَاةَ الْبَيْنِ عَبْرَتَنَا لِأَنَّهُ تُعْرَدُ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنَنِ»

إِذَا رَأَتْ^(١) غَيْرَ مَا ظَنَنْتَ بِصَاحِبِهَا
 مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ يَوْمَ الْخَيْفِ مَوْقِفُهَا^(٢)^(٣)
 وَقَوْلُهَا لِلثُّرَيَّا وَهِيَ بَاكِئَةٌ^(٤)
 بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
 إِنْ كُنْتُ حَاوَلْتُ دُنْيَا أَوْ ظَفِرْتُ^(٥) بِهَا
 وَأَيَّقَنْتَ أَنَّ لَحْجًا لَيْسَ مِنْ وَطَنِي
 وَمَوْقِفِي وَكِلَانَا ثُمَّ ذُو شَجَنِ
 وَالْدَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ ذُو سَنَنِ^(٥)
 مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمَكْثِ فِي الْيَمَنِ
 فَمَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ
 [البسيط]

قال: فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث، فقال: هذا والله شعر عمر،
 قد فتك وغدر. قال: وقال ابن جريج: ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحداً بشعر
 عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
 إِنْ كُنْتُ حَاوَلْتُ دُنْيَا أَوْ نَعِمْتَ بِهَا
 مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ الْمَكْثِ فِي الْيَمَنِ
 فَمَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ
 [البسيط]

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجت مع الحاج وحججت.

غنى في أبيات عمر هذه ابن سريج، ولحنه رملً بالبنصر في مجراها عن
 إسحاق. وفيها للغريض ثقل أول بالوسطى عن عمرو.

[عمر دليل الوليد]

أخبرني علي بن صالح قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني إسحاق عن السعدي
 قال: قدم الوليد بن عبد الملك مكة، فأراد أن يأتي الطائف فقال: هل لي في رجل
 علم بأموال الطائف فيخبرني عنها؟ فقالوا: عمر بن أبي ربيعة، قال: لا حاجة لي به.
 ثم عاد فسأل، فذكروه له فرده. ثم عاد فسأل فذكروه له ثم رده، ثم عاد فسأل فذكروه
 له، فقال: هاتوه، فركب معه يحدثه، ثم حرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه، فرأى

(١) ورد في القصيدة «لَا سَيَقَنْتَ» بدل «إِذَا مَا رَأَتْ».

(٢) ورد صدر البيت على الشكل التالي في القصيدة «بَلْ مَا نَسِيتُ بَيْطَنَ الْخَيْفِ مَوْقِفُهَا».

(٣) خَيْفٌ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره فاء؛ والخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن
 مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من مئى.

(٤) ورد صدر البيت في القصيدة على الشكل التالي: «وَقَوْلُهَا لِلثُّرَيَّا يَوْمَ ذِي خُشْبٍ».

(٥) ذو السنن: ذو الطرائق.

(٦) ورد في القصيدة «نَعِمْتُ» بدل «ظَفِرْتُ».

على منكبه أثراً، فقال: ما هذا الأثر؟ فقال: كنت عند جارية إذ جاءني جارية برسالة من عند جارية أخرى، فجعلت تُسارُني، فغارت التي كنت أحدثها فعضت منكبي، فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني، حتى بلغت ما ترى، - والوليد يضحك - . فلما رجع عمر قيل له: ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به^(١)؟ فقال: ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا.

[المفاضلة بينه وبين ابن قيس الرقيات]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق، فإنه لمعتمدٌ على يدي، إذ مرنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه، فسلمنا عليه فردّ علينا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، من أشعر، أصحابنا أم صاحبكم؟ يريد: عبد الله بن قيس، أو عمر بن أبي ربيعة؟ فقال نوفل: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقول صاحبنا:

خَلِيلِي مَا بِالْمَطَايَا كَأَنَّمَا	نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنَكَّصُ ^(٢)
وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً	فَأَنفُسُنَا مِمَّا يُلَاقِينَ شَخْصُ
وَقَدْ أَتَعَبَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَانْتَحَى	لَهُنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولٌ مُقَلَّصُ ^(٣)
يَزِدْنَ بِنَا قُرْباً فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا	إِذَا زَادَ طَوْلَ الْعَهْدِ وَالْبُعْدُ يَنْقُصُ

[الطويل]

ويقول صاحبك ما شئت، فقال له نوفل: صاحبكم أشعر في الغزل، وصاحبنا أكثر أفانين شعر، فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يَسْتَغْفِرُ اللهَ ويعقد^(٤) بيده حتى وقى مائة. فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار: قال مسلم: فلما انصرفنا قلت لنوفل: أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقال: كلاً! هو كثير الإنشاد والاستنشاد فيه، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه.

(١) ورد في بعض النسخ «ما الذي كنت تحدّث به أمير المؤمنين فأضحكه؟».

(٢) نكص: التَّكْوُصُ الإحجام عن الشيء يقال: نَكَصَ عَلَى عَقْبِهِ أي رجع وبابه نصر ودخل وجلس.

(٣) مقلص: مُشْمَرَجَادٌ في السير.

(٤) يعقد: يحسب.

[المفاضلة بينه وبين جميل بن معمر^(١)]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة: حدثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثقفي: أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة: أي بيت قالته العرب أغزل؟ فقال بعضهم: قول جميل:

يَمُوتُ الْهَوَى مِتِّي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا وَيَحْيَا إِذَا فَارَقْتُهَا فَيَعُودُ
[الطويل]

وقال آخر: قول عمر بن أبي ربيعة:

كَأَنِّي حِينَ^(٢) أُمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
[البسيط]

فقال الوليد: حسبك والله بهذا!

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة - قال: وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ^(٣) فَاتَمِرْ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنٍ
[الرملي]

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة، وجميل بن عبد الله بن معمر العذري، وقد اجتمعوا بالأبطح، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها:

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُثَيْنَةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَأَقْسِمُ مَا لِي عَنْ بُثَيْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ
[الطويل]

حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الرّوي شيئاً؟ قال: نعم.

(١) جميل بُثَيْنَةٌ، جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو. شاعر من عشاق العرب، افتتن ببشينة من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلاً ومات فيه سنة ٧٢هـ.

(٢) ورد في القصيدة «يوم» بدل «حين».

(٣) ورد في القصيدة «هائم» بدل «طائر».

قال : فأنشدنيه ، فأنشده قوله :

جَرى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَطَارَتْ بِحَدِّ مِنْ فُؤَادِي وَقَارَنْتَ
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا
فَقُلْنَ لَهَا هَذَا عِشَاءً وَأَهْلُنَا
فَقَالَتْ فَمَا شِئْتُنَّ؟ قُلْنَ لَهَا انْزِلِي
نُجُومُ دَرَارِيٍّ تَكْنُفْنَ صُورَةَ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى
فَقَالَتْ وَأَرَأَيْتَ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرَقُّبٍ
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دَوْنَهُنَّ حَدِيثَنَا
عَرَفَنَّ الَّذِي تَهْوَى فَقُلْنَ لَهَا ائْذَنِي لَنَا^(٥)
فَقَالَتْ فَلَا تَلْبِثْنَ قُلْنَ تَحْدِثِي

فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ^(١) إِلَى قَتْلِي
قَرِيبَتْهَا حَبْلَ الصَّفَاءِ إِلَى حَبْلِي
كَمِثِلِ الَّذِي بِي حَذُوكَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ
قَرِيبُ أَلَمَّا تَسَامِي مَرَكَبَ الْبَغْلِ
فَلَلَأَرْضُ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
مِنَ الْبَدْرِ وَافَتْ غَيْرُ هُوجٍ^(٢) وَلَا عُجَلٍ^(٣)
عَدُوٌّ مَكَانِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي
مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ، أَهْلِي
وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
وَهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةٍ ذِي الشَّكْلِ^(٤)
نُطِفَ سَاعَةً فِي بَرْدٍ^(٦) لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ
أَتِينَاكِ وَانْسَبْنَ انْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ

فَقُئِمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَلَمَّا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِينَ مِنْ^(٧) ذَلِكَ مِنْ أَجْلِي

[الطويل]

فقال جميلٌ : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالي^(٨) ،

(١) الحِصَابُ: بالكسر، وهو من الحصب، وهو رميك الحصباء، وهو الحصى الصغار، والحصاب مصدر حاصبته محاسبةً وحساباً. الحصاب: موضع رمي الجمار بمنى.

(٢) هوج من هاج، وهي جمع هوجاء وهي المتعجلة في السير كأن بها هوجاً وحمقاً.

(٣) ورد في القصيدة «نُكِلَ» بدل «عجل».

(٤) ورد في القصيدة «التَّيْلُ» بدل «الشكل». والشكل: دل المرأة وغزلها.

(٥) لم ترد «لنا» في القصيدة. (٦) ورد في القصيدة «طِبِ» بدل «برد».

(٧) ورد في القصيدة «فَعَلْنَ الَّذِي يَفْعَلْنَ فِي» بدل «أتين الذي يأتين من».

(٨) سج: السنين والجيم أصل يدل على اعتدال في الشيء واستواء. فالسَّجْسَج: الهواء المعتدل الذي لا حر فيه ولا برد يؤذي. ومما شذ عن الأصل قولهم: لا أفعل ذلك سجيس الليالي، وسجيس الأوجس، أي أبداً. وماء سجس، أي متغير؛ والسَّجَّة: صنم كان يُعبد في الجاهلية، وفي الحديث: «أخرجوا صدقاتكم، فإن الله عز ذكره قد أراحكم من الجبهة والسَّجَّة والبَجَّة»، وتفسيره في الحديث أنها أسماء آلهة كانوا يعبدونها في الجاهلية.

والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد. وقام مشمراً.

قال أبو عبد الله الزبير: قال عمي مصعب: كان عمرُ يعارض جميلاً، فإذا قال هذا قصيدة، قال هذا مثلها؛ فيقال: إنه في الرائية والعينية أشعر من جميل، وإن جميلاً أشعر منه في اللامية، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً، قال جميل:

خَلِيلِيَّ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
[الطويل]

وقال عمر:

فَقَالَتْ وَأَرَحْتَ جَانِبَ السُّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
[الطويل]

[الفرزدق وشعر عمر]

أخبرني علي بن صالح، قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن المدائني قال: سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله:

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
[الطويل]

ولما بلغ قوله:

فَقُئِمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أُنَّمَا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَّ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
صاح الفرزدق: هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته، وبكت على الديار.

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

[الغناء في قصيدتي جميل وعمر اللاميتين]

منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمر، واستنشده ما له في وزنها:

صوت

خَلِيلِيَّ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ^(١) ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ دُؤُو فَضْلِ
أَفَقَ أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ عَنِ الْجَهْلِ وَدَعَ عَنْكَ جُمَلًا لَا سَبِيلَ إِلَى جُمَلِ

(١) الهلاك: الصعاليك الذين يتتابون الناس ابتغاء أخذ معروفهم.

فَلَوْ تَرَكْتَ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَابِيهَا^(١) لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي^(٢)
[الطويل]

الغناء للغريض ثاني ثقیل بالوسطی عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات .
وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقیل الثاني الذي يغنى به فيها لمعبد . وذكر
يحيى المكي : أن لابن محرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقیل بالخنصر
والبنصر . وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبنصر يمان عن عمرو . وفي
الرابع والخامس لابن طنبرة خفيف رمل عن الهشامي . وفيها لإسحاق ثقیل أول عن
الهشامي أيضاً . وذكر حماد عن أبيه : أن لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه
الأبيات لحناً ، ولم يجنسه . وذكر حبش أن الثقیل الأول لابن طنبرة . ومنها في شعر
جميل أيضاً :

صوت

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُثَيْنَةُ أَوْ أَبَدْتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
وَلَوْ تَرَكْتَ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَابِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
[الطويل]

الغناء لابن مسح ثقیل أول بالوسطی عن الهشامي .
ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر :

صوت

فَقَالَتْ وَأَرَخْتَ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ ، فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ ، أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
[الطويل]

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ، ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن

(١) طلابيها : طلبى إياها .

(٢) هذه الأبيات من ثلاثة أبيات مختلفة ، البيت الأول والثاني من قصيدة والبيتان الثالث والرابع من قصيدتين مختلفتين .

إسحاق وعمر و. وذكر يونس: أن فيه لحناً لمالك لم يجنسه، وذكر الهشامي: أن لحن مالك خفيف ثقيل. وذكر حبش: أن لمعبد فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى. وليس حبش ممن يعتمد في هذا على روايته.

[موقع شعر عمر بين الناس]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أدركت مشيخة من قریش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتحلي بمودته، والابتيار في شعره؛ والابتيار: أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به. والابتهار: أن يقول ما لم يفعل.

[نقد لرائية عمر]

أخبرني محمد بن خلف قال: أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال: قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله:

صوت

بَيْنَمَا يَنْعَتْنِي^(١) أَبْصَرَنِي
قَالَتِ الْكُبْرَى أَتَعْرِفَنَ الْفَتَى
دُونَ قَيْدِ^(٢) الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَغَرَّ
قَالَتِ الْوُسْطَى: نَعَمْ هَذَا عُمَرُ
قَالَتِ الصُّغْرَى وَقَدْ تَيَّمْتُهَا^(٣):
قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟
[الرملة]

- الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر - فقال له ابن أبي عتيق: - وقد أنشدها - أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك، كان ينبغي أن تقول: قلت لها فقالت لي، فوضعت خدي فوطئت عليه.

[عود إلى سيرته وخلقه]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف، ويحوم ولا يرد.

(١) ورد في القصيدة «يَذْكُرْنِي» بدل «ينعتني».

(٢) دون قيد: دون قدر.

(٣) تيمتها: تيم التاء والياء والميم أصل واحد، وهو التَّعْيِيد. يقال: تَيَّمَهُ الْحُبُّ إِذَا اسْتَعْبَدَهُ.

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي، وحدثني علي بن صالح قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله، قالوا: كان ابن أبي ربيعة قد حجَّ في سنة من السنين، فلما انصرف من الحج ألفى الوليد بن عبد الملك وقد فُرش له في ظهر الكعبة وجلس، فجاءه عمر فسلم عليه وجلس إليه. فقال له: أنشدني شيئاً من شعرك. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد، وهما يرويان كل ما قلت وهما لك. قال: ائتني بهما، ففعل، فأنشده قوله:

أَمِنْ آلِ نُعَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

فطرب الوليد واهتز لذلك، فلم يزالا ينشدانه حتى قام، فأجزل صلته وردَّ الغلامين إليه.

[مميزات شعره]

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقب «كيلجة» قال: حدثني أبو هفان قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه مصعب أنه قال: راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءة على العذال، وأحسن التفجّع، وبخل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصفاء، إن قدح أورى، وإن اعتذر أبرأ، وإن تشكى أشجى، وأقدم عن خبرة ولم يعتذر بغرة، وأسر النوم، وغمّ الطير، وأغذّ السير، وحير ماء الشباب، وسهّل وقول، وقاس الهوى فأربى، وعصى وأخلى، وحالف بسمعه وطرفه، وأبرم نعت الرسل وحذر، وأعلن الحبّ وأسرّ، وبطن به وأظهر، وألحّ وأسفّ، وأنكح النوم، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطنه، وأذلّ صعبه، وقنع بالرجاء من الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفّض النوم، وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحاً.

فمن سهولة شعره وشدة أسره^(١) قوله:

(١) الأسر في كلام العرب: الخلق، والمراد من شدة الأسر هنا إحكام النسيج ومتانة التركيب.

صوت

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وَجُوهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
تَبَالَهِنَّ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ^(١) وَأَوْضَعَا^(٢)
[الطويل]

الغناء لابن عباد رملٌ عن الهشامي، وفيه لابن جامع لحنٌ غير مجنس عن إبراهيم. ومن حسن وصفه قوله:

لَهَا مِنَ الرِّيمِ عَيْنَاهُ وَلَفْتَتُهُ وَنَخْوَةُ السَّابِقِ الْمُخْتَالِ إِذْ صَهَلَا^(٣)
[السريع]

[دقة معانيه]

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله:

صوت

عُوجَانُ حَيِّ الطَّلَلِ الْمُحَوَّلَا^(٤) وَالرَّبَّعَ مِنْ أَسْمَاءٍ وَالْمَنْزِلَا
بِسَابِغٍ^(٥) الْبُوبَاةِ^(٦) لَمْ يَعْدُهُ تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِأَنْ يُؤْهَلَا
[السريع]

الغناء لابن سريع ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. قال إسحاق بن إبراهيم: يعني أنه لم يؤهل فيعدّوه تقادم العهد. وقال الزبير: قال بعض المدنيين: يحييه بأن يؤهل، أي يدعو له بذلك.

ومن قصده للحاجة قوله:

(١) أكل: أعبأ.

(٢) أوضع: أسرع في السير.

(٣) صهل أصلٌ صحيح، وفروعه قليلة، ولعله ليس فيه إلا صهل الفرس، وفرسٌ صهال.

(٤) المحول والمحيل: الذي أتت عليه أحوال كثيرة فغيرته.

(٥) ورد في القصيدة «بجانب» بدل «بسابع».

(٦) البُوبَاة بفتح أوله، وإسكان ثانيه، وباء ثانية، على وزن فُعْلَاة: ثنية في طريق نجد، على قرن، ينحدر منها ركبها إلى العراق.

صوت

[الثريا وسهيل]

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثُّرَيَّا^(١) سُهَيْلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ
[الخفيف]

ويروى: هي غوريّة. الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وابن المكي.

[استنطاقه الربع]

ومن استنطاقه الربع قوله:

صوت

سَائِلًا الرَّبْعَ بِالْبُلْيِّ وَقَوْلًا هَجَّتْ شَوْقًا لِي^(٢) الْعَدَاةُ، طَوِيلًا
أَيْنَ حَيٍّ حَلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَحْفُو فَبِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلًا
قَالَ سَارُوا فَأَمَعْنُوا وَاسْتَقَلُّوا وَبِرْغَمِي وَلَوْ وَجَدْتُ سَبِيلًا^(٣)
[الطويل]

ويروى:

وبكرهي لو استطعت سبيلا سَأْمُونَا وَمَا سَأْمُنَا جَوَارًا^(٤)
وَأَحْبَبُوا^(٥) دَمَائَةَ^(٦) وَسُهُولًا
[الخفيف]

(١) هي الثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصفر بن عبد الله بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية. تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ونقلها إلى مصر، فقال عمر هذا الشعر يضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين.

(٢) ورد في القصيدة «لَنَا» بدل «لِي».

(٣) ورد البيت في القصيدة بالشكل التالي:

«قَالَ سَارُوا بِأَجْمَعٍ فَاسْتَقَلُّوا وَبِرْغَمِي لَوْ اسْتَطَعْتَ سَبِيلًا»

(٤) ورد في القصيدة «بَيْنَ» بدل: «جَوَارًا».

(٥) ورد في القصيدة «وَأَرَادُوا» بدل: «وَأَحْبَبُوا».

(٦) دمت: الدَّمَائَةُ: اللّين، والدَّمَئُ: المكان السَّهْلُ.

فيه رملان: أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر لإسحاق مطلقاً في مجرى البنصر، وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقل. وقد شرحت نسبته مع خبره في موضع آخر. قال إسحاق: أنشد جرير هذه الأبيات فقال: إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه.

ومن إنطاقه القلب قوله:

قَالَ لِي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالاً فَجَرَّتْ مِمَّا يَقُولُ الدُّمُوعُ
قَالَ لِي وَدَّعُ سُلَيْمَى وَدَّعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ: لَا أَسْتَطِيعُ
[المديد]

الغناء للهلدي ثاني ثقل بالوسطى عن الهشامي. قال: وفيه ليحيى المكي ثقل أول نسب إلى معبد وهو من منحوله.

ومن حسن عزائه قوله:

صوت

أَلْحَقُّ إِنَّ^(١) دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدَتْ
أَفَقٌ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَفَارَقُوا الـ
زَعِ^(٣) النَّفْسِ^(٤) وَاسْتَبَقَ الْحَيَاءُ فَإِنَّمَا
أَمِتَ حُبُّهَا وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالِهَا
وَهَبْهَا كَشْيٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحِ
وَكَالنَّاسِ^(٥) عُلِّقَتِ الرَّبَابُ فَلَا تَكُنْ

أَوْ انْبَتَّ حَبْلٌ أَنَّ قَلْبَكَ طَائِرُ
هَمَى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرَّجَالِ^(٢) الْمَرَائِرُ
تُبَاعِدُ أَوْ تُدْنِي الرَّبَابَ الْمَقَادِرُ
وَعِشْرَتِهَا أَمْثَالُ مَنْ لَا تُعَاشِرُ
بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
أَحَادِيثُ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ حَاضِرُ
[الطويل]

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوله «زع النفس» لابن سريج ثقل أول بالبنصر عن عمر. وفيه لعمر الوادي رمل بالبنصر عن ابن المكي. وفيه لـ «قدار» لحن من

(١) ورد في القصيدة «أَحَقُّ لَيْنٌ» بدل «أَلْحَقُّ إِنَّ».

(٢) يعني هذا البيت: «إن الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم وهو يريد أن يسلو سلوهم».

(٣) زع: أي ازجرها وكفها عن هواها.

(٤) ورد في القصيدة «القلب» بدل «النفس».

(٥) ورد في القصيدة «فَإِنْ كُنْتُ» بدل «وَكَالنَّاسِ» الذي قصد من خلالها، أي من يقيم في البدو والحضر.

كتاب إبراهيم غير مجنس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير^(١) ، ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسدي ، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثير في أخباره .

[حسن غزله في مخاطبة النساء]

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء - قال مصعب الزبيري : وقد أجمع أهل بلدنا ممن له علم بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا - قوله :

صوت

تَقُولُ غَدَاةَ التَّقِينَا رَبًّا بُ يَا ذَا أَفْلَتَ أَفُولَ السَّمَاءِ
وَكَفَّتْ سَوَابِقَ مِنْ عَبْرَةٍ كَمَا ارْفَضَ نَظْمَ ضَعِيفِ السَّلَاكِ
فَقُلْتُ لَهَا مَنْ يُطْعِمُ بِالْصَّيْدِ قِ أَعْدَاءَهُ يَجْتَنِبُهُ كَذَاكِ
أَغْرَكُ أَتَيْ عَصِيَّتُ الْمَلَا مَ فَيْكِ وَأَنَّ هَوَانَا هَوَاكِ
وَأَنْ لَا أَرَى لَذَّةً^(٢) فِي الْحَيَاةِ تَقْرُبُهَا^(٣) الْعَيْنُ حَتَّى أَرَاكِ
فَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ لِي عِنْدَكُمْ مُكَارَمَتِي وَاتِّبَاعِي رِضَاكِ
فَلَيْتَ الَّذِي لَمْ فِي حَبِّكُمْ^(٤) وَفِي أَنْ تُزَارِيَ بِقَرْنٍ^(٥) وَقَاكِ
هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَسْقَامَهَا وَإِنْ كَانَ حَتْفٌ جَهِيْزٌ فَدَاكِ

[المقارب]

الغناء لابن سريج ثاني ثقليل بالوسطى . وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم . وقيل : إن فيه لحناً آخر لابن جامع .

(١) كثير عزة ، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية . شاعر متيم مشهور ، من أهل المدينة ، أكثر إقامته بمصر ، ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك ، وتوفي والده وهو صغير السن ، وكان منذ صغره سليط اللسان ، وكفله عمه بعد موت أبيه ، وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة . واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي : عزة بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار ، كنانية النسب ، توفي في الحجاز سنة ١٠٥ هـ .

(٢) ورد في القصيدة «وَلَمْ أَرِ لِي» بدل «وَأَنْ لَا أَرَى لَذَّةً» .

(٣) ورد في القصيدة «تَلْتَذُّهَا» بدل : «تَقْرُبُهَا» .

(٤) ورد في القصيدة «مِنْ أَجْلِكُمْ» بدل : «فِي حَبِّكُمْ» .

(٥) ورد في القصيدة «بِرَّغَمٍ» بدل : «بِقَرْنٍ» .

ومن عفة مقاله قوله :

صوت

طَالَ لَيْلِي وَاعْتَادَنِي الْيَوْمَ سُقْمٌ
خُرَّةُ الْوَجْهِ وَالشَّمَائِلُ وَالْجَوُ
وَحَدِيثٌ بِمِثْلِهِ تَنْزِلُ الْعُصْ
هَكَذَا وَصَفَ مَا بَدَا لِي مِنْهَا
إِنْ تَجُودِي أَوْ تَبْخُلِي فَبِحَمْدِ
وَأَصَابَتْ مَقَاتِلَ الْقَلْبِ نَعْمٌ
هَرَّ تَكْلِيمُهَا لِمَنْ نَالَ غُنْمٌ
مُ^(١) رَخِيمٌ يَشُوبُ ذَلِكَ حِلْمٌ
لَيْسَ لِي بِالَّذِي تَغَيَّبَ عِلْمٌ
لَسْتُ يَا نَعْمُ فِيهِمَا مِنْ يُذَمُّ
[الخنيف]

الغناء لابن سريج رملٌ عن الهشامي .
ومن قلة انتقاله قوله ^(٢) :

صوت

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ
وَاجْتَنِبْنِي وَاعْلَمْ أَنَّ سَتْعَصِي^(٣)
إِنْ تَقُلْ نُصْحًا فَعَنْ ظَهْرِ غَشٍّ
لَيْسَ بِي عِيٍّ بِمَا قُلْتَ إِنِّي
إِنَّمَا قُرَّةُ عَيْنِي هَوَاهَا
لَا تَلُمْنِي فِي الرَّبَابِ وَأَمْسَتْ
هِيَ ، وَاللَّهِ الَّذِي هُوَ رَبِّي
أَكْرَمُ الْأَحْيَاءِ طُرًّا عَلَيْنَا

(١) العصم : جمع أعصم وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه بياض ، وهي تعتصم غالباً بقنن الجبال .

(٢) هذه الأبيات منتزعة من قصيدتين .

(٣) ورد الصدر في القصيدة على الشكل التالي « وَاجْتَنِبْنِي وَاعْلَمْ بِأَنْ سَوْفَ تُعْصِي » .

(٤) الْعُمْرَةُ : الشدة والحقد والغل . وَعُمْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ : مُنْهَمَكُهُ وَشِدَّتُهُ كَعُمْرَةِ الْهَمِّ وَالْمَوْتِ وَنَحْوَهُمَا .
وَعُمَرَاتُ الْحَرْبِ وَالْمَوْتِ وَغَمَارُهَا : شِدَاتُهَا .

(٥) عدلت : ساوَتْ .

(٦) في الديوان « واغتراب » بدل « واجتناب » .

خَاطَبْتَنِي^(١) سَاعَةً وَهِيَ تَبْكِي ثُمَّ عَزَّتْ^(٢) خُلْتِي فِي الْخِطَابِ
وَكَفَى بِي مَذْرَعًا لْخُصُومٍ لِسِوَاهَا عِنْدَ حَدِّ تَبَابِي
[المديد]

الغناء لكردم ثقیلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأول والخامس ثم الثاني والثالث. وفيه لمعبد خفيف ثقیل بالبنصر عن يحيى المكي.

[خليلي بعض اللوم]

ومن إثباته الحجة قوله :

خَلِيلِي بَعْضُ اللَّوْمِ لَا تَرَحَّلَا بِهِ رَفِيقُكُمَا حَتَّى تَقُولَا عَلَى عِلْمِ
خَلِيلِي مَنْ يَكْلِفُ بَاخِرًا كَالَّذِي كَلِفْتُ بِهِ يَدْمُلُ^(٣) فُوَادًا عَلَى سُقْمِ
خَلِيلِي مَا كَانَتْ تَصَابُ مَقَاتِلِي وَلَا غِرَّتِي حَتَّى وَقَعْتُ^(٤) عَلَى نُعْمِ
خَلِيلِي حَتَّى لَفَّ^(٥) حَبْلِي بِخَادِعِ مُوقَى إِذَا يُرْمَى، صَيُودٌ إِذَا يُرْمَى
خَلِيلِي لَوْ يَرْقَى خَلِيلٌ مِنَ الْهَوَى رَقِيتُ بِمَا يُدْنِي النُّوَارَ^(٦) مِنَ الْعَصَمِ^(٧)
[المديد]

خَلِيلِي إِنْ بَاعَدْتُ لَأَنْتَ وَإِنْ أَلَنْ تُبَاعِدُ فَلَمْ أَنْبُلْ بِحَرْبٍ وَلَا سِلْمِ^(٨)
[الطويل]

ومن ترجيحه الشك في موضع اليقين قوله :

[أشمس]

صوت

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ^(٩)

(١) في الديوان «عَاتَبْتَنِي» بدل «خاطبتني».

(٢) عزت: أي غلبتني صديقتي في الخطاب.

(٣) يدمل: يطوي.

(٤) في الديوان «دَلِلْتُ» بدل «وقعت».

(٥) لفّ: يكنى بهذا عن الوقوع في شركها.

(٦) النوار: النافرة من الظباء.

(٧) العصم: الظباء التي في أذرعها بياض.

(٨) عجز هذا البيت على الشكل التالي: «تُبَاعِدُ فَمَا تُرْجَى لِحَرْبٍ وَلَا سِلْمٍ»..

(٩) في الديوان: «عازم» بدل «عارم»، وعازم: حاد.

فَقُلْتُ: أَشَّمْسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ
بَعِيدَةٍ^(١) مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيْتُهَا
فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَأَ لَنَا
مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهِمِ^(٢) بِالضُّحَى
نُضَارُ^(٣) تَرَى فِيهِ أَسَارِيْعَ^(٤) مَائِهِ
إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاكْتَنَفْنَهَا
طَلَبَنَ الصُّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ
بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
أَبُوها وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
عَلَى عَجَلٍ تُبَاغِهَا وَالْخَوَادِمُ
عَشِيَّةَ رَاحَتِ كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ
عَصَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلَحْهُ السَّمَائِمُ
صَبِيحُ تُغَادِيهِ الْأَكْفُ النَّوَاعِمُ
تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتِ بِهِنَّ الْمَاكِمُ^(٥)
نَزَعْنَ وَهَنَّ الْمُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ
[الطويل]

الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي . وفيها
لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض «خفيف»
ثقيل بالوسطى عن الهشامي .

[هوانا هواه]

ومن طلاوة اعتذاره قوله :

صوت

عَاوَدَ الْقَلْبَ بَعْضُ مَا قَدْ شَجَاهُ
يَا لِقَوْمِي وَكَيْفَ صَبْرِي عَمَّنْ
أَرْسَلْتَ إِذْ رَأَتْ بَعَادِي أَنْ لَا
دُونَ أَنْ يَسْمَعَ الْمَقَالَةَ مَنَّا
لَا تُطْعُ بِي قَدَتِكَ نَفْسِي عَدُوًّا
مِنْ حَبِيبٍ أَمْسَى هَوَانَا هَوَاهُ
لَا تَرَى النَّفْسَ طَيِّبَ عَيْشٍ سِوَاهُ
يَقْبَلُنَ بِي مُحَرَّشًا^(٦) إِنْ أَتَاهُ
وَلِيُطْعَنِي فَإِنَّ عِنْدِي رِضَاهُ^(٧)
لِحَدِيثٍ عَلَى هَوَاهُ افْتَرَاهُ

(١) استخدم الشاعر الكناية، بمعنى طول العنق .

(٢) بهم : جمع بهمة ، وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر .

(٣) ورد في القصيدة «نضير» بدل : «نضار» .

(٤) أساريع : الطرق . (٥) المآكم : جمع مأكمة وهي العجيزة .

(٦) المحرش : المغري من التحريش وهو الإغراء والإفساد .

(٧) ورد هذا البيت في القصيدة على الشكل التالي :

«دُونَ أَنْ يَسْمَعَ الْمَعَاذِرَ مِنِّي
أَوْ يُرَى عَاتِباً فَعِنْدِي رِضَاهُ»

لَا تُطْعُ بِي مَنْ لَوْ رَأَيْتِي وَإِيَّا
مَا ضُرَّارِي نَفْسِي بِهِجْرِي^(١) مَنْ لَيْدٍ
لَكَ أَسِيرِي ضَرُورَةً مَا عَنَّا
سَنْ مُسِيئاً وَلَا بَعِيداً نَرَاهُ^(٢)
دُبَّ أَشْهَى إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَرَاهُ
[الخفيف]

الغناء لمعبد خفيف ثقیل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع
ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو وفيه خفيف ثقیل بالوسطى للهدلي . وفيه لابن
محرز ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو ، وابتدأه نشيداً أوله : «ما ضراري نفسي» . وقال
الهشامي : وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقیل الثاني .

[الهوى دليله]

ومن نهجه العلل قوله :

وَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنْ تَسْمَعِي
فَرُّحَنَا سِرَاعاً وَرَاحَ الْهَوَى
إِذَا جِئْتُكُمْ نَاشِدًا يَنْشُدُ
إِلَيْهَا دَلِيلًا بِنَا يَقْصِدُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِجَرَسِ الثُّبَاحِ
وَإِذَا الضُّوْءُ وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
وَنَامُوا بَعَثْنَا لَنَا نَاشِدًا
وَفِي الْحَيِّ بُغْيَةً مَنْ يَنْشُدُ
[المقارب]

وقد نسبت هذه الأبيات إلى من غنى فيها مع :

تَشْطُّ غَدًا دَارَ جِيرَانِنَا

[جلمد]

ومن فتحه الغزل قوله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَشِقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى
فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا
[المنسرح]

ومن عطفه المساءة على العذال قوله :

[عتيق الشيطان]

صوت

لَا تَلْمَنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي
إِنْ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي

(١) في الديوان : «بهجرة» بدل «بهجري» . (٢) الثرى : الخير .

لَا تَلْمَنِي وَأَنْتَ زَيْنَتْهَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
[الخفيف]

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقیلاً أول مطلق من مجموع أغانيه . وفيه رمل
طنبوري محدث ، وفيه هزج لأبي عيسى بن المتوكل .

[كذب المتحرش]

ومن حسن تفجعه قوله :

صوت

هَجَرَتِ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ مَا اجْتَرَمَ وَقَطَّعَتْ مِنْ ذِي وَدُكِ الْحَبْلِ فَاَنْصَرَمَ
أَطَعَتِ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطْعَ مَقَالَةً وَاشِ يَقْرَعِ السَّنَّ مِنْ نَدَمَ
أَتَانِي رَسُولٌ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهُ شَفِيقٌ عَلَيْنَا نَاصِحٌ كَالَّذِي زَعَمَ
فَلَمَّا تَبَاثَنَّا الْحَدِيثَ وَبَيَّنْتَ سَرَائِرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ كَتَمَ
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْمُحَرَّشَ كَاذِبٌ وَمَنْ يُطْعِ الْوَاشِينَ أَوْ زَعَمَ مَنْ زَعَمَ
فَلَمْ أَرِ لَوْمَ النَّفْسِ بَعْدَ الَّذِي مَضَى وَبَعْدَ الَّذِي آلَتْ وَآلَيْتَ مِنْ قَسَمَ
ظَلِمْتَ وَلَمْ تَعْتَبْ وَكَانَ رَسُولُهَا إِلَيْكَ سَرِيعاً بِالرُّضَا لَكَ إِذْ ظَلَمَ
[الطويل]

الغناء لابن سريج رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه
لابن سريج لحنان ، وذكر الهشامي أن لحنه الآخر ثقیل أول ، وأن لعلوية فيه رملاً
آخر .

ومن تبخيله المنازل قوله :

[مناجاة الاطلال]

صوت

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّعَا بِبَطْنِ «حُلَيَّاتٍ»^(١) دَوَارِسَ بَلَقَعَا

(١) حُلَيَّاتٍ بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وتشديد الياء ، كأنه جمع حُلَيَّة مصغرة ، وهو موضع مذكور في
رسم المَعْمَس ، فانظره هناك .

إِلَى السَّرْحِ^(١) مِنْ وَادِي الْمُعَمَّسِ بُدِّلَتْ
مَعَالِمُهَا^(٢) وَبِلَاءٌ وَنَكْبَاءٌ^(٣) زَعَزَعَا^(٤)
فَيَبْخُلْنَ أَوْ يُخْبِرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا
نَكَانَ^(٥) فُؤَادًا كَانَ قِدْمًا مُفَجَّعًا
[الطويل]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

[مطلع الرائية]

ومن اختصاره الخبر قوله :

صوت

أَمِنْ آلِ نُعَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ
عَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ
بِحَاجَةٍ^(٦) نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
فَتُبْلِعُ غُذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْذِرُ
أَشَارَتْ بِمَدَارِهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا^(٧)
أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ
لَئِنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
[الطويل]

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة، وهما :

وَلَيْلَةَ ذِي دُورَانَ جَشَمْتَنِي السُّرَى
وَقَدْ يَجْشُمُ الْهَوْلَ الْمُحِبُّ الْمُعَرَّرُ^(٨)
فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ^(٩) فِيمَا أَفَوَتْهُمْ
وَلِمَا يَنْالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَثَارُ
[الطويل]

(١) ورد في القصيدة «الشري» بدل : «السرح» . (٢) ورد في القصيدة «معالمه» بدل «معالمها» .

(٣) النُّكْبَاءُ : رِيحٌ انْحَرَفَتْ ، وَوَقَعَتْ بَيْنَ رِيحَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ الصُّبَا وَالشَّمَالِ . أَوْ نُكْبُ الرِّيَّاحِ أَرْبَعٌ : الْأَزْبَبُ : نَكْبَاءُ الصُّبَا وَالْجَنُوبِ ، وَالصُّبَابِيَّةُ وَتُسَمَّى النُّكْبَاءُ أَيْضاً : نَكْبَاءُ الصُّبَا وَالشَّمَالِ ، وَالْجَرْبِيَاءُ : نَكْبَاءُ الشَّمَالِ وَالْذَّبُورِ ، وَهِيَ نَيْحَةُ الْأَزْبَبِ ، وَالْهَيْفُ : نَكْبَاءُ الْجَنُوبِ وَالْذَّبُورِ ، وَهِيَ نَيْحَةُ النُّكْبَاءِ .

(٤) زَعَزَعَ : الزَّعَزَعَةَ تَحْرِيكُ الشَّيْءِ .

(٥) نَكَأَ : نَكَأَ الْقَرْحَةَ يَنْكُؤُهَا نَكْأً : قَشَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَ فَنَدَيْتُ .

(٦) ورد في القصيدة «لحاجة» بدل «بحاجة» .

(٧) الصدر في القصيدة ورد بالشكل التالي : «فَنِي فَانْظُرِي أَسْمَاءَ هَلْ تَعْرِفِيهِ» .

(٨) غرر بنفسه : عرضها للهلكة ، وحملها على غير ثقة .

(٩) أباديهم : أجاهرهم وأظهر لهم .

رملٌ آخر بالوسطى عن عمرو . قال الزبير : حدثني إسحاق الموصلي قال : قلت لأعرابي : ما معنى قول ابن أبي ربيعة :

بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبَلِّغْ عُذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْذِرُ [الطويل]

فقال : قام كما جلس .

[فداء الرباب]

ومن صدقه الصفاء قوله :

كُلُّ وَصَلٍ أَمْسَى لَدَيَّ لِأَنْثَى كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ دَنْتَ لِوِصَالٍ
غَيْرِهَا وَصَلُّهَا إِلَيْهَا أَدَاءٌ أَوْ نَأَتْ فَهِيَ لِلرَّبَّابِ فِدَاءٌ

[الخفيف]

[أحب لحبك]

وقوله :

صوت

أَحِبُّ لِحُبِّكَ^(١) مَنْ لَمْ يَكُنْ أَجِبُّ لِحُبِّكَ^(٢) عَاتِبًا
وَأَبْذُلُ مَالِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأَرَعَبُ فِي وَدٍّ مَنْ لَمْ أَكُنْ
صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبٍ أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبًا
لِيَمَّمْتُ^(٣) طَيْتَهَا^(٤) إِنِّي

[المقارب]

الغناء لابن القفاص رملٌ عن الهشامي ويحيى المكي ، وفيه للرباعي لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس .

(١) ورد في القصيدة «لِحُبِّكَ أَحَبُّ» بدل «أَجِبُّ لِحُبِّكَ» .

(٢) ورد في القصيدة «جاءني» بدل «جاءكم» .

(٣) ورد في القصيدة «لَأَتَّبَعْتُ» بدل «يَمَّمْتُ» .

(٤) طيتها : ناحيتها وقصدها .

ومما قدح فيه فأورى قوله :

[وهي أحلى من عتب]

صوت

طالَ ليلي وتَعَنّاني^(١) الطَّرَب^(٢)
أرسلت أسماء في معتبة
أن أتى منها رسول موهناً^(٤)
ضرب الباب فلم يشعربه
قال: أيقاظ، ولكن حاجة
ولعمداً ردّني، فاجتهدت
يشهد^(٧) الرّحمن لا يجمعنا
قلتُ جلاً فأقبلي معذرتي
إن كَفّي لك رهن بالرضا
واعتّراني طول همّ ونصب
عتبتّها وهي أحلى^(٣) من عتب
وجد الحَيّ نياماً فأنقلب
أحدّ يفتح باباً^(٥) إذ ضرب
عرّضت تكتّم منا^(٦) فاحتجب
بيمين حلفة عند الغضب
سقف بيت رجباً حتّى رجب
ما كذا يجزي مُحبّ من أحب
فأقبلي يا هند، قالت: قد وجب
[الرمّل]

الغناء لمالك خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان
ثقیل أول بالبنصر عن عمرو . وفيه لمعبدٍ لحنّ من كتاب يونس لم يجنسه ، وذكر
الهشامي أنه خفيف ثقیل . وفيه لابن سريج رملٌ عن الهشامي .

قال من حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن أبي
هفان عن إسحاق عن رجاله ، والحرمي عن الزبير عن عمه :

كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأةً يقال لها «أسماء» ، فكان الرسول يختلف^(٨)

(١) تعنّاني : أوقعني في العناء .

(٢) طرب : الطَّرَب : الفرح والحزن ؛ عن ثعلب . وقيل : الطَّرَبُ خفة تَعْتَرِي الإنسان عند شدة الفرح أو
الحزن والهم . وقيل : حلول الفرح وذهاب الحزن .

(٣) ورد في القصيدة «أهوى» بدل «أحلى» . (٤) الموهن : نحو من نصف الليل .

(٥) ورد في القصيدة «عنه» بدل : «باباً» . (٦) ورد في القصيدة «عنا» بدل : «منا» .

(٧) ورد في القصيدة «أشهد» بدل : «يشهد» .

(٨) يختلف : يتردد .

بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها. ثم وعدته أن تزوره، فتأهب لذلك وانتظرها، فأبطأت عنه حتى غلبته عينه فنام، وكانت عنده جاريةٌ له تخدمه، فلم تلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها، فوقفت حجرة^(١) وأمرت الجارية أن تضرب الباب، فضربه فلم يستيقظ. فقالت لها: تطلعي فانظري ما الخبر؟ فقالت لها: هو مضطجعٌ وإلى جنبه امرأةٌ، فحلفت لا تزوره حولاً، فقال في ذلك:

طالَ ليلي وتعنَّاني الطربَ

قال أبو هُفَّان في حديثه: وبعث إليها امرأةٌ كانت تختلف بينه وبين معارفه، وكانت جزلة^(٢) من النساء، فصدَّقَتْها عن قصته وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته، فرضيت. وإياها يعني عمر بقوله:

وَأَتَتْهَا طَبَّةٌ^(٣) عَالِمَةٌ^(٤) تَخْلِطُ^(٥) الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
تُغْلِظُ الْقَوْلَ^(٦) إِذَا لَأَتَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَارِثِ الْعُضْبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْتَاهَا^(٧) بِرِفْقٍ وَأَدَبٍ
[الرملة]

قال إسحاق في خبره: وحدثني ابن كناسة قال: أخبرني حماد الراوية قال: استنشدني الوليد بن يزيد، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة، فما استعادي إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

طالَ ليلي وتعنَّاني الطرب

فلما أنشدته قوله:

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ
[الرملة]

(١) حجرة: ناحية.

(٢) امرأةٌ جزلة أي تامّة الخلق؛ قال: ويجوز أن تكون ذات كلام جَزَل أي قوي شديد. واللفظ الجَزَل: خلاف الرِّكِيك. وَرَجُلٌ جَزَلٌ: ثَقِفٌ عاقل أصيل الرَّأْي، والأُنثَى جَزَلَةٌ وَجَزَلَاءٌ.

(٣) طَبَّة: حاذقة ورفيقة.

(٤) ورد في القصيدة «مُحْتَالَةٌ» بدل: «عالمَةٌ».

(٥) ورد في القصيدة «تمزج» بدل: «تخلط».

(٦) ورد في القصيدة «تَرْفَعُ الصَّوْت» بدل: «تُغْلِظُ الْقَوْل».

(٧) والتَّأْتَاءُ: مَشْيُ الصَّبِيِّ الصَّغِير؛ والتَّأْتَاءُ: التَّبَحُّثُ فِي الْحَرْبِ شَجَاعَةً.

إلى قوله :

إِنَّ كَفِّي لَكَ رَهْنٌ بِالرُّضَا فَأَقْبَلِي يَا هِنْدُ قَالَتْ : قَدْ وَجِبَ

[الرملة]

فقال الوليد: ويحك يا حمّاد! اطلب لي مثل هذه أرسلها إلى سلمى. يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طلقها ليتزوج أختها ثم تتبعتها نفسه.

قال إسحاق: وحدثني جماعة، منهم الحرمي والزبيري وغيرهما: أن عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة، فقال له ابن أبي عتيق: الناس يطلبون خليفة «مذ قتل عثمان» في صفة قرّادتك هذه، يدبر أمورهم فما يجدونه!

رجع إلى خبر عمر الطويل

[ليالي الحبيب]

قالوا: ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله:

فَالْتَقَيْنَا، فَرَحَّبْتَ حِينَ سَلَّمْ تٌ وَكَفَّتْ دَمْعاً مِنَ الْعَيْنِ مَارَا^(١)
ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ رَأَيْنَا مِنْكَ عَنَّا تَجَلُّدًا وَازْوَرَارَا^(٢)
قُلْتُ كَلَّا لَاهِ^(٣) ابْنُ عَمِّكَ بَلْ خَفَ نَا أُمُورًا كُنَّا بِهَا أَغْمَارَا^(٤)
فَجَعَلْنَا الصُّدُودَ لَمَّا خَشِينَا قَالَةَ النَّاسِ بَيْنَنَا أَسْتَارَا
لَيْسَ كَالْعَهْدِ إِذْ عَاهَدْتَ وَلَكِنْ أَوْقَدَ النَّاسُ بِالْأَحَادِيثِ نَارَا
فَلِذَاكَ الْإِعْرَاضُ عَنْكَ وَمَا آ ثَرَقَلْبِي عَلَيْكَ أُخْرَى اخْتِيَارَا
مَا أَبَالِي إِذَا النُّوَى قَرَّبَتْكُمْ فَدَنَوْتُمْ مَنْ حَلَّ أَوْ كَانَ سَارَا
وَاللَّيَالِي إِذَا نَأَيْتَ طَوَالَ وَأَرَاهَا إِذَا دَنَوْتَ قِصَارَا

[الخفيف]

(١) مار: جرى وسال.

(٢) الازورار: الإعراض.

(٣) لاه: بمعنى الله.

(٤) الغمر: بضم الميم وفتحها مع سكون الميم، وبفتحتين، وفتح فكسر: الغر الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

[عمر يتشكى]

ومن تشكيه الذي أشجى فيه قوله :

صوت

لَعَمْرُكَ مَا جَاوَرْتُ عُمدَانَ^(١) طَائِعاً
وَلَكِنَّ حُمَى أَضْرَعَتْنِي^(٢) ثَلَاثَةً
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ الْخُلْدَ يُعْرَضُ إِن مَشَتْ
فَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمَ سُؤْيَقَةٍ^(٣)
وَمَصْرَعِ إِخْوَانٍ كَأَنَّ أُنَيْنَهُمْ
إِذَا لَاقَشَعَرَ الْجِلْدُ^(٤) مِنْكَ صَبَابَةً
وَقَصَرَ شَعُوبٍ أَنْ أَكُونَ بِهَا صَبّاً
مُجْرَمَةً^(٥) ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِنَا غِبّاً^(٦)
إِلَى الْبَابِ رَجُلِي، مَا ثَقُلْتُ لَهَا إِرْباً^(٧)
مُنَاخِي^(٨) وَحَبْسِي الْعَيْسَ دَامِيَةً، حُدْباً^(٩)
أَنِينُ مُكَاكِي^(١٠) فَارَقْتُ بَلْدًا خِصْباً
وَلَا سَفَرَعْتَ عَيْنَاكَ مِنْ عَبْرَةٍ سَكْباً
[الطويل]

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبداً ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيهما لمالك ثقيل أول عن الهشامي، ونسبه يونس إلى مالك ولم يجنسه .

(١) عُمدَانُ: بضم أوله، وسكون ثانيه، وآخره نون، وقد صحفه الليث فقال: عُمدان بالعين المهملة، كما صحف بُعات بالعين المهملة فجعله بالعين المعجمة، يجوز أن يكون جمع غمد مثل ذئب وذؤبان، وغمد الشيء: غشاؤه ولبسته، فكان هذا القصر غشاء لما دونه من المقاصير والأبنية؛ قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: إن ليشرح بن يحصب أراد اتخاذ قصر بين صنعاء وطيوه فأحضر البنائين والمقدرين لذلك فمدوا الخيط ليقدره فانقضت على الخيط حداً فذهبت به فاتبعوه حتى ألقته في موضع غمدان فقال ليشرح: ابنوا القصر في هذا المكان.

(٢) أضرعتني: أضعفتني وأذلتني.

(٣) مجرمة: يريد ثلاثة أحوال كاملة.

(٤) الغب من الحمى: ما تأخذ يوماً وتدع يوماً.

(٥) إرب: أي ما حركت لها عضواً.

(٦) سُؤْيَقَةُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ: كانت بشرقي بغداد بين الرصافة ونهر المَعْلَى منسوبة إلى أبي عبيد الله معاوية بن عمرو وزير المهدي.

(٧) ورد في القصيدة «مقامي» بدل «مناخي».

(٨) الجذاب: ما ارتفع من الأرض، الواحدة حَذْبَةٌ وَحِدْبَةٌ.

(٩) المُكَاء طائر يألف الرِّيف، وجمعه المَكَائِي، وهو فُعَالٌ مِنْ مَكَا إِذَا صَفَرَ.

(١٠) ورد في القصيدة «الرأس» بدل: «الجلد».

[عمر الخبير]

ومن إقدامه عن خبرة ولم يعتذر بغرّة قوله :

صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَلِمْتُ أَينَ الْمَصَادِرُ وَالْمَوَرِدُ
وَجَرَبْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفْتُ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَعْمَدُ^(١)
[المتقارب]

[عمر يرقب النجوم]

ومن أسره النوم قوله :

نَامَ صَحْبِي وَبَاتَ نَوْمِي عَسِيرَا أَرْقُبُ النَّجْمَ مَوْهِنَاً أَنْ يَغُورَا
[الخفيف]

[غمه الطير]

ومن غمه الطير قوله :

فَرَحْنَا وَقُلْنَا لِلْعُلَامِ اقْضِ حَاجَةً لَنَا نَأْمَ أَدْرِكُنَا وَلَا تَتَغَبَّرْ
سِرَاعاً نَعْمُ الطَّيْرُ إِنْ سَنَحَتْ لَنَا وَإِنْ يَلْقَنَا الرُّكْبَانُ لَا نَتَخَبَّرْ^(٢)
[الطويل]

تتغير، من قولهم: غبر فلان أي لبث.

[سيرا]

ومن إغذاذه^(٣) السير قوله :

قَلْتُ سِيرَا^(٤) وَلَا تُقِيمَا بِبُصْرَى وَحَفِيرٍ^(٦) فَمَا أَحَبُّ حَفِيرَا
فَلِذَا مَا مَرَرْتُمَا بِمَعَانٍ^(٧) فَأَقْلَابُهَا الثَّوَاءَ وَسِيرَا

(١) ورد في القصيدة «أحمد» بدل: «أعمد».

(٢) التخير: السؤال عن الخبر.

(٣) أغذ السير وأغذ فيه: أسرع.

(٤) ورد في القصيدة «يا خليلي» بدل: «قلت سيرا».

(٥) بُصْرَى: في موضعين، بالضم، والقصر: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبه كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. بُصْرَى أيضاً: من قرى بغداد قرب عُكْبَرَاءَ.

(٦) حفير: نهر بالأردن بالشام من منازل بني القَيْن بن جَسْر، نزل عنده النعمان بن بشير

(٧) والمعان: المنزل، يقال: الكوفة معاني أي منزلي، قال الأزهري: وميمه ميم مفعّل: وهي مدينة

في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، بعث =

إِنَّمَا قَصْرُنَا^(١) وَإِنْ حَسَرَ^(٢) السَّيِّدُ رُبْعِيراً أَنْ نَسْتَجِدَّ^(٣) بَعِيرَا
[الخفيف]

[عدد القطر]

ومن تحيره ماء الشباب قوله :

صوت

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ بَهْرًا^(٤) عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
[الخفيف]

الغناء لمحمد ابن عائشة خفيف ثقيل بالنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي ، وقيل : بل هو هذا .

[لست أول أنثى]

ومن تقويله وتسهيله قوله :

قَالَتْ عَلَى رِقَبَةٍ يَوْمًا لِحَارَتِهَا مَا تَأْمُرِينَ فَإِنَّ الْقَلْبَ قَدْ تُبِلَا^(٥)
وَهَلْ لِي الْيَوْمَ مِنْ أُخْتٍ مُوَاخِيَةٍ^(٦) مِنْكُنَّ أَشْكُو إِلَيْهَا بَعْضَ مَا فَعَلَا^(٧)

= جيشاً إلى مؤتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة فساروا حتى بلغوا مَعَانَ فَأَقَامُوا بِهَا وَأَرَادُوا أَنْ يَكْتُبُوا إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمَّنْ تَجْمَعُ مِنَ الْجِيُوشِ، وقيل : قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي ألف فنهاهم عبد الله بن رواحة وقال : إنما هي الشهادة أو الطعن .

(١) قصرنا : قصارانا وغاياتنا .

(٢) حسر السير بعيراً : أجهده وأتعبه .

(٣) ورد في القصيدة «نستجير» : بدل «نستجد» .

(٤) بهر : الباء والهاء والراء أصلان : أحدهما الْعَلْبَةُ وَالْعُلُوُّ، وَالْآخَرُ وَسَطُ الشَّيْءِ .

(٥) تبيل : التاء والباء واللام كلمات متقاربة لفظاً ومعنى ، وهي خلاف الصَّلاحِ وَالسَّلَامَةِ . فَالتَّبِيلُ :

الْعَدَاوَةُ، وَالتَّبِيلُ : غَلَبَةُ الْحُبِّ عَلَى الْقَلْبِ .

(٦) ورد في القصيدة «مُوَاخِيَةٍ» بدل «مُوَاخِيَةٍ» .

(٧) ورد في القصيدة «عَمِلَا» بدل «فَعَلَا» .

بِرَجْعِ قَوْلٍ وَلَبٍّ^(٣) لَمْ يَكُنْ خَطِلاً^(٤)
إِنِّي سَأَكْفِيكَه إِن لَمْ أَمُتْ عَجَلاً
فَلَسْتُ أَوَّلَ أَنْثَى عُلِّقَتْ رُجُلَا
[البسيط]

فَرَاغَتْهَا^(١) حَصَانٌ^(٢) غَيْرُ فَاخِشَةٍ
لَا تُذْكَرِي^(٥) حُبَّهُ حَتَّى أُرَاجِعَهُ
إِقْنِي^(٦) حَيَاءُكَ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ

[مقياس الهوى]

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله :

يَقِيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إَصْبَعَا
[الطويل]

وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَيِّمٍ

[عمر المغامر]

ومن عصيانه وإخلائه قوله :

بِ سِرَاعٍ أَنْوَاعِ الْأَظْعَانِ^(٧)
شِ وَلَهُوِ بِلَذَّةِ الْفُتَيَانِ
غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
رَيْنَ^(٩) إِلَّا الظُّنُونُ أَيْنَ مَكَانِي
[الخفيف]

وَأَنْصُ الْمَطِيَّ يَتْبَعْنَ بِالرَّكْ
فَنَصِيدُ الْغَرِيرِ^(٨) مِنْ بَقَرِ الْوَحْدِ
فِي زَمَانٍ لَوْ كُنْتُ فِيهِ ضَّجِيعِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَدُ

[لو طواعاه]

ومن محالفته بسمعه وطره قوله :

فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصْرِي

سَمْعِي وَطَرْفِي حَلِيفَاهَا عَلَى جَسَدِي

(١) ورد في القصيدة «فَجَاوَبَتْهَا» بدل : «فَرَاغَتْهَا» .

(٢) حصان : عفيفة .

(٣) ورد في القصيدة «أَمْرٍ» بدل : «وَلَبٍّ» .

(٤) الخطل : الفاسد المضطرب .

(٥) ورد في القصيدة «لا تظهرني» بدل : «لا تذكرني» .

(٦) ورد في القصيدة «فاقني» بدل : «إقني» .

(٧) ورد هذا البيت في القصيدة على الشكل التالي :

«وَأَنْصُ الْمَطِيَّ بِالرَّكْبِ يَطْلُبُ نَ سِرَاعاً بِوَائِرِ الْأَظْعَانِ»

(٨) الغرير : الغافل .

(٩) ورد في القصيدة «ولا تعرف» بدل : «ولا تدربن» .

لَو تَابَعَانِي عَلَى أَنْ لَا أَكْلَمَهَا إِذَا لَقِضْتُ مِنْ أَوطَارِهَا وَطَرِي
[البسيط]

[وَحْشِيَّةُ أُنْسِيَّة]

ومن إبرامه^(١) نعت الرُّسل قوله :

وَبَعَثْتُ كَاتِمَةَ الْحَدِيدِ ثِ رَفِيقَةً بِجَوَابِهَا^(٢)
وَحْشِيَّةً، إِنْ سِيَّيَّةً خَرَّاجَةً، مِنْ بَابِهَا
فَرَقْتُ فَسَهَّلْتُ الْمَعَا رِضَ مِنْ سَبِيلِ نِقَابِهَا
[الكامل]

[نَوْلِي عَمْرُك]

ومن تحذيره قوله :

صوت

فَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي^(٣) وَقَوْلِي فِي مُلَاطِفَةٍ
فَإِنْ دَاوَيْتِ ذَا سَقَمٍ فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كَفَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وَقَالَتْ : مَنْ بِذَا أَمْرِكَ؟
أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي خَبَرَكَ
وَقُلْنَ إِذَا قَضَى وَطَرًا وَأَدْرَكَ حَاجَةً : هَجَرَكَ
[مجزوء الوافر]

غنى ابن سريج في هذه الأبيات ، ولحنه خفيف ثقيل . ولابن المكي فيها هزج بالوسطى . وفيها رمل ، ذكر ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع ، وذكر قمري أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدثني عمي قال : حدثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تروؤا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً ، وأنشد :

(١) إبرام النعت : إحكامه .

(٢) ورد في القصيدة «بخطابها» بدل : «بجوابها» .

(٣) الصدر في القصيدة «بَعَثْتُ وَلِيدَتِي سَحْرًا» .

فَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي حَذْرَكَ
وَمِنْ إِعْلَانِهِ الْحُبِّ وَإِسْرَارِهِ قَوْلُهُ:
شَكَوْتُ إِلَيْهَا الْحُبَّ أَعْلِنَ بَعْضَهُ
وَأَخْفَيْتُ مِنْهُ فِي الْفُؤَادِ غَلِيلاً
[الطويل]

[القتل والجنون]

ومما بطن به وأظهر قوله:

حُبُّكُمْ يَا^(١) آلَ لَيْلَى قَاتِلِي
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحَبَبْتُهُ
ظَهَرَ الْحُبُّ بِجِسْمِي وَبَطْنِ
غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أَجِنَ
[الرملي]

[ليت حظي]

ومما ألح فيه وأسف قوله:

لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا
أَوْ حَدِيثٍ عَلَى خَلَاءٍ يُسَلِّي
وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهْتَنَّا
مَا يُجِنُّ الْفُؤَادُ^(٢) مِنْهَا وَمِنَّا
أَنْ أَرَاهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمِنَّا^(٣)
[الخفيف]

[إنكاحه النوم]

ومن إنكاحه النوم قوله:

صوت

حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ وَنَظَرْتُ^(٤) غَفْلَةً كَاشِحٍ أَنْ يَعْقِلَا^(٥)

(١) ورد في القصيدة «إِنَّ حُبِّي» بدل: «حُبُّكُمْ يَا».

(٢) ورد في القصيدة «أَجِنُّ الضَّمِيرَ» بدل «يُجِنُّ الْفُؤَادَ».

(٣) البيت في القصيدة على الشكل التالي:

«أَنْتَرَى نِعَمَةً نَرَاهَا عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمِنَّا»

(٤) ورد في القصيدة «ورقبت»: بدل «ونظرت».

(٥) ورد في القصيدة «يمحلا» بدل «يعقلا».

وَاسْتَنْكَحَ الثَّوْمُ الَّذِينَ نَخَافُهُمْ وَرَمَى الْكَرَى بَوَابَهُمْ فَاسْتَثْقَلَا^(١)
خَرَجْتَ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا أَيْمٌ^(٢) يَسِيبُ^(٣) عَنْ كَثِيبٍ أَهْيَلَا^(٤)

[الكامل]

الغناء لمعبد خفيف ثقیل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ألحانٌ
لغيره ، وقد نسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

ودع لبابة قبل أن تترحلا

[ثمار الحديث]

ومن جنيته الحديث قوله :

وَجَوَارٍ مُسَاعِفَاتٍ عَلَى اللَّهِ وَوَسِرَاتٍ بَاطِنِ الْأَضْغَانِ^(٥)
صَيْدٍ^(٦) لِلرَّجَالِ يَرْشُقْنَ بِالطَّرِ حَسَانٍ كَحُذَلِ الْغِزْلَانِ
قَدْ دَعَانِي وَقَدْ دَعَاهُنَّ لِلَّهِ وَشُجُونُ مُهَمَّةٍ^(٧) الْأَشْجَانِ
فَاجْتَنَبْنَا^(٨) مِنَ الْحَدِيثِ ثَمَاراً مَا جَنَى مِثْلَهَا ، لَعَمْرُكَ ، جَانِ

[الخفيف]

[عشر ليال]

ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله :

فِي خَلَاءٍ مِنَ الْأَنْيَاسِ وَأَمِنَ فَبَثْنَا^(٩) عَلَيْنَا^(١٠) وَاشْتَفَيْنَا
وَضَرَبْنَا الْحَدِيثَ ظَهراً لِبَطْنِ وَأَتَيْنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا اشْتَهَيْنَا
فَمَكْنَا^(١١) بِذَاكَ عَشَرَ لَيَالٍ^(١٢) فَقَضَيْنَا دُيُونَنَا وَاقْتَضَيْنَا

[الخفيف]

(١) ورد في القصيدة «فَتَحَبَّلَا» بدل «فاستثقلا» .

(٢) الأيم : الأفعى .

(٣) يسيب : يمشي .

(٤) الأهيل : المنهال .

(٥) البيت في القصيدة :

«وَجَوَارٍ مُسْتَقْتَلَاتٍ إِلَى اللَّهِ وَحَسَانٍ كَنَاضِرِ الْأَغْصَانِ»

(٦) ورد في القصيدة «فُتِلَ» بدل : «صَيْدٍ» . (٧) ورد في القصيدة «مِنْ أَعْجَبٍ» بدل : «مهمة» .

(٨) ورد في القصيدة «فَاهْتَصَرْنَا» بدل : «فاجتنبنا» .

(٩) ورد في القصيدة «فَشَفَيْنَا» بدل : «فبثنا» . (١٠) ورد في القصيدة «غليله» بدل : «غليلنا» .

(١١) ورد في القصيدة «فَلَبِثْنَا» بدل : «فمكنا» . (١٢) ورد في القصيدة «عَشْرًا تَبَاعًا» بدل «عشر ليال» .

[شكوى الحبيب]

ومن إذلاله صعب الحديث قوله :

فَلَمَّا أَفْضَنَّا فِي الْهَوَى نَسْتَبِثُهُ
شَكَوْتُ إِلَيْهَا الْحُبَّ أُعْلِنُ بَعْضَهُ
وَعَادَ لَنَا صَعْبُ الْحَدِيثِ ذُلُّوْا
وَأَخْفَيْتُ مِنْهُ فِي الْفُؤَادِ غَلِيْلًا
[الطويل]

[قناعة]

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله :

فَعِدِي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي
إِنَّهُ يَنْفَعُ الْمُحِبَّ الرَّجَاءُ
[الخفيف]

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثير :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بِنَائِلٍ
قَلِيلٍ وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلٍ
[الطويل]

[رسالة]

ومن إعلائه قاتله قوله :

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي
قُولِي يَقُولُ تَحَرَّجِي^(١) فِي عَاشِقٍ
وَيَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ بِأَنْكُمْ
فُكِّي رَهِيْنَتَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي
فَتَضَاحَكْتَ^(٢) عَجَبًا وَقَالَتْ حَقُّهُ
عِلْمِي بِهِ وَاللَّهِ يَغْفِرُ ذَنْبَهُ
طَرَفٌ^(٣) يُنَازِعُهُ إِلَى الْأَدْنَى الْهَوَى
فَاشْكِي إِلَيْهَا مَا عَلِمْتَ وَسَلِّمِي
كَلِيفَ بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتَيِّمٍ
أَصَبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجَهَ^(٤) ذِي دَمٍ
فَاعَلِي^(٥) عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّكَ وَاسْلَمِي
أَلَّا يُعَلِّمَنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ
فِي مَا بَدَا لِي ذُو هَوَى مُتَقَسِّمٍ
وَيَبُتُّ خُلَّةَ ذِي الْوِصَالِ الْأَقْدَمِ
[الكامل]

(١) ورد في القصيدة «تَحَوَّيِي» بدل : «تَحَرَّجِي».

(٢) بشر أوجه : أي أحق إنسان أخذ منه بدمي.

(٣) ورد في القصيدة «فَابَكِي» بدل : «فاعلي».

(٤) ورد في القصيدة «فَتَبَسَّمت» بدل «فتضاحكت».

(٥) طرف : الإنسان المتقلب، الذي لا يثبت على امرأة ولا صاحب.

[و غاب قمير]

ومن تنفيذه النوم قوله :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتِ مِنْهُمْ وَأُطِفَّتْ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنُورُ^(١)
وَغَابَ قُمَيْرٌ، كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرَوَّحَ^(٢) رُعِيَانٌ، وَنَوْمَ سُمَّرُ
وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ، أَقْبَلْتُ مَشِيَةَ الـ حُبَابِ وَرُكْنِي خَشِيَةَ الْقَوْمِ^(٣)، أَزُورُ^(٤)
[الطويل]

ومن إغلاقه رهن مَنَى وإهداره قتلاه قوله :

فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالْدُمَى
[الطويل]

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً^(٧).

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير قال : حدثني عمي ، وأخبرنا به علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله :

أن عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره ، فقال له : إنها ابنة عمي ، قال : ذاك أشنع لأمرك . فقال : إني خطبتها إلى عمي ، فأبى عليّ إلا بصداق أربعمئة دينار ، وأنا غير مطيق ذلك ، وشكا إليه من حبها وكلفه بها أمراً عظيماً ، وتحمل به على عمه . فسار معه إليه فكلمه . فقال له : هو مملق^(٨) ، وليس عندي ما أصلح به أمره . فقال له عمر : وكم الذي تريده منه ؟ قال : أربعمئة دينار . فقال له : هي عليّ فزوجه ، ففعل ذلك .

(١) أنور : جمع نار .

(٢) روح : من الرواح وهو وقت العشي .

(٣) ورد في القصيدة «الحَيَّ» بدل «القوم» .

(٤) أزور : مائل من زور يزور إذا مال .

(٥) غلق : الغين واللام والقاف أصل واحد صحيح يدل على نُشوبِ شيء في شيء . من ذلك الغَلَقُ ، يقال منه : أَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ، وَغَلَقَ الرَّهْنُ فِي يَدِ مُرْتَهِنِهِ ، إِذَا لَمْ يَفْتَكِهِ .

(٦) يريد الشاعر بقوله : وكم من قلوب أسيرة لا يقدر صاحبها على افتكاكها .

(٧) المقول : حسن القول الفصيح المبين .

(٨) مملق : م ل ق : تَمَلَّقَهُ وَتَمَلَّقَ لَهُ تَمَلَّقًا وَتِمْلَاقًا بالكسر أي تودد إليه وتلطف له والمَلَقُ : الوُدُّ واللطف ، وقد مَلَقَ من باب طَرِبَ ، ورجل مَلِيقٌ يُعْطَى بلسانه ما ليس في قلبه .

وقد كان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبةً. فانصرف عمر إلى منزله يحدث نفسه، فجعلت جاريةً له تكلمه فلا يردّ عليها جواباً. فقالت له: إن لك لأمرأً، وأراك تريد أن تقول شعراً، فقال:

صوت

تَقُولُ وَلَيْدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ شَوْقاً وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءً دَفِينَا
وَكَُنْتُ زَعَمْتُ أَنَّكَ ذُو عَزَاءٍ إِذَا مَا شِئْتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
بِرَبِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ فَشَاقَكَ أَمْ لَقِيتَ لَهَا خَدِينَا^(١)
فَقُلْتُ شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبُّ كَبَعَضِ زَمَانِنَا إِذْ تَعَلَّمِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ فَذَكَرَ بَعْدَ مَا كُنَّا نَسِينَا^(٢)
وَذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى^(٣) مَشَوْقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ^(٤) أَعْرَضَتْ عَنْهَا لِعَيرِ قَلِيٍّ وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينَا
أَرَدْتُ فِرَاقَهَا وَصَبَرْتُ عَنْهَا وَلَوْ جُنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جُنُونَا
[الوافر]

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحدٌ.

الغناء لابن سريج رملٌ بالنصر عن عمرو والهشامي. وفيه ثقیلٌ أول يقال: إنه للغريض. وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رمل.

[عمر بن أبي ربيعة وعروة بن الزبير]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال:

ذكر ابن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يسائر عروة بن الزبير ويحدثه، فقال

(١) الخدين: خَدْنُ الجارية: مُحَدِّثُهَا، وكانوا لا يمتنعون من خَدْنِ يُحَدِّثُهَا فَهَدَمَهُ الْإِسْلَامُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْجِزْنَ أَخْدَانَكُمْ﴾. والخدان والخدين: مُخَادِنُكَ يَكُونُ مَعَكَ فِي ظَاهِرِ أَمْرِكَ وَبَاطِنِهِ.

(٢) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي:

فوافق بعض ما قد تعرفينا

(٣) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي:

وذو القلب المصاب ولو تعزى

(٤) الْخِلَالُ أَيْضاً الْمُخَالَّةُ والمصادقة والخليل: الصديق، والأثنى خلية.

له: وأين زين المواكب؟ يعني ابنه محمد بن عروة، وكان يسمى بذلك لجماله، فقال له عروة: هو أمامك، فركض يطلبه. فقال له عروة: يا أبا الخطاب، أولسنا أكفاء كراماً لمحدثتك ومسايرتك؟ فقال: بلى بأبي أنت وأمي! ولكنني مُغْرَى بهذا الجمال أتبعه حيث كان. ثم التفت إليه وقال:

إِنِّي امْرُؤٌ مَوْلَعٌ بِالْحُسْنِ أَتَّبَعُهُ لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ
[البسيط]

ثم مضى حتى لحقه فسار معه، وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه.

[عمر بن أبي ربيعة ومالك بن أسماء^(١)]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب ابن عبد الله قال: رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت وقد بهر الناس بجماله وتمامه، فسأل عنه، فقيل له: هذا مالك بن أسماء بن خارجة. فجاءه فسلم عليه وقال له: يابن أخي مازلت أتشوّقك منذ بلغني قولك:

إِنَّ لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بَسْتَا نِ مِنَ الْوَرْدِ أَوْ مِنَ الْيَاسْمِينِ
نَظْرَةً وَالتَّفَاتَةَ أَتَمْنَى^(٢) أَنْ تَكُونِي حَلَلْتِ فِيمَا يَلِينَا
[الخفيف]

ويروى: . . . أترجى أن تكوني حللت . . .

[عمر وأبو الأسود الدؤلي وقد عرض لامراته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا العباس بن هشام عن أبيه، قال: أخبرني مولى لزياد قال: حج أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته - وكانت جميلة - . فبينما هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة، فأتت أبا الأسود^(٣) فأخبرته، فأناه أبو الأسود فعاتبه، فقال له عمر: ما

(١) مالك بن أسماء الفزاري، مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو الحسن. شاعر غزل ظريف، من الولاة. كان هو وأبوه من أشرف الكوفة. وتزوج الحجاج أخته (هند بنت أسماء) وتقلد خوارزم، وأصبهان للحجاج. ووقع منه ما أوجب حبسه مدة طويلة، توفي سنة ١٠٠هـ.

(٢) في الديوان: «لك أرجو» بدل: «أتمنى».

(٣) أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني. تابعي، واضح علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب. وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، مات بالبصرة، توفي ٦٩هـ.

فعلت شيئاً، فلما عادت إلى المسجد عاد فكلّمها، فأخبرت أبا الأسود، فأتاه في المسجد، وهو مع قوم جالس فقال له:

وَإِنِّي لَيْشْنِينِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَى وَعَنْ شَتَمِ ذِي الْقُرْبَى خَلَائِقُ أَرْبَعُ
حَيَاءً وَإِسْلَامًا وَبُقْيَا^(١) وَأَنْنِي كَرِيمٌ وَمِثْلِي قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
فَشْتَانٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنَّنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتُظْلَعُ^(٢)

[الطويل]

فقال له عمر: لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم. ثم عاود فكلّمها، فأتت أبا الأسود فأخبرته، فجاء إليه فقال له:

أَنْتَ الْفَتَى وَابْنُ الْفَتَى وَأَخُو الْفَتَى وَسَيِّدُنَا لَوْلَا خَلَائِقُ أَرْبَعُ
نُكُولٌ عَنِ الْجُلَى وَقُرْبٌ مِنَ الْخَنَا وَبُخْلٌ عَنِ الْجَدَى وَأَنْتَ تُبْعُ^(٣)

[الطويل]

ثم خرجت معها أبو الأسود مشتملاً على سيف. فلما رآهما عمر أعرض عنها، فتمثل أبو الأسود:

تَعْدُو الذُّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ^(٤) الْحَامِي

[البيط]

[رأي الفرزدق في شعر ابن أبي ربيعة]

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي، قال: حدثنا العمري، قال: أخبرنا الهيثم بن عدي قال: قدم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُريّمْ، وللآخر ابن أسماء، ووصفا له فقصدتهما، وكان عندهما قيان، فسلم عليهما، وقال لهما: من أتما؟ فقال أحدهما: أنا فرعون، وقال الآخر: أنا هامان، قال: فأين منزلكما في النار حتى أقصدكما؟ فقالا: نحن جيران الفرزدق الشاعر! فضحك ونزل، فسلم عليهما وسلمما عليه وتعاشروا مدة. ثم سألهما أن يجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها:

(١) بُقْيَا: أَبْقَيْتَ عَلَيْهِ بَقِيَا: أَشْفَقْتَ عَلَيْهِ وَرَحِمْتَهُ.

(٢) ظَلَعَ: ظَلَعَ الْبَعِيرُ، كَمَنَعَ: عَمَزَ فِي مَشْيِهِ، وَيُقَالُ: ظَلَعَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا: ضَاقَتْ بِهِمْ لَكثَرَتِهِمْ.

(٣) تَبَعَ: جَدَّ فِي طَلَبِ النِّسَاءِ وَتَبَعَهُنَّ.

(٤) هَذَا الْبَيْتُ لِلنَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي، مَعَ تَعْدِيلِ إِذْ وَرَدَ «مَرِيضُ الْمُسْتَنْفِرِ» بَدَلَ «صَوْلَةِ الْمُسْتَأْسِدِ».

فَلَمَّا^(١) التَّقِينَا وَاطْمَأْنَنْتَ بِنَا النُّوَى
وَعُيِّبَ عَنَّا مَنْ نَخَافُ وَنُشْفِقُ
حتى انتهى إلى قوله :

فَقُئِمْنَ لِكِي يُخْلِينَنَا^(٢) فَتَرَقَّرَتْ
وَقَالَتْ أَمَا تَرَحَّمْنِي! لَا تَدَعْنِي
فَقُلْنَ اسْكُتِي عَنَّا فَلَسْتَ مُطَاعَةً^(٤)
لَدَى غَزَلِ جَمِّ الصَّبَابَةِ يُخْرِقُ^(٣)
وِخْلُكَ^(٥) مِنَّا فَأَعْلَمِي ذَاكَ أَرْفَقُ
[الطويل]

فصاح الفرزدق: أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس! لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية! وودَّعه وانصرف.

[وما النسك أسلاني]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه:

أنه حج مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسنَّ وشاخ، فسلم عليه، وسأله ثم قال له: أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب؟ فأنشده:

يَقُولُونَ: إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُكَ الْهَوَى
فَمَا بِالْطَّرْفِي عَفَّ^(٦) عَمَّا تَسَاقَطَتْ
عَشِيَّةً لَا يَسْتَنْكِفُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ^(٩) لَهُ
وَإِنِّي لَا أَرَعَاكَ حِينَ أَغْيَبُ
لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعَشَرٍ وَقُلُوبُ
سَفَاهَ امْرِئٍ مِمَّنْ^(٧) يُقَالُ لَبِيبُ^(٨)
بَعِينَ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامَ لِعُوبِ^(١٠) (١١)

(١) وردت في بعض النسخ «لما». (٢) يخليننا: يجعلتنا في خلوة منهن.

(٣) عجز البيت على الشكل التالي في القصيدة: «لَدَيْهِ وَهُوَ فِيمَا عَلِمْتُنَّ أَخْرَقُ».

(٤) ورد في القصيدة «فغير مطاعة» بدل «فلست مطاعة».

(٥) ورد في القصيدة «لَهُ بِكَ» بدل «وِخْلُكَ».

(٦) عفف: عَفَّ عن الحرام يعف بالكسر عَفَّةً وَعَفَاً وَعَفَافَةً أَي كَفَّ فَهُوَ عَفٌّ وَعَفِيفٌ وَالْمَرْأَةُ عَفَّةٌ وَعَفِيفَةٌ وَأَعَفَّهُ اللَّهُ وَاسْتَعَفَّ عَنْ الْمَسْأَلَةِ أَي عَفَّ وَتَعَفَّفَ: تَكَلَّفَ الْعَفَّةَ.

(٧) ووردت في بعض النسخ: «مما». (٨) لبيب: لُبُّ الرَّجُلِ مَا جُعِلَ فِي قَلْبِهِ فِي الْعَقْلِ.

(٩) أَوْمَضَ: لَمَعَ. وَأَوْمَضَ لَهُ بَعِينُهُ: أَوْمَأَ. وَفِي الْحَدِيثِ: هَلَا أَوْمَضَتْ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَي هَلَا أَشْرَتْ إِلَيَّ بِإِشَارَةِ خَفِيَّةٍ مِنْ أَوْمَضِ الْبَرْقِ وَوَمَضَ. وَأَوْمَضَتْ الْمَرْأَةُ: سَارَقَتْ النَّظَرَ. وَيُقَالُ: أَوْمَضْتُهُ فَلَانَةً بَعِينَهَا إِذَا بَرَقَتْ.

(١٠) هذا البيت ليس من القصيدة. (١١) اللُّعُوبُ مَنْ لَعِبَ: وَهِيَ الْحَسَنَةُ الدَّلِّلُ.

تَرْوِّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ فَآبَ^(١) وَقَدْ زَادَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا التُّسْكُ أَسْلَانِي^(٢) وَلَكِنَّ لِلْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مِنِّي وَالْمُؤَادِ رَقِيبُ
[الطويل]

[عمرو ونسوة عقيق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحزمي قال: واعد عمرو بن أبي ربيعة نسوة من قريش إلى العقيق ليتحدثن معه، فخرج إليهن ومعه الغريض، فتحدثوا ملياً ومُطَرُوا، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظَلُّوا عليهن بمطرفه وبُردَيْن له حتى استترن من المطر إلى أن سكن، ثم انصرفن، فقال له الغريض: قل في هذا شعراً حتى أغني فيه، فقال عمر:

صوت

أَلَمْ تَسْأَلِ الْمَنْزِلَ الْمُقْفِرَا بَيَاناً فَيَكْتُمُ^(٣) أَوْ يُخْبِرَا
ذَكَرْتَ بِهِ بَعْضَ مَا قَدْ شَجَاكَ^(٤) وَحُقَّ لِذِي الشَّجْوِ أَنْ يَذْكُرَا
مَبِيتَ الْحَبِيبِينَ قَدْ ظَاهَرَا^(٥) كِسَاءً وَبُردَيْنِ^(٦) أَنْ يُمَطَّرَا
وَمَمْشَى الثَّلَاثِ بِهِ مَوْهِنَاً خَرَجْنَ إِلَى زَائِرٍ^(٧) زُورَا
إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ وَرَاءِ الْقُبَا بِ سَهْلِ الرُّبَى طَيِّبٍ أَعْفَرَا^(٨)
غَفَلْنَ عَنِ اللَّيْلِ حَتَّى بَدَتْ تَبَاشِيرُ مِنْ وَاضِحٍ أَسْفَرَا^(٩)
فَقُومْنَ يُعَفِّينَ آثَارَنَا بِأَكْسِيَةِ الْخَزْ أَنْ تُقْفَرَا^(١٠)

(١) آب: عاد.

(٢) أسلاني من سلا: ويقال سلاً المحب يسلو سلواً، وذلك إذا فارقه ما كان به من هم وعشق.

(٣) ورد في القصيدة «فَيَخْلُ» بدل «فيكتم». وكتب أصل صحيح يدل على إخفاء وستر.

(٤) شجأك من شجا، والشَّجْوُ الهم والحزن.

(٥) ظاهر: يقال ظاهر بين الثوبين إذا لبس أحدهما على الآخر.

(٦) البُرْدُ، بالضم: ثَوْبٌ مُخَطَّطٌ.

(٧) ورد في القصيدة «عاشق» بدل «زائر».

(٨) العَفْرُ محرك: ظاهر التراب، ويقال: ذو رمل أحمر.

(٩) ورد في القصيدة «أشقر» بدل «أسفر».

(١٠) قفر: القفر يدل على خلو من خير. من ذلك القفر: الأرض الخالية، ومنه القفار: الطعام ولا أدم معه، وفي الحديث: «ما أَقْفَرَ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ»، وامرأة قفرة: قليلة اللحم. ومما شدَّ عن هذا الأصل، وهو من باب الإبدال، يقولون: اقتفرت الأثر واقتفيتها.

مَهَاتَانِ شَيَّعَتَا جُوذْرًا^(١) أَسِيلًا^(٢) مُقَلَّدُهُ^(٣) أَحْوَرًا^(٤)
 وَفُئِمْنَ وَقُلْنَ لَوَ أَنَّ النَّهْأَ رَمُدَّ لَهُ اللَّيْلُ فَاسْتَأْخَرَا
 قَضَيْنَا بِهِ بَعْضَ أَشْجَانِنَا^(٥) وَكَانَ الْحَدِيثُ بِهِ أَجْدَرَا
 [المقارب]

ذكر ابن المكي أن الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر الهشامي أن هذا اللحن للغريص، وأن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى. وقال حبش: فيها لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى.

[عمر وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو العباس المديني قال: أخبرنا ابن عائشة قال:

حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله:

وَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِإِهْرَاقِ عَبْرَةٍ وَهِيَ غَرْبُهَا^(٦) فَلَيَاتِنَا نَبْكَهِ غَدَا
 نُعْنَهُ عَلَى الْإِثْكَالِ^(٧) إِنْ كَانَ ثَاكِلاً وَإِنْ كَانَ مَحْرُوبًا^(٨) وَإِنْ كَانَ مُقْصَدًا^(٩)
 [الطويل]

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالدًا الْخَرَيْتِ وقال له: قُمْ بِنَا إِلَى عَمْرِ. فمضيا^(١٠) إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك. قال: وأي موعد بيننا؟ قال: قولك:

«فليأتنا نَبْكَهِ غَدَا». قد جئناك، واللّه لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك،

(١) الْجُوذْرُ: ولد البقرة، وفي الصحاح: البقرة الوحشية، والجمع جَاذِرٌ.

(٢) أَسِيلٌ: سَهْلٌ لَيِّنٌ.

(٣) المقلد: موضع القلادة، ويراد به الجيد.

(٤) الأحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.

(٥) ورد في القصيدة «لقينا به بعض ما نستهي» بدل «قضينا به بعض أشجاننا».

(٦) غَرْبٌ: الْغُرُوبُ هَاهُنَا الدَّمْعُ.

(٧) ثَكَلَ كَلِمَةً واحدة، تَدَلُّ عَلَى فُقْدَانِ الشَّيْءِ، وَكَأَنَّهُ يُخْتَصَّ بِذَلِكَ فُقْدَانُ الْوَلَدِ. يُقَالُ: ثَكَلَتْهُ أُمُّهُ تَثَكُّلًا، وَلَأُمُّهُ الثُّكُلُ.

(٨) المحروب: حَرِيَّةُ الرَّجُلِ: مَالُهُ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ، فَإِذَا سُلِبَ لَمْ يَقُمْ بَعْدَهُ.

(٩) المقصد من طعن أو رمي بسهم فلم يخطئ مقاتله.

(١٠) ورد في الأصل «فمضيتا».

أو ننصرف على أنك غير صادق. ثم مضى وتركه. قال ابن عائشة: خالد الخريت هو خالد بن عبد الله القسري.

[اعتراف واستغفار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا دماذ عن الهيثم بن عدي عن عبد الله ابن عياش الهمداني، قال: لقيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له: يا أبا الخطاب، أكل ما قلته في شعرك فعلته؟ قال: نعم، وأستغفر الله.

[عمر في الكوفة]

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال: قدم عمر بن أبي ربيعة الكوفة، فنزل على عبد الله بن هلال الذي كان يقال له صاحب إبليس، وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال في ذلك:

يَا أَهْلَ بَابِلَ مَا نَفَسْتُ^(١) عَلَيْكُمْ مِنْ عَيشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ
مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبَ لَيْلٍ بَارِدٍ وَسَمَاعَ مُسْمَعَتَيْنِ^(٢) لَابِنِ هِلَالٍ
[الكامل]

[عمر والشعراء والبرق]

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله: أن عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصطلقين ورجلاً من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد، خرجوا يُشيعون بعض خلفاء بني أمية. فلما انصرفوا نزلوا «بسرف»^(٣) فلاح لهم برق؛ فقال الحارث: كلنا شاعر، فهلموا نصف البرق. فقال أبو ربيعة:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ آخِرَ اللَّيْلِ لَامِعٍ جَرَى مِنْ سَنَاهِ ذُو الرُّبَى فِينَابِعٍ^(٤)

(١) نفس عليه كذا: غبطه من أجله.

(٢) ورد في البيت «وَسَمَاعَ مُنْشِدَتَيْنِ» بدل «وغياء مسمعتين». سمع: المُسْمِعَةُ المغنية.

(٣) سرف: وهو موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة وتسعة وأثنى عشر، تزوج به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها. وهناك توقيت.

(٤) يُنَابِعُ: مضارع نَابَعَ يُنَابِعُ مثل ضارب يضارب إذا أوقع كل واحد الضرب بصاحبه: وهو اسم مكان أو جبل أو واد في بلاد هذيل، ويروى فيه نابع، بتقديم النون.

فقال الحارث^(١):

أَرَقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّمَامِ^(٢) وَدَوْنَهُ مَهَامِهِ^(٣) مَوْمَاةٍ^(٤) وَأَرْضُ بَلَاغِيعٍ^(٥)

[الطويل]

فقال المخزومي:

يُضِيءُ عِضَاهُ^(٦) الشَّوْكَ حَتَّى كَانَهُ مَصَابِيحُ أَوْ فَجَرٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ

فقال عمر:

أَيَّارَبٌ لَا أَلَوَ الْمَوْدَةَ جَاهِدًا لِأَسْمَاءَ فَاصْنَعِ بِي الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ

[الطويل]

ثم قال: ما لي وللبرق والشوك!

[بقية خبر عمر ونسوة العقيق]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان عمر بن أبي ربيعة وخالد القسري معه - وهو خالد الخريت - ذات يوم يمشيان، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبَّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان، فقصداهما وجلسا معهما ملياً، فأخذتهم السماء ومُطِرُوا. ثم ذكر مثل خبر تقدم، ورويته آنفاً عن هاشم بن محمد الخراعي، وذكر الأبيات الماضية، ولم يذكر فيها خبر الغريض.

وحكى أنه قال في ذلك:

صوت

أَفِي^(٧) رَسَمِ دَارِ دَمْعِكَ الْمُتَرَقِّقِ^(٨) سَفَاهَا! وَمَا اسْتَنْطَاقُ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ!

- (١) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قریش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء، توفي سنة ٨٠هـ.
- (٢) لَيْلُ التَّمَامِ، بالكسر لا غير: أطول ما يكون من ليالي الشتاء.
- (٣) مهامه: جمع مهممه، وهي المفازة البعيدة. (٤) الموماة: الفلاة الواسعة الماء.
- (٥) بلعق: البَلْقَعُ والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها.
- (٦) العِضَاهَةُ، بالكسر: أعظمُ الشجر، أو الحَمْطُ، أو كُلُّ ذاتِ شَوْكٍ، أو ما عَظُمَ منها وطال، كالعضه، كعنب، والعضهه، كعنبه ج: عِضَاهٌ وَعِضْوٌ وَعِضْوَاتٌ.
- (٧) في الديوان «أمن» بدل «أفي».
- (٨) اسْتَرَقَّ الماءُ: نَضَبَ إِلَّا يَسِيرًا، ورق الشيء: نَقِضَ اسْتَعْلَظَ. وَتَرَقَّقَ له: رَقَّ له قَلْبُهُ. وَرَفَّرَقَ الماءُ وَغَبَرُهُ: صَبَّهُ رَقِيقًا.

بَحَيْثُ التَّقَى جَمْعٌ^(١) وَأَقْصَى مُحَسَّرٌ^(٢) مَعَالِمُهُ كَادَتْ عَلَى الْبُعْدِ تُخْلِقُ^(٣)
 ذَكَرْتُ بِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ زَمَانِنَا^(٤) وَذَكَرَكَ^(٥) رَسَمَ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ
 مَقَاماً لَنَا عِنْدَ الْعِشَاءِ^(٦) وَمَجْلِساً بِهِ لَمْ يُكْدِرْهُ عَلَيْنَا مُعَوِّقُ^(٧)
 وَمَمْشَى فَتَاةٍ بِالْكِسَاءِ تَكُنُّنَا بِهِ تَحْتَ عَيْنِ^(٨) بَرْقُهَا يَتَأَلَّقُ
 يَبْلُ أَعَالِي الثُّوبِ قَطْرٌ وَتَحْتَهُ شُعَاعٌ بَدَا يُعْشِي^(٩) الْعُيُونَ وَيُشْرِقُ
 فَأَحْسَنُ شَيْءٍ بَدَأَ أَوَّلَ لَيْلِنَا وَآخِرُهُ حُزْنٌ^(١٠) إِذَا نَتَفَرَّقُ

[الطويل]

ذكر يحيى بن المكي أن الغناء في ستة أبيات متوالية من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف
 ثقيلٍ بالسبابة والوسطى، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى.

[عمر وليلى البكرية]

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني
 مصعب قال: لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي
 تسير على بغلة لها، وقد كان نسب بها، فقال: جعلني الله فداك! عرجي ها هنا
 أسمعك بعض ما قلته فيك. قالت: أو قد فعلت؟ قال: نعم! فوقفت، وقالت:
 هات، فأنشدها:

(١) جَمْعٌ: ضدّ التفريق: هو المزدلفة، وهو فُزَح، وهو المشعر، سمي جمعاً لاجتماع الناس به.
 (٢) مُحَسَّرٌ: بالضم ثم الفتح، وكسر السين المشددة، وراء: هو اسم الفاعل من الحسر، وهو كَشَطُك
 الشيء وكَشَفُك إياه، يقال: حسر عن ذراعيه وحسر البيضة عن رأسه، ويجوز أن يكون من الحسر
 بمعنى الإعياء، تقول: حَسَرَت الدابة والعين إذا أَعِيَتْ، ويجوز أن يكون من حَسِرَ فلان حَسِراً
 وحَسَرَةً إذا اشتدّت ندامته: وهو موضع ما بين مكة وعرفة، وقيل: بين مَنَى وعرفة، وقيل: بين
 مَنَى والمزدلفة، وليس من مَنَى ولا المزدلفة بل هو واد برأسه.

(٣) أَخْلَقَ الشَّيْءُ وَخَلَقَ، إذا بَلِيَ.
 (٤) في الديوان «وَتَذَكَّرِي» بدل «من زماننا».
 (٥) في الديوان «حبيباً» بدل «وذكرك».
 (٦) في الديوان «ذات العشاء» بدل «عند العشاء».
 (٧) معوق: عائق ومانع.
 (٨) العين: السحاب.
 (٩) الأعشى هو الذي لا يبصر بالليل وهو بالنهار بصير، وقد يكون الذي ساء بَصَرُهُ من غير عَمى،
 وهو عَرَضُ حادثٍ ربّما ذهب.
 (١٠) في الديوان «حزْمٌ» بدل «حزنٌ».

صوت

أَلَا يَا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ إِنْ بَخِلْتَ فَنَوَلِينَا^(١)
وَقَدْ أَفَدَ الرَّحِيلُ فَقُلْ لِسُعْدَى لَعَمْرُكَ خَبَّرِي مَا تَأْمُرِينَا^(٢)

[الوافر]

فقلت: أَمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه. ثم صاحت ببغلتها ومضت.

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقیل بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر الهشامي أنه من منحوه إلى ابن سريج. وفيهما رمل طنبوري لأحمد بن صدقة.

أخبرني بذلك جحظة عنه. وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن ابن الأعرابي: أن ليلي هذه كانت جالسة في المسجد الحرام، فرأت عمر بن أبي ربيعة، فوجهت إليه مولى لها فجاءها به. فقلت له: يا ابن أبي ربيعة، حتى متى لا تزال سادراً^(٣) في حرم الله تُشَبِّبُ بالنساء وتشيد بذكرهن! أما تخاف الله! قال: دعيني من ذاك واسمعي ما قلت، قالت: وما قلت؟ فأنشدها الأبيات المذكورة. فقلت له القول الذي تقدم أنها أجابته به. قال: وقال لها: اسمعي أيضاً ما قلت فيك، ثم أنشدها قوله:

أَمِنَ الرَّسْمَ وَأَطْلَالَ الدَّمَنَ عَادَ لِي وَجَدِي وَعَاوَدْتُ الْحَزْنَ^(٤)
إِنَّ حُبِّي آلَ لَيْلَى قَاتِلِي ظَهَرَ الْحُبُّ بِجِسْمِي وَبَطْنِ
يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ^(٥) فَاتَمَرَ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنٍ
الْتَمَسَ لِلْقَلْبِ وَصلاً عِنْدَهَا^(٦) إِنَّ خَيْرَ الْوَصْلِ مَا لَيْسَ يُمَنُّ^(٧)

(١) في الديوان «فَرَوْدِينَا» بدل «فَنَوَلِينَا».

(٢) البيتان في الديوان المطبوع في ليزنغ على الشكل التالي:

أَحْنُ إِذَا رَأَيْتَ جَمَالَ سَعْدَى وَأَبْكِي إِنْ رَأَيْتَ لَهَا قَرِينَا
وَقَدْ أَفَدَ الرَّحِيلُ فَقُلْ لِسُعْدَى لَعَمْرُكَ خَبَّرِي مَا تَأْمُرِينَا

(٣) السادر: الذي لا يُقْلَعُ ولا يَنْزَعُ عما هو فيه من غيّه وضلاله.

(٤) ورد البيت في القصيدة على الشكل التالي:

«مِنْ رُسُومِ الْإِلِيَّاتِ وَدَمَنَ عَادَ لِي هَمِّي وَعَاوَدْتُ دَدَنَ»

(٥) ورد في البيت «هَائِئِمْ» بدل «طَائِر».

(٦) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي: «اطْلُبْنِي لِي صَاحَ وَصلاً عِنْدَهَا».

(٧) المُنَّةُ بالضم القوة يقال: هو ضعيف المُنَّةِ والمَنْ: القطع. والمقصود هنا ما ليس يقطع.

عَلِقَ الْقَلْبُ وَقَدْ كَانَ صَحَا
أَحْوَرَ الْمَقْلَةَ كَالْبَدْرِ، إِذَا
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحَبَبْتُكُمْ
خُلِقْتُ لِلْقَلْبِ مَنِّي فَتَنَةً
مِنْ بَنِي بَكْرِ غَزَالًا قَدْ شَدَنَ^(١)
قُلْدَ الدُّرِّ فَقَلْبِي مُمْتَحَنٌ
غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أَجَنَّ
هَكَذَا يُخْلَقُ مَعْرُوضِ الْفِتَنِ
[الرمل]

قال: وفيها يقول:

إِنَّ لَيْلَى وَقَدْ بَلَغْتَ الْمَشِيبَا
هَاجِرٌ بَيْتَهَا لِأَنْفِي عَنْهَا
لَمْ تَدْعَ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيبَا
قَوْلَ ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ عَيْوبَا
[الخفيف]

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو. وفيها لابن عائشة ثقیل أول، يقال: إنه أول ثقیل غناه، كان يغني الخفيف، فعيب بذلك فصنع هذا اللحن. وفيه لعبد الله بن يونس الأبلبي رمل عن الهشامي.

والغناء في:

إِنَّ لَيْلَى وَقَدْ بَلَغْتَ الْمَشِيبَا

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لكردم ثقیل أول بالوسطى عن عمرو أيضاً. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لعطرد، ولم يجنسه.

[حديثه مع نوار]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن منصور الأزدي قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عدي قال: بينما عمر بن أبي ربيعة منصورٌ من المزدلفة يريد منى إذ بصر بامرأة في رحالة^(٢) ففتن، وسمع عجوزاً معها تناديها: يا نوار استتري لا يفضحك ابن أبي ربيعة. فاتبعها عمر وقد شغلت قلبه حتى نزلت بمنى

(١) ورد البيت في القصيدة على الشكل التالي:

«عَلِقَ الْقَلْبُ غَزَالًا شَادِنًا يَا لَقَوْمِي مِنْ غَزَالٍ قَدْ شَدَنَ».

(٢) رحل: الرُّحْل: مَرْكَبٌ لِلْبُعِيرِ وَالنَّاقَةِ، وَجَمْعُهُ أَرْحُلٌ وَرِحَالٌ؛ وَالرَّحَالَةُ: نَحْوُهُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ مَرَكَبِ النِّسَاءِ.

في مِضْرَبٍ^(١) قد ضُربَ لها، فنزل إلى جنب المِضْرَبِ، ولم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها، وإذا أحسن الناس وجهاً وأحلاه منطقاً، فراد ذلك في إعجاب عمر بها. ثم أراد معاودتها فتعذر ذلك عليه، وكان آخر عهده، فقال فيها:

صوت

عَلِقَ النَّوَارُ فُؤَادَهُ جَهَالاً
وَتَعَرَّضْتُ لِي فِي الْمَسِيرِ فَمَا
مَا نَعِجَةٌ^(٣) مِنْ وَحْشٍ ذِي بَقَرٍ^(٤)
بِأَلَدٍ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا
دَعْنَا فِإِنَّكَ لَا مُكَارَمَةَ
وَعَالِيكَ مِنْ نَبْلِ الْفُؤَادِ وَإِنْ
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمُحِبَّ مُكَلَّفٌ^(٦)
وَصَبَا فَلَمْ تَتْرُكْ لَهُ عَقْلًا
أَمْسَى الْفُؤَادُ يَرَى لَهَا مِثْلًا^(٢)
تَغْدُو بِسِقْطِ صَرِيمَةٍ^(٥) طِفْلاً
وَأَرَدْتُ كَشْفَ قِنَاعِهَا: مَهْلًا
تَجْزِي وَلَسْتُ بِوَاصِلِ حَبْلًا
أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلًا
فَدَعِيَ الْعِتَابَ وَأَحْدَثِي بَذْلًا
[الكامل]

الغناء لابن محرز خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ثاني ثقیل بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة.

[عمر وشعره بأمر الحكم]

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني أبو عبد الله السدوسي عن عيسى بن إسماعيل العتكي عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال:

حجت امرأة من بني أمية يقال لها أم الحكم، فقدمت قبل أوان الحج معتمرة. فبينما هي تطوف على بغلة لها إذ مرت على عمر بن أبي ربيعة في نفر من بني مخزوم وهم جلوس يتحدثون وقد فرعهم طولاً^(٧) وجهرهم^(٨) جمالاً وبهرهم^(٩) شارة

(١) المضرب: الفسطاط العظيم.

(٣) في الديوان «ظبية» بدل «نعجة».

(٤) ذو بقر: موضع.

(٥) الصريمة: الرمل المتصرم من معظم الرمل. سقط الصريمة: منتهاها.

(٦) كلف بالشيء كلفاً وكلفه، فهو كلف ومكلف: لهج به. أبو زيد: كلفت منك أمراً كلفاً بها أشد الكلف أي أحبها.

(٧) فرعهم طولاً: علاهم وطالهم.

(٨) جهرهم: راعهم جماله وهيبته وهيئته.

(٩) بهرهم الله بهراً: كرههم.

وعارضة^(١) وبياناً، فمالت إليهم ونزلت عندهم، فتحدثت معهم طويلاً ثم انصرفت. ولم يزل عمر يتردد إليها إلى أن انقضت أيام الحج، فرحلت إلى الشام، وفيها يقول عمر:

تَأْوَبُ لَيْلِي بِنَصَبٍ^(٢) وَهُمْ وَعَاوَدَتْ ذَكَرِي لِأَمِّ الْحَكَمِ
فَبِتُّ أَرَاقِبُ لَيْلَ التَّمَا م، مِنْ نَامٍ مِنْ عَاشِقٍ لَمْ أَنْمِ
فَلِمَا تَرِينِي عَلَى مَا عَرَا ضَعِيفَ الْقِيَامِ شَدِيدَ السَّقَمِ
كَثِيرَ التَّقْلُبِ فَوْقَ الْفَرَا ش مَا إِنْ تُقَلُّ قِيَامِي قَدَمِ
بِأَنْسَةٍ طَيِّبٍ نَشْرُهَا هُضِيمِ^(٣) الْحَشَا^(٤)^(٥) عَذْبَةُ الْمَبْتَسَمِ
[المتقارب]

في أول الأبيات الثلاثة غناء. وقبلها وهو أول الصوت:

صوت

وَفَتَيَانِ صِدْقِ حَسَنِ الْوُجُو ه لَا يَجِدُونَ لِشَيْءٍ أَلَمِ
مِنْ آلِ الْمُغِيرَةِ لَا يَشْهَدُو نَ عِنْدَ الْمَجَازِرِ لَحْمَ الْوَضَمِ^(٦)
[المتقارب]

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقیل الثاني بالبنصر، وهو الذي يقال له الماخوري، عن عمرو. وفيه ثاني ثقیل ينسب إلى ابن سريج والغريض ودحمان. وفيه لابن المكي خفيف رمل.

[سكينة وشعره فيها]

أخبرني علي بن صالح قال: حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن أبي عبد الله

(١) عارضة: حجة.

(٢) النصب: البلاء والشر.

(٣) هَضَمَ الدَّوَاءَ الطَّعَامَ يَهْضِمُهُ: نَهَكَهُ، وَعَلَيْهِمْ: هَجَمَ، أَوْ هَبَطَ، وَهَضَمَ فَلَانًا: ظَلَمَهُ، وَعَصَبَهُ، كَاهْتَضَمَهُ وَتَهَضَّمَهُ، فَهُوَ هُضِيمٌ، وَالْأَسْمُ: الْهَضِيمَةُ.

(٤) الحشا: الحشا: بالفتح، والقصر، بلفظ الحشا الذي تنضم عليه الضلوع، ويقال: الحضن وهو ظاهر البطن.

(٥) هُضِيمُ الْحَشَا: هِيَاءٌ لَطِيفَةُ الْخَصْرِ.

(٦) وضَم: الواو والضاد والميم كلمة واحدة، هِيَ الْوَضَمُ: كُلُّ شَيْءٍ يُوَضَعُ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنْ خَشَبٍ وَحَجَرٍ، وَوَضَمْتُ اللَّحْمَ: اتَّخَذْتُ لَهُ وَضَمًا، وَأَوْضَمْتُهُ: جَعَلْتُهُ عَلَى الْوَضَمِ. وَيُقَالُ: اسْتَوْضَمْتُ الرَّجُلَ، أَيْ اسْتَضَمْتُهُ وَجَعَلْتُهُ تَحْتِي كَالْوَضَمِ، وَتَوَضَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ: وَقَعَ عَلَيْهَا، وَالْوَضِيمَةُ: الْقَوْمُ يَقْلُ عَدُوَّهُمْ، يَنْزِلُونَ عَلَى الْقَوْمِ فَيُحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ.

الزبيري قال: اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشوقن إليه وتمنّينه، فقالت سكينه بنت الحسين: أنا لكنّ به. فأرسلت إليه رسولا وواعدته الصّورين، وسَمَت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتها^(١)، فوافاهنّ عمر على راحلته، فحدّثهن حتى أضاء الفجر وحن انصرافهن. فقال لهن: واللّه إنّي لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئا. ثم انصرف إلى مكة وقال:

صوت

قَالَتْ سُكَيْنَةُ وَالْدُمُوعُ ذَوَارِفُ
لَيْتَ الْمُغِيرِيَّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ
كَأَنْتَ تَرُدُّ لَنَا الْمُنَى أَيَّامَنَا
خُبِّرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا
أُسْكِينُ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ
بِالَّذِ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتُ وَقَلَّمَا
مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجِلْبَابِ^(٢)
فِيمَا أَطَالَ تَصَيُّدِي وَطِلَابِي
إِذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِي
رُمِي الْحَشَا بِنَوَافِذِ النَّشَابِ^(٣)
مِنَّا عَلَى ظَمَأٍ وَفَقْدِ شَرَابِ^(٤)
تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
[الكامل]

الغناء للهلذلي رمل بالوسطى عن الهشامي. وفيه للغريض خفيف ثقیل بالوسطى عن حبش. قال: وقال فيها:

صوت

أَلْحُبُّكَ^(٥) مَنْ لَمْ يَكُنْ
وَأَبْذُلُ مَالِي^(٦) لِمَرْضَاتِكُمْ
وَأَرْغَبُ فِي وُدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ
صَفِيًّا لِنَفْسِي وَلَا صَاحِبًا
وَأُعْتَبُ مَنْ جَاءَكُمْ^(٧) عَاتِبًا
إِلَى وُدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا

(١) صواحب: جمع صواحب، وصواحب: جمع صاحبة.

(٢) الجلباب: ثوب أوسع من الخمار دون الرداء، تُعْطَى به المرأة رأسها وضدّها.

(٣) النشّاب: السهام.

(٤) في الديوان «وحب شراب» بدل «وفقد شراب».

(٥) ورد في القصيدة «لِحُبِّكَ أَحْبَبْتُ» بدل «أحبُّ لحبك».

(٦) ورد في القصيدة «نفسي» بدل «مالي».

(٧) ورد في القصيدة «جاءني» بدل «جاءكم».

وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ
لَيَمَّمْتُ^(١) طِيَّتَهَا، إِنَّنِي
فَمَا ظَبِيَّةٌ^(٢) مِنْ ظُبَاءِ الْأَرَا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا غَدَاةَ الْغَمِيمِ^(٣)
غَدَاةٌ تَقُولُ عَلَى رِقَبَةٍ
فَقَالَتْ لَهَا: فِيمَ هَذَا الْكَلَا
فَقَالَتْ كَرِيمٌ أَتَى زَائِرًا
شَرِيفٌ^(١١) أَتَى رَبْعَنَا زَائِرًا

مِنْ الْأَرْضِ وَاعْتَزَلَتْ جَانِبَا
أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبَا
لِ^(٣) تَقْرُو^(٤) دَمِيثَ^(٥) الرُّبَى عَاشِبَا
وَقَدْ^(٧) أَبَدَتِ الْخَدَّ وَالْحَاجِبَا
لِخَادِمِهَا^(٨): يَا أَحْبَسِي^(٩) الرَّاكِبَا^(١٠)
مُ فِي وَجْهِهَا عَابِسًا قَاطِبَا
يَمُرُّ بِنَا هَكَذَا جَانِبَا
فَأَكْرَهُ رَجَعَتَهُ خَائِبَا

[المقارب]

غنى في الأول والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكي،
ولحنه رملٌ من رواية الهشامي .

[بغوم ابن أبي ربيعة]

وحدثني وكيعٌ وابن المرزبان وعمي قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال:
حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا محمد بن معن الغفاري قال: حدثني

(١) ورد في القصيدة «لَأَتَبَعْتُ» بدل «لَيَمَّمْتُ» .

(٢) ورد في القصيدة «نعجة» بدل «ظبية» .

(٣) الأراك، أحدهما شجر، والآخر الإقامة . فالأول الأراك وهو شجرٌ معروف . والأصل الثاني
الإقامة: حدثني ابن السَّيِّ عن ابن مُسَبِّح عن أبي حنيفة قال: جَعَلَ الكَسَائِيُّ الإِبِلَ الْأَرَاكِئَةَ مِنْ
الْأُرُوكِ وهو الإقامة .

(٤) قراه يقرؤه: تتبعه .

(٥) دميث من دمث، ويقال الدمث، يدلُّ على لين وسهولة .

(٦) الْغَمِيمُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وميم أخرى، وهو الكَلَا الأخضر تحت
اليابس، والغميم فعل بمعنى مفعول أي مغموم، وهو الشيء المغطى؛ كُرَاعُ الغميم: موضع بين
مكة والمدينة .

(٧) ورد في القصيدة «إذا» بدل «وقد» .

(٨) الخادم: واحد الخدم غلاماً كان أو جارية .

(٩) في القصيدة «احبسي» بدل «يا احبسي» .

(١٠) هذا البيت ورد في الديوان على الشكل التالي:

غداة تقول على رقبة

لقيمها: احبس الراكب

(١١) في القصيدة «غريب» بدل «شريف» .

سفيان بن عيينة قال: بينا أنا ومِسْعَرُ بن كدام مع إسماعيل بن أُمَيَّةَ بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عَوراء متكنئة على عصاً يُصَفَّقُ أحدُ لحييها على الآخر، فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه، فردَّ عليها السلام، وساءلها فأحفى^(١) المسألة، ثم انصرفت. فقال إسماعيل: لا إله إلا الله! ماذا تفعل الدنيا بأهلها! ثم أقبل علينا فقال: أتعرفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومن هي؟ قال: هذه «بغوم» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

حَبَّذا أَنْتِ يَا بَغُومُ وَأَسْمَا ءُ وَعَيْصُ^(٢) يَكُونُنَا وَخَلَاءُ
[الخفيف]

انظرا^(٣) كيف صارت، وما كان بمكة امرأة أجمل منها! قال: فقال له مِسْعَرُ: لا ورب هذه البنية، ما أرى أنه كان عند هذه خير قط. وفي هذه الأبيات يقول عمر:

صوت

صَرَمْتُ حَبْلَكَ الْبَغُومُ وَصَدَّتْ عَنكَ فِي غَيْرِ رَيْبَةٍ أَسْمَاءُ
وَالْعَوَانِي إِذَا رَأَيْتُكَ كَهَلًا كَانَ فِيهِنَّ عَن هَوَاكَ التَّوَاءُ
حَبَّذا أَنْتِ يَا بَغُومُ وَأَسْمَا ءُ وَعَيْصُ يَكُونُنَا وَخَلَاءُ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَيْلَةَ الْجَزْلِ^(٤) لَمَّا أَخْضَلْتُ^(٥) رَيْطَتِي^(٦) عَلَيَّ السَّمَاءُ
لَيْتَ شِعْرِي - وَهَلْ يَرُدُّنَّ لَيْتٌ - هَلْ لِهَذَا عِنْدَ الرَّبَابِ جَزَاءُ؟
كُلُّ وَصَلٍ أَمْسَى لَدَيَّ لِأَنْثَى غَيْرِهَا، وَصَلَهَا إِلَيْهَا أَدَاءُ
كُلُّ خَلْقٍ^(٧) وَإِنْ دَنَتْ لِوِصَالٍ أَوْ نَأَى فَهُوَ^(٨) لِلرَّبَابِ فِدَاءُ

(١) أحفى: ردَّ المسألة وبالغ فيها.

(٢) العيص: منبت خيار الشجر، وقيل: الشجر الكثير الملتف.

(٣) ورد في بعض النسخ «انظر».

(٤) جزل: الجيم والزاي واللام أصلان: أحدهما عَظَمَ الشَّيْءِ من الأشياء، والثاني القَطْع.

(٥) خضل: الخاء والضاد واللام أصل واحد يدل على نَعْمَةٍ وَندَى. يقال: أَخْضَلَ المطرُ (الأرض) فهو مُخْضَلٌ، والأرض مُخْضَلَةٌ، وَأَخْضَلَ الشَّيْءُ: ابتَلَّ، وَالْخَضِلُ: الثَّبات الناعم.

(٦) ريط: الراء والياء والطاء كلمة واحدة، وهي الرَيْطَةُ، وهي كلُّ ملاءةٍ لم تَكْ لِفَقَيْنِ، والجمع رَيْطٌ وَرِيَاطٌ. وحدثنى أبي عن أبي نصر ابن أخت الليث بن إدريس، عن ابن السكيت قال: يقال لكل ثوب رقيق لَتَيْنِ: رَيْطَةٌ.

(٧) ورد في القصيدة «أنثى» بدل «خلق».

(٨) ورد في القصيدة «نأت فيها» بدل «نأى فهو».

فَعِدِي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي إِنَّهُ يَنْفَعُ الْمُحِبَّ الرَّجَاءُ
[الخفيف]

لمعبد في: «ولقد قلت ليلة الجزل...» والذي بعده خفيف ثقیلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير، وهو من مشهور غنائه.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب عن ذهية مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت:

كنت عند أمة الواحد^(١) أو أمة المجيد^(٢) بنت عمر بن أبي ربيعة في الجنيد الذي في بيت سكيئة بنت خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان: يقال لإحدهما البغوم، والأخرى أسماء. وكانت أمة المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير، قالت: فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجنيد هذه الأبيات. فلما انتهى إلى قوله:

وَلَقَدْ قُلْتُ لَيْلَةَ الْجَزْلِ لَمَّا أَخْضَلْتُ رِيْطِي عَليَّ السَّمَاءِ
[الخفيف]

خرجت البغوم ثم رجعت إليه فقالت: ما رأيت أكذب منك يا عمر! تزعم أنك بالجزل وأنت في جنيد محمد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قرعة^(٣)! قال: هكذا يستقيم هذا الشأن.

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي ومحمد بن سلام أن عمر أنشد ابن أبي عتيق قوله:

حَبِّذَا أَنْتِ يَا بَغُومٌ وَأَسْمَا ءُ وَعَيْصٌ يَكُونُنَا وَخَلَاءُ
[الخفيف]

فقال له: ما أبقيت شيئاً يتمنى يا أبا الخطاب إلا مرجلاً يُسَخِّنُ لكم فيه الماء للغسل.

[عمر وبنت مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المرزبان قال: حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن

(١) ورد في بعض النسخ: أم الحميد.

(٢) لم ترد في بعض النسخ.

(٣) قزع: القاف والزاي والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خِفَّةٍ في شيءٍ وتفرُّق. من ذلك القَزَعُ: قِطْع السُّحَابِ المتفرِّقة، الواحدة قَزَعَةٌ.

ابن الأعرابي قال: حجت أم محمد بنت مروان بن الحكم، فلما قضت نُسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نسوة، فحدثها ملياً. فلما انصرفت أتبعها عمر رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتتها^(١)، فعدت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها، فقالت: نشدتك^(٢) الله أن تشهرني بشعرك! وبعثت إليه بألف دينار، فقبلها وابتاع بها حلاً وطيباً فأهداه إليها، فردته، فقال لها: والله لئن لم تقبله لأنهبته، فيكون مشهوراً، فقبلته؛ ورحلت. فقال فيها:

صوت

أَيُّهَا الرَّائِحُ^(٣) الْمُجِدُّ ابْتِكَارَا قَدْ قَضَى مِنْ تَهَامَةِ الْأَوْطَارَا
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ سَلِيماً صَاحِحاً فَفُؤَادِي بِالْخَيْفِ أَمْسَى مُعَارَا
لَيْتَ ذَا الْحَجِّ كَانَ حَتماً عَلَيْنَا كُلَّ شَهْرَيْنِ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا
[الخفيف]

الغناء لابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي. وفيه لذكاء وجه الرزة المعتمدي ثقیلاً أول من جيد الغناء وفاخر الصنعة ليس لأحد من طبقتة وأهل صنعته مثله.

وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا، فقال: الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته لئتم لك فسقك.

[عمر وحميدة جارية ابن تفاحه]

أخبرني ابن المرزبان قال: أخبرني أحمد بن يحيى القرشي عن أبي الحسن الأزدي عن جماعة من الرواة: أن عمر كان يهوى حميدة جارية ابن تفاحه، وفيها يقول:

(١) أثبتتها: تحققها وعرفها.

(٢) نشد: النون والشين والdal أصل صحيح يدل على ذكر شيء وتنويه. ونَشَدَ فلانٌ فلاناً: قال: نَشَدْتُكَ الله، أي سألتك بالله، وتلخيصه: ذكرك الله تعالى، ومنه إنشاد الشاعر وهو ذكره والتنويه به؛ فأما أنشدت الضالة فمعناه عرفتُها، وهو ذلك القياس، وفي الحديث: «لا تَحُلْ لَقَطَتِهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ»، أي معرّف، وأما نَشَدْتُ الضالة، يعني طلبتها، فلرفع صوته.

(٣) ورد في القصيدة «الراكب» بدل «الرائح».

صوت

حَمَلَ الْقَلْبُ مِنْ حُمَيْدَةَ ثِقْلًا إِنَّ فِي ذَاكَ لِلْفُؤَادِ لَشُغْلًا
 إِنَّ فَعَلْتُ الَّذِي سَأَلْتَ فَقُولِي حَمْدٌ خَيْرٌ وَأَتَّبِعِي الْقَوْلَ فِعْلًا
 وَصَلِّينِي فَأُشْهِدَ اللَّهَ أَنِّي لَسْتُ أَصْفِي سِوَاكَ مَا عِشْتُ وَصَلًا
 [الخفيف]

الغناء لمعبد خفيف ثقیل بالوسطی عن یحیی المکی والهشامی . وفيها يقول :

صوت

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ عَنْ حُمَيْدَةَ زَاجِرٌ أَمْ أَنْتَ مُدَكِّرُ الْحَيَاءِ فَصَابِرٌ
 فَالْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى حُمَيْدَةَ مُوجِعٌ وَالْدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ وَعَظْمِي^(١) فَاتِرٌ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّنِي قَبْلَ الَّذِي فَعَلْتُ عَلَى مَا عِنْدَ حَمْدَةٍ، قَادِرٌ^(٢)
 حَتَّى بَدَا لِي مِنْ حُمَيْدَةَ خُلَّتِي^(٣) بَيْنَ وَكُنْتُ مِنَ الْفِرَاقِ أَحَاذِرٌ
 [الكامل]

الغناء لمعبد خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[عمر وجواري بني أمية في موسم الحج]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف^(٤) قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبو مسلم المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال : أدركت مولی لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً، فقلت له : حدثني عن عمر بحديث غريب، فقال : نعم ! كنت معه ذات يوم، فاجتاز به نسوة من جواري بني أمية قد حججن، فتعرض لهن وحادثهن وناشدتهن مدة أيام حجهن، ثم قالت له إحداهن : يا أبا الخطاب، إنا خارجات في غد فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرة تكون عندك تذكرنا بها . فسر بذلك ووجهه بي إليهن في السحر، فوجدتهن يركبن، فقلن لعجوز معهن : يا فلانة، ادفعي إلى مولی أبي الخطاب التذكرة التي أتحنفها بها . فأخرجت إليّ صندوقاً لطيفاً مقفلاً مختوماً، فقلن : ادفعه إليه، وارتحلن، فحجته به وأنا أظن أنه قد أودع طيباً

(١) ورد في القصيدة «ودمعي» بدل «وعظمي» .

(٢) هذا البيت لم يرد في الديوان .

(٣) الخِلَالُ أيضاً الْمُخَالَّةُ والمصادقة والخَلِيلُ : الصديق، والأثنى خلية .

(٤) الخفاف : بائع الخفاف .

أو جوهراً. ففتحه عمر، فإذا هو مملوءٌ من المضارب^(١)، «وهي الكيرنجات»^(٢)، وإذا على كل واحد منها اسم رجلٍ من مُجَّان مكة، وفيها اثنان كبيران عظيمان، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أمير مكة، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة. فضحك وقال: تماجن علي ونفذ لهن^(٣)! ثم أصلح مأدبةً، ودعا كل واحد ممن له اسمٌ في تلك المضارب. فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال: هات يا غلام تلك الوديعة، فجئته بالصندوق، ففتحه ودفع إلى الحارث الكيرنج الذي عليه اسمه، فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فزع وقال: ما هذا أخراك الله! فقال له: رويداً، اصبر حتى ترى، ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرّقها فيهم، ثم أخرج الذي باسمه وقال: هذا لي. فقالوا له: ويحك! ما هذا؟ فحدثهم بالخبر فعجبوا منه، وما زالوا يتمازحون بذلك دهرًا طويلاً ويضحكون منه.

[بنات أبصرنه من وراء المضرب]

قال: وحدثني هذا المولى قال: كنت مع عمر وقد أسنَّ وضَعُفَ، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مرَّ بعجوزٍ جالسةٍ، فقال لي: هذه فلانة وكانت إلّفاً لي، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يُحَادِثُهَا، ثم قال: هذه التي أقول فيها:

صوت

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
بِضَاءً حَسَاناً نَوَاعِماً^(٤) قُطُفَاً يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقَرِ
قَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا تُلَاطِفُهَا^(٥) لَتُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عَمَرِ
قَوْمِي تَصْدِي لَهُ لِيَعْرِفُنَا^(٦) ثُمَّ اغْمُزِيهِ يَا أُخْتُ فِي خَفَرِ

(١) المضارب: من ضرب وهي جمع مضرب، ولعلّ المقصود آلة الضرب وهو السِّفَاد، يقال: ضرب الفحل الناقة ضرباً: نزا عليها.

(٢) الكيرنج: كلمة فارسية مركبة من «كير» بمعنى عضو التناسل و«رنك» معناه الشكل واللون.

(٣) نفذ لهن: تم لهن ما أردن.

(٤) ورد في الديوان «خرائد» بدل «نواعماً». والخرائد جميع خريدة هي البكر التي لم تمس قط، أو الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المسترة.

(٥) ورد في الديوان «تحدّثها» بدل «تلاطفها».

(٦) ورد في الديوان «لُبِصَرْنَا» بدل «لِيعْرِفُنَا».

قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ^(١) تَشْتَدُّ^(٢) عَلَى أَثَرِي
 بل يا خليلي عاذني ذكرى بل اعترتني الهموم بالسَّهر^(٣)
 [المنسرح]

الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو .
 وفيها لسنان الكاتب رملٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأبجر خفيف رملٌ
 بالوسطى عنه . وفي :

قَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا تَلَاظِفُهَا

لعبد الله بن العباس خفيف رملٌ بالبنصر عن الهشامي ، وفيه للدلال خفيف ثقيل
 عنه أيضاً . ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأول والثاني ثقيلٌ أول عن الهشامي أيضاً ، ومن
 الناس من ينسب لحنه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .

قال : وجلس معها يحادثها ، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا
 أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عندي ، فإن كنتن تشتهين أن تريه فتعالين . فجئن إلى
 مضربٍ قد حُجزن به دون بابها فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن . فاستسقاها
 عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب أحب إليك ؟ قال : الماء . فأتي بإناء فيه ماء ، فشرب
 منه ، ثم ملأ فمه فمَجَّه عليهن في وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجواري وتهاربن
 وجعلن يضحكن ؛ فقالت له العجوز : ويلك ! لا تدعُ مجونك وسفحك مع هذه السن !
 فقال : لا تلوميني ، فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهن أن فعلت ما رأيت .

[لقاء في الطواف وارتحال إلى العراق]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أحمد بن منصور بن أبي
 العلاء الهمداني قال : حدثني علي بن طريف الأسدي قال : سمعت أبي يقول : بينما
 عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى
 معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبها ؛ فقالت : إن
 هذا لا يصلح ها هنا ، ولكن إن جئتني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك . فلما
 ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْم وقال له : إن لي إليك حاجةً أريد أن تساعدني
 عليها ؛ فقال له : نعم ؛ فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي ، ثم أتى منزله فركب نجيباً له

(١) اسْبَطَرْتُ : اسْبَطَرْتُ فِي سَيْرِهَا : أَسْرَعْتُ وَامْتَدَّتْ .

(٢) تَشْتَدُّ : تَعْدُو وَتَرْكُضُ .

(٣) البيت الأخير ليس من القصيدة .

وأركبه نجيباً «آخر»، وأخذ معه ما يصلحه، وسارا لا يشكُّ السهميُّ في أنه يريد سفر يوم أو يومين، فما زال يحفد^(١) حتى لحق بالرفقة، ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق. فأقام أياماً، ثم راسلها يتنجزها وعدها؛ فأعلمته أنها كانت متزوجةً ابن عم لها وولدت منه أولادها ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوج، وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة؛ وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت؛ فردها عليها ورحل إلى مكة؛ وقال في ذلك قصيدته التي أولها:

صوت

نَامَ صَحْبِي وَلَمْ أَنَمْ مِّنْ خِيَالٍ بِنَا أَلَمْ
طَافَ بِالرَّكَبِ مَوْهِنًا بَيْنَ خَاخٍ إِلَى إِضْمٍ^(٢)
ثُمَّ نَبَّهْتُ صَاحِبًا طَيِّبَ الْخِيَمِ^(٣) وَالشَّيْمِ
أَرِيحِيًّا مُسَاعِدًا غَيْرَ نَكْسٍ^(٤) وَلَا بَرِمٍ^(٥)
قُلْتُ يَا بَكْرُ شَفَّنِي لَاعِجُ الْحُبِّ وَالْأَلَمْ
إِنِّي هِنْدًا فَقُلْ لَهَا لَيْلَةَ الْخَيْفِ ذِي سَلَمٍ^(٦)

[مجزوء الرجز]

الغناء لمالك خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه

- (١) حفد: الحاء والفاء والدال أصل يدلُّ على الحِفَّة في العمل، والتجَمُّع. فالحفدة: الأعوان، لأنه يجتمع فيهم التجمُّع والتخفُّف، واحدٌ حافد؛ والسُرعة إلى الطاعة حَفْدٌ.
- (٢) إِضْمٌ: بالكسر ثم الفتح، وميم، ذو إِضْمٍ: ماء يَطْوُهُ الطريق بين مكة واليمامة عند السُّمَيْنَةِ؛ وقيل: ذو إِضْمٍ جَوْفٌ هناك به ماء وأماكن يُقالُ لها الحناضل، وله ذكر في سرايا النبي، صلى الله عليه وسلم؛ وقال السيد عليّ: إِضْمٌ وإِيجال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، وَيُسَمَّى من عند المدينة القنّاة، ومن أعلى منها عند السَّدِّ يسمَّى الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمَّى إِضْمًا إلى البحر.
- (٣) خيم: الخاء والياء والميم أصلٌ واحد يدلُّ على الإقامة والثبات، وهو الطبيعة والسجية.
- (٤) نكس: النون والكاف والسين أصلٌ يدلُّ على قَلْب الشَّيْء. منه النَّكْسُ: قَلْبُكَ شيئاً على رأسه، والولاد المنكوس: أن يخرج رجلاه قَبْلَ رأسه؛ والنَّكْسُ: السَّهْم الذي ينكسر فَوْقَهُ، فيجعلُ أعلاه أسفلهُ، ويقال للمائق: إِنَّهُ لِنَكْسٍ، تشبيهاً بذلك، والمُنْكَس من الخيل: الذي إذا جرى لم يَسْمُ برأسه ولا هاديه، من ضَعْفه.
- (٥) البرم: الذي لا نفع فيه.
- (٦) في الديوان «ليلة الحلف بالسلم».

لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل من رواية عمرو بن بانه، وذكر حبش أن لحن عبد الله بن العباس رمل آخر عن الهشامي .

[شهادة جرير في شعر عمر]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان جريراً إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : شعرٌ تهاميٌّ إذا أنجد وجد البرد، حتى أنشد قوله :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ
[الطويل]

. . . الأبيات . فقال : ما زال هذا يهذي حتى قال الشعر .

[حنين إلى الغزل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عمي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال : أخبرني العتبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال : أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم، فانتظرت حتى تفرق القوم، ثم دنوت منه ومعني صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل، فننظر هل بقي في نفسه منه شيءٌ . فقال له صاحبي : يا أبا الخطاب، أكرمك الله ! لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه، ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول :

لَوْ جُدَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَرَّ يَهْوِي سَرِيعاً نَحْوَهَا رَأْسِي
[البسيط]

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاه ! لقد أجاد وأحسن ! فقلت : ولله درُّ جُنادة العذري ! فقال عمر حيث يقول : ماذا ويحك ؟ فقلت : حيث يقول :

سَرَتْ لَعِينُكَ سَلْمَى بَعْدَ مَغْفَاها فَبْتُ مُسْتَنْبَهَا^(١) مِنْ بَعْدِ مَسْرَاهَا
وَقَلْتُ أَهْلاً وَسَهْلاً مِنْ هَذَاكَ لَنَا إِنْ كُنْتُ تَمْثَالُهَا أَوْ كُنْتُ إِيَاهَا
مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلَدَتِهَا نَاعَ فَيَنْعَاهَا
كَيْمَا أَقُولُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُضْمِرُ النَّفْسُ يَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

(١) نيه : النون والباء والهاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ارتفاعٍ وسموٍّ؛ ومنه التَّيَّه والانتباه، وهو اليَقَظَة والارتفاع من النَّوم، ويقال : استنبه من النوم : استيقظ .

وَلَوْ تَمَوْتُ لَرَاعَتْنِي وَقُلْتُ لَهَا يَا بُؤْسَ لِلْمَوْتِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا^(١)

[البسيط]

قال: فضحك عمر ثم قال: وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقي! ولقد هيَّجتما عليَّ ساكنًا، وذكَرْتُما نِي ما كان عني غائبًا، ولأحدثتُكما حديثًا حلواً:

[قصته مع هند بنت الحارث المريّة]

بيننا أنا منذ أعوام جالسٌ، إذ أتاني خالدُ الخريّت، فقال لي: يا أبا الخطاب، مرّت بي أربع نسوةٍ قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أرَ مثلهنّ في بدوٍ ولا حضر، فيهن هند بنت الحارث المريّة، فهل لك أن تأتيهنّ مُتَنَكِّراً فتسمع من حديثهنّ وتتمتع بالنظر إليهن ولا يعلمن من أنت؟ فقلت له: ويحك! وكيف لي أن أخفي نفسي؟ قال: تلبسْ لبسةً أعرابي ثم تجلس على قعودٍ «ثم اتتهنّ فسلم عليهن»، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهنّ. ففعلت ما قال، وجلست على قعودٍ، ثم أتيتهنّ فسلمت عليهنّ ثم وقفتُ بقربهنّ. فسألنني أن أنشدهنّ وأحدثهنّ، فأنشدتهنّ لكثير وجميل والأحوص ونُصيبٍ وغيرهم. فقلن لي: ويحك يا أعرابي! ما أملحك وأظرفك! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا! فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله، قال: فأنختُ بعيري ثم تحدثت معهنّ وأنشدتهنّ، فسررن بي وجذلن بقربي وأعجبهنّ حديثي. قال: ثم إنهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض: كأنّا نعرف هذا الأعرابي! ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة! فقالت إحداهن: فهو والله عمر! فمدت هندُ يدها فانزعجت عمامتي فألقيتها عن رأسي ثم قالت لي: هيه يا عمر! أترأى خدعتنا منذ اليوم! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالدٍ، فأرسلناه إليك لتأتينا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى؛ قال عمرُ: ثم أخذنا في الحديث، فقالت هند: ويحك يا عمر! اسمع مني، لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي، فأدخلت رأسي في جيبِي، فنظرت إلى حري فإذا هو ملء الكف ومُنيّة المِتمني، فناديتُ يا عمراه يا عمراه! قال عمر: فصحت يا لبيكاه يا لبيكاه! ثلاثاً ومددْتُ في الثالثة صوتي، فضحكت. وحادثتهن ساعةً، ثم ودعتهن وانصرفتُ. فذلك قولِي:

(١) الأبيات الثلاثة الأخيرة لبشار بن برد، بَشَّار بن بُرد أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون، ونسبته إلى امرأة عقيلية. قيل: إنها اعتقته من الرق. كان ضريباً. نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في ديوان. اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة سنة ١٦٧هـ.

صوت

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا
إِلَى السَّفْحِ^(١) مِنْ وَادِي الْمُعَمَّسِ^(٢) بُدِّلَتْ
لِهِنْدٍ وَأَتْرَابٍ لِهِنْدٍ إِذِ الْهَوَى
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ
وَإِذْ لَا تُطِيعُ الْكَاشِحِينَ^(٤) وَلَا نَرَى
بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلَقَعَا
مَعَالِمُهُ وَبَلَاءً وَتَكْبَاءَ زَعَزَعَا
جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
كَمَا صَفَّقَ^(٣) السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
لِوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرَمَ مَوْضِعَا^(٥)
[الطويل]

الغناء للغريض ثاني ثقیل بالوسطی عن الهشامي، ومن نسخة عمرو الثانية. وفيه لابن جامع وابن عبادٍ لحنان من كتاب إبراهيم. وفيها يقول - وفيه غناء - :

صوت

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ
تَبَالِهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي
وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَيِّمٍ
وُجُوهُ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٌ أَكَلَّ^(٦) وَأَوْضَعَا^(٧)
يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعَا
[الطويل]

الغناء لابن عبادٍ رملٌ عن الهشامي. وفيه لابن جامع لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مجنس. [هذه الأبيات مقرونة بالأولى، والصنعة في جميعها مختلفة، يغني المغنون بعض هذه وبعض تلك ويخلطونها، والصنعة لمن قدمت ذكره]^(٨). وهي قصيدة طويلة، ذكرت منها ما فيه صنعة.

ومما قاله في هند هذه وغني فيه قوله:

- (١) في الديوان «الشري» بدل «السفح».
- (٢) الْمُعَمَّسُ: بالضم ثم الفتح، وتشديد الميم وفتحها، اسم مفعول من غَمَسْتُ الشيء في الماء إذا غَبَيْتَهُ فيه: موضع قرب مكة في طريق الطائف، مات فيه أبو رِغَال وقبره يرجم لأنه كان دليل صاحب الفيل، فمات هناك.
- (٣) صَفَّقَ: وهو الماء يُصَبُّ على الأديم الجديد فيخرج مُصْفَرًّا؛ ومن الباب أيضًا: الشَّرَابُ المَصْفَقُ، وهو أن يُحوَّلَ من إِنْاءٍ إلى إِنْاء، كأنه صَفَّقَ الْإِنْاءَ إذا لاقاه وَصَفَّقَ بِهِ الْإِنْاءَ.
- (٤) في الديوان «العاذلين» بدل «الكاشحين».
- (٥) في الديوان «مطمعا» بدل «موضعا».
- (٦) أَكَلَّ: أَعْيَا وَأَتَعَبَ.
- (٧) أَوْضَعَ: أَسْرَعَ فِي سِيرِهِ.
- (٨) هذه العبارة لم ترد في جميع النسخ.

صوت

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْخَلْقَ^(١) بُرْقَةً ذِي ضَالٍ^(٢) فَيُخْبِرَ إِنْ نَطَقَ؟
ذَكَرْتُ بِهِ هِنْدًا وَظِلْتُ كَأَنَّنِي أَخُو نَسْوَةٍ لَاقَى الْحَوَانِيثَ^(٣) فَاعْتَبَقَ^(٤)
[الطويل]

الغناء لعطرٍ ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى
البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبدٍ ثَقِيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وذكر حبشٌ أن فيه
للغريض ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى. ومنها:

صوت

أَصْبَحَ الْقَلْبُ مَهِيضًا^(٥) رَاجَعَ الْحُبَّ غَرِيضًا^(٦)
وَأَجَدَّ^(٧) الشُّوقَ وَهَنًا^(٨) إِنْ رَأَى بَرْقًا^(٩) وَمِيضًا^(١٠)
ثُمَّ بَاتَ الرِّكَبُ نُوًا ذَاكَ مِنْ هِنْدٍ قَدِيمًا
وَدَعَّ الْقَلْبَ مَهِيضًا وَاضِحَ اللَّوْنِ نَحِيضًا^(١١)

(١) الخلق: القديم، يقال: ثوب خلق أي ثوب قديم.

(٢) ورد في الديوان «أعواء» بدل «ذي ضال». وبرقة ذي ضال: هضبة ذات رمل في ديار
عدرة.

(٣) الحوانيت: جمع حانوت، وهو مكان بيع الخمر.

(٤) اعتبق: غبق: الغَبُّ والتَّعَبُّ والاعْتِبَاقُ: شرب العشي. والغَبُوق: الشرب بالعشي.

(٥) ورد «مريضاً» بدل «مهيضاً» والمهيض: من عاوده المرض مرة بعد أخرى.

(٦) الغريض: الغصن الفتى.

(٧) أجد: جدد.

(٨) وهن: الوهن: الضعف في العمل والأمر، وكذلك في العظم ونحوه. والوهن: نحو من نصف
الليل.

(٩) في الديوان «وجهاً» بدل «برقا».

(١٠) ومض ومض: ومض البرق لمع لمعاً خفياً ولم يعترض في نواحي الغيم وبابه وعد، وميضاً أيضاً
وومضاً بفتح الميم، وكذا أومض.

(١١) نحض: النون والحاء والضاد كلمة واحدة، وهي اللحم. يقال لِلْحَمِّ نَحْضٌ، وامرأةٌ نَحِيضَةٌ: كثيرة
اللحم، فإذا ذَهَبَ لحمها فَمِنْحَوْضَةٌ، من قولهم: نَحَضْتُ الْعَظْمَ: أَخَذْتُ ما عليه من لحم؛
ويقولون: نَحَضْتُ السِّنَانَ: رَفَقْتَهُ، كأنك لما رَفَقْتَهُ أَخَذْتَ عنه نَحْضَهُ.

وَعَذَابٌ^(١) الطَّعْمِ غُرًّا كَأَقْحَاحِي^(٢) الرَّمْلِ بِيضًا

[مجزوء الرمل]

الغناء لابن محرزٍ خفيفٍ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر. وفيه لحكم هزجٍ بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه يمانٍ. ومن الناس من ينسب لحن ابن محرزٍ إلى ابن مسجح. ومنها:

صوت

أَرَبْتُ^(٣) إِلَى هِنْدٍ وَتَرْبَيْنَ مَرَّةً
لِتَعْرِيجِ يَوْمٍ أَوْ لِتَعْرِيسِ^(٤) لَيْلَةٍ
فَقُلْنَ لَهَا: لَوْلَا ارْتِقَابُ صَحَابَةٍ
فَقَالَتْ فَتَاةٌ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهَا
لَهْنٌ وَمَا شَاوَرْنَهَا لَيْسَ مَا أَرَى
فَقُلْنَ لَهَا لَا شَبَّ قَرْنُكَ فَافْتَحِي

لَهَا إِذْ تَوَافَقْنَا بِفِرْعَ^(٥) الْمُقَطَّعِ
عَلَيْنَا بِجَمْعِ الشَّمْلِ قَبْلَ التَّصَدُّعِ
لَنَا خَلَفْنَا عُنَا وَلَمْ نَتَوَرَّعِ
مُعَمَّلَةً فِي مِئْزَرٍ لَمْ تُدْرِعِ^(٦)
بِحُسْنِ جَزَاءٍ لِلْحَبِيبِ^(٧) الْمُودِعِ
لَنَا بَابَ مَا يَخْفَى مِنَ الْأَمْرِ نَسْمَعِ
[الطويل]

وهي أبياتٌ. الغناء للغريض ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر ابن المكي أنه لابن سريج. ومنها:

(١) عذاب: الأسنان.
(٢) الأقحاحي: الأفحوان، وهي في التقدير أفعلان من نبات الربيع مُفْرَضُ الورق دقيق العيدان له نور أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن. الأزهري: الأفحوان هو القُرَاصُ عند العرب، وهو البايونج والبابونك عند الفرس. وفي حديث قس بن ساعدة: بَوَاسِقُ أَفْحَوَانٍ؛ الأفحوان: نبت تشبه به الأسنان ووزنه أفعلان، والهمزة والنون زائدتان. ابن سيده: الأفحوان البايونج أو القُرَاصُ، واحدته أفحوانة، ويجمع على أقحاح، وقد حكى فُحْوَانٌ ولم ير إلا في شعر، ولعله على الضرورة كقولهم في حد الاضطرار سامة في أسامة. قال الجوهري: وهو نبت طيب الريح حوالیه ورق أبيض ووسطه أصفر.

(٣) أرب: يقال أرب كُلف به؛ وأرب إلى كذا: احتاج إليه.
(٤) في الديوان «بقرن» بدل «بفرع».
(٥) التّعريس: نُزول القوم في سفرٍ من آخر الليل، يقفون وَفْقَهُ ثم يرتحلون؛ قلنا في هذا: وإنْ خَفَّ نزولُهم فهو محمولٌ على القياس الذي ذكرناه، لأنهم لا بدَّ (لهم) من المقام.
(٦) تدرع: تلبس الدرع، يقال: درعت الصبية إذا لبست الدرع. والدرع: جبة مشقوقة المقدم.
(٧) في الديوان «للكریم» بدل «للحبیب».

صوت

لِمَا أَلَمَّتْ بِأَصْحَابِي وَقَدْ هَجَعُوا
فَقُلْتُ مَنْ ذَا الْمُحْيِي وَانْتَبَهْتُ لَهُ
أَلَا انزِلُوا نِعِمَّتْ دَارٌ بِقُرْبِكُمْ
فَبَدَّلَ الرَّبْعُ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ
حَسِبْتُ وَسَطَ رِجَالِ الْقَوْمِ عَظَارَا
وَمَنْ مُحَدِّثُنَا هَذَا الَّذِي زَارَا؟
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكُمْ مِنْ زَائِرِ زَارَا
عُفْرٌ^(١) الظَّبَاءُ بِهِ يَمْشِينَ أَسْطَارَا^(٢)

[البسيط]

الغناء لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ليونس
خفيف ثقيل . وفيه لأبي فارة هزجٌ بالبنصر . وأول هذه القصيدة التي فيها ذكر هند
قوله :

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخِيرِ الدَّارَا
وَقَدْ أَرَى مَرَّةً سِرْبًا بِهِ حَسَنًا
فِيهِنَّ هِنْدٌ وَهِنْدٌ لَا شَبِيهَ لَهَا
قَالَتْ لَوْ أَنَّ أَبَا الْخَطَّابِ وَافَقْنَا^(٦)
فَلَمْ يَرْعُهُنَّ إِلَّا الْعَيْسُ طَالِعَةً
وَفَارِسٌ يَحْمِلُ الْبَازِي فَقُلْنَ لَهَا
لَمَّا وَقَفْنَا وَعَتْنَا^(٩) رَكَائِبَنَا
أَقَوْتُ فَهَاجَتْ لَنَا بِالنَّعْفِ^(٣) تَذَكَارَا
مِثْلَ الْجَاذِرِ لَمْ يُمَسَّسْنَ أَبْكَارَا^(٤)
فِيَمَنْ أَقَامَ مِنَ الْأَحْيَاءِ^(٥) أَوْ سَارَا
فَلَهُوَ الْيَوْمَ أَوْ نُنْشِدَ أَشْعَارَا
بِالْقَوْمِ يَحْمِلْنَ زُكْبَانًا وَأَكْوَارَا^(٧)
هَاهُمْ أَوْلَاءُ وَمَا أَكْثَرْنَ إِكْثَارَا^(٨)
بَدَلْنَ بِالْعَرَفِ بَعْدَ الرَّجْعِ^(١٠) إِنْكَارَا

[البسيط]

ومنها :

- (١) في الديوان «أدم» بدل «عُفر» . يقال : ظبي أعفر وظبية عفراء وهي التي يعلو بياضها حمرة .
- (٢) الأسطار : جمع سطر وهو الصف من كل شيء .
- (٣) النعف : موضع بين الدوداء والمدينة .
- (٤) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي : «مِثْلَ الْجَاذِرِ أَثْيَابًا وَأَبْكَارَا» .
- (٥) في الديوان «الجيران» بدل «الأحياء» .
- (٦) وافقنا : صادفنا ، يقال : وافقت فلاناً في موضع كذا أي صادفته .
- (٧) العجز في الديوان على الشكل التالي «يَحْمِلْنَ بِالنَّعْفِ زُكْبَاءً وَأَكْوَارَا» .
- (٨) هذا البيت يشير إلى الخروج للصيد .
- (٩) عتن الفرس : حبسه بعنانه .
- (١٠) هذان البيتان لم يردا في الكتاب ، ولكن المعنى يتوقف عليهما . والرجع : ترديد النظر .

صوت

أَلَمْ تَرَبْعَ^(١) عَلَى الطَّلَلِ
لِيَهْنِدَ إِنَّ هِنْدًا حُبَّ
[فَلَمَّا أَنْ عَرَفْتُ الدَا
وَقُلْتُ لِصُحْبَتِي عَوْجُوا
وَقَالُوا قِفْ وَلَا تَعَجَلِ
قَلِيلٌ فِي هَوَاكَ الْيَوْمِ
وَمَغْنَى الْحَيِّ كَالْخَلَلِ^(٢)
بُهَا قَدْ كَانَ مِنْ شُعْلِي
رُعَجْتُ لِرَسْمِهَا جَمَلِي
فَعَاجُوا هَزَّةَ الْإِبِلِ^(٣)
وَإِنْ كُنَّا عَلَى عَجَلِ
مَ مَا نَلْقَى مِنَ الْعَمَلِ
[مجزوء الوافر]

الغناء لابن سريج ثاني ثقیل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه [له]
أيضاً رمل عن الهشامي وحبش ومنها:

صوت

هَاجَ ذَا الْقَلْبَ مَنْزِلُ
عَيَّرَتْ آيَهُ الصَّبَا^(٤)
إِنَّ هِنْدًا قَدْ أَرْسَلَتْ
أَرْسَلَتْ تَسْتَحِثُّنِي
أَيُّنَابَاتٍ لِيْلَهُ
تَحْتَ عَيْنٍ، يَكُونُنَا
بِالْبُلْبُلِيِّينَ مُحُولُ
وَجَنَنُوبٌ وَشَمَالُ
وَأَخْوَالُ الشُّوقِ مُرْسِلُ
وَتُفْقَدِي وَتَعْعُدُ
بَيْنَ عُصْنَيْنِ يُوبَلُ^(٥)
بُرْدُ عَصَبٍ مُهْلَهْلُ^(٦)
[مجزوء الخفيف]

(١) تربع: وقف عليه محتبساً نفسه.

(٢) الخلل: جمع خلة وهي بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره.

(٣) زيادة من الديوان لإتمام المعنى.

(٤) الصبا: ريحٌ تستقبل القبلة، وصَبَتْ تَصْبُو على معنى أنها تَجَنُّ إلى البيت لاستقبالها إيَّاه. وهي ريح تأتي من المشرق إلى المغرب تجيء بالسحاب والمطر، وفيها الخصب، وهي تسمى اليمانية.

(٥) يوبل: تمطر وابلًا غزيرًا.

(٦) هذه القصيدة طرأ عليها الكثير من التعديلات، لذلك نعرضها كما وردت في الديوان:

هَاجَ ذَا الْقَلْبَ مَنْزِلُ
طَيِّبُ النَّشْرِ وَاضِحُ
دَارِسُ الْآيِ مُحُولُ
أَحْوَرُ الْعَيْنِ أَكْحَلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى البنصر . ذكر إسحاق أنه لمالك ، وذكر عمرو أنه لابن محرز . وذكر يونس أن فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخه الثانية : إنه لابن زرزور^(١) الطائفي خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، وروت مثل ذلك دنائير عن فليح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعة ورواية الهشامي . وفيه لحكم هزجٌ بالخنصر والبنصر عن ابن المكي . وفيه للحجبي رملٌ عن الهشامي . وفيه ثقيلٌ أول نسبه ابن المكي إلى ابن محرز ، وذكر الهشامي أنه منحول . وفيه خفيف رمل ذكر الهشامي أنه لحن ابن محرز . ومنها :

صوت

عَيْنِي بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ؟
وَتَبَدَّلْتُ أَعْلَامُهَا بَعْدِي
ذَاتَ الْعِشَاءِ بِمَهْطِ^(٢) النَّجْدِ
فَرَدَدْتُ^(٣) مَعْتَبَةً عَلَى هِنْدِ
[الكامل]

يَا صَاحَ هَلْ تَدْرِي وَقَدْ جَمَدَتْ
لَمَّا رَأَيْتُ دِيَارَهَا دَرَسَتْ
وَذَكَرْتُ مَجْلِسَهَا وَمَجْلِسَنَا
وَرِسَالَةَ مِنْهَا تُعَاتِبُنِي

فَلَمَّا كَانَ يُؤْهِلُ
فِيهِ نَلْهُو وَتَجْدُلُ
ذَاكَ وَالْوُدُّ يُبْـبِلُ
أَمْ يَعْـلَى مُوَكَّلُ
لِيهِ تُلْحَى وَتَعْدُلُ
قَوْلُ وَاشٍ يُحْمَلُ
وَأَخُو الْوُدِّ مُرْسَلُ
عَلَّ أَسْمَاءُ تَقْبَلُ
تُ مِنْ الْقَوْلِ تَهْلَلُ
نَبُّ إِنَّا سَنَفْعَلُ
غَيْرَ أَنِّي أَعْلَلُ
وَيُنَادِي وَيَبْلِلُ
قُلْتُ إِرْبَعُ سَأَفْعَلُ

=
فَلَمَّا كَانَ أَهْلُهُ
قَدْ أَرَانَا بِغَبْطَةٍ
بِجَوَارٍ خَرَائِدِ
إِذْ فُؤَادِي بِزَيْنَبِ
وَهِيَ فِينَا فَلَا تُبَا
قَبْلَ أَنْ يَسْتَفِرَّهَا
حِينَ أَرْسَلْتُ تَهْلَلَا
بِاعْتِذَارٍ مِنْ سُخْطِهَا
فَأَتْتَنِي بِمَا هَوِي
حِينَ قَالَتْ تَقُولُ زَيْ
أَنَا مِنْ ذَاكَ آيِسُ
وَأَخَّ يَسْتَجِئُنِي
كُلَّمَا قَالَ لِي انْطَلِقْ

(٢) في الديوان «بمسقط» بدل «بمهبط» .

(١) وتروى في بعض النسخ «زرزور» .

(٣) في الديوان «فازددت» بدل «فرددت» .

الغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى . وفيه لغيره ألحان آخر . ومنها :

صوت

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ^(١)
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُ
وَلَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتٍ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبْتَرِدُ
[الرمل]

ويروى :

زَعَمُوها سَأَلَتْ جَارَاتِها
أَكَمَا يَنْعَثُنِي تُبْصِرْنِي عَمَرُكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ؟
فَتَهَانَفْنَ^(٢) وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُ
حَسَدًا حُمِلَتْهُ مِنْ أَجْلِها وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ
[الرمل]

الغناء لابن سريج رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونس غير مجنس . وفيه لابن سريج خفيف رملٌ بالبنصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيلٍ يقال إنه لحنٌ لمالكٍ ، ويقال إنه لمّيم . ومنها :

صوت

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكْرُ لَمَّا غَدَوْا فَأَنْشَمُوا^(٣)
عَلَى بَغَالٍ شَحَّجٍ^(٤) قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْدٌ لَيْتَنِي مَا عُمِّرَتْ أَعْمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا حَتْفٌ أَتَانِي الْقَدْرُ^(٥)
[مجزوء الرجز]

(١) تجد من وجد ، وهو الحب الشديد . كما يأتي بمعنى الحزن .

(٢) تهانف كالإهناف والمهانفة : ضحك فيه فتور كضحك المستهزئ .

(٣) في الديوان «فابتكروا» بدل «فانشمروا» .

(٤) في الديوان «وسج» بدل «شحج» . شحج : جمع شاحج ، والشاحج : صوت البغل . ووسج الإبل : إسراعها .

(٥) هذه الأبيات من قصيدتين مختلفتين .

لابن سريج فيه لحنان: رملٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف رملٍ عن الهشامي. ومنها:

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ دَنْفٍ مُغْرَمٍ هَامٌ^(١) إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلِمِ
هَامٌ إِلَى رِيمٍ هَضِيمِ الْحَشَا عَذِبِ الثَّنَا يَا طَيِّبِ الْمَبْسِمِ
لَمْ أَحْسَبِ الشَّمْسَ بَلِيلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمٍ
قَالَتْ أَلَا إِنَّكَ ذُو مَلَّةٍ يَصْرُفُكَ الْأَدْنَى عَنِ الْأَقْدَمِ^(٢)
قُلْتُ لَهَا بَلْ أَنْتِ مُعْتَلَّةٌ فِي الْوَصْلِ يَا هِنْدُ لِكَي تَصْرُمِي

[السريع]

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لبيد^(٣) لحنٌ قديمٌ. وقيل: إن فيه رملًا آخر لعمارة مولاة عبد الله بن جعفر. ومنها:

صوت

تَصَابِي وَمَا بَعْضُ التَّصَابِي بِطَائِلِ وَعَاوَدَ مِنْ هِنْدٍ جَوَى غَيْرِ زَائِلِ
عَشِيَّةً قَالَتْ صَدَّعَتْ غُرْبَةَ النَّوَى^(٤) فَمَا مِنْ تَلَاقٍ قَدْ أَرَى دُونَ قَابِلِ
وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ مَجْلِسًا لَنَا مَرَّةً مِنْهَا بِقَرْنِ الْمَنَازِلِ^(٥)
بِخَلَّةٍ بَيْنَ النَّخْلَتَيْنِ^(٦) يَكُنُّنَا مِنَ الْعَيْنِ خَوْفَ الْعَيْنِ بُرْدَ الْمَرَا جِلِ

[الطويل]

الغناء للغريض ثقیلاً أول بالبنصر عن عمرو. وفيه للعماني خفيف ثقیل عن دنانير والهشامي. ومنها:

(١) هام: تحمل معنى أحب وصبا.

(٢) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:

«إِنْ لَمْ تَحُلْ أَوْ تَكُ ذَا مَيْلَةٍ يَصْرُفُكَ الْأَدْنَى عَنِ الْأَقْدَمِ»

(٣) وتروى لابن سريج ولشريح.

(٤) قال أهل اللغة: النَّوَى: التَّحَوُّلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، وَيُقَالُ: الْبَعْدُ.

(٥) الْمَنَازِلُ: بِالْفَتْحِ، جَمْعُ مَنْزِلٍ، قَرْنُ الْمَنَازِلِ: جُبَيْلٌ قَرِبَ مَكَّةَ يَحْرَمُ مِنْهُ حَاجٌّ نَجْدَ.

(٦) نَخْلَتَانِ: تَنْثِيَّةُ نَخْلَةٍ، قَالَ السَّكْرِيُّ: عَنْ يَمِينِ بُسْتَانَ ابْنِ عَامِرٍ وَشِمَالِهِ نَخْلَتَانِ يُقَالُ لَهُمَا النَخْلَةُ الْيَمَانِيَّةُ وَالنَخْلَةُ الشَّامِيَّةُ.

صوت

لَجَّ قَلْبِي فِي التَّصَابِي
وَدَعَانِي لِهُوَى هُنْدٍ
قُلْتُ لَمَّا فَاضَتْ الْعَيْدُ
إِنْ جَفَّتْنِي الْيَوْمَ هُنْدُ
فَسَبِيلُ النَّاسِ طُرًّا
وَازْدَهَى عَنِّي شَبَابِي
دُفُؤًا دَغِيْرُنَابِ
نَانَ دَمْعًا ذَا انْسِكَابِ
بَعْدَ وُدٍّ وَاقْتِرَابِ
لِفِنْنَاءٍ وَدَهَابِ
[مجزوء الرمل]

الغناء لأهل مكة رملٌ بالوسطى .

[قصته مع فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو علي الأسدي - وهو بشر بن موسى بن صالح - قال: حدثني أبي موسى بن صالح عن أبي بكر القرشي قال: كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمنى في فناء مضربه وغلماؤه حوله، إذ أقبلت امرأة برزة^(١) عليها أثر النعمة فسلمت، فرد عليها عمر السلام، فقالت له: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو، فما حاجتك؟ قالت له: حياك الله وقربك^(٢)! هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً، وأتمهم خلقاً، وأكملهم أدباً، وأشرفهم حسباً؟ قال: ما أحب إلي ذلك! قالت: على شرط. قال: قلبي. قالت: ثمكني من عينيك حتى أشدهما^(٣) وأقودك، حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد حللت الشد، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك. قال: شأنك، ففعلت ذلك به؛ قال عمر: فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أرادت كشفت عن وجهي، فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قط جمالاً وكمالاً، فسلمت وجلست، فقالت: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر، قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك جعلني الله فداك؟ قالت: أأنت القائل:

(١) برزة: يقال امرأة برزة، أي البارزة الجمال أو التي تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون معها.

(٢) المقصود بقرب الله من عبده حضور نعمته وإحسانه إليه.

(٣) في بعض النسخ: فأشدهما.

صوت

قَالَتْ وَعَيْشِ أَخِي وَحُرْمَةِ وَالدي^(١) لَأَنْبَهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمتْ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ^(٢)
فَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْلَمَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجِ^(٣)
فَلَثَمْتُ^(٤) فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرِبَ التَّزْيِيفِ^(٥) بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(٦)
[الكامل]

- الغناء لمعبد ثقیل أول بالبنصر عن يونس وعمر - .

ثم قالت: قم فاخرج عني، ثم قامت من مجلسها وجاءت المرأة فشدت عيني، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي، وانصرفت وتركنتني؛ فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم. وبت ليلتي، فلما أصبحت إذا أنا بها، فقالت: هل لك في العود؟ فقلت: شأئك، ففعلت بي مثل فعلها بالأمس، حتى انتهت بي إلى الموضع. فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي. فقالت: إيه^(٨) يا فضاح الحرائر! قلت: بماذا جعلني الله فداك؟ قالت: بقولك:

صوت

وَنَاهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ قُلْتُ لَهَا أَتَكِي عَلَى الرَّمْلِ مِنْ جَبَانَةٍ^(٩) لَمْ تُوسَدِ

(١) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي: «قَالَتْ وَعَيْشِ أَبِي وَحُرْمَةِ إِخْوَتِي».

(٢) لم تخرج: لم تضق ولم تكن جادة في حلفها فلا تأثم.

(٣) شنج: الشين والنون والميم كلمة واحدة، وهو الشنج، وهو التقبض في جلد وغيره. والمشنج: المنقبض.

(٤) لثم: اللام والثاء والميم أصيل يدل على مُصَاكَّةِ شَيْءٍ لَشَيْءٍ أو مُضَامَّةٍ لَهُ، وهي بمعنى قبل.

(٥) نزع: النون والزاي والفاء أصل يدل على نَفَادِ شَيْءٍ وَانْقِطَاعِ. وَنُزِفَ دَمُهُ: خَرَجَ كُلُّهُ، وَالسَّكْرَانُ

نَزِيفٌ، أَيْ نُزِفَ عَقْلُهُ، وَالتَّزْفُ: نَزَحَ الْمَاءُ مِنَ الْبُتْرِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَأَنْزَفُوا: ذَهَبَ مَاءُ بُتْرِهِمْ،

وَأَنْزَفُوا: انْقَطَعَ شَرَابُهُمْ، وَنُزِفَ الرَّجُلُ فِي الْخُصُومَةِ: انْقَطَعَتْ حِجَّتُهُ.

(٦) الْحَشْرِجُ: جَسِيٌّ يَكُونُ فِيهِ حَصَى، وَالْكُورُ الرَّقِيقُ الْحَارِيُّ، وَالتُّفْرَةُ فِي الْجَبَلِ يَصْفُو فِيهَا الْمَاءُ،

وَعَلَمٌ، وَكَذَازُ الْأَرْضِ، الْوَاحِدَةُ بِهَاءٍ. وَالْحَشْرِجَةُ: الْغَرُغْرَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَتَرْدُّدُ النَّفْسِ، وَتَرْدُّدُ

صَوْتِ الْجِمَارِ فِي حَلْقِهِ.

(٧) نسبت هذه الأبيات إلى جميل بن معمر العذري.

(٨) كلمة استزادة واستنطاق، وهي مبنية على الكسر وقد تنون، تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل.

(٩) الجبانة ومثله الجبان: الصحراء، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون بها، وقد رويت: ولم تمهد،

ومعناها: لم تذلل ولم تصلح، ولم تسوّ.

فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كُلفْتُ مَا لَمْ أَعُوذِ
فَلَمَّا دَنَا الإِصْبَاحُ قَالَتْ فَضَحْتَنِي فَقُم، غَيْرَ مَطْرُودٍ، وَإِنْ شِئْتُ فَازْدِدِ
[الطويل]

- الغناء لأهل مكة ثقیلاً أول عن الهشامي - ثم قالت: قم فاخرج عني، فقامت فخرجت ثم رددت، فقالت لي: لولا وشك الرحيل، وخوف الفوت، ومحبتني لمناجاتك والاستكثار من محادثتك، لأقصيتك؛ هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني، فكلمت آدب الناس وأعلمهم بكل شيء. ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت، فأخذت أنظر، فإذا أنا بتور^(١) فيه خلوق^(٢)، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في رُدني^(٣)، وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تقودني، حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب، ثم صرت إلى مضربي، فدعوت غلماني فقلت: أيكم يقفني على باب مضرب عليه خلوق، كأنه أثر كف فهو حرٌّ وله خمسمائة درهم. فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال: قم، فنهضت معه، فإذا أنا بالكف طرية، وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، فأخذت في أهبة الرحيل، فلما نَفَرَتْ نَفَرْتُ معها، فبصرت في طريقها بقبابٍ ومضربٍ وهيئة جميلة، فسألت عن ذلك، فقليل لها: هذا عمر بن أبي ربيعة، فسأها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه: قل لي له نشدتك الله والرحم أن تصحبني، ويحك! ما شأنك وما الذي تريد؟ انصرف ولا تفضحني وتشيط^(٤) بدمك، فسارت العجوز فأدت إليه ما قالت لها فاطمة، فقال: لست بمنصرفٍ أو توجه إلي بقميصها الذي يلي جلدها، فأخبرتها ففعلت ووجهت إليه بقميص من ثيابها، فزاده ذلك شغفاً. ولم يزل يتبعهم لا يخالطهم، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك:

ضَاقَ الْعَدَاةَ بِحَاجَتِي صَدْرِي وَيَسْتُ بَعْدَ تَقَارُبِ الْأَمْرِ
وَذَكَرْتُ فَاطِمَةَ الَّتِي عُلِّقْتُ عَرَضاً فَيَا لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ!
[الكامل]

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه قوله:

(١) التَّورُ: الجريان، والرَّسُولُ بين القَوْمِ، وإناء يُشْرَبُ فيه.

(٢) خلوق: نوع من الطيب.

(٣) الردن: الكم.

(٤) أَشَاطَهُ وَشَيْطَهُ، وشَاطَتِ الْقِدْرُ شَيْطاً: احترقت، وقيل: احترقت وَلَصِقَ بها الشيء، وَأَشَاطَهَا هو وَأَشْطَطَهَا إِشَاطَةً؛ ومنه قولهم: شَاطَ دُمُ فُلَانٍ أَي ذَهَبَ، وَأَشْطَطَ بَدَمِهِ.

صوت

مَمَكُورَةٌ^(١) رَدْعُ^(٢) الْعَبِيرِ^(٣) بِهَا
جَمُّ^(٤) الْعِظَامِ لَطِيفَةُ الْخَصْرِ
تَجْرِي عَلَيْهِ سُلَاقَةُ الْخَمْرِ
وَكَأَنَّ فَاهَا عِنْدَ رَقْدَتِهَا^(٥)

[الكامل]

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقل من جامع. وفيه لم يتم رمل من جامعها أيضاً. وتمام الأبيات وليست فيه صنعة:

فَسَبَتْ فُؤَادِي إِذْ عَرَضْتُ لَهَا
يَوْمَ الرَّحِيلِ بِسَاحَةِ الْقَصْرِ
بِمُزَيْنِ رَدْعِ الْعَبِيرِ بِهِ
حَسَنِ التَّرَائِبِ وَاضِحِ النَّحْرِ^(٦)
وَبَجِيدِ^(٧) آدَمِ^(٨) شَادِنِ^(٩) خَرِقِ^(١٠)
يَرَعَى الرِّيَاضَ بِبَلَدَةِ قَفَرٍ
لَمَّا رَأَيْتُ مَطِيَّهَا حِرْقًا
خَفَقَ الْفُؤَادُ وَكُنْتُ ذَا صَبَرٍ
وَتَبَادَرَتْ^(١١) عَيْنَايَ بَعْدَهُمْ
وَأَنْهَلَ دَمْعُهُمَا^(١٢) عَلَى الصَّدْرِ
وَلَقَدْ عَصَيْتُ ذَوِي قَرَابَتِنَا
طُرًّا وَأَهْلَ الْوُدِّ وَالصَّهْرِ
حَتَّى لَقَدْ قَالُوا وَمَا كَذَبُوا
أَجْنَنْتُ أَمْ بِكَ دَاخِلُ السَّحَرِ؟

[الكامل]

[إعجاب وخوف]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني إسحاق عن محمد بن أبان قال: حدثني الوليد بن هشام القحزمي عن أبي معاذ القرشي قال: لما قدمت فاطمة

(١) المَمَكُورَةُ: الْمُطَوَّيَّةُ الْخَلْقُ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْمُسْتَدِيرَةُ السَّاقَتَيْنِ، أَوِ الْمُدْمَجَّةُ الْخَلْقُ الشَّدِيدَةُ الْبَضْعَةِ.

(٢) الرَدْعُ: أَثَرُ الْخُلُوقِ وَالطَّيْبِ فِي الْجَسَدِ.

(٣) الْعَبِيرُ، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ الرُّعْفَرَانُ. وَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ أَخْلَاطُ طَيْبٍ.

(٤) جَمُّ الْعِظَامِ: دَقِيقَتُهَا مَكْتَنَزَةُ اللَّحْمِ.

(٥) فِي الدِّيَوَانِ «بَعْدَمَا رَقَدَتْ» بَدَلَ «عِنْدَ رَقْدَتِهَا».

(٦) هَذَانِ الْبَيْتَانِ لَمْ يَرِدَا فِي الْكِتَابِ، وَلَكِنَّهُمَا ضَرُورِيَانِ لِفَهْمِ الْمَعْنَى.

(٧) فِي الدِّيَوَانِ «بَعِينٌ» بَدَلَ «بَجِيدٌ».

(٨) آدَمُ مِنْ أَدَمَ وَهِيَ السَّمَرَةُ.

(٩) شَدَنَ الطَّيْبِي: شَبَّ وَتَرَعَرَعَ.

(١٠) الْخَرَقُ: الْخَائِفُ وَالْمَتَحِيرُ.

(١١) تَبَادَرَتْ عَيْنَايَ: سَالَتْ دُمُوعُهُمَا.

(١٢) فِي الدِّيَوَانِ «فَأَنْهَلْتُ جَزْعًا» بَدَلَ «وَأَنْهَلَ دَمْعُهُمَا».

بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج، لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرّض باسمها، فلما قضت حجبها وارتحلت أنشأ يقول:

صوت

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ
لَا أَطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ دِوَمَعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفْتُ عَيْنُهَا وَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانَا يَلْقَى بَلْبٌ أَصِيلِ
لَوْ خَلَّتْ خُلَّتِي أَصَبْتُ نَوَالاً أَوْ حَدِيثاً يَشْفِي مَعَ التَّنْوِيلِ^(١)
وَلِظَلِّ الْخَلْخَالِ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَثْنَاءِ^(٢) حَيَّةٍ مَقْتُولِ
وَلَقَدْ قَالَتِ الْحَبِيبَةُ لَوْ لَا كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْبِيلِ
[الخفيف]

غنى فيه ابن محرز ولحنه ثقیلاً أول من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق. وفيه لعبدان خفيف ثقیل بالنصر عن عمرو، ويقال إنه للهذلي. وفيه لعبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقیل عن الهشامي.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني أبو علي الحسن بن الصباح عن محمد بن حبيب، أنه أخبره: أن عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان:

صوت

يَا خَلِيلِي شَفَّنِي^(٣) الذَّكْرُ وَحَمُولُ الْحَيِّ إِذْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ الْقَبَابِ لَهَا وَأُدِيرَتِ حَوْلَهَا الْحُجَرُ
سَلَكُوا شِعْبَ النَّقَابِ^(٤) بِهَا زُمَرًا تَحْتَثُّهَا زُمَرُ

(١) التَّنْوِيل من نال وهو إعطاء النوال، ويراد منه هنا التقبيل.

(٢) أَثْنَاء الحية: مطاويها وتضاعفها إذا تشنت.

(٣) في الديوان «هاجني» بدل «شَفَّنِي».

(٤) النَّقَابُ: بالكسر، بلفظ نقاب المرأة الذي تستر به وجهها، أو جمع نقب وهو الخرق في الجبل والحائط وغيره: موضع في أعمال المدينة يتشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه.

وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَتِمًا وَمَعِيَ عَضْبٌ^(١) بِهِ أَثَرُ
وَأَخٌ لَمْ أَخَشْ نَبَوْتَهُ بِنَوَاحِي أَمْرِهِمْ خَيْرٌ^(٢)
فَإِذَا رِيْمٌ عَلَى فُرْشٍ فِي حِجَالِ^(٣) الْخَزْمُخْتَدِرُ^(٤)
حَوْلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ نَوْمٌ مِنْ طَوْلِ مَاسِهَرُوا
شَبَهُ الْقَتْلَى وَمَاقْتَلُوا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا
فَدَعَتْ بِالْوَيْلِ ثُمَّ دَعَتْ^(٥) حُرَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرُ
ثُمَّ قَالَتْ لِّلَّتِي مَعَهَا وَيَحْ نَفْسِي قَدْ أَتَى عَمَرُ
مَا لَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
لِشَّقَائِي كَانَ غُلَّقْنَا وَلِحَيْنِي سَاقَهُ الْقَدَرُ
قُلْتُ عِرْضِي^(٦) دُونَ عِرْضِكُمْ وَلَمَنْ نَاوَأَكُمُ الْحَجَرُ^(٧)
[المديد]

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع :

وطرقت الحي مكتتما

للغريض :

وفي :

يا خليلي شفني الذكر

وفي :

قلت عرضي دون عرضكم

وفي :

ثم قالت للتي معها

(١) العضب : السيف .

(٢) خبر : خبر .

(٣) الحجال : قبة تزين بالستور والثياب .

(٤) في الديوان «مُسْتَرٍ» بدل «مُخْتَدِرٍ» .

(٥) في الديوان ورد الصدر على الشكل التالي «وَدَعَتْ حَوْرَاءُ آيَسَةً» .

(٦) العرض : هما الجسد والنفس .

(٧) في الديوان ورد العجز على الشكل التالي «وَلَمَنْ عَادَاكُمْ جَزَرُ» . والجزر ، كل شيء مباح للذبح ،

يريد ، أبذل نفسي لمن عاداكم فداء لكم .

وفي :

ماله قد جاء يطرقنا

«ثاني ثقیلٍ بالوسطى عن عمرو»

وفي :

ضربوا حمر القباب لها

وما بعده أربعة متوالية خفيف رمل بالوسطى للهللي .

وفي : «وطرقت» وبعده : «فإذا ريم» وبعده : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقیلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها بعينها ثقیلٌ أول يقال إنه للأبجر، وينسب إلى غيره عن الهشامي .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت : قل لي له : اتق الله ولا تقل هجراً ، فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت ؛ فقال للجارية : أقرئها السلام وقل لي لها : ابن عمك لا يقول إلا خيراً ؛ وقال فيها :

صوت

لِعَائِشَةَ ابْنَةُ التَّيْمِيِّ عِنْدِي حَمَى فِي الْقَلْبِ ، وَلَا يُرْعَى حِمَاهَا
يُذَكِّرُنِي ابْنَةُ التَّيْمِيِّ ظَبِي يَرُودُ بِرَوْضَةٍ سَهْلٍ رُبَاهَا
فَقُلْتُ لَهُ ، وَكَادَ يُرَاعُ قَلْبِي فَلَمْ أَرْقُطْ كَالْيَوْمِ اشْتِبَاهَا
سِوَى حَمَشٍ^(١) بِسَاقِكَ مُسْتَبِينَ وَأَنَّ شَوَاكَ^(٢) لَمْ يُشَبِّهْ شَوَاهَا

(١) حمش : الحاء والميم والشين أصلاً : أحدهما التهاب الشيء وهيجه ، والثاني الدقة . فالأول قولهم : أحمشت الرجل : أغضبته ، واستحمش الرجل ، إذا اتقد غضباً ، والأصل الثاني : قولهم للدقيق القوائم حمش ، وقد حمشت قوائمه ، ومن الباب قولهم : لئنه حمشة : قليلة اللحم .

(٢) الشواك : الأطراف .

وَأَنْتَكَ عَاطِلٌ عَارٍ وَلَيْسَتْ
وَأَنْتَكَ غَيْرُ أَفْرَعٍ^(١) وَهِيَ تُدَلِّي
وَلَوْ قَعَدَتْ وَلَمْ تَكُلْفَ بِوُدٍّ
أَظْلُ إِذَا أُكْلِمُهَا كَأَنِّي
تَبَيْتُ إِلَيَّ بَعْدَ النَّوْمِ تَسْرِي
بِعَارِيَةٍ وَلَا عُطْلَ يَدَاهَا
عَلَى الْمَتْنَيْنِ أَسَحَمَ^(٢) قَدْ كَسَاهَا
سِوَى مَا قَدْ كَلِفْتُ بِهِ كَفَاهَا
أَكْلَمُ حَيَّةً غَلَبَتْ رُقَاهَا
وَقَدْ أَمْسَيْتُ لَا أَخْشَى سُرَاهَا
[الوافر]

الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقیل أول . وفيهما لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف ثقیل جميعاً عن الهشامي . وذكر إسحاق أن هذا الصوت مما ينسب إلى معبد ، وهو يشبه غناءه إلا أنه لم يروه عن ثبت ولم يذكر طريقته . قال : وقال فيها أشعار كثيرة ، فبلغ ذلك فتیان بني تيم ، أبلغهم إياه فتى منهم وقال لهم : يا بني تيم بن مرة ، هاللّه ليقدفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون ! فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : واللّه لا أذكرها في شعر أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها - وكنى عن اسمها - قصيدته التي أولها :

صوت

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا^(٣) قَلَّ الثَّوَاءُ لَنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
أَمْسَى الْعِرَاقِيُّ لَا يَدْرِي إِذَا بَرَزَتْ مَنْ ذَا تَطَوَّفَ بِالْأَرْكَانِ أَوْ سَجَدَا
[البسيط]

- الغناء لمعبد ثقیل أول بالبنصر عن عمرو ويونس - . قال : ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها فقالت : أما واللّه لقد كنت لهذا منك كارهةً يا فاسق ! فقال :

صوت

إِنِّي وَأَوَّلَ مَا كَلِفْتُ بِحُبِّهَا عَجِبُ وَهَلْ فِي الْحُبِّ^(٤) مِنْ مُتَعَجَّبٍ؟

(١) الأفرع : طويل الشعر .

(٢) سَحَامٌ : بضم أوله ، والسُّحَام سواد كسواد الغراب الأسحَم .

(٣) أفد : دنا وأسرع . (٤) في ديوانه «وما بالدهر» بدل «وهل في الحب» .

نُعِتَ النِّسَاءُ فَقُلْتُ لَسْتُ بِمُبْصِرٍ
فَمَكَثَنَ حِينًا ثُمَّ قُلْنَ تَوَجَّهَتْ
أَقْبَلْتُ أَنْظُرُ مَا زَعَمَنَ وَقُلْنَ لِي
فَلَقَيْتُهَا تَمْشِي بِهَا بِغَلَاتِهَا
غَرَاءَ يُعْشِي النَّاظِرِينَ بَيَاضُهَا
إِنَّ الَّتِي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا
شَبَّهَآ لَهَا أَبَدًا وَلَا بِمُقَرَّبٍ
لِلْحَجِّ، مَوْعِدِهَا لِقَاءَ الْأَخْشَبِ^(١)
وَالْقَلْبُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ
تَرْمِي الْجِمَارَ عَشِيَّةً فِي مَوَكِبٍ
حَوْرَاءَ فِي غُلُوَاءٍ^(٢) عَيْشٍ مُعْجِبٍ
جُلِبَتْ لِحَيْنِكَ لَيْتَهَا لَمْ تُجَلَبِ
[الكامل]

الغناء لمعبد في الأول والثاني والرابع والسابع ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .
وفيها للغريض خفيف ثقيل عن الهشامي ، يُبدَأ فيه بالثالث .

أخبرني علي بن صالح قال : حدثنا أبو هفان عن إسحاق قال : أخبرني مصعب
الزبيري : أن عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها ،
فقال لها : قفي حتى أسمعك ما قلت فيك . قالت : أو قد قلت^(٣) يا فاسق ؟ قال : نعم !
فوقفت فأنشدتها :

صوت

يَا رَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لَكَ فِي
أَنْ تُنْشِرِي مَيْتًا لَا تَرْهَقِي حَرْجًا^(٤)
[البسيط] و يروى :

هَلْ لَكُمْ فِي عَاشِقٍ دَنَفٍ
قَالَتْ بِدَائِكَ مُتٌ أَوْ عِشْ تُعَالِجُهُ
فَإِنْ تُقِدْنَا^(٥) فَقَدْ عَنَيْتَنَا حَجَجَا
أَكَلْتُ لَحْمَكَ مِنْ غِيظِي وَمَا نَضَجَا
[البسيط]

(١) الْأَخْشَبَانِ : ثنية الأخشب ، وقد تقدم اشتقاقه في الأخشاب ، والأخشبَانِ : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد ، أحدهما : أبو قبيس ، والآخر قعيقعان .

(٢) غُلُوَاءُ الْعَيْشِ : فِي أَنْضَرِهِ وَأَرْغَدِهِ .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخ «فعلت» بدل «قلت» .

(٤) الْبَيْت فِي الدِّيوان عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي :

يَا رَبَّةَ الْبَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لَكُمْ
أَنْ تَرْحَمِي عُمرًا لَا تَرْهَقِي حَرْجًا

(٥) الْقَوْد : الْقَصَاص . وَالْمَرَاد : فَإِنْ تَرَدَّ الْقَصَاصُ مِنْهُ عَلَى هَذَا الْهَجْرِ ، فَقَدْ عَنَيْتَنَا وَجْهَئِنَا أَعْوَامًا طَوَالًا .

الغناء لابن سريح ثقیل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريح ثلاثة ألحان ذكرها إسحاق ولم يجنس منها إلا واحداً، وذكر الهشامي أن أحدها خفيف رمل بالوسطى، [وذكر عمرو أن الثالث هزج بالوسطى]. ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته. فقالت: لا ورب هذه البنية! ما عنيتنا طرفة عين قط. ثم قالت لبغلتها: عدس^(١)، وسارت. وتمام هذه الأبيات:

فَقُلْتُ لَا وَالَّذِي حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ مَا مَجَّ^(٢) حُبُّكَ مِنْ قَلْبِي وَلَا نَهَجَا
وَلَا رَأَى الْقَلْبُ مِنْ شَيْءٍ يُسْرِ بِهِ مُذْ بَانَ مَنْزِلُكُمْ مِنَّا وَلَا ثَلَجَا
ضُنْتُ بِنَائِلِهَا عَنْهُ فَقَدْ تَرَكْتُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَبَا الْخَطَابِ مُخْتَلَجَا^(٣)

[البسيط]

قال: فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت إلى المدينة. فقال في ذلك:

إِنَّ مَنْ تَهْوَى مَعَ الْفَجْرِ ظَعْنٌ لِلْهَوَى وَالْقَلْبُ مِتْبَاعُ الْوَطْنِ
بَانَتْ الشَّمْسُ وَكَانَتْ كُلَّمَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ عَاوَدْتُ الدَّدْنَ
[الرمل]

صوت

يَا أَبَا الْحَارِثِ^(٤) قَلْبِي طَائِرٌ^(٥) فَأَتَمِرَ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمَنٍ
نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً تَرَكْتُ قَلْبِي لَدَيْهَا مُرْتَهَنَ
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحَبَبْتُهَا غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجَنِّ
[الرمل]

فيها ثاني ثقیل بالوسطى نسبه عمرو بن بانه إلى ابن سريح، ونسبه ابن المكي إلى الغريض. وفيها رمل لأهل مكة.

ومما يُغنى فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها:

(١) عَدَسٌ وَحَدَسٌ: زجر للبالغ.

(٢) مَجَّ، يقال مَجَّ الثوب إذا خلق وبلي.

(٣) مختلج: مضطرب.

(٤) في الديوان «يا أبا الخطاب» بدل «يا أبا الحارث».

(٥) في الديوان «طائر» بدل «هائم».

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ أَمْسَى رَهِينًا مُعْنَى مُسْتَكِينًا قَدْ شَفَّهُ^(١) مَا أَجَنَّا
إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتِ ذَاكَ شَخْصًا نَازَحَ الدَّارِ بِالمَدِينَةِ عَنَّا
لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا القَلِيلُ المُهَنَّا
[الخفيف]

الغناء لإبراهيم خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

[عمر وكلثم المخزومية]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية، فأرسل إليها رسولا ف ضربتها وحلقتها^(٢) وأحلفتها ألا تعود؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك، فتحامها رسله؛ فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله، فأحسن إليها وكساها وأنسها وعرفها خبره، وقال لها: إن أوصلت لي رقعة إلى كلثم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت. فقالت: اكتب لي مكاتبة^(٣) واكتب حاجتك في آخرها، ففعل ذلك، فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت، فخرجت إليها أمة لها فسألتها عن أمرها؛ فقالت: مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها في مكاتبتني، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها؛ فدخلت إلى كلثم وقالت: إن بالباب مكاتبة لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا أدب؛ فقالت: ائذني لها، فدخلت، فقالت: من كاتبك؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة الفاسق! فاقري مكاتبتني، فمدت يدها لتأخذها. فقالت لها: لي عليك عهد الله أن تقرئها؛ فإن كان منك إلي شيء مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروه؛ فعاهدتها وفطنت وأعطتها الكتاب، فإذا أوله:

مِنْ عَاشِقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهَوَى قَدْ شَفَّهُ الْوَجْدُ إِلَى كُلِّ ثَمٍّ
رَأَتْكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الهَوَى إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ وَلَمْ أَعْلَمْ

(١) شَفَّه: شَفَّه الحُزْنَ والحُبَّ يَشْفُهُ شَفًّا وشُفُوفًا: لَدَعَ قَلْبَهُ، وقيل: أَنَحَلَهُ، وقيل: أَذْهَبَ عقله.

(٢) حلقتها: يقال حلقة أوجعه في حلقة.

(٣) وَكَتَبَهَا تَكْتِيبًا: هَيَّأَهَا. وَتَكْتَبُوا: تَجَمَّعُوا. وَبَنُو كَتَبَ: بَطَّنُوا. وَالْمُكَتَّبُ، كَمُعْظَمٍ: العُنُقُودُ أَكِلَ بَعْضُ مَا فِيهِ. وَالْمُكَاتِبَةُ: التَّكَاتُبُ، وَأَنْ يُكَاتِبَكَ عَبْدُكَ عَلَى نَفْسِهِ بِثَمَنِهِ، فَإِذَا أَدَاهُ عَتَقَ.

قَتَلْتَنَا، يَا حَبِّذَا أَنْتُمْ
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا
وَأَنْتِ تَأْرِي فَتَلَا فِي دَمِي
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا
وَجَالِسِي مَجْلِسًا وَاحِدًا
وَحَبَّرِي مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ
فِي غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا مَأْثَمٍ
مُبَيَّنًا فِي آيَةِ الْمُحْكَمِ
وَلَمْ يُقِدْهَا، نَفْسَهُ يَظْلِمِ
ثُمَّ اجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي
أَوْ أَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَاحْكُمِي
مِنْ غَيْرِ مَا عَارٍ وَلَا مُحْرَمٍ^(١)
بِاللَّهِ فِي قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ
[السريع]

قال: فلما قرأت الشعر قالت لها: إنه خذاعٌ مَلَقٌ، وليس لما شكاه أصلٌ.
قالت: يا مولاتي! فما عليك من امتحانه؟ قالت: قد أذنت له، وما زال حتى ظفر
ببغيته؛ فقول لي له: إذا كان المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي؛
فانصرفت الجارية فأخبرته؛ فتأهب لها، فلما جاء رسولها مضى معه حتى دخل إليها
وقد تهيأت أجمل هيئة، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر، فسلم
وجلس، فتركته حتى سكن، ثم قالت له: أخبرني عنك يا فاسق! ألت القائل:

هَلَا ارْعَوَيْتِ فَتَرْحَمِي صَبًّا
جَشِمَ الزِّيَارَةَ عَنْ مَوَدَّتِكُمْ
وَرَجَا مُصَالِحَةً فَكَانَ لَكُمْ
يَا أَيُّهَا الْمُصْصِفِي مَوَدَّتُهُ
لَا تَجْعَلْنَ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا
وَصَلَ الْحَبِيبَ إِذَا شُغِفَتْ^(٥) بِهِ
فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَبَةٍ^(٦)
لَا بَلْ يَمْلُكَ عِنْدَ دَعْوَتِهِ
صَدِيَانٌ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبًا؟^(٢)
وَأَرَادَ أَلَّا تُرْهَقِي ذَنْبًا^(٣)
سِلْمًا وَكُنْتَ تَرِينُهُ حَرْبًا
مَنْ لَا يَزَالُ مُسَامِيًا خُطْبًا^(٤)
أَحَبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
وَاطَوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غَبًّا
لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
فَيَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَبَّى
[الكامل]

(١) محرم: بمعنى الحرام.

(٢) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي: «هذيان لم تذر لي قلبا».

(٣) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي: «وأراد أن لا تحقدي ذنبا».

(٤) خطب: الخاطب. (٥) في ديوانه «كلف» بدل «شغفت».

(٦) في ديوانه «فلذاك خير من مواصلة» بدل «فلذاك أحسن من مواظبة».

فقال لها: جعلت فداك! إن القلب إذا هوي نطق اللسان بما يهوى، فمكث عندها شهراً لا يدري أهله أين هو، ثم استأذنها في الخروج، فقالت له: بعد أن فضحتني! لا والله لا تخرج إلا بعد أن تتزوجني! ففعل وتزوجها؛ فولدت منه ابنين أحدهما جُوانٌ؛ وماتت عنده.

[عمر ولبابة بنت عبد الله]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الجبار بن سعيد قال: حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده أن عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت، فرأى أحسن خلق الله، فكاد عقله يذهب، فسأل عنها فأخبر بنسبها؛ فنسب بها وقال فيها:

صوت

وَاسْأَلْ فَإِنَّ قُلَالَهٗ^(١) أَنْ تَسْأَلَا
فَلَعَلَّ مَا بَخِلْتَ بِهِ أَنْ يُبْذَلَا
فِي مَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنُعْجَلَا
مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطِيَّ مُعْقَلَا
وَرَقَبْتُ غَفْلَةً كَاشِحَ أَنْ يَمْحُلَا
أَيْمٌ^(٢) يَسِيبُ عَلَى كَثِيبِ أَهْيَلَا
لِتَحِيَّتِي لَمَّا رَأَتْنِي مُقْبِلَا
غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَأَمَّلَا
يُرْقَى بِهِ مَا اسْطَاعَ إِلَّا يَنْزِلَ
[الكامل]

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا
إِلْبَثُ^(٢) بَعْمَرِكَ لَيْلَةً وَتَأَنُّهَا
قَالَ ائْتَمِرْ^(٣) مَا شِئْتَ غَيْرَ مُخَالِفٍ^(٤)
لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تُقْضَى^(٥) حَاجَةٌ
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ
خَرَجْتَ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا
رَحِبْتُ حِينَ رَأَيْتَهَا فَتَبَسَّمتُ^(٧)
وَجَلَا الْقِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً
فَلَبِثْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ^(٨)

(٢) في ديوانه «أمكث» بدل «البث».

(١) في ديوانه «قليله» بدل «قلاله».

(٣) ائتمر: افعل ما شئت، فإننا لا نعصي أمراً.

(٥) في ديوانه «تدرك» بدل «تقضي».

(٤) في ديوانه «منازع» بدل «مخالف».

(٦) الأيم: الحية.

(٧) في الديوان ورد الصدر على الشكل التالي: «سَلَمْتُ حِينَ لَفَيْتُهَا فَتَهَلَّلْتُ».

(٨) عاقل: يقال عقل الوعل يعقل عقولاً: امتنع في الجبل.

غنى في هذه الأبيات معبداً خفيف ثقیل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، ابتداءه نشيداً. وفيها لابن سريج ثقیلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً. وفيها لابن سريج في الأول والرابع من الأبيات رملٌ عن ابن المكي، ولأبي دلف القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقیل بالسبابة والبنصر، وابتداءه نشيداً من رواية ابن المكي. وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب هزجٌ.

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: لما حجَّ الغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبداً فغناه:

ودّع لبابة قبل أن تترحلا

فلم يزل يردده عليه، ثم أخرجته معه لما رحل عن المدينة، فغناه في المنزل به حتى أراد الرحيل، فحمله على بغلة له وذهب غلاماً له يتبعه؛ فقال: إلى أين؟ فقال: أمضي معه حتى أجيء بالبغلة. فقال: هيهات! ارجع يا بني، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك. وقد روي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار هو:

تشكّى الكميّ الجري لما جهدتُه

[عمر والثريا بنت عبد الله بن الحارث]

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف، وهم الذين يقال لهم العبلات؛ سموا بذلك لجدة لهم يقال لها عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهي من بطن من تميم يقال لهم البراجم، غير براجم بني أسد.

[نسب الثريا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: كانت عبلة^(١) بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة، عند رجل من بني جشم بن معاوية، فبعثها بأنحاء^(٢) سمنٍ تبعها له بعكاظ، فباعته السمن وراحتين كان عليهما،

(١) عبلة بنت خالد التميمية شاعرة جاهلية. وقد كانت جارية لرجل اسمه محجن، أرسلها براحتين وسمن لتبيعها في سوق عكاظ، فباعتها واشترت بثمنها خمراً وشربته، فلما نفذ المال رهنّت ابن أخيه وهربت، وقالت في ذلك شعراً.

(٢) أنحاء: جمع نحي وهو الرق أو ما كان للسمن خاصة.

وشربت بثمرنها الخمر . فلما نفذ ثمنها رھنت ابن أخيه وھربت ، فطلقھا . وقالت في شربھا الخمر :

شربت بِراحلتی محجنِ فیا ویلی محجنٌ قاتلی
وبابن أخیه علی لذةٍ ولم أحتفل عذلة العاذلِ
[المقارب]

قال : فتزوجھا عبد شمس بن عبد مناف ؛ فولدت له أمیة الأصغر وعبد أمیة ونوفلاً ، وهم العبلات .

وقد ذكر الزبیر بن بكار عن عمه : أن الثریا بنت عبد اللہ بن محمد بن عبد اللہ بن الحارث بن أمیة الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد اللہ المعروف بأبي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكي :

ثلاث حوائج ولهن جننا فقم فيهن يا ابن أبي جراب
فإنك ماجدٌ في بيت مجدٍ بقيّة معشرٍ تحت التراب
[الوافر]

قال : وله يقول ابن زياد المكي أيضاً :

إذا مُتَّ لم توصل بعُرفِ قرابةٍ ولم يبقَ في الدنيا رجاءٌ لسائلٍ
[الطويل]

قال الزبیر : وهذا أشبه من أن تكون بنت عبد اللہ بن الحارث ، وعبد اللہ إنما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، وورث بقعده في النسب دار عبد شمس بن عبد مناف ، وحج معاوية في خلافته ، فجعل ينظر إلى الدار ، فخرج إليه عبد اللہ بن الحارث بمحجنٍ ليضربه به وقال : لا أشبع اللہ بطنك ! أما تكفيك الخلافة حتى تطلب هذه الدار ! فخرج معاوية يضحك .

[أبو الفرج يغربل الروايات]

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا غلطٌ من الزبیر عندي ، والثریا أن تكون بنت عبد اللہ بن الحارث أشبه من أن تكون أخت الذي قتله داود بن علي ؛ لأنها ربت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرّة . وإذا كانت قد ربّت الغريض حتى كبر وتعلم النوح على قتلى الحرّة [وهو رجل] - وهي وقعة كانت بعقب موت معاوية - فقد كانت في حياة معاوية امرأة كبيرة ، وبين ذلك وبين من قتله داود بن علي من بني أمیة نحو ثمانين سنة ، وقد شبب بها

عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية، وأنشد عبد الله بن عباس شعره فيها، فكيف تكون أخت الذي قتله داود بن علي وقد أدركت عبد الله بن عباس وهي امرأة كبيرة! وقد اعترف الزبير أيضاً في خبره بأن عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير؛ فيقول من قال: إنها بنته، أصوب من قول من قرننها بمن قتله داود بن علي. وهذا القول الذي قلته قول ابن الكلبي وأبي اليقظان، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان، قال: وحدثني به جماعة من أهل العلم بنسب قريش.

[حبه الثريا]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مسلمة بن إبراهيم بن هشام المخزومي عن أيوب بن مسلمة: أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مسهباً^(١) بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت عُرْضة^(٢) ذلك جمالاً وتامماً، وكانت تصيف بالطائف، وكان عمر يغدو عليها كُلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكة من الطائف عن الأخبار قبلهم. فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم؛ فقال: ما استطرفنا^(٣) خبراً؛ إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء وقد سقط عليّ اسمه، فقال عمر: الثريا؟ قال: نعم؛ وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة، فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فروجه^(٤) وسلك طريق كداء^(٥) - وهي أحسن الطرق وأقربها - حتى انتهى إلى الثريا وقد توقعته وهي تتشوّف له وتشرف، فوجدها سليمة عقيمة ومعها أختها رُضيّاً وأم عثمان، فأخبرها الخبر؛ فضحكت وقالت: أنا والله أمرتهم لأختبر ما لي عندك؛ فقال عمر في ذلك هذا الشعر:

- (١) المسهب: من أسقمه الحب وأذهب عقله؛ أي مولعاً. وفي حديث علي رضي الله عنه وضرب على قلبه بالإسهاب؛ قيل: هو ذهاب العقل.
- (٢) عُرْضة أي أهلاً لأن يشغف بها لجمالها وتاممها.
- (٣) استطرفنا: أي ليس عندنا شيء طريف حادث نحدثك به.
- (٤) يركضه ملء فروجه: يحمله على أشد العدو والركض.
- (٥) كُدَى، بضم الكاف وتنوين الدال: بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعين، ومنها دار النبي صلى الله عليه وسلم إلى المحصب، فكأنه ضرب دائرة في دخوله وخروجه، بات بذي طوى ثم نهض إلى أعلى مكة فدخل منها وفي خروجه خرج من أسفل مكة ثم رجع إلى المحصب. وأما كُدَى، مصغراً: فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن وليس من هذين الطريقين في شيء.

تَشْكِي الكُمَيْتِ الْجَرِي لَمَّا جَهَدْتُهُ وَبَيَّنَ لَوِ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ أَلْقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً فَهَانَ عَلَيَّ ^(١) أَنْ تَكِلَ وَتَسَامَا
لِذَلِكَ أَدْنَى دُونَ خَيْلِي رِبَاطُهُ وَأَوْصِي بِهِ أَنْ لَا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
عَدِمْتُ إِذَا وَفَرِي وَفَارَقْتُ مُهَجَّتِي لَئِنْ لَمْ أَقِلْ قَرْنًا إِذَا اللَّهُ سَلَّمَا
[الطويل]

قال مسلمة بن إبراهيم: قلت لأيوب بن مسلمة: أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة؟ فقال: وفوق الصفة، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس ^(٢):

حَبَّذا الْحَجُّ وَالثُّرَيَّا وَمَنْ بِأَلْ خَيفَ مِنْ أَجْلِهَا وَمُلْقَى الرَّحَالِ
يَا سُلَيْمَانُ إِنَّ ثُلَاقِ الثُّرَيَّا تَلَقَّ عَيْشَ الْخُلُودِ قَبْلَ الْهِلَالِ
دُرَّةً مِنْ عَقَائِلِ ^(٣) الْبَحْرِ بِكُرٍّ لَمْ تَنْلَهَا مَثَاقِبُ اللَّالِ ^(٤)
تَعْقِدُ الْمِئْزَرَ السُّخَامَ ^(٥) مِنَ الْخَزْ زِ عَلَى حَقْوِ ^(٦) بَادِنِ مِكَسَالِ
[الخفيف]

[عمر ورملة بنت عبد الله الخزاعية]

قال إسحاق في خبره عن أسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة، وذكر مثله الزبير بن بكار فيما حدثنا عنه الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال: حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق: أن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قدم للحج، فأتاه ابن أبي عتيق فسلم عليه وأنا معه، فلما قضى سلامه ومساءلته عن حجه وسفره، قال له: كيف تركت أبا الخطاب عمر بن أبي ربيعة؟ قال:

(١) في الديوان «علينا» بدل «عليّ».

(٢) عُبَيْدُ اللَّهِ بن الرُّقَيَّاتِ، عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، ابن قيس الرقيات. شاعر قریش في العصر الأموي. كان مقيماً في المدينة. خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة، وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي سنة ٨٥هـ.

(٣) العقائل جمع عقيلة، المرأة الكريمة النسب.

(٤) اللَّال: بائع اللؤلؤ أو الذي يقوم بثقبه.

(٥) السُّخَامُ من الشَّعْرِ والريش والقطن والخَزْ ونحو ذلك اللين الحَسَن.

(٦) حقو: معقد الأزهر وهو الخاصرة.

تركته في بلهنية^(١) من العيش . قال : وأئني ذلك؟ قال : حجّت رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية فقال فيها :

صوت

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ^(٢) رَهِينَا
قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا
قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنَا
وَنَرَى أَنَّ عَرَفْنَاكَ بِالنُّعَى
بِسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَعَتِ
مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
أَمْبِداً^(٣) سُؤَالَكَ الْعَالَمِينَ
قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
تَ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
تِ بِظَنٍّ وَمَا قُتِلْنَا يَقِينَا
قَدْ نَرَاهُ لِنَاظِرٍ مُسْتَبِينَا
[الخفيف]

- غنى معبداً في البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وغنى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً . وذكر حبش أن فيه للغريض أيضاً لحناً من الثقيل الأول بالبنصر - قال : فبلغ ذلك الثريا ، بلغتْها إياه أم نوفل ، وكانت غضبي عليه ، وقد كان انتشر خبره عن الثريا حتى بلغها من جهة أم نوفل وأنشدتها قوله :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينَا
مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
[الخفيف]

فقالت : إنه لوقاح^(٤) صنع^(٥) بلسانه ، ولئن سلمت له لأرُدَّن من شأوه^(٦) ، ولأثنيّن من عنانه ، ولأعرِفَنَّهُ نفسه . فلما بلغت إلى قوله :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ
أَمْبِداً سُؤَالَكَ الْعَالَمِينَ
[الخفيف]

(١) الْبُلْهْنِيَّةُ: الرَّخَاءُ وَسَعَةُ الْعَيْشِ . وهو في بُلْهْنِيَّةٍ من العيش أي سَعَةٍ ، صارت الألف ياء لكسرة ما قبلها ، والنون زائدة عند سيبويه .

(٢) في الديوان «الجمال» بدل «الجبال» .

(٣) أمبد: معناه أمقسم أنت سؤالك واحداً واحداً حتى تعمهم . من البداد وهو أن يبداً المال القوم فيقسم بينهم ، وأبدَهم المال والعطاء : فرقه فيهم .

(٤) الوقاح : من وقح وهو قليل الحياء . (٥) صنع : من صنع وهو الحاذق .

(٦) شأوه : الزمام .

فقلت: إنه لسأل ملح، «قبحاً له!» ولقد أجابته إن وفّت. فلما بلغت إلى قوله:

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
[الخفيف]

قالت: غمزته الجهمة^(١). فلما بلغت إلى قوله:

قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنَا تَ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا؟
[الخفيف]

قالت: رمته الورهاء^(٢) بآخر ما عندها في مقام واحد. وهجرت عمر: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب: أن رملة بنت عبد الله بن خلف حجّت، فتعرّض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها:

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينَا مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
[الخفيف]

وقال في هذه القصيدة:

فَرَأْتُ حِرْصِي الْفَتَاةَ فَقَالَتْ خَبْرِيهِ، مِنْ أَجْلِ مَنْ تَكْتُمِينَا؟
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنَا تَ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
[الخفيف]

قال الزبير: ورملة هذه أم طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وهي أخت طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي.

قال: فبلغت هذه الأبيات كثيراً، فغضب لذلك وقال: وأنا والله لا أتمارى أن سيجرّ شأنّ شؤونا. ثم ذكر نسوة من قريش فساقهن في شعره من الحجّ حتى بلغ بهن إلى ملل^(٣)، ثم أشفق فجاز^(٤)، ولم يزد على ذلك، وهو قوله في قصيدته التي أولها:

مَا عَنَّاكَ الْعُدَاةُ مِنْ أَطْلَالٍ دَارِسَاتِ الْمَقَامِ مُذْ أَحْوَالٍ
[الخفيف]

(١) الجهمة: العاجزة الضعيفة.

(٢) امرأة ورهاء: خرقاء بالعمل. وامرأة ورهاء اليمين: خرقاء.

(٣) ملل: بالتحريك، ولأمين، بلفظ الملل من الملل: وهو اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين.

(٤) جاز: أي مرّ تاركاً التعرض لهن.

صوت

فَم تَأْمَل وَأَنْتَ أَبْصَرُ مِثِّي قاضياتٍ لُبَانَةٌ مِنْ مُنَاخِ
هَل تَرَى بِالْغَمِيمِ^(١) مِنْ أَجْمَالِ وَلَطَوَافٍ وَمَوْقِفٍ بِالْجِبَالِ^(٢)
قَلَنْ عُسْفَانَ^(٣) ثُمَّ رُحْنٍ سِرَاعاً وَأَرَادَتْ «الْكَدِيدَ»^(٥) مُجْتَرَعَاتٍ^(٦)
كَالْعَدُولِيِّ^(١٠) اللَّاحِقَاتِ^(١١) التَّوَالِي سَالِكَاتِ الْخَوِيِّ^(١٤) مِنْ أَمَلَالِ
قَصْدَ لَفَتْ^(٨) وَهْنٌ مُتَسِقَاتٍ^(٩) طَالِعَاتِ «الْغَمِيسِ»^(١٢) مِنْ «عَبُودٍ»^(١٣)

- (١) الْغَمِيمُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وميم أخرى، وهو الكلال الأخضر تحت اليابس، والغميم فعل بمعنى مفعول أي مغموماً، وهو الشيء المغطى؛ كُرَاعُ الغميم: موضع بين مكة والمدينة.
- (٢) الجبال أرض لبني تغلب.
- (٣) عُسْفَانُ: بضم أوله، وسكون ثانيه ثم فاء، وآخره نون، فُعْلَان من عَسَفَتِ المفازة وهو يعسفها وهو قطعها بلا هداية ولا قصد، وكذلك كل أمر يركب بغير روية، قال: سميت عسفان لتعسف السيل فيها كما سميت الأبواء لتبوء السيل بها؛ قال أبو منصور: عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقال غيره: عسفان بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين، وقيل: عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تهامة.
- (٤) غَزَالٌ: بلفظ الغزال ذكر الظباء: ثنية يقال لها قرْنُ غزال، قال الأزهري: الغزال الشادن حين يتحرك ويمشي قبل الإثناء؛ قال عَزَام: وعلى الطريق من ثنية هَرَشَى بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسميات منها غزال: وهو واد يأتيك من ناحية شَمُئْصِيرٍ وَدُرُوءَ وفيه آبار، وهو لخزاعة خاصة وهم سكانه أهل عمود.
- (٥) الكديد: ماء بين الحرمين أو موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة بين عسفان ورابع.
- (٦) اجترع الماء: ابتلعه.
- (٧) وادي الحجون: جبل بمعلقة مكة عنده مدافن أهلها.
- (٨) لَفَتْ: قيده القاضي عياض على ثلاثة أوجه: بفتح اللام وسكون الفاء عن أبي بحر، وَلَفَتْ، بالتحريك، عن القاضي أبي علي، قال: وقيد غيرهما لَفَتْ، بكسر اللام وسكون الفاء، قال: وكذا ذكره ابن هشام في السيرة، قال: وهي ثنية بين مكة والمدينة.
- (٩) مُتَسِقَاتٍ: منتظمات يسير بعضها وراء بعض.
- (١٠) العدولي: نوع من السفن ينسب إلى القرية التي تصنع فيها وهي عدولي في اليمن.
- (١١) لاحقات: يسير بعضها وراء بعض.
- (١٢) الغميس بفتح أوله وكسر ثانيه، قال ابن إسحاق في غزاة بدر: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام.
- (١٣) عبود: جبل بين السبالة وملل. والسبالة أرض في طريق الحج، قيل: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.
- (١٤) الخوي: واد بناحية الحمى.

فَسَقَى اللَّهَ مُنْتَوَى^(١) أُمَّ عَمْرٍو حَيْثُ أَمَّتْ^(٢) بِهِ صُدُورُ الرِّحَالِ
 حَبَّذَا هُنَّ مِنْ لُبَانَةِ قَلْبِي وَجَدِيدُ الشَّبَابِ مِنْ سِرْبَالِي
 رَبُّ يَوْمٍ أَتَيْتُهُنَّ جَمِيعاً عِنْدَ بَيْضَاءِ رَخْصَةٍ^(٣) مِكَسَالِ
 غَيْرَ أَنِّي امْرُؤٌ تَعَمَّمْتُ حِلْماً يَكْرَهُ الْجَهْلَ^(٤) وَالصُّبَا أَمْثَالِي^(٥)
 [الخفيف]

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقیل بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر الهشامي أن فيها للحجبي رملاً بالبنصر .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا: فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بِأَنِّي ضِقتُ دَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ
 [الخفيف]

فبلغ ابن أبي عتيق قوله، فمضى حتى أصلح بينهما. وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيق بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره.

قال مصعب بن عبد الله في خبره: وكانت رملة جهمة الوجه، عظيمة الأنف، حسنة الجسم، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما، فقال يوماً لعائشة: فعلت في محاربة الخوارج مع أبي فديك^(٦) كذا، وصنعت كذا، يذكر لها شجاعته وإقدامه، فقالت له عائشة: أنا أعلم أنك أشجع الناس! وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذي ذكرته، قال: وما هو؟ قالت: يوم اجتليت^(٧) رملة وأقدمت على وجهها وأنفها.

قال مصعب: وحدثني يعقوب بن إسحاق قال: لما بلغ الثريا قول عمر بن أبي ربيعة «في رملة»:

(١) المنتوى: المكان الذي تنوي قصده.

(٢) أمت: قصدت.

(٣) الرخصة: ناعمة البشرة والريقة.

(٤) الجهل: عكس المعرفة والعلم وهو الحمق.

(٥) الصبا: جهل الفتوة.

(٦) أبو فديك: هو رأس من رؤوس الخوارج، واسمه عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة، غلب على البحرين في سنة اثنتين وسبعين من الهجرة، وقتل نجدة بن عامر الحنفي.

(٧) اجتلى العروس: نظر إليها مجلوة ليلة زفافها، فبدت جميلة بعدما كانت قبيحة.

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرَتْهُ نَوْرَ بَدْرِ يُضِيءُ لِلنَّازِرِينَ
[الخفيف]

قالت: أف له ما أكذبه! أو ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة!

[تساؤل استغرابي]

وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكار عن ابن دأب: أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَح كان أبوها من أهل مكة، فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسناً. فقال أبوها: كأني بها وقد كبرت، فشَبَّ بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش، والله لا أقمت بمكة. فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابتته إلى البصرة، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً، ونشأت ابنته من أجمل نساء زمانها، ومات أبوها فلم تَرَ أحداً من بني جُمَح حضر جنازته، ولا وجدت لها مُسعداً^(١) ولا عليها داخلاً. فقالت لداية^(٢) لها سوداء: من نحن؟ ومن أي البلاد نحن؟ فخبرتها، فقالت: لا جرم، والله لا أقمت في هذا البلد الذي أنا فيه غريبة! فباعت الضيعة والدار، وخرجت في أيام الحج. وكان عمر يقدم فيعتمر^(٣) في ذي القعدة ويحل^(٤)، ويلبس تلك الحُلل والوشى، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع^(٥) والديباج، ويسبل لمتته، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات، ويتلقى المدنيات إلى مرٍّ، ويتلقى الشاميات إلى الكديد. فخرج يوماً للعراقيات فإذا قبة مكشوفة فيها جارية كأنها القمر، تعادلها^(٦) جارية سوداء كالسُّبجة^(٧)، فقال للسوداء: من أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟ فقالت: لقد أطل الله تعبك، إن كنت تسأل هذا العالم من هم ومن أين هم. قال: فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن، قالت: نحن من أهل العراق، فأما الأصل والمنشأ فمكة، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا، فضحك.

(١) المسعد: من تساعد المرأة في النوح على فقيدها من جاراتها وذوات قرابتها.

(٢) ويقال امرأة مُرضع، إذا كان لها ولد ترضعه، فإن وصفتها بإرضاعها الولد قلت: مُرضعة.

(٣) المُعتمر: الزائر، والقاصد للشيء، وفي الشرع زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة، وهي الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، وهي تكون في السنة كلها.

(٤) يحل: يخرج من إحرامه في العمرة.

(٥) القطوع: جمع قطع وهو الطنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير.

(٦) تعادلها: تجلس معها في أحد شقي المحمل.

(٧) سبج: السُّبجة السُّبجَةُ دِرْعٌ عَرَضُ بَدَنِهِ عِظْمَةُ الدَّرَاعِ، ولهُ كُمٌ صغير نحو الشُّبْرِ تلبسه رِبَاطُ البيوت؛ وقيل: هي بُرْدَةٌ من صوف فيها سواد وبياض.

فلما نظرت إلى سواد ثنيّته قالت: قد عرفناك، قال: ومن أنا؟ قالت: عمر بن أبي ربيعة! قال: وبم عرفني؟ قالت: بسواد ثنيّتك وبهيئتك التي ليست إلا لقريش، فأنشأ يقول:

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمِّدْ سُؤَالَكَ الْعَالَمِينَ؟
[الخفيف]

وذكر الأبيات: فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له.

[خبر صلحهما ووساطة ابن أبي عتيق]

قال: فلما صرمت الثريا عمر قال فيها:

صوت

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بِأَنِّي ضِقتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ؟
سَلَبَتْنِي مَجَاجَةٌ^(١) الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلَوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي؟
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى^(٢) بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تَحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ النُّجْمِ وَالْحَصَى وَالْثُرَابِ
[الخفيف]

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو، وذكر حبش أنه لمالك. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد قال: أخبرني بلال مولى ابن أبي عتيق قال: أنشد ابن أبي عتيق قول عمر:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بِأَنِّي ضِقتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ؟
[الخفيف]

فقال ابن أبي عتيق: إياي أراد وبني نوه! لا جرم، والله لا أدُوق أكلاً حتى أشخص^(٣) فأصلح بينهما، ونهض ونهضت معه، فجاء إلى قوم من بني الدليل بن بكر

(١) المجاجة أيضاً الريق الذي تمجه من فيك يقال: المطر مُجَاجُ المزن والعسل مُجَاج النحل.

(٢) تهادى يريد يهدي بعضها بعضاً في مشيتها.

(٣) أشخص: أذهب وأتوجه. الشخوص: السير من بلد إلى بلد.

لم تكن تُفارقهم نجائب لهم فُرَّة^(١) يَكرونها^(٢)، فاكترى منهم راحلتين وأغلى^(٣) لهم. فقلت له: استوضعهم أو دعني أماكسهم، فقد اشتطوا عليك. فقال: ويحك! أما علمت أن المكاس ليس من أخلاق الكرام! ثم ركب إحداهما وركبت الأخرى، فسار سيراً شديداً، فقلت: أبقِ على نفسك، فإن ما تريد ليس يفوتك. فقال: ويحك!

أبادر حبل الود أن يتقَضَّبَا

وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع^(٤) بين عمر والثريا! فقدمنا ليلاً غير مُحرمين، فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته، فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا، فأنا رسولك الذي سألت عنه. فركب معنا وقدمنا الطائف، وقد كان عمر أَرْضَى أُمَّ نوفل فكانت تطلب له الحيل لإصلاحها فلا يمكنها. فقال ابن أبي عتيق للثريا: هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك، فجئتُك به معترفاً لك بذنبٍ لم يجنه، معتذراً إليك من إساءته إليك، فدعيني من التعداد والترداد، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون؛ فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، وكررنا إلى مكة، فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل؛ وزاد عمر في أبياته:

أَزْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهَجَّتِي، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدُّعَاءِ كَمَا لَبَّ بَى رِجَالٍ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوَابِ
[الخفيف]

قال الزبير: وما دعته أم نوفل إلا لابن أبي عتيق، ولو دعته لعمر ما أجابت. قال: وسألت عمي عن أم نوفل، فقال: هي أم ولد عبد الله بن الحارث أبي الثريا، وسألته عن قوله:

... كما لبى رجال يرجون حسن الثواب

فقال: كررت في التلبية كما يفعل المُحرم، فقالت: لبيك لبيك!

وأخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا الزبير بن بكار عن عمه أن بعض المكيين

(١) الفاره: الدابة الشبيطة الحادة القوية.

(٢) يَكرونها: من كرى أي أعطاه إياها بالإيجار.

(٣) أغلى لهم: أي أعطى لهم أجراً كبيراً.

(٤) الصدع: الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما، والمراد به هنا التفرق.

قال: كانت الثريا تصب عليها جرة ماءٍ وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيهما منه شيءٌ من عِظَم عجيزتها.

وأخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى بخبر الثريا هذا مع عمر، فذكر نحوه مما ذكره الزبير، وقال فيه:

لما أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريا أرسلت إليه: ما حاجتك؟ قال: أنا رسول عمر بن أبي ربيعة وأنشدها الشعر، فقالت: ابن أبي ربيعة فارغٌ^(١) ونحن في شُغل، وقد تعبت فانزل بنا، فقال: ما أنا إذا برسول، ثم كرّ راجعاً إلى ابن أبي ربيعة بمكة فأخبره الخبر فأصلح بينهما.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن نعيم قال: حدثني إبراهيم بن إسحاق العنزي قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية، وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أفلح عن عبد العزيز بن عمران، قالوا:

قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، فنزل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله [بن محمد] بن عبد الرحمن بن أبي بكر - فلما استلقى قال: أوّه!

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بِأَنِّي ضِقتُ دَرَعاً بِهَجَرِهَا وَالكِتَابِ؟
[الخفيف]

فقال ابن أبي عتيق: كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن بلغها ذاك غيري. فخرج، حتى إذا كان بالمصلّى مرَّ بنُصيبٍ وهو واقفٌ فقال: يا أبا محجنٍ؛ قال: لبيك! قال: أتودع إلى سلمى شيئاً؟ قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: تقول لها يابن الصديق: إنك مررت بي فقلت لي: أتودع إليها شيئاً، فقلت:

أَتَصْبِرُ عَنْ سَلْمَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الْعِزْمِ مِنْكَ جَدِيرٌ؟
وَكِدْتَ وَلَمْ أَخْلِقِ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٍ نَحْوَ الْجِجَازِ أَطِيرُ^(٢)
[الطويل]

(١) فارغ: ليس عنده ما يشغله.

(٢) تُنسبُ هذه الأبيات لنُصيب بن رباح، وهو نصيب بن رباح أبو محجن. مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسب والمدايح، كان عبداً أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية، وأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. وكان يتغزل بأمر =

قال: فمر بسلمي وهي في قرية يقال لها «القَسْرِيَّةُ» فأبلغها الرسالة، فزفرت زفرةً كادت أن تُفَرِّقَ أضلاعها؛ فقال ابن أبي عتيق: كلَّ مملوكٍ لي حر إن لم يكن جوابُك أحسن من رسالته، ولو سمعتك الآن لَنَعَقَ وصار غُراباً؛ ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب، فقالت له: أما وجد رسولاً أصغر منك! انزل فأرح^(١)؛ فقال: لست إذا برسول! وسألها أن ترضى عنه، ففعلت. وقال الزبير في خبره: فقال لها: أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك، وأنشدها الأبيات، وقال لها: خَشِيتُ أن تضيع هذه الرسالة؛ قالت: أدَّى الله عنك أمانتك؛ قال: فما جواب ما تجشَّمته إليك؟ قالت: تنشده قوله في رملة:

وَجَلَّا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرَتْهُ ضوءَ بدرٍ أضاءَ لِلنَّازِرِينَا
[الخفيف]

فقال: أعيذك بالله يابنة أخي أن تغلبيني بالمثل السائر؛ قالت: وما هو؟ قال: «حريصٌ لا يرى عمله»^(٢). قالت: فما تشاء؟ قال: تكتبين إليه بالرضا عنه كتاباً يصل على يدي، ففعلت، فأخذ الكتاب ورجع من فوره حتى قدم مكة، فأتى عمر فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من حيث أرسلتني؛ قال: وأنى ذلك؟ قال: من عند الثريا، أفرخ^(٣) روعك! هذا كتابها بالرضا عنك إليك.

[تغني ابن عائشة بشعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن علي، فقال الحسن لابن عائشة: غنني «من رسولي إلى الثريا...»؛ فسكت عنه فلم يجبه. فقال لهم جلسٌ له: أيقول لك غنني فلا تجيبه! فسكت؛ فقال له الحسن: ما لك؟ ويحك! أبك خيال! كان والله ابن أبي عتيق أجود منك بما عنده؛ فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة: أنا رسولك إليها، فمضى نحو الثريا حتى أدَّى رسالته، وأنت معنا في المجلس تبخل أن

= بكر (زينب بنت صفوان) وهي كنانية، وفي بعض الروايات (زنجية)، توفي سنة ١٠٨ هـ. وهي عنده على الشكل التالي:

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى وَأَنْتَ صَبُور وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِير
وَكِدْتَ وَلَمْ أَخْلِقِ مِنَ الطَّيْرِ أَنْ بَدَا سَنَا بَارِقَ نَحْوِ الْجَزَارِ أَطِير

(١) أرح: استرح من السفر.

(٢) أي لا يريد أن يحرم نتيجة عمله كما يحرم الحريص عادة.

(٣) يعني الاطمئنان، حتى يذهب الرعب والخوف من قلبك، لأن الأمور أسهل مما يظن.

تغنيه لنا! فقال له: لم أذهب حيث ظننتُ، إنما كنتُ أتحيرُ لك أي الصوتين أغني: أقوله:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَإِنِّي ضَافَنِي الْهَمُّ وَاعْتَرَانِي الْغُمُومُ
يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّني مُسْتَهَامٌ بِهِوَائِكُمْ وَأَنْنِي مَرَحُومٌ
[الخفيف]

أم قوله:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا بِأَنِّي ضِيقْتُ دَرْعاً بِهَجَرِهَا وَالْكِتَابِ؟
فقال له الحسن: أسأنا بك الظنُّ أبا جعفر، عنَّ بهما جميعاً، فغناهما؛ فقال له
الحسن: لولا أنك تغضب إذا قلنا لك: أحسنت، لقلت لك: أحسنت والله! قال:
ولم يزل يردد هما بقية يومه.

[عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: حدثني يعقوب بن إسحاق
الربيعي عن أبيه قال:

أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله:

لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لِلثُّرَيَّا شَبِيهاً بِمَسِيلِ التَّلَاعِ^(١) لَمَّا التَّقِينَا
[الخفيف]

فلما بلغ إلى قوله:

ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا قَدْ ظَلَمْنَا إِنْ رَجَعْنَاهُ خَائِباً وَاعْتَدَيْنَا
[الخفيف]

قال: أحسنت والهدايا وأجادت. ثم أنشده ابن أبي عتيق متمثلاً قول
الشاعر:

أَرِينِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مُخَلِّداً^(٢)
[الطويل]

(١) التَّلَاعُ: مَسَايِلُ الْمَاءِ مِنَ الْأَسْنَادِ وَالنَّجَافِ وَالْجِبَالِ، حَتَّى يُنْصَبَ فِي الْوَادِي.

(٢) وهذا البيت هو لحاتم الطائي، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني، أبو عدي. شاعر جاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء)، توفي سنة ٤٦ ق. هـ.

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

فِي خَلَاءٍ مِنَ الْأَنْبَاسِ وَأَمِنْ

قال ابن أبي عتيق : أمكنت للشارب الغدر^(١) «مَنْ عَالَ بَعْدَهَا فَلَا انْجَبِرَ»^(٢).

فلما بلغ إلى قوله :

فَمَكَّنَّا كَذَلِكَ عَشْرًا تَبَاعًا فَقَضَيْنَا دُيُونَنَا وَاقْتَضَيْنَا

[الخفيف]

قال : أما واللّه ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه، فلا عرّفكما الله

قبيحاً! فلما بلغ إلى قوله :

كَانَ ذَا فِي مَسِيرِنَا وَرَجَعْنَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ مَا قَدْ نَوَيْنَا

[الخفيف]

قال : إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه، فأرود^(٣) التفسير، ولئن مُتْ لأموتنَّ

معك، أُوْ للدنيا بعدك يا أبا الخطاب! فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا أبا

محمد!

قال : فلقي الحارث بن خالد ابن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين

ابن أبي ربيعة، فكيف لم تتحللاً مني^(٤)؟ فقال له ابن أبي عتيق : يغفر الله لك يا أبا

عمرو، إن ابن أبي ربيعة يرى القرح^(٥)، ويضع الهناء مواضع الثقب^(٦)، وأنت جميل

الخفص^(٧)، فضحك الحارث بن خالد وقال : «حُبُّكُ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ». فقال :

هيهات أنا بالحسن عالمٌ نظار!

[خبر السواد في ثنيتي عمر]

وأما خبر السواد في ثنيتي عمر، فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمه مصعب في

(١) الغدر : جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.

(٢) مثل سائر، يعني انتهاز الفرصة.

(٣) أرود بمعنى ترك، والمقصود هنا : «قد بان لنا أمرك ودلّ على باطنك ظاهرك».

(٤) لم تتحللاً مني : لم تسألني أن أجعلكما في حلّ.

(٥) قال الأزهري : الذي قاله الليث من أن القرح جرب شديد يأخذ الفُصْلَان غلط، إنما القرح داء يأخذ البعير فيهدل مشفره منه.

(٦) نَقِبْتُ أَفْدَامُنَا أَي رَقَّتْ جُلُودُهَا، وَتَنَقَّطَتْ مِنَ الْمَشْيِ. وَنَقَبَ الْخُفُّ الْمَلْبُوسُ نَقْبًا : تَحَرَّقَ، وَقِيلَ : حَفِي. وَنَقَبَ خُفُّ الْبَعِيرِ نَقْبًا إِذَا حَفِيَ حَتَّى يَتَحَرَّقَ فِرْسُهُ.

(٧) الخفص : الدعة.

خبره: أَنَّ امرأةً غارت عليه فاعترضته بمسواكٍ كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودَّتَا. وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله^(١) المسيبي وأبي الحسن المدائني: أَنَّهُ أتى الثريا يوماً ومعه صديقٌ له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج إليه، رأت صاحبه فرجعت، فقال لها: إنه ليس ممن أحششمه^(٢) ولا أخفي عنه شيئاً؛ واستلقى فضحك - وكان النساء إذ ذاك يتختمن في أصابعهن العشر - فخرجت إليه فضربته بظاهر كفها، فأصابت الخواتيم ثنيتيه العلبيين فنَغَضَتَا^(٣) وكادتا تسقطان، فقدم البصرة فعولجتا له، فثبتتا واسودتا؛ فقال الحزين الكناني يعيره بذلك - وكان عدوه وقد بلغه خبره -:

ما بال سنَّيك أم ما بال كسرهما أهكذا كسيرا في غير ما باس
أم نفحة من فتاة كنت تألفها أم نالها وسط شرب صدمة الكاس
[البسيط]

قال: ولقيه الحزين الكناني يوماً فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمر: اذهب اذهب، ويلك! فإنك لا تحسن أن تقول:

صوت

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِد وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِد
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِد
[الرمل]

لابن سريح في هذا الشعر رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وخفيف رمل [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي. ولمالك [فيه] ثقل أول عن الهشامي. ولمتيم ثاني ثقل عن ابن المعتز. وذكر أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أن خفيف الرمل ليحيى المكي صنعه وحكى فيه لحن هذا الصوت:

اسلمي يا دار من هند

[خبر الثريا مع الحارث]

حدثني علي بن صالح قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله

(١) في إحدى النسخ عبيد الله.

(٢) احتشم: شعر بالحشمة والحياء.

(٣) نغضتا: فلقنا وتحركتا.

المذكورين: أن الثريا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره، فجاءت في الوقت الذي ذكرته، فصادفت أخاه الحارث قد طرقة^(١) وأقام عنده، ووجّه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه، فلم يشعر إلا بالثريا قد أَلقت نفسها عليه تُقبّله، فانتبه وجعل يقول: اغربي عني فلست بالفاسق، أخزاکما الله! فلما علمت بالقصة انصرفت. ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها؛ فاغتم لما فاته منها، وقال: أما والله لا تمسك النار أبداً وقد أَلقت نفسها عليك. فقال له الحارث: عليك وعليها لعنة الله.

وأخبرني بهذه القصة الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن يعقوب بن إسحاق الربيعي عن الثقة عنه عن ابن جريج عن عثمان بن حفص الثقفي: أن الحارث بن عبد الله زار أخاه، ثم ذكر نحوه من الذي ذكره إسحاق، وقال فيه: فبلغ عمر خبرها، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له: جُعِلْتُ فداءك! ما لك ولأمة الوهَّاب [ابنتك]؟ أتتكَ مُسلمةً عليك فلعننتها وزجرتها وتهددتها، وها هي تيك باكية؛ فقال: وإنها لهي! قال: ومن تراها تكون؟ قال: فانكسر^(٢) الحارث عنه وعن لومه.

[تزوج الثريا بسهيل]

أخبرني علي بن صالح قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد، هكذا قال إسحاق، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار. ورواه أيضاً حماد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه: عن أبي عبيدة العماري، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد، قالوا: تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا - وقال الزبير: بل تزوجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف - فحملت إليه وهو بمصر، والصواب قول من قال: سهيل بن عبد العزيز؛ لأنه كان هناك منزله، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضع. فقال عمر:

صوت

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمَرَكَ اللَّهُ^(٣) كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ^(٤) وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ
[الخفيف]

(٢) انكسر: انكف وانصرف.

(٤) استقلت: ارتفعت.

(١) طرقة: جاءه ليلاً.

(٣) الدعاء له بطول العمر.

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيل بالبنصر . وأول هذه القصيدة :

أَيُّهَا الطَّارِقُ الَّذِي قَدْ عَنَانِي بَعْدَمَا نَامَ سَامِرُ الرُّكْبَانِ
زَارَ مِنْ نَازِحٍ بِغَيْرِ دَلِيلٍ يَتَخَطَّى إِلَيَّ حَتَّى أَتَانِي
[الخفيف]

وذكر الرياشي عن ابن زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال :

كان عمر بن أبي ربيعة قد ألح على الثريا بالهوى ، فشق ذلك على أهلها ، ثم إن مسعدة بن عمرو أخرج عمر إلى اليمن في أمر عرض له ، وتزوجت الثريا وهو غائب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر ، فقال :

أَيُّهَا الْمُنْكُحُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
[الخفيف]

وذكر الأبيات ، وقال في خبره : ثم حمله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها :

كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابَ مُؤَلِّهِ كَمَدٍ
كَئِيبٍ وَكَفٍ^(١) الْعَيْنِي نِ بِالْحَسَرَاتِ مُنْفَرِدٍ
يُورِّقُهُ لَهَيْبُ الشَّو قِ بَيْنَ السَّحَرِ وَالْكَدِ
فِيْمَسِكُ قَلْبَهُ بِيَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدٍ
[مجزوء الوافر]

وكتبه في قوهية^(٢) وشفه^(٣) وحسنه وبعث به إليها فلما قرأته بكّت بكاءً شديداً ، ثم تمثّلت :

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ
[الطويل]

(١) وكفت العين : سالت دموعها .

(٢) القوهي : ضربٌ من الثياب بيض ، فارسي . الأزهري : الثياب القوهية معروفة منسوبة إلى قوهستان .

(٣) شنف : الشنف : شدة البغض . شنفه : أبغضه ، وشنف على فلان ، أي : وجد وعضب . والشنف ، مجزوءٌ ومُنْحَرَكٌ : مِعْلَاقٌ فِي قُوفِ الْأُذُنِ ، أي : فِي أَعْلَى الْأُذُنِ ، وكذلك مَا جُمِعَ فِي قِلَادَةٍ ، والجميع : الشُّوف .

وكتبت إليه تقول:

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرِ النَّاسَ مِثْلَهُ أَمِدٌ^(١) بِكَافُورٍ وَمَسْكِ وَعَنْبِرٍ
وَقَرطَاسِهِ قَوْهِيَّةٌ وَرِبَاطُهُ بَعَقْدٍ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرٍ
وَفِي صَدْرِهِ: مَنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ لَقَدْ طَالَ تَهْيَامِي بِكُمْ وَتَذَكُّرِي
وَعُنْوَانُهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَّادِهِ إِلَى هَائِمٍ صَبٌّ مِنَ الْحَزَنِ مُسْعِرٍ
[الطويل]

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا الخبر عندي مصنوعٌ، وشعره مضعَّفٌ يدل على ذلك، ولكنِّي ذكرته كما وقع إليَّ.

قال أبو سعيد مولى فائدٍ ومن ذكر خبره مع الثريا: فمات عنها سهيلٌ أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفةٌ بدمشق في دينٍ عليها، فبينما هي عند أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، إذ دخل عليها الوليد فقال: من هذه؟ فقالت: الثريا جاءتني، تطلب^(٢) إليك في قضاء دينٍ عليها وحوائج لها، فأقبل عليها الوليد فقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنَّه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر، أروي قوله:

صوت

مَا عَلَى الرَّسْمِ «بِالْبُلَيَّيْنِ» لَوْ بَيَّ يَنْ رَجَعَ السَّلَامُ^(٣) أَوْ لَوْ أَجَابَا
فَلِإِلَى قَصْرِ «ذِي الْعُشَيْرَةِ»^(٤) قَالَصَا ثَفٍ^(٥) أَمْسَى مِنَ الْأَنْيَسِ يَبَابَا^(٦)

(١) أي جعل مداده من ثلاثة أخلاط الكافور والمسك والعنبر.

(٢) تطلب ديناً عليها وحوائج لها.

(٣) في الديوان «التسليم» بدل «السلام».

(٤) العُشَيْرَةُ: بلفظ تصغير عشرة يضاف إليه ذو فيقال ذو العُشَيْرَةِ؛ قال الأزهري: هو موضع بالصمان معروف نسب إلى عُسْرَةٍ نابتة فيه، والعشر: من كبار الشجر وله صمغ حلو يسمى سكر العشر، وغزا النبي صلى الله عليه وسلم ذا العُشَيْرَةِ وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، وقال أبو زيد: العُشَيْرَةُ حصن صغير بين ينبع وذي المروة يفضل تمره على سائر تمور الحجاز إلا الصبيحاني بخيبر والبرزني والعجوز بالمدينة؛ قال الأصمعي: خَوَّ واد قرب قَطْنٍ يَصْبُ في ذي العُشَيْرَةِ واد به نخل ومياه لبني عبد الله بن غطفان، وهو يَصْبُ في الرِّمَّةِ مستقبل الجنوب وفوق ذي العُشَيْرَةِ مُبْهَلٌ.

(٥) صَائِفٌ: من نواحي المدينة؛ وقال نصر: صَائِفٌ موضع حجازي قريب من ذي طَوَى في شعر

معن بن أوس.

(٦) يباب: خراب.

وَبِمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَيِّ صَدَقٍ^(١) ظَاهِرِي^(٢) الْعَيْشِ نِعْمَةً وَشَبَابًا
 إِذْ فُؤَادِي يَهْوِي الرَّبَابَ وَأَنْسَى الدُّ مَدَهَرَ حَتَّى الْمَمَاتِ يَنْسَى الرَّبَابَا
 وَحَسَانًا جَوَارِيًا خَفِرَاتٍ حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَحْسَابَا
 لَا يُكْثَرْنَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَثُ بَعْنَ يَنْعَقْنَ^(٣) بِالْبِهَامِ^(٤) الظَّرَابَا^(٥)
 [الخفيف]

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه، فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها:
 لله درُّ الثريا! أتدريين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر؟ قالت: لا، قال:
 إني لما عرّضت لها به عرضت لي بأن أُمي أعرابية، وأم الوليد وسليمان ولادة بنت
 العباس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي.

[نسبة الأبيات التي أنشدتها الثريا]

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السمح
 خفيف ثقیل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيها لابن سريج رمل بالخنصر في
 مجرى البنصر. وفيها لإبراهيم خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.
 وذكر حبش أيضاً أن فيها لابن مسجح خفيف رمل بالوسطى. وذكر عمرو بن بانه أن
 لابن محرز فيها خفيف ثقیل بالوسطى.

ومما يغنى فيه من أشعار عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي
 أولها «من رسولي»:

صوت

وَتَبَدَّتْ حَتَّى إِذَا جُنَّ قَلْبِي حَالِ دُونِي وَلَائِدٌ^(٦) بِالثِّيَابِ

(١) حي صدق: الحي الجامع لصفات الخير.

(٢) أي أثر النعمة تظهر عليهم.

(٣) نعق الراعي بالغنم نعيقاً: صاح بها زجراً. ونعق الغراب ينطق نعاقاً ونعيقاً.

(٤) البهمة: اسم للذكر والأنثى من أولاد بقر الوحش وضروب الغنم، والجمع: البهم والبهم. والبهم أيضاً: صغار الغنم. والبهمي: نبات تجده به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر. فإذا يبس هراً شوكة وامتنع. الواحد: بهمي أيضاً، ويقال للواحدة بهمة أيضاً.

(٥) الظراب: دون الجبال، واحدها ظرب.

(٦) الولائد: الإماء، واحده وليدة.

يَا خَلِيلِي فَاعْلَمَا أَنَّ قَلْبِي مُسْتَهَامٌ بِرَبَّةِ الْمُحْرَابِ^(١)
[الخفيف]

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها :

صوت

أَقْتُلِيهِ قَتْلًا سَرِيعًا مُرِيحًا لَا تَكُونِي عَلَيَّ سَوَاطِ عَذَابٍ
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقٌ جَنْدِي فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ
[الخفيف]

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . ومنها :

صوت

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي أَتَحِبُّ الْبَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ
قُلْتُ وَجَدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْمَا ءِ إِذَا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
[الخفيف]

الغناء لمالكٍ رملٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها :

صوت

أَذْكُرْتَنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا بَرَزْتُ مِنْ دُجْنَةٍ وَسَحَابِ
أَزْهَقْتَ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ: مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
[الخفيف]

الغناء للغريض خفيف رملٍ عن الهشامي وحماد بن إسحاق، ومنها :

صوت

مَرَحَبًا ثُمَّ مَرَحَبًا بِأَلْتِي قَا لَتْ غَدَاةَ الْوَدَاعِ يَوْمَ الرَّحِيلِ
لِلثُرَيَّا قَوْلِي لَهُ أَنْتَ هَمِّي وَمُنَى النَّفْسِ خَالِيًا وَخَلِيلِي
[الخفيف]

(١) المحراب: قال الأزهري: سمي المحراب محراباً، لانفراد الإمام فيه، وبعده من الناس .

الغناء لابن محرز ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو، ومنها:

صوت

رَعَمُوا بِأَنَّ الْبَيْنَ بَعْدَ عَدٍ فَالْقَلْبُ مِمَّا أَزْمَعُوا يَجِفُّ^(١)
تَشْكُو وَأَشْكُو مَا أَجَدَّ بَنَا كُلُّ لَوْشِكِ^(٢) الْبَيْنِ يَعْتَرِفُ^(٣)
حَلَفُوا لَقَدْ قَطَعُوا بَيْنَهُمْ وَحَلَفْتُ أَلْفًا مِثْلًا حَلَفُوا
[الكامل]

الغناء للغريض خفيف ثقيلٍ بالوسطى، ومنها:

صوت

فَلَوْتَ رَأْسَهَا ضِرَارًا وَقَالَتْ لَا وَعِيشِي وَلَوْ رَأَيْتَكَ مُتًّا
حِينَ أَثَرْتَ بِالْمَوَدَّةِ غَيْرِي وَتَنَاسَيْتَ وَصَلْنَا وَمَلِلْنَا
فَوَجَدْنَاكَ إِذْ خَبَرْنَا مَلُولًا طَرِفًا^(٤) لَمْ تَكُنْ كَمَا كُنْتَ قُلْتَا
[الخفيف]

الغناء لمالكٍ رملٌ ثقيلٌ أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشامي، وكذا روته دنانير عن فليح، وقد نسب قومٌ لحن مالكٍ إلى الغريض، ومنها:

صوت

يَا خَلِيلِي سَائِلًا الْأَطْلَالَ وَمَحَلًّا بِالرَّوْضَتَيْنِ أَحَالَ
[الخفيف]

- ويروى:

بِالْبُلَيَّيْنِ إِنْ أَحْرَزَ سُؤَالَ

(١) وجف الشيء أي اضطرب. وقلب واجف. والوجيف: ضرب من سير الأبل والخيول. وقد وجف البعير يجف وجفًا ووجيفًا، وأوجفته أنا. يقال «أوجف فأعجف».

(٢) وشك: قرب.

(٣) يعترف: يصطبر. يقال: عرف للأمر واعترف: صبر.

(٤) طرف: من يلاحق النساء ولا يثبت على امرأة ولا صاحبة.

وَسَفَاهُ لَوْلَا الصَّبَابَةُ حَبْسِي فِي رُسُومِ الدِّيَارِ رَكْبًا عَجَالًا
بَعْدَ مَا أَوْحَشْتَ مِنْ آلِ الثُّرَيَّا وَأَجَدْتَ فِيهَا النُّعَاجُ الظَّلَالَا

[الخفيف]

الغناء لابن سريج هزجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحكم الوادي ثقیلٌ أول من جامع أغانيه. وذكر ابن دينار أن فيه لابن عائشة لحناً لم يذكر طريقته. وذكر إبراهيم أن فيه لدحمان لحناً ولم يجنسه. وقال حبش: فيه لإسحاق ثقیلٌ أول بالوسطى.

[عمر والثريا]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو عبد الله التميمي [يعني أبا العيناء] عن القحذمي عن أبي صالح السعدي قال: لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشام، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله، فوجدها قد رحلت منه يومئذ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين، وكانت قبل ذلك مهاجرة لأمر أنكرته عليه. فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى متنكراً حتى مرَّ بالخيمة، فعرفته الثريا وأثبتت^(١) حركته ومشيته، فقالت لحاضنتها^(٢): كَلِمِهِ، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه، فاعتذر وبكى، فبكت الثريا، فقالت: ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل، فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكى طويلاً، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون^(٣)، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا، وأنشأ يقول:

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَالَا عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّه بِالْأَمْسِ مَا فَعَلَا
فَقَالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ^(٤) فَاحْتَمَلَا^(٥)
وَخَادَعَتَكَ النَّوَى^(٦) حَتَّى رَأَيْتَهُمْ فِي الْفَجْرِ يَحْتُتُ^(٧) حَادِي عَيْسِهِمْ زَجَلَا^(٨)
لَمَّا وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَحَتْ هَوَاتِفُ الْبَيْنِ فَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلَا^(٩)

(١) أثبت: عرف. (٢) لحاضنتها: لمربيته.

(٣) يرحلون: يشدون على إبلهم للرحال. (٤) أجد البين: اعتممه.

(٥) احتمل: ارتحل. (٦) النوى: الفراق والبعد.

(٧) يحتث: يسوق ويرعى.

(٨) الزجل: رفع الصوت الطري، يقال: حاد زجل، ومغن زجل، وقد زجل يزجل زجلاً.

(٩) الأصل: جمع أصيل وهي العشي.

صَدَّتْ بِعَادَا وَقَالَتْ لِلسَّيِّئَةِ مَعَهَا
وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتُ وَاسْتَمِعِي
حَتَّى يَرَى أَنَّ مَا قَالَ الْوُشَاةُ لَهُ
وَعَرَّفِيهِ بِهِمْ كَالْهَزْلِ وَاحْتَفِظِي
فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ، وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ،
لَوْ عِنْدَنَا اغْتِيبَ أَوْ نِيلَتْ نَقِصَتُهُ
قُلْتُ اسْمِعِي فَلَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي لَطْفِ
هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُخْلًا لِأَعْذَرَهَا
مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ
أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَتْ أَتَيْتُ بِهِ
مَا إِنْ أَطَعْتُ لَهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتَ
إِنِّي لَأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسُخْطِهِ

بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعْيِي^(١) بِهِ جَدَلَا
فِينَا لَدَيْهِ إِلَيْنَا، كُلُّهُ نُقَلَا
فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغَضِبِي الرَّجُلَا
وَإِنْ أَتَى الذَّنْبَ مِمَّنْ يَكْرَهُ الْعَدَلَا
مَا أَبْ مُغْتَابُهُ مِنْ عِنْدِنَا جَدَلَا
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى ذِي اللَّبِّ مَنْ هَزَلَا
وَقَدْ أَرَى أَنَّهَا لَنْ تَعْدَمَ الْعِلَلَا
وَلَا الْفُؤَادُ فُؤَادًا غَيْرَ أَنْ عَقَلَا
فَمَا عَنِتُّ بِهِ إِذْ جَاءَنِي حَوْلَا
مَقَالَةَ الْكَاشِحِ الْوَاشِي إِذَا مَحَلَا^(٢)
وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَرَّنِي زَلَالَا^(٣)

[البسيط]

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن
المرزبان قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: زعم عبيد بن
يعلى قال: حدثني كثير بن كثير السهمي قال: لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي:
قل أبيات شعرٍ أُتِّخَ بها على الثريا فقلت:

صوت

أَلَا يَا عَيْنَ مَا لَكَ تَدَمَّعِينَا
أَمْ أَنْتَ حَزِينَةٌ تَبْكِينَ شَجْوَا
أَمِنْ رَمِدٍ بَكَيْتِ فَتَكْحَلِينَا
فَشَجْوُكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعَيُونَا

[الوافر]

(١) لا تعيي به جدلاً: لا تعجزني في مجادلته .

(٢) محل فلان بفلان إذا كاده بسعاية إلى السلطان .

(٣) العجز ورد في القصيدة على الشكل التالي: «وَقَدْ أَتَانِي يُرْجَى طَاعَتِي نَفَلَا» .

غنى الغريض في هذين البيتين لحناً من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويحيى المكي والهشامي وغيرهم .

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال: حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير: أن عمر بن أبي ربيعة نظر في الطواف إلى امرأة شريفة، فرأى أحسن خلق الله صورةً، فذهب عقله عليها، وكلمها فلم تجبه، فقال فيها:

الريحُ تَسَحَّبُ أَذِيالاً وَتَنْشُرُهَا	يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِمَّنْ تَسَحَّبُ الرِّيحُ
كَيْمَا تَجُرُّ بِنَا ذِيالاً فَتَطْرَحَنَا	عَلَى الَّتِي دُونَهَا مُغْبَرَةٌ ^(١) سَوْحُ ^(٢)
أَتَى بِقُرْبِكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي بِكُمْ	هَيْهَاتَ ذَلِكَ مَا أَمَسَتْ لَنَا رَوْحُ
فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى يَكُونُ بِهَا	بَلْ لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى تَبَارِيحُ ^(٣)
إِحْدَى بُنَيَاتِ عَمِّي دُونَ مَنْزِلِهَا	أَرْضُ بَقِيعَانِهَا الْقَيْصُومُ ^(٤) وَالشَّيْخُ

[البسيط]

فبلغها شعره فجزعت منه . فقليل لها: اذكره لزواجك، فإنه سينكر عليه قوله، فقالت: كلا والله لا أشكوه إلا إلى الله، ثم قالت: اللهم إن كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح، فضرب الدهر من ضربه، ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسلمة^(٥)، فعصفت الريح فخدشه غضنٌ منها فدمي وورم به ومات من ذلك .

(١) مغبرة: جدباء، لا منزل بها .

(٢) سوح: الساحة: فضاء يكون بين دور الحي ، والجمع: سوح وساحات، وتصغيرها سويحة .

(٣) تباريح: توهج .

(٤) القيعون من العشب والقيصوم: نبت على فيعول، وهو ما طال منه . يقال: اشتقاقه من القعن كاشتقاق القيصوم من القصم .

(٥) السلمة: واحدة السلم وهو شجر من العضاء، ورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم .

أخبار ابن سريج ونسبه

[نسب ابن سريج وأوصافه]

هو عُبيد بن سُرَيْج، ويُكنى أبا يحيى، مولى بني نوفل بن عبد مناف. وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال: ابن سريج مولى لبني ليث، ومنزله مكة.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: سألت الحسن بن عُتبة اللّهي عن ابن سريج فقال: هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وفي بني عائذ يقول الشاعر:

فإن تَصْلَحْ فَلِإِنَّكَ عَائِذِي وَصُلِحْ الْعَائِذِيَّ إِلَى فَسَادِ
[الوافر]

قال إسحاق: وقال سلمة بن نوفل بن عُمارة: ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال: ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص:

أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطاً^(١) في عينيه قبل^(٢)، بلغ خمساً وثمانين سنة، وصلح فكان يلبس جُمّة^(٣) مركّبة، وكان أكثر ما يُرى مُقْتَعاً^(٤)، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر.

(١) السَّنَاطُ : وهو الذي لا لِيَحْيَةَ له.

(٢) القبل في العينين: إقبال السّواد على الأنف، أو مثل الحَوْل، أو أحسن منه، أو إقبال إخذى الحَدَقَتَيْنِ على الأخرى، أو إقبالها على عَرْضِ الأنف، أو على المَحْجَرِ، أو على الحاجِبِ، أو إقبال نَظَرِ كُلِّ من العينين على صاحِبَتِها.

(٣) الجمة: مجتمع شعر الرأس، والمقصود في النص أنه كان يضع شعراً مستعاراً.

(٤) المُقْتَعُ والمُقْتَعَةُ؛ الأولى عن اللحياني: ما تُعْطَى به المرأة رأسها.

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال: كان ابن سريج مُخَنَّثاً أَحُولَ أَعْمَشَ يُلَقَّبُ «وجه الباب»، وصلع فكان يلبس جُمَةً، وكان لا يغني إلا مُقَنَّعاً يُسْبِلُ القناع على وجهه.

وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين: كان ابن سريج أحسن الناس غناءً، وكان يُغَنِّي مُرْتَجِلاً وَيُوقِعُ بِقُضِيبٍ، وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك.

قال إسحاق: وكان الحسن بن عتبة اللّهي يروي مثل ذلك فيه، وذكر أن قبره بنخلة^(١) قريباً من بستان ابن عامر^(٢).

قال إسحاق: وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال: كان عبيد بن سريج من أهل مكة، وكان أحسن الناس غناءً. قال إسحاق: قال عُمارة بن أبي طرفة الهذلي: سمعت ابن جريج يقول: عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد بن أسيد.

قال إسحاق: وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيوب بن سلمة المخزومي قال: كان في عين ابن سريج قَبْلُ حُلُوٍّ لا يبلغ أن يكون حولاً، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد، وكان له صلَعٌ في جبهته، وكان يلبس [جُمَةً]^(٣) مركبة فيكون فيها أحسن شيء، وكان يُلَقَّبُ «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك، وكان أبوه تركياً.

وقال أبو أيوب المديني: كان ابن سريج، فيما روينا عن جماعة من المكيين، مولى بني جندع بن ليث بن بكر، وكان إذا غنى سدل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله، وكان يُوقِعُ بِقُضِيبٍ، وقيل: إنه كان يضرب بالعود، وكانت علته التي مات منها الجُذام.

(١) نخلة اليمانية: واد يصب فيه يدعان وبه مسجد لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبه عسكرت هوازن يوم حنين، ويجتمع بوادي نخلة الشامية في بطن مَرَّ وسبوحة وادٍ يصب باليمامة على بستان ابن عامر وعنده مجتمَعُ نخلتين وهو في بطن مَرَّ.

(٢) بُسْتَانُ ابن مَعْمَرٍ: مجتمَعُ النَّخْلَتَيْنِ النخلة اليمانية والنخلة الشامية، وهما واديان، والعامية يسمونه بستان ابن عامر، وهو غلط؛ قال الأَصْمَعِيُّ وأبو عبيدة وغيرهما: بستان ابن عامر إنما هو لَعَمْرُ بن عبيد الله بن مَعْمَرِ ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ولكن الناس غلطوا فقالوا بستان ابن عامر وبستان بني عامر، وإنما هو بستان ابن مَعْمَرِ.

(٣) لم ترد في جميع النسخ.

[إنه أول من ضرب بالعود الفارسي]

قال إسحاق: وحدثني أبي قال: أخبرني من رأى عود ابن سريج وكان على صنعة عيدان الفرس، وكان ابن سريج أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة. وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة، فأعجب أهل مكة غناؤهم. فقال ابن سريج: أنا أضرب به على غنائي، فضرب به فكان أحذق الناس.

[أم ابن سريج]

قال إسحاق: وذكر الزبيري أن أم ابن سريج مولاة لآل المُطَّلِب يقال لها «رائقة»، وقيل: بل أمه هند أخت رائقة، فمن ثم قيل: إنه مولى بني المُطَّلِب بن حنطب. وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحكم بن المُطَّلِب بن عبد الله بن المُطَّلِب بن حنطب أحد بني مخزوم، وكان من سادة قريش ووجهها. وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجح.

[أقطاب الغناء]

قال إسحاق: وأصل الغناء أربعة نفر: مكِّيَّان ومدنيَّان، فالمكِّيَّان: ابن سريج وابن محرز، والمدنيَّان: معبد ومالك.

[أول شهرته]

قال إسحاق: وقال سلمة بن نوفل بن عمار: أخبرني بذلك من شئت من مشيختنا: أن يوماً شُهر فيه ابن سريج بالغناء في ختان ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين. قال لأم الغلام: خفّضي عليك بعض الغُرم والكلفة، فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمته عليه.

[شهادة هشام بن المَرِيّة]

قال إسحاق: وسألت هشام بن المَرِيّة، وكان قد عُمّر، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه، فقلت له: من أحذق الناس بالغناء؟ فقال لي: أتحب الإطالة أم الاختصار؟ فقلت: أحب الاختصار الذي يأتي على سؤالي، قال: ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام، أحسن صوتاً من ابن سريج، ولا صاغ الله عز وجل أحداً أحذق منه بالغناء، ويدلك على ذلك أن معبدًا كان إذا أعجبه غناؤه قال: أنا اليوم سريجي.

[شهادة يونس بن محمد]

قال: وأخبرني إبراهيم - يعني أباه - قال: أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثني عن الأربعة: ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد، فقلت له: من أحسن الناس غناء؟ فقال: أبو يحيى، قلت: عبيد بن سريج؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذاك؟ قال: إن شئت فسرت لك، وإن شئت أجملت، قلت: أجمل، قال: كأنه خُلِقَ من كل قلب، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي.

[شهادة إبراهيم الموصلي]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: قال حماد بن إسحاق: أخبرني أبي عن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك قال: سألت إبراهيم الموصلي ليلة وقد أخذ منه النبذ: من أحسن الناس غناء؟ فقال لي: من الرجال أم من النساء؟ فقلت: من الرجال، فقال: ابن محرز، قلت: ومن النساء؟ قال: ابن سريج، ثم قال لي: إن كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي!

[شهادة إسحاق الموصلي]

أخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم قال: أرسلني محمد بن الحسين بن مصعب إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في:

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهَدَتْهُ

أيهما أحسن؟ فصرت إليه فسألته عن ذلك، فقال لي: يا أبا الحسن، والله لقد أخذت بخطام راحلته فدعرتها^(١) وأنختها وقمت بها فما بلغته^(٢)، فرجعت إلى محمد بن الحسين فأخبرته؛ فقال: والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن سريج، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه، ولكن لا يدعُ تعصبه للقدماء. وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه، فذكر نحو ما ذكره جحظة في خبره، ولم يقل: أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق. وقال جحظة في خبره: قال علي بن يحيى: وقد صدق محمد بن الحسين؛ لأنه قلما غُنِّي في صوت واحدٍ لحنان فسقط خيرهما، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحن إسحاق، وقد ترك لحن ابن

(١) الذعر: الخوف، والمراد أنني حشيتها فسارت سيرا سريعا.

(٢) بَلَغَ المكانَ بُلُوغاً: وَصَلَ إِلَيْهِ، أَوْ شَارَفَ عَلَيْهِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ النِّصِّ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ شَأْوَهِ فِي صِنْعَةِ الْغِنَاءِ.

سريع، فقل من يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايخ المغنين. هذا أو نحوه.

[من لحن الأبحر]

وأخبرني يحيى بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال: يقولون: إن ابتداء غناء إسحاق الذي في:

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهَدَتْهُ

إنما أخذه من صوت الأبحر:

يقولون ما أبكاك^(١) والمال غامر^(٢)

صوت

نسبة هذا الصوت

يَقُولُونَ مَا أَبْكَاكَ وَالْمَالُ غَامِرٌ عَلَيْكَ وَضَاحِي الْجِلْدِ^(٣) مِنْكَ كَنِينُ^(٤)
فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَسْأَلُونِي^(٥) وَانْظُرُوا إِلَى الطَّرْبِ النَّزَاعِ^(٦) كَيْفَ يَكُونُ^(٧)

[الطويل]

غناه الأبحر ثقيلاً أول بالبنصر، عن عمرو ودنانير. وذكر الهشامي أن فيه لعزة المرزوقية ثاني ثقیل بالوسطى.

[مولده ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن المهدي قال: حدثني إسماعيل بن جامع عن سباط قال: كان ابن

(١) ورد في بعض النسخ «أبلاك» بدل «أبكأك».

(٢) غَمَرُ الْمَاءِ غَمَارَةٌ وَغَمُورَةٌ: كَثُرَ. وَغَمَرَهُ الْمَاءُ غَمْرًا وَاغْتَمَرَهُ: غَطَّاهُ.

(٣) ضاحي الجلد: العاري الذي يتعرض للشمس.

(٤) الْكِنُ السُّتْرَةُ وَالْجَمْعُ أَكْنَانٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وَالْأَكْنَةُ الْأَغْطِيَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ وَالوَاحِدُ كِنَانٌ. الْكِسَائِيُّ كَنَّ الشَّيْءَ سَتَرَهُ وَصَانَهُ مِنَ الشَّمْسِ.

(٥) فِي الْبَيْتِ «تَعَذَّلُونِي» بَدَلَ «تَسْأَلُونِي».

(٦) فِي الْبَيْتِ «إِلَى النَّازِعِ الْمَقْصُورِ» بَدَلَ «إِلَى الطَّرْبِ النَّزَاعِ». النَّزْعُ إِلَى الشَّيْءِ: الْحَنِينُ وَالِاشْتِيَاقُ.

(٧) هَذَا الْبَيْتَانِ يَنْسَبَانِ إِلَى جَمِيلِ بُشَيْئَةٍ، وَهُوَ جَمِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرِيِّ الْقَضَاعِيِّ، أَبُو عَمْرٍو. شَاعِرٌ مِنْ عَشَاقِ الْعَرَبِ، افْتَتَنَ بِبُشَيْئَةٍ مِنْ فَتَيَاتِ قَوْمِهِ، فَتَنَاقَلَ النَّاسُ أَخْبَارَهُمَا، تَوَفَّى

سريج أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس، وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه، ومات في خلافة هشام. قال: وكان قبل أن يُعْتَي نائحاً ولم يكن مذكوراً، حتى ورد الخبر مكة بما فعله مسرف بن عقبة^(١) بالمدينة، فعلا على أبي قبيس وناح بشعر هو اليوم داخل في أغانيه، وهو:

يا عين جودي بالدموع السفاح^(٢) وابكي على قتلى قريش البطاح^(٣)
[السريج]

فاستحسن الناس ذلك منه، وكان أول من ندب به.

قال ابن جامع: وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حَدَّثُوا: أن سكينه بنت الحسين بعثت إلى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُنَاحُ به، فصاغ فيه، وهو الآن داخل في غنائه، والشعر:

يا أرض ويحك أكرمي أمواتي فلقد ظفرت بساتني وحماتي
[الكامل]

فقدمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف.

قال: وحدثني ابن جامع وابن أبي الكنات جميعاً: أن سكينه بعثت إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك، وأمرته أن يعلمه النِّياحة، فلم يزل يعلمه مدة طويلة، ثم توفي عمها أبو القاسم محمد ابن الحنفية، وكان ابن سريج عليلاً علةً صعبةً فلم يقدر على النِّياحة، فقال لها بعدها عبد الملك: أنا أنوح لك نوحاً أنسيك به نوح ابن سريج، قالت: أو تحسن ذاك؟ قال: نعم، فأمرته فناح؛ فكان نوحه في الغاية من الجودة، وقال النساء: هذا نوح غريض؛ فلقَّب عبد الملك الغريض. وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية، فقال لهم: فمن ناح عليه؟ قالوا: عبد الملك غلام سكينه. قال: فهل جوِّز الناس^(٤) نوحه؟ قالوا: نعم، وقدمه بعضهم عليك. فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم، وترك النوح وعدل إلى الغناء، فلم يُنح حتى ماتت حبابه، وكانت قد أخذت عنه وأحسنَت إليه فناح عليها، ثم ناح بعدها على

(١) مسرف بن عقبة أحد قواد يزيد بن معاوية، الذين استباحوا مكة المكرمة.

(٢) سَفَحْتُ دمه سَفَكْتُهُ، ويقال بينهم سَفَاحُ أي سَفَكُ للدماء، وفي حديث أبي هلال فقتل على رأس الماء حتى سَفَحَ الدَّمُ الماء؛ جاء تفسيره في الحديث أنه غَطَّى الماء.

(٣) بطح: الباء والطاء والحاء أصل واحد، وهو تَبَسُّطُ الشيء وامتداده. قال الخليل: البَطْح من قولك بَطَحَه على وَجْهِهِ بَطْحاً؛ وَالْبَطْحَاء: مَسِيلٌ فيه دُقَاقُ الحَصَى، فإذا اتَّسع وعَرُضَ سُمِّيَ أَبْطَحَ.

(٤) جوِّز الناس: أساغوا له ذلك وارتنصوه.

يزيد بن عبد الملك، ثم لم يُنح بعده حتى هلك. قال: ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه، فكان لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه.

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضر أن يحيى المكي حدثه أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذي طوى^(١)، وعليه ثيابٌ مُصَبَّغة وفي يده جراحةٌ مشدودة الرجل بخيطٍ يُطَيِّرُها ويجذبها به كلما تخلفت؛ فقال له عطاء: يا فتّان، ألا تكفّ عما أنت عليه! كفى الله الناس مؤونتك، فقال ابن سريج: وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي؟ فقال له: تفتنهم أغانيك الخبيثة، فقال له ابن سريج: سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله ﷺ، وبحق رسول الله ﷺ عليك، إلا ما سمعت مني بيتاً من الشعر، فإن سمعتُ منكراً أمرتني بالإمساك عما أنا عليه. وأنا أقسمُ بالله وبحق هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك، فأطمع ذلك ابن عطاء في ابن سريج، وقال: قل، فاندفع يغني بشعر جرير:

صوت

إِنَّ الَّذِينَ عَدَّوْا بِلْبَّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا^(٢) بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا^(٣)
غَيَّضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
[الكامل]

- لحن ابن سريج هذا ثقیلاً أول بالوسطى عن ابن المكي والهشامي، وله أيضاً فيه رملٌ ولإسحاق فيه رملٌ آخر بالوسطى. وفيه هزجٌ بالوسطى ينسب إلى ابن سريج والغريض -.

قال: فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريحيةٌ، فحلف ألا يكلم أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر، وسار إلى مكانه من المسجد الحرام؛ فكان كل من

(١) ذو طوى، بالضم أيضاً، موضع عند مكة.

(٢) وشل: الواو والشين واللام يدل على سيلان ماء قليل. فالوشل: الماء القليل، وجمعه أوشال، وجبل واشل: يقطر منه الماء.

(٣) معن: الميم والعين والنون أصل يدل على سهولة في جريان أو جري أو غير ذلك.

يأتيه سائلاً عن حلالٍ أو حرامٍ أو خبرٍ من الأخبار، لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى، وينشد هذا الشعر حتى صلى المغرب، ولم يعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرّض له.

[ابن سريج ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدثني إسحاق عن ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب قال:

لما قال عمر بن أبي ربيعة:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنِيٍّ وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ^(١)
[الطويل]

غنى فيه ابن سريج.

قال: وحجّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نجيين، رحلتاهما^(٢) مُلبستان بالدياج، وقد خضبا النجيين ولبسا حُلَّتَيْن، فجعلتا يتلقيان الحاجّ ويتعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل، فعدلا إلى كثيبٍ مُشرفٍ والقمر طالعٌ يضيء، فجلسا على الكثيب، وقال عمر لابن سريج: غني صوتك الجديد؛ فاندفع يغنيه، فلم يستتمّه إلا وقد طلع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيق، فسلم ثم قال: أيمكنك - أعزك الله - أن تردّ هذا الصوت؟ قال: نعم ونعمة عين^(٣)، على أن تنزل وتجلس معنا، قال: أنا أعجل من ذلك، فإن أجملت وأنعمت أعدته! وليس عليك من وقوفي شيءٌ ولا مؤونةٌ، فأعاده، فقال له: بالله أنت ابن سريج؟ قال: نعم، قال: حيّاك الله! وهذا عمر بن أبي ربيعة؟ قال: نعم، قال: حيّاك الله يا أبا الخطاب! فقال له: وأنت فحيّاك الله! قد عرفتنا فعرفنا نفسك، قال: لا يمكنني ذلك، فغضب ابن سريج وقال: والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد، فقال له: أنا يزيد بن عبد الملك، فوثب إليه عمر فأعظمه، ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه؛ فنزع حُلّته وخاتمه فدفعهما إليه، ومضى يركض حتى لحق ثقله^(٤). فجاء بهما ابن سريج إلى

(١) عرم: اشتد وخرج عن الحد.

(٢) الرّحالة، ككتابة: السّرج، سرج من جلودٍ لا خَشَبَ فيه، يُتَخَذُ لِلرَّكُضِ الشَّدِيدِ.

(٣) نعمة عين: أي أفعل ذلك كرامة لك، وإنعاماً لعينك.

(٤) الثَّقَلُ، محرّكة: متاعُ المُسافرِ وحشْمُه، وكلُّ شيءٍ نفيسٍ مَصُونٍ، ومنه الحديث: «إني تاركٌ فيكم الثَّقَلَيْنِ: كتابَ اللهِ وعِشْرَتِي».

عمر فأعطاه إياهما، وقال له: إن هذين بك أشبه منهما بي، فأعطاه عمر ثلاثمائة دينار وغدا فيهما إلى المسجد، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون: كأنهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك.

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال: وحدثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال:

[يوم غنى في طريق الحاج]

حجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيبٍ له مخضوبٍ بالحناء مشهر الرِّحل بقراب^(١) مذهب، ومعه عبيد بن سريج على بغلةٍ له شقراء، ومعه غلامه جنَّادٌ يقود فرساً له أدهم أغرَّ مُحَجَّلًا، وكان عمر بن أبي ربيعة يسميه «الكوكب» في عنقه طوق ذهبٍ - وجنَّادٌ هذا هو الذي يقول فيه:

صوت

فَقُلْتُ لِحِجْنَادٍ خُذِ السَّيْفَ وَاشْتِمِلْ عَلَيْهِ بِرَفِقٍ وَارْقَبِ الشَّمْسَ تَغْرُبْ
وَأَسْرِجْ لِي الدِّهْمَاءَ وَاعْجَلْ بِمِمَطْرِي^(٢) وَلَا تُعْلِمَنَّ حَيًّا مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي [الطويل]

الغناء لزرزر، غلام المارقي، خفيف ثقلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه - قال: ومع عمر جماعةٌ من حشمه وغلماؤه ومواليه وعليه حلة موشيةً يمانية، وعلى ابن سريج ثوبان هرويان^(٣) مرتفعان، فلم يَمروا بأحدٍ إلا عجب من حسن هيئتهم، وكان عمر من أعطر الناس وأحسنهم هيئةً، فخرجوا من مكة يوم التروية بعد العصر يريدون منى، فمروا بمنزل رجلٍ من بني عبد منافٍ بمنى قد ضُرِبَتْ عليه فساطيطه وخيمه، ووافى الموضع عمر فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من قُبَّتِها، وستر جواربها دون القبة لثلا يراها من مرٍّ، فأشرف عمر على النجيب فنظر إليها، وكانت من أحسن النساء

(١) الْقَرَبُ: إِدْخَالُ السَّيْفِ فِي الْقِرَابِ: لِلْعُمْدِ، أَوْ لِحِفْنِ الْعُمْدِ، كَالْإِقْرَابِ، أَوْ اتَّخَاذِ الْقِرَابِ لِلْسَّيْفِ، وَإِطْعَامِ الضَّيْفِ الْأَقْرَابَ.

(٢) الْمِمَطْرُ بوزن المَبْضَعِ ما يُلبس في المطر يُتَوَقَّى به.

(٣) هَرَاءٌ: مَوْضِعٌ، النَّسَبُ إِلَيْهِ هَرَوِيٌّ، قَلِبْتَ الْيَاءَ وَآوًا كَرَاهِيَةَ تَوَالِي الْيَاءَاتِ؛ قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَإِنَّمَا قَضَيْنَا عَلَى أَنَّ لَامَ هَرَاءَ يَاءٌ لِأَنَّ اللَّامَ يَاءٌ أَكْثَرُ مِنْهَا وَآوًا، وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا وَقَفْتَ بِالْهَاءِ، وَإِنَّمَا قِيلَ مُعَاذَ الْهَرَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَبِيعُ الثِّيابَ الْهَرَوِيَّةَ فَعُرِفَ بِهَا وَلُقِّبَ بِهَا.

وأجملهن، فقال لها جواريتها: هذا عمر بن أبي ربيعة، رفعت رأسها فنظرت إليه، ثم سترتها الجواري وولاندها عنه وبطنٌ دونها بسجف القبة حتى دخلت، ومضى عمر إلى منزله وفساطيطه بمنى، وقد نظر من الجارية إلى ما تيمه ومن جمالها إلى ما حير، فقال فيها:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ
بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيْتُهَا
فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا
مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهْمِ بِالضُّحَى
نَضِيرٌ تَرَى فِيهِ أَسَارِيْعَ مَائِهِ
إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاکْتَنَفْنَهَا
طَلَبَنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ

وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
أَبُوها وَإِمَّا عَبْدٌ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
عَلَى عَجَلٍ تُبَاغِهَا وَالْخَوَادِمُ
عَلَى الرَّغْمِ مِنْهَا كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ
عَصَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلَحْهُ السَّمَائِمُ
صَبِيحٌ تُنَادِيهِ الْأَكْفُ النَّوَاعِمُ
تَمَائِلُنْ أَوْ مَالَتْ بِهِنَّ الْمَاكِمُ
نَزَعْنَ وَهُنَّ الْمُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ

[الطويل]

ثم قال عمر لابن سريج: يا أبا يحيى، إني تفكرت في رجوعنا مع العشية إلى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج فتقل عليّ، فهل لك أن نروح رواحاً طيباً معترلاً، فنرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلها، ونرى أهل العراق وأهل الشام ونتعلّل^(١) في عشتينا وليلتنا ونستريح؟ قال: وأنى ذلك يا أبا الخطاب؟ قال: على كتيب أبي شحوة المشرف على بطن يأجج^(٢) بين منى^(٣) وسرف^(٤)، فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا. قال ابن سريج: طيبٌ واللّه يا سيدي، فدعا بعض خدمه فقال: اذهبوا إلى الدار بمكة، فاعملوا لنا سفرة^(٥) واحملوها مع شراب إلى الكتيب،

(١) نتعلّل: نتسلى ونتلهى.

(٢) يأجج: بالهمزة، وجيمين: علم مرتجل لاسم مكان من مكة على ثمانية أميال، وكان من منازل عبد الله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجدّمين، ففيها المجدّمون.

(٣) منى: بالكسر، والتنوين، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمّي بذلك لما يُمنى به من الدماء أي يُراق.

(٤) سرف: هو موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة وتسعة واثني عشر، تزوّج به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ميمونة بنت الحارث وهناك بنى بها وهناك توقّيت.

(٥) السفرة: السفرة طعام يتخذها المسافرين، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إليه وسمي به.

حتى إذا أبردنا^(١) ورمينا الجمرة^(٢) صرنا إليكم. قال: والكثير على خمسة أميال من مكة مُشْرِفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق، وهو كثيرٌ شامخٌ مُستدقٌ أعلاه منفردٌ عن الكثران - فصارا إليه فأكلا وشربا، فلما انتشيا أخذ ابن سريج الدف^(٣) فنقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج، فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر، فسمعه الرُّكبان فجعلوا يصيحون به: يا صاحب الصوت أما تتقي الله! قد حبست الناس عن مناسكهم! فيسكت قليلاً، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون، إلى أن مرت^(٤) قطعة من الليل، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيق^(٥) عربي مَرِحٌ مُستنٌ فهو كأنه ثَمَلٌ، حتى وقف بأصل الكثير وثنى رجله على قربوس^(٦) سرجه، ثم نادى: يا صاحب الصوت، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعته؟ قال: نعم ونعمة عين، فأياها تريد؟ قال: تُعيد عليّ:

ألا يا غراب البين مال لك كلما نعبت بفقدانٍ عليّ تحومُ
أبالبين من عفراء أنت مُخْبِري عدمتُك من طيرٍ فأنْتَ مشوم
[الطويل]

- قال: والغناء لابن سريج - فأعاده، ثم قال له ابن سريج: ازدد إن شئت، فقال: غنني:

أمسلم^(٧) إني يابن كلّ خليفة ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض
شكرتُك إن الشكر حبلٌ من الثقي وما كلُّ من أقرضته نعمةً يقضي
ونوّهت لي باسمي وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض^(٨)
[الطويل]

(١) أبردنا: دخلنا في آخر النهار.

(٢) الجمرة: واحدة جمرات المناسك، وهي ثلاث: الجمرة الأولى، والوسطى، وجمرة العقبة: يُرمين بالجمار.

(٣) الدف: بالضم الذي يضرب به والفتح لغة فيه، ودافئه مدافئة ودافأاً أجهز عليه، وهو في حديث خالد بن الوليد.

(٤) ورد في بعض النسخ «سرت» بدل «مرت».

(٥) الفرس العتيق: الفرس الأصيل الكريم النسل.

(٦) القربوس، كحلزون، ولا يُسكن إلا في ضرورة الشعر: جنو السرج، وهما قربوسان ج: قرايس.

(٧) يريد به مسلمة بن عبد الملك.

(٨) تنسب هذه الأبيات لأبي نخيلة مع بعض التعديلات، وهو أبو نخيلة (كنيته أبو الجنيد) ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هدم، من بني حمان (بكسر الحاء وتشديد الميم) من سعد بن زيد =

فغناه، فقال له: الثالث ولا أستزيدك. فقال: قل ما شئت: فقال: تغنيني:

يا دارُ أقوت بالجزع فالكثب بين مسيل العذيب فالرحب
لم تَلَفَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدُ فِي الْعَلْبِ^(١)

[المنسرح]

فغناه. فقال له ابن سريج: أبقيت لك حاجة؟ قال: نعم، تنزل إلي لأخاطبك شفاهاً بما أريد. فقال له عمر: انزل إليه، فنزل، فقال له: لولا أنني أريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثقلي وغلماي لأطلت المقام معك ولنزلت عندكم، ولكني أخاف أن يفضحني الصبح، ولو كان ثقلي معي لما رضيت لك بالهويني، ولكن خذ حُلَّتِي هذه وخاتمي ولا تخدع عنهما، فإنَّ شراءهما ألف وخمسمائة دينار. وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِئَى وَلِي نَظَرْتُ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمُ
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ تَحْتَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ
بَعِيدُهُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلِ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ^(٢)

[الطويل]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه. وقد نُسب في مواضع من هذا الكتاب.

صوت

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ مَا لَكَ كَلِمَا نَعِبْتَ بِفَقْدَانِ عَلِيٍّ تَحُومُ

= مناة بن تميم، الحماي السعدي التميمي. شاعر راجز، كان عاقاً لأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام فاتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، فأغنوه. ولما نكب بنو أمية وقامت دولة بني العباس انقطع إليهم ولقب نفسه بشاعر بني هاشم، ومدحهم وهجا بني أمية، واستمر إلى أن قال في (المنصور) أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، فسخط عليه عيسى؛ فهرب يريد خراسان، فأدركه مولى لعيسى فذبحه وسلخ وجهه سنة ١٤٥هـ.

(١) البيت الثاني هو لعبيد الله بن قيس الرقيات.

(٢) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة.

أبالبين من عفراء أنت مُخْبِرِي عَدَمْتُكَ من طيرٍ فأنْت مشوم
[الطويل]
الشعر لقيس بن ذريح، وقيل: إنه لغيره. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن
الهشامي.

صوت

أمسلم إنني يابن كلّ خليفة ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض
شكرْتُكَ إنَّ الشكر حبلٌ من الثُّقى وما كلُّ من أقرضته نعمةً يقضي
ونوّت لي باسمي وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض
[الطويل]
الشعر لأبي نخيلة^(١) الحمانى^(٢)، والغناء لابن سريج ثاني ثقیلٍ بالوسطى، وقد
أخرج هذا الصوت مع سائر أخبار أبي نخيلة في موضع آخر.

[إجلال المغنين له وعلو كعبه]

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن
سلام الجمحي قال: حدثني عمر بن أبي خليفة قال: كان أبي نازلاً في علو، فكان
المغنون يأتونه، قال: فقلت: فأيهم كان أحسن غناء؟ قال: لا أدري، إلا أنني كنت
أراهم إذا جاء ابن سريج سكتوا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال:
حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: حدثني الزبيري - يعني عبد الله بن
مصعب - عن عمرو بن الحارث، قال إسحاق: وحدثني المدائني ومحمد بن
سلام عن المحرز بن جعفر عن عمر بن سعد مولى الحارث بن هشام قال: خرج
ابن الزبير ليلةً إلى أبي قبيس فسمع غناءً، فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال
لونه، فقالوا: إن بك لشراً. قال: إنه ذاك، قالوا: ما هو؟ قال: لقد سمعت
صوتاً إن كان من الجن إنه لعجبٌ، وإن كان من الإنس فما انتهى منتهاه شيء!
قال: فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى:

(١) أبو نخيلة اسمه لا كنيته، اسمه يعمر، وكُني لأن أمه ولدتَه إلى جانب نخلة.

(٢) حمانى: نسبة إلى بني حمان، وهي قبيلة نزلت الكوفة.

صوت

أَمِنْ رَسْمٍ دَارٍ بِوَادِي غُدْرٍ^(١) لَجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِي مُضَرٍ
خَدَلْجَةٍ^(٢) السَّاقِ مَمْكُورَةٍ^(٣) سَلُوسٍ^(٤) الْوِشَاحِ كَمِثْلِ الْقَمَرِ
تَزِينُ النِّسَاءِ إِذَا مَا بَدَتْ وَيُبْهَتْ^(٥) فِي وَجْهِهَا مَنْ نَظَرَ
[المقارب]

الشعر ليزيد بن معاوية^(٦)، والغناء لابن سريج رملٌ بالنصر عن يونس وحبش.
قال إسحاق: وذكر المدائني في خبره أن عمر بن عبد العزيز مرَّ أيضاً فسمع صوت
ابن سريج وهو يتغنى:

بَتَّ الْخَلِيطُ قَوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا^(٧)

فقال عمر: لله دُرٌّ هذا الصوت لو كان بالقرآن! قال المدائني: وبلغني من وجه
آخر أنه سمعه يغني:

- (١) غُدْرٌ: بوزن زُفَرٍ، يجوز أن يكون معدولاً من غادر: من مخاليف اليمن وفيه ناعط، ويذكر في موضعه، وهو حصن عجيب، وهو الكثير الحجارة الصعب المسلك، وهو من البناء القديم، ويصحف بغُدْر.
- (٢) خدلج: الخَدَلْجَةُ، بتشديد اللام: الرِّيَّا الممتلئة الذراعين والساقين.
- (٣) المَمْكُورَةُ: الْمُطْوِيَّةُ الْخَلْقُ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْمُسْتَدِيرَةُ السَّاقَيْنِ، أَوِ الْمُدْمَجَةُ الْخَلْقُ الشَّدِيدَةُ الْبَضْعَةِ.
- (٤) السَّلُوسُ بالتسكين: الخيط ينظم فيه الْخَزْرُ: زاد الجوهري فقال: الْخَزْرُ الْأَبْيَضُ الَّذِي تَلْبَسُهُ الإِمَاءُ، وجمعه سُلُوسٌ.
- (٥) بهت: الباء والهاء والتاء أصلٌ واحدٌ، وهو كالدَّهْشِ وَالْحَيْرَةِ: يقال: بُهَتَ الرَّجُلُ يُبْهَتُ بُهْتًا، وَالْبُهْتَةُ الْحَيْرَةُ. فَأَمَّا الْبُهْتَانُ فَالْكَذِبُ، يقول العرب: يَا لَلْبُهْتَةِ، أَيِ يَا لَلْكَذِبِ.
- (٦) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي. ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد بالماطرون، ونشأ في دمشق. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ. وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة، وفي أيام يزيد كانت فاجعة الشهيد (الحسين بن علي) إذ قتله رجاله في كربلاء سنة ٦١ هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة (٦٣ هـ) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبيع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بهم مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيها الكثير من الصحابة والتابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير (عقبة بن نافع) وفتح (مسلم بن زياد) بخارى وخوارزم.
- ويقال: إن يزيد أول من خدم الكعبة وكساها الديباج الخسرواني. وتوفي بجوارين من أرض حمص، وكان نزوعاً إلى اللُهو، وينسب له شعر رقيق وإليه ينسب (نهر يزيد) في دمشق.
- (٧) هذا صدر بيت لعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري.
والبيت هو:

بَتَّ الْخَلِيطُ قَوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا إِذْ وَدَّعُوكَ فَوَلَّوْا ثَمَّ مَا رَجَعُوا

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأَضَحُوا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا^(١)
 مَا كُنْتُ أَدْرِي بِوَشَاكِ بَيْنِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْعُدَاةَ قَدْ طَلَعُوا
 [المنسرح]

فقال هذه المقالة .

صوت

نسبة هذين الصوتين

بَتَّ الْخَلِيطُ قَوَى^(٢) الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا إِذْ وَدَّعُوكَ فَوَلَّوْا ثُمَّ مَا رَجَعُوا
 وَأَذْنُوكَ^(٣) بِبَيْنٍ مِنْ وَصَالِهِمْ فَمَا سَلَوْتُ وَلَا يُسْلِيكَ مَا صَنَعُوا
 يَا ابْنَ الطَّوِيلِ وَكَمْ أَثَرْتُ مِنْ حَسَنِ فِينَا وَأَنْتَ بِمَا حُمِلْتَ مُضْطَلِعُ^(٤)
 نَحْظَى وَنَبْقَى بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَنَا فَإِنْ هَلَكْتَ فَمَا فِي مَلْجَأٍ طَمَعُ
 [البسيط]

الشعر للأحوص . والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

وذكر حبش أن فيه رملاً بالوسطى عن الهشامي .

صوت

نسبة الصوت الآخر

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأَضَحُوا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا
 مَا كُنْتُ أَدْرِي بِوَشَاكِ بَيْنِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحُدَاةَ قَدْ طَلَعُوا
 عَلَى مَصَكِّينَ^(٥) مِنْ جِمَالِهِمْ وَعَنْتَرَيْسِينَ^(٦) فِيهِمَا خَضَعُ

(١) في الديوان «اندفعوا» بدل «ارتفعوا» .

(٢) قوى : جمع قوة وهي الطاقة الواحدة من طاقات الحبل .

(٣) أذن : الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى ، متباعدان في اللفظ : أحدهما أُذُنْ كُلُّ ذِي أُذُنْ ، والآخر العِلْمُ ، وهنا آذَنُوكَ : أعلموك .

(٤) مضطلع : نهض به وقوي عليه .

(٥) مصك : القوي .

(٦) العَنْتَرَيْسُ : الناقة الغليظة الوثيقة .

يَا قَلْبُ صَبِرًا فَإِنَّهُ سَفَهُ بِالْمَرءِ أَنْ يَسْتَفِزَّهُ الْجَزَعُ
[المنسرح]

الغناء لابن سريج ثقیلٌ أول من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق. وفيه رملٌ في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد، وذكر أيضاً فيه خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه. وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكي. وذكرت دنانير والهشامي فيه لمعبدٍ ثاني ثقیلٍ. وذكر عمرو بن بانه أن الثقیل الأول للغريض. وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن سريج خفيف ثقیلٍ.

[عدد الأصوات التي غنى فيها]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال: حدثني يوسف بن إبراهيم قال: حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي، فقال إسحاق: غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً. فقال له أبو إسحاق: ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً. فقال: بلى، ثم جعلاً ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهما يتفقان على ذلك، ثم أنشد إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً، فقال أبو إسحاق: صدقت، هذا من غنائه، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني، ولحن الثاني من لحنه الفلاني، حتى عدّ له الخمسة الأصوات، فقال له إسحاق: صدقت. ثم قال له إبراهيم: إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً، وكان يغني الناس بما يشتهون، فلا يغنيهم صوتاً مدح به أعدائهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضة، ولكنه يعدل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها، فالصوتان واحدٌ لا ينبغي أن نعهدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه، فصدقه إسحاق، فقال له إبراهيم: فأيهما أولى عندك بالتقدمة؟ فقال:

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا^(١) نَهَضْتُ بِأَسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ
[الرمل]

فقال له إبراهيم: أحسبك يا أبا محمد - مُتَّعْتُ بك - ما أردت إلا مساعدتي، فقال: لا، والله ما إلى هذا قصدت، وإن كنت أهوى كل ما قربني من محبتك، فقال له: هذا أحب أغانيه إلي، وما أحسبه في مكانٍ أحسن منه عندي، ولا كان ابن سريج يتغنّاه أحسن مما يتغنّاه جوارِي، ولئن كان كذلك فما هو عندي في حسن التجزئة والقسمة وصحتهما مثل لحنه في:

(١) المِرْطُ بكسر الميم واحد المِرْطُ وهي أكسية من صوف أو خز كان يُؤتزّر بها، وتَمَرَّطَ شعره أي تحاتّ، والمُرْطَاءُ بوزن الحُميراء ما بين السُّرة إلى العانة ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه لأبي محذورة حين أذن ورفع صوته: أَمَا خَشِيتُ أَنْ تَنْشُقَّ مُرْطَاؤُكَ.

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

حَيِّ يَا أُمَّ يَعمَـمَـرَا قَبْلَ شَـحْطِ مِـنَ النُّوَى
أَجْمَعَ الحَيُّ رِحْلَةً فَنُؤَادِي كَذِي الأَسَى
قُلْتُ لَا تُعْجِلُوا الرِّوَا حَ فَقَالُوا أَلَا بَلَى

[مجزوء الخفيف]

- الغناء لابن سريج من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى وفيه للهلالي خفيف ثقيل بالنصر عن ابن المكي. وفيه لمالك ثقيل أول بالنصر عن عمرو. وفيه لحنان من الثقيل الثاني: أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه، ونسبه قومٌ إلى ابن محرز، ولم يصح ذلك. - قال: فاجتمعا معاً على أنه أول أغانيه وأحقها بالتقديم. وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري بينهما ويتفقان عليه، فكتبت هذا الشعر. ثم اتفقا على أن الذي يليه:

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا نَهَضْتُ بِأَسْمِي وَقَالْتُ يَا عُمَرُ
[الرم]

فأثبته أيضاً. ثم تناظرا في الثالث فاجتمعا على أنه:

فَتَرَكَتُهُ جَزَرَ^(١) السَّبَاعِ يَنْشَنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ^(٢)
[البيسط]

فقال إسحاق: لو قدمناه على الأغاني التي تقدمته كلها لكان يستحق ذلك. فقال أبو إسحاق: ما سمعته منذ عرفته إلا أبكاني، لأنني إذا سمعته أو ترنمت به وجدت غمراً على فؤادي لا يسكن حتى أبكي، فقال إسحاق: إن مذهبه فيه ليجب ذلك، فدوته ثالثاً ثم اتفقا على الرابع وأنه:

(١) الجَزْرُ: بالفتح ثم السكون، وراء؛ أصله في لغة العرب القطع، يقال: مد البحر والنهر إذا كثر ماؤه، فإذا انقطع قيل جَزَرَ جزراً.

(٢) العجز في ديوان عنتره: «يَقْضِمَنَّ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِعْصَمَ».

(٣) البيت لعنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العيسى. أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. كان مغرمًا بآبنة عمه عبله فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي عام ٢٢٢ ق. هـ.

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَلِّيَالِي الْحَجِّ أَفْلَتَنَ ذَا هَوًى^(١)

[الطويل]

وتحدثنا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة، ثم تناظرا في الخامس، فاتفقا على

أنه:

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهَوْدَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرُجِي^(٢)

[السريع]

فأثبتته. ثم تناظرا في السادس، واتفقا على أنه:

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأُظْعَا نِ إِذْ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا^(٣)

[مجزوء الوافر]

فأثبتته. ثم تناظرا في السابع فاتفقا على أنه:

غَيِّضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٤)

[الكامل]

فأثبتته. وتناظرا في الثامن فاتفقا على أنه:

تُنْكِرُ الْإِثْمَ^(٥) لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرِ^(٦)

[الرملي]

فأثبتته. وتناظرا في التاسع فاتفقا على أنه:

وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي أَكْلُفُهَا سَيْرَ الْكَلَالِ مَعَ الظَّلْعِ^(٧)

[الطويل]

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة.

(٢) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر. شاعر غزل، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، كان مشغولاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، صاحب مسلمة بن عبد الملك في وقائع بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن، وهو من أهل مكة، ولقب بالعرجي لسكنائه قرية (العرج) في الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة ١٢٠ هـ.

(٣) ينسب هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة والعرجي. (٤) البيت لجريز.

(٥) الإثم، بالكسر: حَجَرُ الْكُحْلِ وهو أسود إلى حُمْرَة، ومعدنه بأصبهان وهو أجوده، وبالمغرب وهو أَصْلَبُ. وقال السيرافي: الإثم شبيه بحجر الكحل. وأثمدَ عينه: كَحَلَهَا.

(٦) البيت لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي ابن الصحابي الشاعر حسان بن ثابت، كان مقيماً في المدينة، وتوفي فيها، اشتهر بالشعر في زمن أبيه، توفي سنة ١٠٤ هـ.

(٧) البيت لعمر بن أبي ربيعة. والظلع: الغمز في المشي.

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها:

صوت

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا عَثَرْتُ بِأَسْمِي وَقَالَتْ يَا عَمْرُ
[الرمل]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن
الهشامي.

ومنها:

صوت

فَتَرَكْتُهَ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
[الكامل]

الشعر لعنترة بن شداد العبسي. والغناء لابن سريج ثقیلٌ أول بالوسطى عن
عمرو.

ومنها:

صوت

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَالْيَالِي الْحَجِّ أَفْلَتَنَ ذَاهَوً
[الطويل]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرُجِي
[السريع]

الشعر للعرجي. والغناء لابن سريج ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو.

ومنها:

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا ن إِذْ جَاوَزْنَ مَطْلَحَا

[مجزوء الوافر]

الشعر لعمر . والغناء لابن سريج ثقیلٌ أول مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للغريض لحنان : ثقیلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمعبدٍ ثقیلٌ أول ثالثٌ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

صوت

غَيِّضْنَ مِنْ عِبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

[الكامل]

الشعر لجري . والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر . وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى . وفيه للهذلي ثاني ثقیلٌ بالوسطى عن الهشامي .

ومنها :

صوت

تُنَكِّرُ الْإِثْمَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرِ

[الرمل]

الشعر لعبد الرحمن بن حسان . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى .

ومنها :

صوت

وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي أَكْلُفُهَا سَيْرَ الْكَلَالِ مَعَ الظَّلَعِ

[الطويل]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر . وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى .

[تنافر معبد ومالك بن أبي السمح]

أخبرني رضوان بن أحمد قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدثني أبو

إسحاق بن المهدي قال: حدثني الزبير بن دحمان: أن أباه حدثه: أن معبدًا تغنى:

آب ليلي بهموم وفكر
من حبيب هاج حزني والسهر
يوم أبصرتُ غراباً واقعاً
شرَّ ما طار على شرِّ الشجر^(١)
[الطويل]

فعارضه مالكٌ فغنى في أبياتٍ من هذا الشعر، وهي:

وجرت لي ظبيةٌ يتبعها
ليِّن الأظلاف^(٢) من حور^(٣) البقر
كلما كفكفتُ^(٤) مني عبرةً
فاضت العينُ بمنهلٍ درر^(٥)
[الرملي]

قال: فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين، فقال كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه: أنا أجود صنعةً منك. فتنافرا إلى ابن سريج فمضيا إليه بمكة. فلما قدماها سألا عنه، فأخبرا أنه خرج يتطرف^(٦) بالحناء في بعض بساتينها، فاقتفيا أثره، حتى وقفا عليه وفي يده الحناء، فقالا له: إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما، فقال لهما: ليغنَّ كلُّ واحدٍ منكما صوته، فابتدأ معبدٌ يغني لحنه، فقال له: أحسنت واللّه على سوء اختيارك للشعر! يا ويحك! ما حملك على أن ضيعت هذه الصنعة الجيدة في حزنٍ وسهرٍ وهمومٍ وفكر! أربعة ألوانٍ من الحزن في بيتٍ واحد، وفي البيت الثاني شران في مصراعٍ واحد، وهو قولك:

شرَّ ما طار على شرِّ الشجر

ثم قال لمالك: هات ما عندك، فغناه مالكٌ، فقال له: أحسنت واللّه ما شئت! فقال له مالكٌ: هذا وإنما هو ابن شهره، فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحول! قال دحمان: فحدثني معبدٌ أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً، ثم رمى بالحناء من يديه وأصابه وقال له: يا مالك، إلي تقول ابن شهره! اسمع مني ابن ساعته، ثم قال: يا أبا عبّاد، أنشدني القصيدة التي تغنيهما فيها، فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

(١) البيتان لعبد الرحمن بن حسان الأنصاري.

(٢) ظلف: الظلفُ: ظَلْفُ البَقَرَةِ وما أَشَبَّهَهَا مما يُجْتَرُّ، وهو ظُفْرُهَا.

(٣) الحور: شِدَّةُ سوادِ المُقْلَةِ في شِدَّةِ بياضها في شِدَّةِ بياض الجسد.

(٤) كفكفت: رددت.

(٥) هذان البيتان هما من نفس القصيدة السابقة.

(٦) يتطرف بالحناء: يخضب أصابعه بالحناء.

تُنْكِرُ الإِثْمَ دَلَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ
[الرمل]

فصاح بأعلى صوته: هذا خليلي وهذا صاحبي، ثم تغنى فيه، فانصرفنا مفلولين مفضوحين من غير أن نقيم بمكة ساعة واحدة.

نسبة هذه الأغاني كلها

صوت

آبَ لَيْلِي بِهِمُومٌ وَفَكَرَ مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْنِي وَالسَّهَرُ
يَوْمَ أَبْصَرْتُ غُرَاباً وَقَعَا شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ
يَنْتَفِ الرِّيشَ عَلَى عُبْرِيَّةٍ^(١) مُرَّةَ الْمُقْضَمِ مِنْ دَوْحِ الْعُشْرِ
[الرمل]

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيهه بها أخبار كثيرة ستذكر في موضعها إن شاء الله. ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو غلط. وقد بُيِّنَ ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه.

والغناء لمعبدٍ خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر عمرو بن بانه أنه للغريض، وله لحن آخر في هذه الطريقة.

صوت

وَجَرَتْ لِي ظَبِيَّةٌ يَتْبَعُهَا لَيْنُ الْأَظْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ
خَلْفَهَا أَطْلَسُ^(٢) عَسَالُ^(٣) الضَّحَى صَادَفْتَهُ يَوْمَ طَلَّ وَخَصِرُ^(٤)
[الرمل]

(١) العبرية: مفردا عبري وهو من السدر أو شجر النبق الذي يولد على عبر النهر.

(٢) أطلس: ذئب أطلس، وهو الذي في لونه غبرة إلى السواد، وكل ما كان على لونه فهو أطلس.

(٣) والعَسَلَانُ: شدة اهتزاز، إذا هز زته، عَسَلَ يَعْسِلُ عَسَلَاناً كما يعسل الذئب إذا مشى مسرعاً، وهز رأسه فالذئب عاسلٌ، ويجمع على عَسَلٍ وَعَوَاسِلٍ، والرُّمَحُ عَسَالٌ.

(٤) خصِر: خَصِرَ الْإِنْسَانُ يَخْصِرُ خَصْرًا، إِذَا أَلَمَهُ الْبَرْدُ فِي أَطْرَافِهِ، وَخَصِرَ يَوْمُنَا خَصْرًا، أَيِ اشْتَدَّ بَرْدُهُ.

الغناء لمالكٍ خفيف ثقیل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

صوت

إِنَّ عَيْنِيهَا لَعَيْنَا جَوْدَرُ أَهْدَبَ الْأَشْفَارَ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ
تُنَكِّرُ الْإِثْمَدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ عَنْهُ بِخَبَرِ^(١)
[الرملة]

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة، عن عمرو ويحيى المكي .

[ابن سريج والغريض]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قال أبي: قال محمد بن سعيد: لما ضاد ابن سريج الغريض وناوأه، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره، وكانت ببعض أطراف مكة داراً يأتيانها في كل جمعةً ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ، فيوضع لكل واحدٍ منهما كرسيٌّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء^(٢) ويتراذانه . قال: فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغناؤه من الناس لقربه من النوح وشبهه به، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفها الناس، فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قصرت الغناء وحذفته وأفسدته، فقال له: نعم يا مخنث، جعلت تنوح على أبيك وأمك، ألي تقول هذا؟! والله لأغنين غناءً ما غنى أحدٌ أثقل منه ولا أجود، ثم تغنى:

تَشْكَى الْكُمَيْتُ الْجَرِي لَمَّا جَهْدَتْهُ

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حماد: وقرأت على أبي عن هشام بن المرية قال: كان ابن عتيق يسوق في كل عام عن ابن سريج بدنةً وينحرها عنه، ويقول: هذا أقلُّ حقه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج]

قال حماد: قال أبي وقال مَخْلَدُ بْنُ خَدَّاشٍ الْمَهْلَبِيُّ: كُنَّا بِالْمَدِينَةِ فِي مَجْلَسٍ لَنَا وَمَعَنَا مَعْبُدٌ، فَقَدِمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ عَلَيْنَا لَيْلاً، فَجَلَسَ مَعْبُدٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَخْبَارِ وَهُوَ يَخْبِرُهُ وَلَا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا مَعْبُدٌ فَقَالَ: أَصْبَحْتَ أَحْسَنَ النَّاسِ

(١) هذان البيتان لعبد الرحمن بن حسان الأنصاري .

(٢) يتناقضان الغناء: ينقض كل منهما غناء الآخر .

غناءً، فقليل له: أو لم تكن كذلك؟ قال: لا، حيث كان ابن سريج حياً، إن هذا أخبرني أن ابن سريج قد مات. ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال: أصبحت اليوم سريجياً.

[أبو السائب وأغاني ابن سريج]

قال حماد: حدثني أبي قال: حدثني أبو الحسن المدائني قال: قال معبد: أتيت أبا السائب - المخزومي وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة - فلما رأيته تجوز^(١) وقال: ما معك من مبكيات ابن سريج؟ قلت: قوله:

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِنًا حَيَّا الْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمُ
لَبِثُوا ثَلَاثَ مَتْنِي بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضٍ لَعَمْرُكَ مَا هُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدَمُوا^(٢)

[الكامل]

فقال لي: غنّه، فغنّيته، ثم قام يصلي فأطال، ثم تجوز إليّ فقال: ما معك من مطرباته ومشجياته؟ فقلت: قوله:

لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُدْرِكُ حَاجَةً مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطِيُّ مُعَقَّلًا^(٣)

[الكامل]

فقال لي: غنّه، فغنّيته. ثم صلى وتجاوز إليّ وقال: ما معك من مرقصاته؟ فقلت:

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَلْيَالِي الْحَجِّ أَفْلَتَنَ ذَا هَوًى

[الطويل]

فقال: كما أنت حتى أتحرم لهذا بركتين.

[تغنيه بمسمع من عطاء بن أبي رباح]

قال حماد: وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، وذكر أبو أيوب

(١) تجوز: خفف فيها.

(٢) الأبيات تنسب لعروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي. شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً، ولكن الشعر أغلب عليه، توفي سنة ١٣٠هـ.

(٣) البيت يُنسب لعمر بن أبي ربيعة.

المدائني عن الحزامي قال: حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي قال:

أرسلتني أمي وأنا غلامٌ أسأل عطاء بن أبي رباح عن مسألة، فوجدته في دارٍ يقال لها دار المعلّى - وقال أبو أيوب في خبره: دار المُقلّ - وعليه ملحفةٌ مُعصفرةٌ، وهو جالسٌ على منبرٍ وقد خُتِنَ ابنه والطعامُ يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يُفرّق في الخلق، فلهوت مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القوم وتفرقوا وبقي مع عطاءٍ خاصته، فقالوا: يا أبا محمد لو أذنت لنا فأرسلنا إلى الغريض وابن سريج! فقال: ما شئتم، فأرسلوا إليهما، فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاءٌ في مجلسه فلم يدخل، فدخلوا بهما بيتاً في الدار، فتغنيا وأنا أسمع، فبدأ ابن سريج فنقر بالدف وتغنى بشعر كثير:

بَلِيلِي وَجَارَاتِ لَيْلَى كَأَنَّهَا نِعَاجُ الْمَلَا^(١) تُحْدِي بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ
أُمْنَقَطِعُ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَشَاجِرُنِي يَا عَزَّ فَيْكِ الشَّوَاغِرُ^(٢)
إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ^(٣) عَزَّةَ قَادَنِي إِلَيْهَا الْهَوَى وَاسْتَعَجَلَتْنِي الْبَوَادِرُ^(٤)
أَصْدُ وَبِي مِثْلُ الْجُنُونِ لَكِي يَرَى رَوْاهُ الْخَنَا أَنِّي لِبَيْتِكَ هَاجِرُ
[الطويل]

فكانَ القوم قد نزل عليهم السبات^(٥)، وأدركهم الغشي فكانوا كالأموات، ثم أصغوا إليه بأذانهم وشخصت إليه أعينهم وطالت أعناقهم. ثم غنى الغريض بصوت أنسيته بلحن آخر. ثم غنى ابن سريج ووقع بالقضيب، وأخذ الغريض الدف فغنى بشعر الأخطل:

فَقُلْتُ اصْبَحُونَا^(٦) لَا أَبَا لِأَبْيَكُمُ وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا
وَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمُ بِمَزَاجِهَا فَأَكْرَمَ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ
أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ^(٧) كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبَلُوا
[الطويل]

(١) الملا: الصحراء.

(٢) الشواجر: جمع شجرة، يقال: شجره الأمر: صرفه عنه.

(٣) في الديوان «دار» بدل «بيت».

(٤) بَوَادِرُ: الدموع المتهللة.

(٥) السُّبَاتُ: النَّوْمُ الغالب الكثير.

(٦) أصبحونا: ايتونا بالصبح، وهو ما يشرب من الغداة إلى القائلة.

(٧) شَصَا بَصْرُهُ يَشْصُو شُصُوءًا: شَخَصَ. وَأَشْصَاهُ صَاحِبُهُ رَفَعَهُ. وَشَصَا الْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ شُصُوءًا: =

فوالله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا إلا مستمعين لما يقول . ثم غنى الغريض بشعر آخر وهو :

هَلْ تَعْرِفُ الرَّسْمَ وَالْأَطْلَالَ وَالْدَمْنَا زِدَنَّ الْفُؤَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ ^(١) حَزَنَا
دَارٌ لِصَفَرَاءٍ ^(٢) إِذْ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصَلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسْنَا
إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ ^(٣) وَمُقْلَتِي جُوذِرٍ لَمْ يَعِدْ أَنْ شَدْنَا
[البسيط]

ثم غنيا جميعاً بلحن واحد، فلقد خيل لي أن الأرض تميد، وتبينت ذلك في عطاء أيضاً. وغنى الغريض في شعر عمر بن أبي ربيعة، وهو قوله :

كَفَى حَزْنًا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيبًا لَا أَزُورُكَ كُلُّثْمَا
دَعَى الْقَلْبَ لَا يَزِدُّدُ خَبَالًا مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهُ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانُهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكِ وَخَيْمَا
وَلَيْسَ بِتَزْوِيقٍ ^(٤) اللِّسَانِ وَصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَمَا ^(٥)
[الطويل]

وغنى ابن سريج أيضاً :

خَلِيلِيَّ عَوْجًا نَسَّالَ الْيَوْمَ مَنْزِلَا أَبِي بِالْبِرَاقِ ^(٦) الْعُفْرِ ^(٧) أَنْ يَتَحَوَّلَا

= قُطِعَتْ قَوَائِمُهُ فَارْتَفَعَتْ مَفَاصِلُهُ، قَالَ : وَالشَّاصِي الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ قَوَائِمُهُ ارْتَفَعَتْ مَفَاصِلُهُ أَبَدًا. اللّحْيَانِي : شَصَا الْمَيْتُ يَشْصُو شُصُوًا ائْتَفَخَ وَارْتَفَعَتْ يَدَاهُ وَرَجُلَاهُ، فَهُوَ شَاصٌ، وَكَذَلِكَ الْقِرْبَةُ إِذَا مُلِئَتْ مَاءً، وَالزَّقُّ إِذَا مُلِيَءَ حَمْرًا وَنَحْوَهَا مِنَ السِّيَالِ فَارْتَفَعَتْ قَوَائِمُهُ وَشَالَتْ .

- (١) ورد في ديوان عمر بن أبي ربيعة «على علّاته» بدل «ما عنده» .
- (٢) ورد في ديوان عمر بن أبي ربيعة «لأسماء» بدل «لصفراء» .
- (٣) العوارض : سقائف المحمل العراض التي أطرافها في العارضتين، وقيل : هي الأسنان التي تبدو في الفم عند الضحك .
- (٤) التَّزْوِيقُ : للتَّزْيِينِ والتَّحْسِينِ، لِأَنَّهُ يُجْعَلُ مَعَ الذَّهَبِ، فَيُطْلَى بِهِ، فَيُدْخَلُ فِي النَّارِ، فَيَطِيرُ الزَّوْوُوقُ، وَيَبْقَى الذَّهَبُ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مُنْقَشٍّ وَمُزَيَّنٍّ : مُزَوَّقٌ .
- (٥) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة كما ينسبها البعض إلى الأحوص الأنصاري .
- (٦) البراق : جمع البرقة، والبرقة الأرض الغليظة مختلطة بحجارة ورمل .
- (٧) العفر : بياض ليس بالناصع، وهي الليالي البيض، ويقال لليلة ثلاث عشرة من الشهر عَفْرَاءٌ، وهي التي يقال لها : ليلة السَّوَاءِ، ويقال : إِنَّ الْعُفْرَ : الْغَنَمُ الْبَيْضُ الْجُرْدُ .

فَفُزِعَ^(١) النَّبِيتِ فَالْشَّرَى^(٢) خَفَّ أَهْلُهُ
أَرَادَتْ فَلَمْ تَسْطِعْ كَلَاماً فَأَوَمَّاتٍ
بِأَنْ بَتَ عَسَى أَنْ يَسْتَرَّ اللَّيْلُ مَجْلِساً
وَبُدِّلَ أَرْوَاحاً جَنُوباً وَشَمَالاً
إِلَيْنَا وَلَمْ تَأْمَنَ رَسُولاً فَتُرْسِلاً
لَنَا أَوْ تَنَامَ الْعَيْنُ عَنَّا فَتَقْبِلاً^(٣)
[الطويل]
وغنى الغريض أيضاً:

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا نَقْضُ لُبَانَةً
لَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَقُولَ بِحَاجَةٍ
وَمَقَالَهَا بِالنَّعْفِ نَعْفٍ مُحَسَّرٍ^(٦)
هَذَا الَّذِي أُعْطِيَ مَوَاتِقَ عَهْدِهِ
وَعَلَى الظَّعَائِنِ^(٤) قَبْلَ بَيْنِكُمَا اعْرِضَا
رِفْقاً فَقَدْ زُوْدْتُ زَاداً مُحَرِّضاً^(٥)
لِفَتَاتِهَا هَلْ تَعْرِفِينَ الْمُعْرِضَا
حَتَّى رَضِيْتُ وَقُلْتُ لِي لَنْ يَنْقُضَا^(٧)
[الكامل]

وأغاني أنسيتها، وعطاءٌ يسمع على منبره ومكانه، وربما رأيت رأسه قد مال
وشفتيه تتحركان حتى بلغت الشمس، فقام يريد منزله، فما سمع السامعون شيئاً أحسن
منهما وقد رفعاً أصواتهما وتغنيا بهذا. ولما بلغت الشمس عطاءً قام وهم على طريقة
واحدة في الغناء، فاطلع في كوة البيت، فلما رأوه قالوا: يا أبا محمد، أيهما أحسن
غناء؟ قال: الرقيق الصوت؛ يعني ابن سريج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ

- (١) الْفَرْعُ: بالفتح ثم السكون، والعين مهملة، وهو أعلى الشيء، وهو المال الطائل أيضاً؛ وذو
الفرع: أطول جبل بأجلاً وأوسطه؛ وقال نصر: الفرع موضعٌ من وراء الفُرُك.
- (٢) الشرى: موضع عند مكة.
- (٣) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة.
- (٤) ظُعَائِنٌ وأظْعَانٌ مفرداً ظُعْنٌ ولا يقال إلا للإبل التي عليها الهوداج كان فيها نساء أو لم يكن.
- (٥) ورد في بعض النسخ «ممرضاً» وفي بعضها «مجرضاً» بدل «محرضاً» ويقال: أحرض أي مريضٌ
فاسد.
- (٦) مُحَسَّرٌ: بالضم ثم الفتح، وكسر السين المشددة، وراء: هو اسم الفاعل من الحسر وهو كَشَطُك
الشيء وكَشَفُك إياه، يقال: حسر عن ذراعيه وحسر البيضة عن رأسه، ويجوز أن يكون من الحسر
بمعنى الإعياء، تقول: حَسَرَت الدابة والعين إذا أَعِيَتْ، ويجوز أن يكون من حَسَرَ فلان حَسَراً
وحَسَرَةً إذا اشتدَّت ندامته: وهو موضع ما بين مكة وعرفة.
- (٧) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة.

لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِنًا حَيَّا الْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمَ
وَكَأَنَّهِنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ^(١) لَوَاغِبًا^(٢) بَيْضُ بَأْكَنَافِ الْحَطِيمِ مُرَكَّمُ
لَبِثُوا ثَلَاثَ مِئْتَى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى سَفَرٍ لَعَمْرُكَ مَا هُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدَمُوا^(٣)
[الكامل]

عروضه من الكامل . الشعر لابن أذينة . والغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبار ابن أذينة تأتي بعد هذا في موضعها إن شاء الله . ومنها الصوت الذي أوله في الخبر :

لسنا نبالي حين ندرك حاجةً

صوت

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا
وَانْظُرْ بَعَيْنَكَ لَيْلَةً وَتَأَنَّهَا فَلَعَلَّ مَا بَخِلْتَ بِهِ أَنْ يُبْذَلَا
لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُدْرِكُ حَاجَةً مَا رَاحَ أَوْ ظَلَّ الْمَطِيُّ مُعَقَّلَا
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ وَرَجَوْتُ غَفْلَةً حَارِسٍ أَنْ يَعْقِلَا
خَرَجْتَ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا أَيْمٌ يَسِيبُ عَنْ كَثِيبٍ أَهْيَلَا
[الكامل]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى في مجراها . وفيه لمعبد لحن من خفيف الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه ونادرها وصدور صنعتها وما يقدم على كثير منها .

[الغمر بن يزيد وشعر ابن أبي ربيعة]

أخبرني أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : كنت أسير مع الغمر بن يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة :

(١) حسر : حَسِرَ البحرُ عن القَرَارِ وعن السَّاحِلِ إِذَا نَضِبَ عَنْهُ الْمَاءُ وَانْكَشَفَ .

(٢) اللواغب : من لغب ، وهو الإعياء والتعب .

(٣) الأبيات لعروة بن أذينة .

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا
 قَالَ ائْتِمِرْ مَا شِئْتَ غَيْرَ مُنَازَعٍ
 نَجْزِي بِأَيْدٍ كُنْتَ تَبْذُلُهَا لَنَا
 حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ
 خَرَجْتَ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا
 سَلَّمْتُ حِينَ لَقِيْتُهَا فَتَهَلَّلْتُ^(١)
 فَجَلَا الْقِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً
 فَظَلِلْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ
 تَدْنُو فَاطْمَعُ ثُمَّ تَمْنَعُ بِذَلِكَهَا

[الكامل]

قال: فأمر غلامه فحملني على بغلته التي كانت تحته، فلما أراد الانصراف طلب الغلام مني البغلة، فقلت: لا أعطيكمها، هو أكرم وأشرف من أن يحملني عليها ثم ينتزعها مني، فقال للغلام: دعه يا بني، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك.

[متى يُطرب القرشي؟]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي عن هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه، قال: حدثني عثمان بن حفص الثقفي عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال: قال أبو نافع الأسود - وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج - : إذا أعجزك أن تُطرب القرشي فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك تُرْقِصُه. قال: وأبو نافع هذا أحذق غلمان ابن سريج ومن أخذ عنه، وكان أحسن رواته صوتاً.

ومنها:

صوت

بِلَيْلَى وَجَارَاتٍ لَيْلَى كَأَنَّهَا
 نَعَاجُ الْمَلَا تُحْدِي بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ
 أَمْنَقِطِعُ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا
 وَشَاجِرُنِي يَا عَزَّ فَيْكَ الشَّوَاغِرُ
 إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتٌ عَزَّةٌ قَادَنِي
 إِلَيْهَا الْهَوَى وَاسْتَعْجَلْتَنِي الْبَوَادِرُ

(١) في الديوان ورد الصدر على الشكل التالي: «رحبت لما أقبلت فتعللت».

أَصْدُ وَبِي مِثْلُ الْجُنُونِ لَكِي يَرَى رُؤَاةَ الْخَنَا أَنِّي لِبَيْتِكَ هَاجِرٌ
أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ يَا عَزَّ أَنْنِي إِذَا بَنْتِ بَاعَ الصَّبْرِ لِي عَنْكَ تَاجِرُ
[الطويل]

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء لمعيد ثقيل أول بالنصر على مذهب
إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحن أوله : «أصدُ وبِي مثل الجنون» خفيف
رملي بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .
ومنها :

صوت

أَنَاخُوا فَجَرَوْا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبَلُوا
فَقُلْتُ اصْبَحُونِي لَا أَبَا لِأَبْيَكُمُ وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا
تَمُرُّ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيحًا وَبَارِحًا^(١) وَتَوَضَّعُ بِاللَّهْمِّ حَيٍّ وَتُنْزَلُ^(٢)
[الطويل]

قال : عروضه من الطويل . الشاصيات : الشائلات قوائمها من امتلائها ، يعني
الزقاق ، يقال : شصا يشصو وشصا بصره إذا رفعه كالشاخص ، وأنشد :

وَرَبِّ رَبِّ^(٣) خِمَاص^(٤) يَطْعَنُ بِالصِّيَاصِي^(٥)
يَنْظُرُ مِنْ خِصَاص^(٦) بِأَعْيُنٍ شَوَاصِي^(٧)
كَفَلَقِ الرَّصَاصِ تَسْمُو إِلَى الْقِصَاصِ
[مشطور الرجز]

(١) السُّنْحُ ، بالضم : اليمُن والبرَكَّة ، وهو ما جاء من يمينك يريد شمالك ، وهو ضد البارح .

(٢) يذكر عليها اسم الله في رفعها وإنزالها .

(٣) الرَّبْرَبُ : القطيع من بقر الوحش .

(٤) خمص : الخاء والميم والصاد أصل واحد يدل على الضمر والتطامن . فالخميص : الضامر البطن ،
والمصدر الخمص ، وامرأة خمصانة : دقيقة الخصر .

(٥) صيص : والصصية : ما كان حصناً لكل شيء مثل صيصية الثور وهو قرنه ، وصيصية الديك كأنها
مخلب في ساقه .

(٦) الخصاص : شبه كوة في قبة أو نحوها إذا كان واسعاً .

(٧) الشوص : الدلك ، وقد يقال في الثوب أيضاً ؛ ويقال شاص الشيء إذا زعرعه ، وأما الشوصة فداء
يقال : إنه يتعقد في الأضلاع .

الشعر للأخطل، وذكره يأتي في غير هذا الموضع، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية. والغناء لمالك وله فيه لحنان: أحدهما في الأول والثاني رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن سريج رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن محرز خفيفٌ ثقيلٌ بالبنصر في مجراها. وفيه رملٌ آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً. ومنها:

صوت

هل تعرف الرسم والأطال والدمنا
وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدمت. عروضه من البسيط. الشعرُ لذي الإصبع
العدواني. والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٌ بالبنصر. ومنها:

صوت

كفى حزناً أن تجمع الدار شملنا

صوت

وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه

دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزْدَدُ خَبَالاً مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهُ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمًا
وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ^(١)
[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر للأحوص، وقيل: إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان. والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أولٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر يونس أن لمالك لحناً فيه:

أَكَلْتُمْ فُكِّي عَانِيَا بِكَ مُغْرَمًا وَشُدِّي قُوَى حَبْلِ لَنَا قَدْ تَصَرَّمَا
فَإِنْ تُسَعِفِيهِ مَرَّةً بِنَوَالِكُمْ فَقَدْ طَالَمَا لَمْ يَنْجُ مِنْكَ مُسْلَمًا

(١) الأبيات لعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري.

كَفَى حَزْناً أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأَمْسِي قَرِيباً لَا أَزُورُكَ كَلْثَمَا
وبعده هذه الأبيات التي مضت .

[تفضيل لحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حماد وذكر الثقيفي عن دحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيُّه أحسن ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء ، فقلت : اذهب بنا إلى مالك بن أبي السَّمَح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه ، فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد ، وقال : قد جئتكَ بشيء لا تُرُدُّه ، فقلت : وما هو ؟ قال : لحن ابن سريج :

وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوِّغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدِّمَا^(١)
[الطويل]

ثم قال لي معبد : أسمعكه ؟ قلت : نعم ، وأريته أني لم أسمععه قبل ، فقال : إسمعه مني ؛ فغنى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعت شيئاً قط أحسن منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأت في فصل لإبراهيم بن المهدي إلى إسحاق الموصلي «وكتبت رقعتي هذه وأنا في غمرة^(٢) من الحمى تصدف عن المفترضات ، ولولا خوفاً من تشنيعك وتجنيتك لم يكن فيَّ للإجابة فضلٌ ، غير أني قد تكلفت الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علتي وما أقاسيه من الحرارة الحادثة بي» .

وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوِّغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدِّمَا
[الطويل]

[تفضيل غناء ابن سريج]

وقال إسحاق : حدثني شيخٌ من موالي المنصور قال : قدم علينا فتياً من بني أمية يريدون مكة ، فسمعوا معبدًا ومالكاً فأعجبوا بهما ، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يسمعهم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه ، فقالوا : نحن فتیان من قریش ، أتيناك مُسلمين عليك ، وأحبينا أن نسمع منك ، فقال : أنا مريضٌ كما ترون ، فقالوا : إن الذي نكتفي منك به يسيرٌ ، - وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس - فقال : يا جارية ، هاتي جلبابي^(٣) وعودي ، فأتته خادمة

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة وينسب إلى الأخوص الأنصاري وجحظة البرمكي .

(٢) غمرة : شدة .

(٣) الجلباب ، كسر داب وسنمار : القميص ، وثوبٌ واسعٌ للمرأة دون الملحفة ، أو ما تُعطي به ثيابها من فوق كالمُلْحَفَةِ ، أو هو الخمار ، وجلببهُ فَتَجَلَّبَبَ ، والمُلْكُ .

بخامةٍ فسدلها على وجهه - وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه - ثم أخذ العود فغناهم، فأرخی ثوبه على عينيه وهو يغني، حتى إذا اكتفوا ألقى عوده، وقال: معذرةً، فقالوا: نعم، قد قبل الله عذرك فأحسن الله إليك، ومسح ما بك، وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا، فمروا بالمدينة منصرفين، فسمعوا من معبدٍ ومالكٍ، فجعلوا لا يطربون لهما ولا يعجبون بهما كما كانوا يطربون، فقال أهل المدينة: نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج! قالوا: أجل! لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط، ولقد نغص علينا ما بعده.

[تغني رقطاء الحبطية برمل ابن سريج]

وذكر العتابي أن زكريا بن يحيى حدثه قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثماني عن بعض أهل الحجاز قال: التقى قنديل الجصاص وأبو الجديد بشعب الصّفراء^(١)، فقال قنديل لأبي الجديد: من أين وإلى أين؟ قال: مررت برقطاء الحبطية رائحةً تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي:

صوت

سقى مأزَمِي^(٢) نجدٍ إلى بئر خالدٍ فوادي نصاع^(٣) فالقرون^(٤) إلى عمَدٍ^(٥)

(١) الصّفراء: بلفظ تأنيث الأصفر من الألوان، وادي الصفراء: من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزروع والخير في طريق الحاج، وسلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة؛ قال عزام بن الأصبع السلمي: الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع ممّا يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع، وهي لجّهينة والأنصار ولبنى فُهر ونهد ورَضوى منها من ناحية المغرب على يوم، وحوالي الصفراء قنان وضعايع صغار، واحدا ضعضاع، والقنان وضعايع: جبال صغار، ووادة القنان قُنة.

(٢) مأزَم الأرض والفرج والعيش: مضايقتها. الواحد: كمثّر. والمأزَم، ويقال: المأزَمَان: مضيق بين جمع وعرفة، وآخر بين مكة ومي.

(٣) نصاع: كأنه جمع ناصع، وهو من كل لون خالصه، وأكثر ما يقال في البياض: وهو موضع في قول الشاعر:

سقى مأزَمِي فُحْ إلى بئر خالدٍ فوادي نصاع فالقرون إلى عمد

وجادت بروق الرائحات بمزنة تَسُحْ شأبيباً بمرتجز الرعد

(٤) قُرُونٌ بَقَر: جمع قرن؛ وبقر واحدة بقرة: موضع في ديار بني عامر المجاورة لبُلَحارث بن كعب كان به يوم من أيام العرب.

(٥) العماد: بكسر أوله؛ قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾؛ قال المبرد: يقال: رجل طويل العماد إذا كان معمداً أي طويلاً، قال: وقوله ﴿إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ﴾؛ أي ذات الطول، وقيل: ذات العماد ذات البناء الرفيع، وقال الفراء: ذات العماد أي أنهم كانوا ذوي عمد ينتقلون إلى الكلا حيث كان =

وجادت بُروقَ الرّائحاتِ بمزنيةٍ تَسُحُ شآبيباً^(١) بمرتجز الرّعد
 منازل هندی إذ تُواصلني بها ليالي تسبيني بمستطرف الود^(٢)
 ينيرُ ظلامَ الليل من حسن وجهها وتهدي بطيب الرّيح من جاء من نجد
 [الطويل]

- الغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي - فَرَفْتُ^(٣) خلفها زفيف
 النعامة، فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمشاش^(٤) حسير^(٥)، فأودعتها قلبي وخلفته
 لديها، وأقبلت أهوي كالرّخمة^(٦) بغير قلب، فقال لي قنديل: ما دفع أحد من المزدلفة
 أسعد منك، سمعت شعر ابن عُمارة في غناء ابن سريج من رقطاع الجبطية؛ لقد أوتيت
 جزءاً من النبوة. قال: وكانت رقطاع هذه من أضرب الناس؛ فدخل رجل من أهل
 المدينة منزلها فغنته صوتاً، فقال له بعض من حضر: هل رأيت قط أو ترى أفصح من
 وتر هذه؟ فطرب المدني وقال: عليّ العهد إن لم يكن وترها من معي بشكست
 النحوي، فكيف لا يكون فصيحاً! وبشكست هذا كان نحويّاً بالمدينة، وقتل مع
 الشّراة^(٧) الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري
 المعروف بطالب الحق.

[غناؤه مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول: غناء كل مغنٍ
 مخلوق من قلب رجل واحد، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً. وكان
 يقول: الغناء على ثلاثة أضرب، فضرِبْ مله مطربٌ يحرك ويستخف، وضرِبْ ثانٍ له
 شجاً ورقّة، وضرِبْ ثالثٌ حكمةً وإتقان صنعة. قال: وكل هذا مجموع في غناء ابن
 سريج.

= ثم يرجعون إلى منازلهم، ويقال لأهل الأخبية أهل العماد؛ وغور العماد: موضع بعينه قرب مكة
 في ديار بني سليم يسكنه بنو ضبيحة منهم. وعماد الشبا: موضع بمصر.

(١) الشآبيب: الدفعة من المطر.

(٢) مستطرف الود: مستحدثه.

(٣) زففت: أسرعت.

(٤) المشاش: بالضم، قال عزام: ويتصل بجبال عرفات جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أو شال وعظام
 فتي، منها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويتصل إلى مكة.

(٥) حسير: كال معي.

(٦) الرّخمة: طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له: الأنوق.

(٧) الشراة: وهم الخوارج الذين قالوا إنهم اشتروا الجنة بالحياة.

[عند بئر الفصح]

قال العتابي: وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال: ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال: التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي ببئر الفصح، فقال ابن سلمة: هل لك في الاجتماع نستمتع بك؟ فقال له الأخضر: لقد كنت إلى ذلك مشتاقاً، قال: فقعدا يتحدثان، فمرَّ بهما أبو السائب، فقال: يا مطربي الحجاز، أُلشِيءَ كان اجتماعكما؟ فقالا: لغير موعدٍ كان ذلك، أفتؤنسنا؟ قال: فقعدوا يتحدثون، فلما مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة: يا أبا الأزهر، قد ابهار^(١) الليل وساعدك القمر، فأوقع بقهقهة^(٢) ابن سريج وأصب مغناك. فاندفع يغني:

صوت

تَجَنَّتْ بِلَا جُرْمٍ وَصَدَّتْ تَغْضُباً وقالت لتربيتها مقالة عاتبٍ
سَيَعْلَمُ هَذَا أَنَّنِي بِنْتُ حُرَّةٍ سأمنع نفسي من ظنونٍ كواذبٍ
فَقُولِي لَهُ عَنَّا تَنْحَ فَإِنَّا أَبْيَاتُ فُحْشٍ طَاهِرَاتِ الْمُنَاسِبِ
[الطويل]

- الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته - قال: فجعل أبو السائب يَزْفُنُ^(٣) ويقول: أبشُرْ حبيبي؛ فلأنت أفضل من شهداء قزوين، قال: ثم قال ابن سلمة للأخضر: نعم المساعد على همّ الليل أنت! فأوقع بنوح ابن سريج ولا تعدّ مغناك، فاندفع يغني:

صوت

فَلَمَّا التَقِينَا بِالْحَجُونِ^(٤) تَنَفَّسْتُ تنفس محزون الفؤاد سقيم

(١) ابهار: بهر: الباء والهاء والراء أصلان: أحدهما الغَلَبَةُ والغُلُوفُ، والآخر وَسَطُ الشَّيْءِ. أمّا الأوّل (فقال) أهل اللغة: البَهِرُ الغَلَبَةُ، يقال: ضوءٌ باهر. و(أمّا) الأصل الآخر فقولهم لوسط الوادي وَوَسَطَ كُلِّ شَيْءٍ بُهْرَةٌ.

(٢) القهقهة: مدّ الصوت وترجيعة.

(٣) يزفن: يرفض.

(٤) الْحَجُونُ: آخره نون، والحجن الاعوجاج؛ ومنه غزوة حجون التي يظهر الغازي الغزوّ إلى موضع ثم يخالف إلى غيره، وقيل: هي البعيدة. والحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وقال السكري: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال السهيلي: على فرسخ وثلاث، عليه سقيفة آل زياد بن عبيد الله الحارثي، وكان عاملاً على مكة في أيام السّفاح وبعض أيام المنصور.

وقالت وما يرقأ^(١) من الخوف دمعها أقاطئها أم أنت غير مُقيم
فإنا غداً تُحدى بنا العيسُ بالضحي وأنت بما نلقاهُ غيرُ عليم
فقطَّع قلبي قولها ثم أسبلت محاجر^(٢) عيني دمعها بسجوم^(٣)
[الطويل]

قال: فجعل أبو السائب يتأفف ويقول: أعتق ما أملك إن لم تكن فردوسية الطينة، وإنها بعلمها لأفضل من آسية امرأة فرعون.

[تغني الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: بلغني أن أبا دهبيل الجُمحي قال: كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مغنية بالمدينة يقال لها «الذلفاء»، فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذري، واللحن لابن سريج:

صوت

لهنَّ الوجا^(٤) لِمَ كُنَّ عوناً على النوى ولا زال منها ظالعٌ وكسيرٌ
كأنِّي سُقيْتُ السُّمَّ يومَ تحملوا وجدَّ بهم حادٍ وحان مسيرٌ
[الطويل]

فقال أبو السائب: يا أبا دهبيل، نحن واللّه على خطرٍ من هذا الغناء، فنسأل الله السلامة وأن يكفيننا كل محذور، فما آمن أن يهجم بي على أمرٍ يهتكني، قال: وجعل يبكي.

[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدثنا الزبير بن بكار عن بكار بن رباح عن إسحاق بن مقمة عن أمه قالت: سمعت ابن سريج على أخشب^(٥) منى غداة النفر^(٦) وهو يغني:

- (١) يرقأ: رقا: الراء والقاف والهمزة كلمة واحدة، يقال: رقا الدّم والدّمع، إذا انقطع، وفي كلامهم: «لا تسبوا الإبل فإن فيها رقاؤ الدّم» أي إنها تدفع في الدية فيزقأ دم من يراد منه القود.
- (٢) محاجر: جمع محجر وهو ما دار بالعين من جميع جوانبها.
- (٣) سجم: السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صب الشيء من الماء والدّمع: يقال: سجمت العين دمعها، وعين سجوم، ودمع مسجوم، ويقال أرض مسجومة: ممطورة.
- (٤) الوجا: الحفا، يقال: وجيت الدابة توجي وجأ، إذا حفت.
- (٥) الأخشب: الجبل الخشن العظيم. والأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس والأحمر، وجبلا منى.
- (٦) نفر: خرج، ويقال: نفر الحاج من منى أي خرجوا ونفروا.

جَدَّدِي الْوَصَلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي لِمُحِبِّ فُرَاقُهُ قَدْ أَلَمَّا^(١)
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمَالَهُمْ فَتُزَمَّا^(٢) ^(٣)
 [الخفيف]

- ونسبة هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار - قالت: فما تشاء أن تسمع من خباءٍ ولا مضربٍ حيناً ولا أنيناً إلا سمعته.

[مذاكرة ابن المهدي وإسحاق في تفضيله]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يذاكر إبراهيم بن المهدي، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه: هذا صوتٌ قد تمعبد فيه ابن سريج. فقال له إبراهيم: ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج، فكيف يجوز أن تقول: تمعبد ابن سريج! وإنما معبدٌ إذا أحسن قال: أصبحت سريجياً! قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفع قدره عن مثله، وأعيدك بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج، قال: فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه، ولا زاد على أن قال: هي كلمةٌ يقولها الناس، لم أقلها اعتقاداً لها فيه، وإنما تكلمت بها على العادة.

[اعتراف معبد له بالتفوق]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا محمد بن سلام قال: قال لي شعيب بن صخر: كان معبدٌ إذا غنى فأجاد قال: أنا اليوم سريجي.

[سكوت المغنين بحضرته]

حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن سلام قال: حدثنا شعيب بن صخر قال: كان نعمان المغني عندي نازلاً، وكان يغني، وكنت أراه يأتيه قوم، قال أبو عبد الله: فقلت له: فأيهم كان أحذق؟ قال: لا أدري، إلا أنهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكتوا.

[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال: حدثني الهيثم بن عياشٍ قال:

(٢) زَمَ: شد، ويقال: زَمَ الناقةَ وضع لها الزمام.

(١) أَلَمَ: نزل.

(٣) البيتان لعمر بن أبي ربيعة.

حدثني عبد الرحمن بن عيينة قال: بينما نحن بمئى ونحن نريد الغدو إلى عرفات، إذ أتانا الأحوص فقال: أبيت بكم الليلة؟ قلنا: بالرحب والسعة، فلما جنَّ الليل لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطر ماء. قلت: ما لك؟ قال:

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمَاكَ لِمَا حَرَمَ تَ^(١) ضَلَّ ضَالُكَ^(٢) مِنْ مُحَرِّمٍ!
تُرِيدُ بِهِ الْبِرَّ أَلَيْتَهُ كَفَافاً مِنَ الْبِرِّ وَالْمَأْثَمِ^(٣)
[المقارب]

- الغناء لابن سريج ولم يُجنِّسه - قال: قلت: زُنَيْتَ وَرَبَّ الكعبة! قال: قل ما بدا لك، ثم لقي ابن سريج فقال: إني قد قلت بيتين حسنين أحب أن تغنيني بهما، قال: ما هما؟ فأنشده إياهما؛ فغنى بهما من ساعته، فَفُتِنَ من حضر ممن سمع صوته.

[ارتحال جرير إلى مكة لسمع غناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذ شباب نطلب الشعر، فاحتشدنا له ومعنا أشعب. فبينما نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح. وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قُبَاء على حمارٍ فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام لحاجة، فما حاجتك إليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشعر منه وأشرف، قلنا: ويحك! لا تعرض له وانصرف، فانصرف وخرج، فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه، فقال: السلام عليك يا جرير، قال جرير: وعليك السلام، فقال الأحوص: يابن الخطفي، الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا أخزاه الله؟! قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقال: نعم! هذا الخبيث ابن الطيب، أنت القائل:

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
[الطويل]

قال: نعم، قال: فإنه يقرُّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفيقرُّ ذلك

بعينك؟!

(١) حرمت: دخلت الحرم.

(٢) ضلت: ضاعت، ويريد القول إنها خرجت عن الصراط المستقيم.

(٣) المأثم: الذنب.

قال: وكان الأحوص يُرمى بالخلق^(١) فانصرف، فبعث إليهم بتمر وفاكهة، وأقبلنا على جرير نُسائله، وأشعب عند الباب وجريرٌ في مؤخر البيت، فألحَّ عليه أشعب يسأل، فقال: واللّه إني لأراك أقبحهم وجهاً وأراك الأمهم حسباً؛ فقد أبرمتني^(٢) منذ اليوم، قال: إني واللّه أنفعهم وخيرهم لك. فانتبه جريرٌ وقال: ويحك! كيف ذاك؟ قال: إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه، فقال: قل، ويحك! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج:

يا أخت ناجية، السّلام عليكُم قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ
لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُم يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ
[الكامل]

فطرب جريرٌ وجعل يزحف نحوه حتى ألصق بركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجدته وزينته، أحسنت واللّه، ثم وصله وكساه، فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت، قال له بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء؟ قال: أو إنّ له لواضعاً غير هذا؟ فقلنا: نعم، قال: فأين هو؟ قلنا: بمكة، قال: فلست بمفارقٍ حجازكم حتى أبلغه، فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم، فأتيناه جميعاً، فإذا هو في فتية من قریش كأنهم المها مع ظرفٍ كثير، فآدَنُوا ورحبوا وسألوا عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وآدَنُوهُ وَسُرُّوا بمكانه، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال: سل ما تريد جُعِلْتُ فداءك! قال: أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك، قال: وما هو؟ قال:

يا أخت ناجية، السّلام عليكُم قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ
[الكامل]

فغناه ابن سريج وبيده قضيبٌ يُوقِعُ به وينكت، فواللّه ما سمعت شيئاً قط أحسن من ذلك. فقال جرير: «للّه دركم» يا أهل مكة، ماذا أعطيتكم! واللّه لو أنّ نازعاً نزع^(٣) إليكم ليقم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان، ورقة ألسنتكم، وحسن شارتركُم^(٤)، وكثرة فوائدكم!

(١) حَلَّاق. قال ابن سيده: وحَلَّاقٌ مثل قَطَامٍ: المنيّة، مَعْدُولَةٌ عن الحالقة، لأنها تَحْلُقُ أَي تَقْشِرُ. وهي صفة تنافي الرجولة.

(٢) تَبَرَّمَ: أَمَلُهُ فَمَلَّ، ويقال: أبرمتني: أضجرتني.

(٣) نزع إليكم: مال إليكم. (٤) حسن الشارة: حسن الهيئة والمظهر.

[الوليد وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جده إبراهيم قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة: أن أشخص إليّ ابن سريج، فأشخصه، فلما قدم مكث أياماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه، قال: ثم إنه ذكره، فقال: ويلكم! أين ابن سريج؟ قالوا: هو حاضر، قال: عليّ به، فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلم، فأشار إليه: أن اجلس، فجلس «بعيداً». فاستدناه «فدنا» حتى كان منه قريباً، وقال: ويحك يا عبّيد! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك، فقال: جعلت فداك يا أمير المؤمنين! «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» قال الوليد: إنّي لأرجو ألا تكون أنت ذاك، ثم قال: هات ما عندك، فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص:

أَمْنَزَلَتِي سَلَمَى عَلَى الْقَدَمِ اسْلَمَا
وَذَكَّرْتُما عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
وَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بِبَيْشٍ ^(٢) مُقِيمَةً
يَمَانِيَّةً شَطَطَتْ فَأَصْبَحَ نَفْعُهَا
أَحَبُّ ذُنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى
بَكَاهَا وَمَا يَدْرِي سِوَى الظَّنِّ مَنْ بَكَى
فَقَدْ هَجْتُما لِلشُّوقِ قَلْباً مُتَيِّماً
وَجِدَّةً وَصَلَ حَبْلُهُ قَدْ تَجَدَّمَا ^(١)
وَحَلَّ بَوَجٍ ^(٣) جَالِساً ^(٤) أَوْ تَتَهَّما ^(٥)
رَجَاءً وَظَنّاً بِالْمَغِيبِ مُرَجَّماً
بِهَا صَدَعُ شَعْبٍ ^(٦) الدَّارِ إِلَّا تَتَلُّمَا
أَحْيَا يُبَكِّي أَمْ تُرَاباً وَأَعْظَمَا

(١) جذم: الجذم: القطع. جذمه يجذمه جذماً: قطعه، فهو جذيم. وجذمه فأنجذم وتَجَدَّم. وجذَّب فلانٌ حبلَ وصاله وجذمه إذا قطعه.

(٢) بَيْشٌ: بالشين المعجمة: من مخاليف اليمن، فيه عدّة معادن، وهو واد فيه مدينة يقال لها: أبو ثُرَاب، سميت بذلك لكثرة الرياح والسّوافي فيها، وهي ملكٌ للشُّرفاء بني سليمان الحسنيين.

(٣) وَجٌّ: بالفتح ثم التشديد؛ والوَجُّ في اللغة: عيدانٌ يُتداوى بها، قال أبو منصور: وما أراه عربياً محضاً، والوَجُّ: السرعة، والوج: القطا، والوج: النعام، وفي الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «إن آخر وطأة لله يومٌ وَجٌّ». وهو الطائف، وأراد بالوطأة الغزاة ههنا، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي، صلى الله عليه وسلم، وقيل: سميت وَجّاً بَوَجِّ بن عبد الحق من العمالقة، وقيل: من خزاعة.

(٤) الْجَلْسُ: بالفتح، وهو الغليظ من الأرض؛ ومنه جمل جلس وناقاة جلس أي وثيق جسيم. والجلس: علم لكل ما ارتفع من الغور في بلاد نجد، قال ابن السكيت: جلس القوم إذا أتوا نجداً، وهو المجلس.

(٥) تتهم إذا أتى تهماً.

(٦) شعب: الشَّعْبُ: الجَمْعُ، والتَّفْرِيقُ، والإِضْلَاحُ، والإِفْسَادُ: ضدّ.

فَدَعَهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً
فَإِنَّ بِكَفِّهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ
إِمَامٌ أَتَاهُ الْمُلْكُ عَفْوَاً وَلَمْ يُثِبْ
فَلَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَدْعُ مُسْلِمًا
تَخَيَّرَهُ رَبُّ الْعِبَادِ لِخَلْقِهِ
يَنَالُ الْغِنَى وَالْعِزَّ مَنْ نَالَ وَدَّةً
نَزَلَ عَنْكَ بُؤْسِي أَوْ تُفِيدُكَ أَنْعَمًا
وَعَيْتَ حَيًّا يَحْيَا بِهِ النَّاسُ مُرْهِمًا^(١)
عَلَى مُلْكِهِ مَا لَّا حَرَامًا وَلَا دَمًا
لِبَيْعَتِهِ إِلَّا أَجَابَ وَسَلَّمًا
وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمًا
وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مَنْ تَشَأَّمَا

[الطويل]

فقال الوليد: أحسنت والله وأحسن الأحوص! عليّ بالأحوص، ثم قال: يا عبيد هيه! فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي^(٢) يمدح الوليد:

صوت

طَارَ الْكَرَى وَالْمَمَّ^(٣) الْهَمُّ فَاكْتَنَعَا^(٤)
كَانَ الشَّبَابُ رِداءً أَسْتَكِنُ بِهِ
فَاسْتَبَدَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ
فَإِنْ تَكُنْ مَيْعَةً^(٥) مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ
فَقَدْ أَبَيْتُ أُرَاعِي الْخَوْدَ^(٦) رَاقِدَةً
وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَاْمْتَنَعَا
وَأَسْتَظِلُّ زَمَانًا ثُمَّتَ انْقَشَعَا
فَيْنَانَةٍ^(٧) مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا نَزْعًا^(٨)
وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبْوَةِ الْوَرْعَا
عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُورًا بِهَا وَلَعَا

(١) رهم: الرءاء والهواء والميم يدلُّ على خُصْبٍ وَندى. فالرَّهْمَةُ: المَطْرَةُ الصَّغِيرَةُ الْقَطْرُ، والجمع رَهْمٌ ورهَام، وروضة مرْهُومَةٌ، وأَرْهَمَتِ السَّمَاءُ: أَتَتْ بِالرَّهَامِ، ونزلنا بفُلَانٍ فُكُنَّا فِي أَرْهَمِ جَانِبَيْهِ، أي أَخْصَبَهُمَا.

(٢) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة. شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصراً لجريز، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مداحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، مات في دمشق سنة ٩٥هـ.

(٣) أَلَمَّ: أَصَابَ وَنَزَلَ.

(٤) اكْتَنَعَ: دَنَا وَحَضَرَ.

(٥) فَيْنَانَةٌ: الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ الْحَسَنَةُ الشَّعْر.

(٦) النَّزْعَةُ: الْمَوْضِعُ مِنْ رَأْسِ الْأَنْزَعِ، وَهُوَ الَّذِي انْحَسَرَ شَعْرُهُ عَنْ جَانِبَيْ جَبْهَتِهِ، وَهُمَا النَّزْعَتَانِ.

(٧) مَيْعَةٌ: قِيلَ: مَيْعَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مُعْظَمُهُ.

(٨) الْخَوْدُ: الْفَتَاةُ الْحَسَنَةُ الْخَلْقِ الشَّابَّةُ مَا لَمْ تَصِرْ نَصْفًا؛ وَقِيلَ: الْجَارِيَةُ النَّاعِمَةُ، وَالْجَمْعُ: خَوْدَاتٌ وَخَوْدٌ.

بَرَأَقَةُ الثَّغْرِ يَشْفِي النَّفْسَ لَذَّتْهَا
كَالْأَفْحَوَانِ بِضَاحِي الرُّوْضِ صَبَّحَهُ
صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتِ لَهُ
عَلَى الَّذِي يَسْبِقُ الْأَقْوَامَ ضَاحِيَةً
هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أُمَّتَهُ
عُذْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَفْقِدَهُ
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ
لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مَا أَعْطَى الَّذِينَ هُمْ

إِذَا مُقَبِّلُهَا فِي رَيْقِهَا كَرَعَا^(١)
عَيْثُ أَرَشَ بِتَنْضَاحِ^(٢) وَمَا نَقَعَا^(٣)
وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجُمُعَا
بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحَبَاهُ مَعَا
عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شِيعَا^(٤)
وَأَنْ نَكُونَ لِإِرَاعِ بَعْدَهُ تَبَعَا
مَلِكٌ عَلَيْهِ أَعَانُ اللَّهُ فَارْتَفَعَا
لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْطُونَ مَا مَنَعَا

[البسيط]

فقال له الوليد: صدقت يا عبيد! أنى لك هذا؟ قال: هو من عند الله، قال الوليد: لو غير هذا قلت لأحسنْتُ أدبك، قال ابن سريج: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قال الوليد: يزيد في الخلق ما يشاء، قال ابن سريج: هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر. قال الوليد: لعلمك والله، أكبر وأعجب إليّ من غنائك! غني، فغناه بشعر عدي بن الرِّقَاع العاملي يمدح الوليد:

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا
وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٍ
إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصْلِنِي خُلْتِي^(٦)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى امْرِئٍ وَدَعَتْهُ
وَإِذَا الرَّبِيعُ تَتَابَعَتْ أَنْوَاؤُهُ^(٧)

مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا^(٥)
كَالرَّيْمِ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أَوْتَادَهَا
وَتَبَاعَدَتْ مَنِّي اغْتَفَرْتُ بَعَادَهَا
وَأَتَمَّ نِعَمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
فَسَقَى خُنَاصِرَةً^(٨) الْأَحْصَصُ فَجَادَهَا

(١) كَرَعَ فِي الْمَاءِ يَكْرَعُ كُرُوعًا وَكَرْعًا: تَنَاوَلَهُ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرِبَ بِكَفِّهِ وَلَا بِإِنَاءٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَدْخُلَ النَّهْرُ ثُمَّ يَشْرِبُ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُصَوِّبَ رَأْسَهُ فِي الْمَاءِ وَإِنْ لَمْ يَشْرِبْ.

(٢) تَنْضَحُ بِالْمَاءِ: يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنَ الْخَرْفِ لِرِقَّتِهَا. وَالْجَبَلُ يَنْضَحُ: إِذَا تَحَلَّبَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ صُخُورِهِ.

(٣) مَا نَقَعَ: مَا أَرَوَى. (٤) شِيعَ: فَرَقَ مُتَنَاقِضَةً.

(٥) أَبْلَاد: مِنْ بَلَدٍ وَهُوَ الْأَثَرُ.

(٦) خُلْتِي: صَدِيقَتِي.

(٧) النَّوْءُ: النَّجْمُ مَالٌ لِلْعُرُوبِ، ج: أَنْوَاءٌ وَنُوَانٌ، أَوْ سُقُوطُ النَّجْمِ فِي الْمَغْرِبِ مَعَ الْفَجْرِ، وَطُلُوعُ آخَرِ يُقَابِلُهُ مِنْ سَاعَتِهِ فِي الْمَشْرِقِ.

(٨) الْخُنَاصِرُ، وَيَفْتَحُ الصَّادُ: الْإِصْبَعُ الصُّغْرَى أَوْ الْوُسْطَى، مُؤَنَّثٌ. وَخُنَاصِرَةٌ، بِالضَّمِّ: بَلَدَةٌ بِالشَّامِ، مِنْ عَمَلٍ حَلَبَ، سُمِّيَتْ بِخُنَاصِرَةِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَجَمَعَهَا جِرَانُ الْعَوْدِ بِمَا حَوْلَهَا.

نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا
أَوْ لَا تَرَى أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَاكَهَا
أَعْمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلَتْ
وَأَصَبَتْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مُصِيبَةً
ظَفَرًا وَنَصْرًا مَا تَنَاولَ مِثْلُهُ
فَإِذَا نَشَرْتُ لَهُ الثَّنَاءَ وَجَدْتُهُ
غَيْشًا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبِلَادَهَا
أَلَقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا
مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا
وَكَفَفَتْ عَنْهَا مَنْ يَرُومُ فَسَادَهَا
عَمَّتْ أَقَاصِي غُورِهَا وَنِجَادَهَا
أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا
جَمَعَ الْمَكَارِمَ طُرْفَهَا وَتِلَادَهَا
[الكامل]

فأشار الوليد إلى بعض الخدم، فغطوه بالخلع ووضعوها بين يديه كيساً من الدنانير وبدراً من الدراهم، ثم قال الوليد بن عبد الملك: يا مولى بني نوفل بن الحارث، لقد أوتيت أمراً جليلاً، فقال ابن سريج: يا أمير المؤمنين! لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرفاً عالياً، وعزاً بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله، فأدام الله لك ما ولّاك، وحفظك فيما استرعاك، فإنك أهل لما أعطاك، ولا نزعه منك إذ رآك له موضعاً، قال: يا نوفلي، وخطيباً أيضاً! قال ابن سريج: عنك نطقت، وبلسانك تكلمت، وبعزك بينت؛ وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي، فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج، فأنزلا منزلاً إلى جنب ابن سريج، فقالا: والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بني نوفل، وإن في قربك لما يلدنا ويشغلنا عن كثير مما نريد. فقال لهما ابن سريج: أو قلّة شكر! فقال له عدي: كأنك يا ابن اللّخاء تمنّ علينا! عليّ وعليّ، إن جمعنا وإياك سقف بيت أو صحن دار «إلا» عند أمير المؤمنين. وأما الأحوص فقال: أو لا تحتمل لأبي يحيى الزّلة والهفوة! وكفارة يمين خير من عدم المحبة وإعطاء النفس سؤلها خير من لجّاج^(١) في غير منفعة! فتحول عدي، وبقي عنده الأحوص، وبلغ الوليد ما جرى بينهم، فدعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأرخصى دونه ستراً، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني، فلما دخلا وأنشداه مدائح فيه، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يروونه وضرب بعوده، فقال عديّ: يا أمير المؤمنين، أئاذن لي أن أتكلّم؟ فقال: قل يا عاملي، قال: أمثل هذا عند أمير المؤمنين، ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريش والعرب من تهامة إلى الشام! ترفعه أرض وتخفضه

(١) اللجّاج: التمادي في الخصومة.

أخرى فيقال: من هذا؟ فيقال: عبيد بن سريج مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه، ليسمع غناه! فقال: ويحك يا عدي! أو لا تعرف هذا الصوت؟ قال: لا، والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله حسناً، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت: طائفة من الجن يتغنون، فقال: اخرج عليهم، فخرج فإذا ابن سريج، فقال عدي: حقّ لهذا أن يُحمل! حقّ لهذا أن يحمل! - ثلاثاً - ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج، وارتحل القوم، وكان الذي غناه ابن سريج من شعر عمر بن أبي ربيعة:

بِاللَّهِ يَا ظَبْيَ بَنِي الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّائِثِ
لَا تَخْدَعْنِي بِالْمُنَى بِاطِلًا وَأَنْتَ بِي تَلْعَبُ كَالْعَابِثِ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ لَنَا هَكَذَا نَفْسِي فِدَاءُ لَكَ يَا حَارِثِي
يَا مُنْتَهَى هَمِّي وَيَا مُنِيَّتِي وَيَا هَوَى نَفْسِي وَيَا وَارِثِي
[السريع]

[عتاب الناس له في صنعة الغناء]

قال: وبلغني أن رجلاً من الأشراف من قريش من موالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه، وقال له: لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزين بمواليك وبك! فقال: جُعِلْتُ فداك! امرأته طالق! إن أنت لم تدخل الدار، فقال الشيخ: ويحك! ما حملك على هذا؟ قال: جُعِلْتُ فداك قد فعلتُ، فالتفت النوفلي إلى بعض من كان معه متعجباً مما فعل، فقال له القوم: قد طلقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار، فدخل ودخل القوم معه، فلما توسطوا الدار قال: امرأته طالق! إن أنت لم تسمع غنائي، قال: اغرب عني يا لُكْعُ^(١)! ثم بدر الشيخ ليخرج، فقال له أصحابه: أْتُطَلِّقُ امرأته وتحمل وزرَ ذلك؟! قال: فوزرُ الغناء أشدُّ، قالوا: كلا! ما سوى الله عزَّ وجلَّ بينهما، فأقام الشيخ مكانه، ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب:

أَلَيْسَتْ بِأَلَّتِي قَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهْرًا
أَشِيرِي بِالسَّلامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحْوَنَا خَطَرًا
وَقَوْلِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزَيْنَبَ نَوْلِي عَمَرًا
أَهَذَا سَحَرُكَ النَّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرْنَنِي الْخَبْرَا
[مجزوء الوافر]

(١) اللكع: اللثيم.

فقال للجماعة: هذا والله حسن! ما بالحجاز مثله ولا في غيره، وانصرفوا.
 أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: قال
 عبد الله بن عمير الليثي لابن سريج: لو تركت الغناء! وعاتبه على ذلك، فقال:
 جعلت فداك! لو سمعته ما تركته، ثم قال: امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى
 تسمع غنائي، فالتفت عبد الله إلى رفيق له كان معه فقال: ما تنتظر؟ ادخل بنا وإلا
 طلقت امرأة الرجل، فدخل مع ابن سريج، فغنى بشعر الأحوص:

صوت

لَقَدْ شَاقَكَ الْحَيُّ إِذْ وَدَّعُوا فَعَيْنُكَ فِي إِثْرِهِمْ تَدَمَّعُ
 وَنَادَاكَ لِلْبَيْنِ غَرْبَائُهُ فَظَلْتَ كَأَنَّكَ لَا تَسْمَعُ
 [المقارب]

ثم قال: امرأته طالق إن أنت لم تستحسنه لأتركته. فتبسم عبد الله وخرج.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها: الصوت الذي أوله في الخبر:

جَدَّي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي

أُولُهُ:

صوت

إِنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ حِينَ أَلَمَّا هَاجَ لِي ذِكْرَةٌ وَأَحَدَتْ هَمًّا
 جَدَّي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي لِمُحِبِّ فِرَاقُهُ قَدْ أَلَمَّا
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمَالَهُمْ فَتُزَمَّا
 وَلَقَدْ قُلْتُ مُخْفِياً لَغْرِيزُ هَلْ تَرَى ذَاكَ الْعُزَالَ الْأَحَمَّا
 هَلْ تَرَى مِثْلَهُ مِنَ النَّاسِ شَخْصاً أَكْمَلَ النَّاسِ صُورَةً وَأَتَمَّا
 [الخفيف]

عروضه من الخفيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثقيل أول
 بالوسطى عن الهشامي. وفيه للغريز أيضاً ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن
 إسحاق.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثنا الزبير قال:

أنشد جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين قول عمر:

لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمَالَهُمْ فَتُزَمَّا
[الخفيف]

فطرب وارتاح وجعل يقول: لقد عجلوا البين، أفلا يكون^(١) قربة! أفلا يودعون صديقاً! أفلا يشدون رحلاً! حتى جرت دموعه.

وحدثنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله. ومنها:

صوت

يَا أُخْتَ نَاجِيَةٍ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُذْلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ
[الكامل]

عروضه من الكامل. الشعر لجرير. والغناء لابن سريج ثقیلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد. وفيه للغريض ثاني ثقیلاً بالوسطى عن ابن المكي أيضاً. ومما يشك فيه أنه لمعبد أو لكردم ابنه في البيت الثاني والأول ثاني ثقیلاً. ولعريب في هذين البيتين لحن من رواية ابن المعتز غير مجنس. ومنها:

صوت

أَمْنَزَلَتْنِي سَلَمَى عَلَى الْقَدَمِ اسْلَمَا فَقَدْ هَجْتُمَا لِلشُّوقِ قَلْباً مُتَيِّماً
وَدَكَّرْتُمَا عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَجِدَّةً وَصَلَّ حَبْلُهُ قَدْ تَجَدَّماً
[الطويل]

عروضه من الطويل. والشعر للأحوص. والغناء لكردم ثاني ثقیلاً بالوسطى، وقيل: إن هذا الثقیل الثاني لمحمد الرّف، وإن فيه لحناً من الثقیل الأول لكردم. ومنها:

(١) وكى: الوكاء: كلّ سیر أو خیط يُشدُّ به فَمُ السَّقَاءِ أو الوعاء. وقد أوكَيْتُهُ بالوكاء إيكاء إذا شددته. ابن سيده: الوكاء رباط القُرْبَةِ وغيرها الذي يُشدُّ به رأسُها.

صوت

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
إِلَّا رَوَاكِدَ كُلُّهُنَّ قَدْ اصْطَلَى حَمَرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلُهَا إِيْقَادَهَا
[الكامل]

عروضه من الكامل . الشعر لعدي بن الرقاع العاملي . والغناء لابن محرز ثقيلٌ
أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالكٍ ثقيلٌ أول بالبنصر عن عمرو .
وفيه لحنٌ لإبراهيم ، وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج ، وذكر حماد في كتاب ابن
محرز أنه مما ينسب إلى ابن مسجح ، أو إلى ابن محرز . ومنها :

صوت

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّ بَنِي الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّاكِثِ
لَا تَخْدَعْنِي بِالْمُنَى بَاطِلًا وَأَنْتَ بِي تَلْعَبُ كَالْعَابِثِ
[السريع]

عروضه من السريع . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ولحنه
خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانه أنه لسياط . وذكر الهشامي وبذل أن
فيه لإبراهيم الموصلي لحناً آخر . وفيه خفيف رمل بالبنصر ذكر حبش أنه لإبراهيم بن
المهدي ، وغيره ينسبه إلى إسحاق . ومنها :

صوت

- وهو الذي أوله في الخبر :

أَلَيْسَتْ بِأَلَّتِي قَالَتْ لِمَمْلُوكَةٍ لَهَا ظَهْرَا
تَصَابِي الْقَلْبُ وَادَّكَرَا صِبَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ظَهْرَا
لِزَيْنَبَ إِذْ تُجِدُّ لَنَا صَفَاءَ لَمْ يَكُنْ كَدِرَا
أَلَيْسَتْ بِأَلَّتِي قَالَتْ لِمَمْلُوكَةٍ لَهَا ظَهْرَا
أَشِيرِي بِالسَّلَامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحْوَنَا نَظَرَا
وَقَوْلِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزَيْنَبَ نَوَلِي عَمَرَا
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مَنْ بِذَا أَمْرِكَ

أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي خَبَرَكَ
طَرِبْتَ وَرَدَّ مَنْ تَهْوَى جِمَالُ الْحَيِّ فَا بَتَّكَرَا
وَقُلْ لِلْمَالِ كَيْفَ لَا تَلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهَرَا
بَطَرْتَ وَهَكَذَا الْإِنْسَا ن ذُو بَطَرٍ إِذَا ظَفَرَا
فَأَيْنَ الْعَهْدُ وَالْمِيثَا ق لَا تَخْبِرْ بِنَا بِشِرَا
[مجزوء الوافر]

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في السابع والثامن والأول لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. ولمعبد في هذا الأبيات كلها لحن عن يونس ودنانير ولم يجنسه، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل. وفي السابع والثامن والتاسع رمل لدحمان، ويقال إنه للزبير ابنه ولمالك لحن أوله:

صوت

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا خُذِي خَذْرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ لَزِيْنَبَ نَوْلِي عُمَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وَقَالَتْ مَنْ بِذَا أَمَرَكَ
أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي خَبَرَكَ
[مجزوء الوافر]

ولحن مالك هذا خفيف ثقيل بالوسطى من رواية ابن المكي، وهذا يروي الشعر ويجعل قوافيه كلها على الكاف. وفي هذا الأبيات بعينها على هذه القافية خفيف رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى الغريض. وذكر حبش أن فيه لمعبد لحناً من الرمل أوله الثالث من الأبيات الأول المذكورة.

رجع الخبر إلى سياقه أحاديث ابن سريج

[ابن سريج أحسن الناس غناء]

أخبرنا يحيى بن علي^(١) ووكيعة وجحظة قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه

(١) في بعض النسخ «علي بن يحيى».

قال: قال لي الفضل بن يحيى: سألت أباك ليلة - وقد أخذ منه الشراب - عن أحسن الناس غناءً، فقال لي: من النساء أم من الرجال؟ قلت: من الرجال. قال: ابن محرز. فقلت: فمن النساء؟ قال: ابن سريج، قال إسحاق لي: ويقال: أحسن الرجال غناءً من تشبّه بالنساء، وأحسن النساء غناءً من تشبّه بالرجال. قال يحيى بن علي خاصة: ثم كان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد، فهو يغني له بما يشتهي.

[ابن سريج ببعض أندية مكة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي عن الهيثم بن عدي قال: قال ابن سريج: مررت ببعض أندية مكة وفيه جماعة، فحصرته^(١) فقلت: كيف أجوزهم مع تعبي وما أنا فيه! فسمعتهم يقولون: قد جاء ابن سريج، فقال بعضهم ممن لم يعرفني: ومن ابن سريج؟ فقال: الذي يغني:

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نْ إِذْ جَاوَزَنْ مُطَّلَحَا
[مجزوء الوافر]

قال ابن سريج: فلما سمعت ذلك قويت نفسي واشتدت مُنتي^(٢)، ومررت بهم أخطر في مُصْبَغَاتِي، فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا عليّ، ثم قالوا لأحداهم: امشوا مع أبي يحيى.

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حدثني عمي بهذا الخبر فقال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني محمد بن سلام عن جرير قال: قال لي ابن سريج: دعاني فتية من بني مروان، فدخلت إليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية^(٣)، فغنيتهم - وأنا محتقرٌ لنفسي عندهم - لحناً لي، وهو:

صوت

أَبَالْفُرْعَ لَمْ تَظْعَنَ مَعَ الْحَيِّ زَيْنَبُ بِنَفْسِي عَنِ النَّأْيِ الْحَبِيبِ الْمَغْيِبُ

(١) حَصْرُهُ يَحْصُرُهُ حَصْرًا، فهو مَحْصُورٌ وَحَصِيرٌ، وَأَحْصَرَهُ، كلاهما: حبسه عن السفر. وَأَحْصَرَهُ المرض: منعه من السفر أو من حاجة يريد بها؛ قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ وَأَحْصَرَنِي بَوْلِي وَأَحْصَرَنِي مَرَضِي أَي جعلني أَحْصَرُ نفسي؛ وقيل: حَصَرَنِي الشَّيْءُ وَأَحْصَرَنِي أَي حبسني.

(٢) منتي: قوتي.

(٣) الهرقلية: نسبة إلى هرقل أحد ملوك الروم وهو أول من ضرب النقود.

بوجهك عن مسّ التراب مضنّةً فلا تبعدي إذ كلُّ حيٍّ سيعطب
[الطويل]

- ولحن ابن سريج هذا رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر - قال: فتضاءلوا في
عيني حتى ساويتهم في نفسي لما رأيتهم عليه من الإغظام لي، ثم غنيتهم:
وَدَّعْ لُبَابَةً قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا^(١)
[الكامل]

فطربوا وعظّموني وتواضعوا لي، حتى صرت في نفسي بمنزلتهم لما رأيتهم
عليه، وصاروا في عيني بمنزلي. ثم غنيتهم:

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نْ إِذْ جَاوَزَنْ مُطَّلَحَا
[مجزوء الوافر]

فطربوا ومثلوا بين يديّ ورموا بحللهم كلها عليّ حتى غطوني بها، فمثّلت لي
نفسي أنها نفس الخليفة وأنهم لي خولٌ^(٢)، فما رفعت طرفي إليهم بعد ذلك تيهًا.
وقد مضت نسبة «ودّع لبابة» في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره. وأما:

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا ن
فنذكر نسبته:

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نْ إِذْ جَاوَزَنْ مُطَّلَحَا
نَعَمْ وَلَوْ شَكَ بَيْنَهُمْ جَرَى لَكَ طَائِرٌ سَنَحَا^(٣)
أَجَزْنَ الْمَاءَ مِنْ رَكَكٍ^(٤) وَضَوْءُ الْفَجْرِ قَدْ وَضَحَا

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة.

(٢) الخَوْل: ما أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان من النعم. والخَوْل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء.

(٣) سنح: السين والنون والحاء أصلٌ واحد يُحمَل على ظهور الشيء من مكانٍ بعينه، وإن كان مختلفاً فيه. فالسَّانِح: ما أتاك عن يمينك من طائرٍ أو غيره، يقال: سَنَحَ سُنُوحًا، والسَّانِح والسَّنيح واحد.

(٤) رَكَكٌ: بفتح أوله وثانيه، وتكرير الكاف، والرك المطر الضعيف: وهي محلة من محالٍ سلمى أحد جبلي طَبَيّ، قال الأصمعي: قلت لأعرابي: أين ركك؟ قال: لا أعرفه، ولكن ههنا ماء يقال له: رك.

فَقُلْنَا مَقِيلُنَا قَرْنٌ نُبَاكِرُ مَاءَهُ صُبْحَا
تَبِعَتْهُمْ بِطَرْفِ الْعَيْ ن حَتَّى قِيلَ لِي افْتَضَحَا
يُودَعُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَكُلُّ بِالْهَوَى جُرْحَا
فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فَغَيْرِي إِذْ غَدَا فَرَحَا^(١)
[مجزوء الوافر]

عروضه من الوافر. الشعر لأبي دهب الجمحي^(٢). والغناء لمالك وله فيه لحنان: ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى «عَنْ عَمْرٍو. ولمعبد فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى». ولابن سريج في الخامس وما بعده ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ. وفيه للغريض ثاني ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبِشٍ.

[مدح جرير لغناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قدم جرير المدينة أو مكة فجلس مع قوم، فجعلوا يعرضون عليه غناء رجل من المغنين، حتى غنوه لابن سريج، فطرب وقال: هذا أحسن ما أسمعتموني من الغناء كله، قالوا: وكيف قلت ذلك يا أبا حذرة؟ قال: مخرج كل ما أسمعتموني من الغناء من الرأس، ومخرج هذا من الصدر.

[غناء وتحكيم]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي قال: حدثني إبراهيم بن محمد الشافعي قال: جاء سنده الخياط المغني إلى الأفلح المخزومي - وكان وصف بعقل وفضل - فقال له: من أين أقبلت؟ وإلى أين تمضي؟ فقال: إليك قصدت من مجلس لبعض القرشيين أقبلت محاكماً إليك، قال: في ماذا؟ قال: كنت عند هذا الرجل وحضرت مجلسه رقطاعاً الحبطين، وصفراء العلقميين، فتناولتا بينهما رمل ابن سريج:

(١) تنسب القصيدة إلى عمر بن أبي ربيعة.

(٢) وهب بن زمة بن أسد بن جمح بن لؤي بن غالب القرشي. أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة، قال المرتضى: هو من شعراء قريش، وممن جمع إلى الطبع التجويد. له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية، في شعره رقة وجزالة، وله ديوان شعر من رواية الزبير بن بكار. كان صالحاً ولاء عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي بعلب (موضع بنهامة) سنة ٦٣ هـ.

ليت شعري كيف أبقي ساعةً مع ما ألقى إذا الليل حَضَرُ
من يَذُقُ نوماً ويهدأ ليله فلقد بُدِّلْتُ بالنوم السَّهر
قلت مهلاً إنها جَنِيَّةٌ إن تخالطها تَفُزْ منها بشر
[الرمل]

فغنتاه جميعاً، واختلفتا في تفضيلهما، ففضل كل فريقٍ منا إحداهما، فرضينا جميعاً بحكمك، فاحكم بيننا وبينهما؛ قال: فوجم ساعةً - وأهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعةً ثم حكموا، فإذا حكم المحكم مضى حكمه كائناً ما كان، ففضل من فضله وأسقط من أسقطه، إذا تراضى الخصمان به - فكره الأفلح أن يرضي قوماً ويُسَخِّطَ آخرين، فقال لسندة: صفهما أنت لي كيف كانتا إذ غنتاه واشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت، وأنا أحكم بعد ذلك. فقال سندة: أما جارية الحبطين، فإنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه، ثم تلقيه في هامةٍ لدنةٍ ثم تخرجه من منخر أغن^(١)، واللّه ما ابتدأته فتوسّطته وأنا أعقل، ولا فرغت منه فأفقتُ إلا وأنا أظن أنني رأيتَه في نومي، وأما صفراء العلقميين، فإنها أحسنهما حلقاً، وأصحبهما صوتاً، وألينهما تثنيّاً، واللّه ما سمعها أحدٌ قطّ فانتفع بنفسه ولا دينه. هذا ما عندي، فاحكم أنت يا أخا بني مخزوم. فقال: قد حكمت بأنهما بمنزلة العينين في الرأس، فبأيهما نظرت أبصرت، ولو كان في الدنيا من عبيد بن سريج خلفٌ لكانتا. قال: فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه.

[ثناء جرير المدني على ابن سريج]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: سألت جرير المدني عن ابن سريج، فقال: أذكره ويحك باسمه، ولا تقول: سيّد من غنّي وواحد من ترنم!

[ثناء الشعبي عليه]

قال حماد: وحدثني أبي عن هارون بن مسلم عن محمد بن زهير السعدي الكوفي عن أبي بكر بن عياش عن الحسن بن عمرو الفقيمي قال: دخلت على

(١) غنن: الغنّة: صوت في الخيشوم، وقيل: صوت فيه ترخيمٌ نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف، وقيل: الغنّة أن يجري الكلام في اللّهاة، وهي أقل من الحنّة. المبرد: الغنّة أن يُشْرَبَ الحرف صوت الخيشوم، والحنّة أشد منها، والترخيم حذف الكلام، غَنَّ يَغْنُ، وهو أغنُّ، وقيل: الأغنُّ الذي يخرج كلامه من خياشيمه. وظبي أغنُّ: يخرج صوته من خيشومه.

الشعبي، فبينما أنا عنده في غرفته، إذ سمعت صوت غناء، فقلت: أهذا في جوارك؟ فأشرف بي على منزله، فإذا بغلام كأنه فلقة قمرٍ وهو يتغنى - قال إسحاق: وهذا الغناء لابن سريج - :

وَقُمَيْرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وَعَشْرٍ نَ لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قوماً^(١)
[الخفيف]

قال: فقال لي الشعبي: أتعرف هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا الذي أوتي الحكم صبيّاً، هذا ابن سريج.

[ثناؤه على نفسه]

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثني الهشامي الربيعي عن إسحاق الموصلي قال: تغنى ابن سريج في شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة وهو:

صوت

خَانَكَ مَنْ تَهْوَى فَلَا تَخْنَهُ وَكُنْ وَفِيًّا إِنْ سَلَوْتَ عَنْهُ
وَاسْلُكْ سَبِيلَ وَصْلِهِ وَضْنَهُ إِنْ كَانَ عَدَارًا فَلَا تَكُنْهُ
عَسَى تَبَارِيحُ تَجِيءُ مِنْهُ فَيُرْجَعِ الْوَصْلَ وَلَمْ تَشْنَهُ^(٢)

[الرجز]

قال المكيون: قال ابن سريج: ما تغنيت بهذا الشعر قط إلا ظننت أنني أُحَلُّ محل الخليفة.

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهاني: وجدت في هذا الشعر لحنين - أحدهما ثقیلٌ أول والآخر رملٌ - مجهولين جميعاً، فلا أدري أيهما لحنه.

[من هو المغني الحسن]

ونسخت من كتاب العتابي: أخبرني عون بن محمد قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن جده الفضل عن ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب عن مالك بن أبي السمح قال: سألت ابن سريج عن قول الناس: فلان يصيب

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة.

(٢) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة.

وفلان يخطيء، وفلان يحسن وفلان يسيء؛ فقال: المصيب المحسن من المغنين هو الذي يشبع الألحان، ويملاً الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويفخّم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطوال، ويحسن مقاطيع النغم القصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواقع النبرات، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات. فعرضت ما قال على معبد، فقال: لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا.

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنية]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدثني الزبير بن بكار عن ظبية: أن يزيد بن عبد الملك قال لحبابة يوماً: أتعرفين أحداً هو أطرب مني؟ قالت: نعم، مولاي الذي باعني، فأمر بإشخاصه فأشخص إليه مقيّداً، وأعلم بحاله فأذن في إدخاله، فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان؛ فغنته سلامة لحن الغريض في:

تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا^(١)

[المقارب]

فطرب وتحرك في أقياده، ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرد في هذا الشعر، فوثب وجعل يحجل^(٢) في قيده ويقول: هذا وأبيكما ما لا تعدلاني فيه، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت، وجعل يصيح: الحريق الحريق يا أولاد الزنا، فضحك يزيد وقال: هذا والله أطرب الناس حقاً، ووصله وسرّحه إلى بلده.

[سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا فضلّ اليزيدي عن إسحاق: أن ابن سريج كان جالساً فمر به عطاء وابن جريج، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما، على أنهما إن نهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه، فوفقا له وغناهما:

إِخْوَتِي لَا تَبْعِدُوا أَبَدًا وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعَدُوا^(٣)

[المديد]

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، والبيت:

«هُوَ تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلْدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبَعَدُ»

(٢) حَجَلَ الْمُقَيَّدُ يَحْجُلُ وَيَحْجُلُ حَجَلًا وَحَجَلَانًا: رَفَعَ رَجُلًا وَتَرَيَّتْ فِي مَشْيِهِ عَلَى رِجْلِهِ.

(٣) ينسب البيت إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية وهي شاعرة إسلامية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لها شعر في رثاء إخوة لها، كانت تتمتع بالصدق والشفافية والجرأة.

فغشي على ابن جريج، وقام عطاء فرقص. ونسبة هذا الصوت وخبره يذكر في موضع آخر.

[غناؤه ووقفه الحاج]

أخبرني الحسن قال: حدثنا الفضل عن إسحاق: أن ابن سريج كان عند بستان ابن عامر يغني:

لِمَنْ نَارٌ بِأَعْلَى الْخِي فِ دُونِ الْبِئْرِ مَا تَخْبُو
أَرَقْتُ لَذِكْرٍ مَوْقَعِهَا فَحَنٌّ لَذِكْرِهَا الْقَلْبُ
إِذَا مَا أَخْمَدَتْ أَلْقِي عَلَيَّهَا الْمَنْدَلُ^(١) الرُّطْبُ
[الهج]

فجعل الحاج يركب بعضهم بعضاً، حتى جاء إنساناً من آخر القطرات^(٢) فقال: يا هذا! قد قطعت على الحاج وحبتهم، والوقت قد ضاق، فاتق الله وقم عنهم! فقام وسار الناس.

[استحقاق ابن سريج لجائزة سليمان]

أخبرني الحسن قال: حدثني محمد بن زكريا قال: حدثني يزيد بن محمد عن إسحاق الموصلي: أن سليمان بن عبد الملك لما حج سبَّق بين المغنين بدرة^(٣)، فجاء ابن سريج وقد أغلق الباب، فلم يأذن له الحاجب، فأمسك حتى سكتوا وغنى:

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي^(٤)

فأمر سليمان بدفع البدره إليه.

نسبة هذا الصوت

صوت

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْسٌ^(٥) فِ تَرِ^(٦)

(١) المندل: العود.

(٢) قطر: قَطَرَ الماءَ والدَّمَعَ وغيرهما من السَّيَالِ.

(٣) البَدْرُ، وبالهاء: جِلْدَةُ السَّخْلَةِ، ج: بُدُورٌ وَبَدَرٌ، وكيس فيه أَلْفٌ أو عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، أو سَبْعَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ، وع: عَيْنٌ بَدْرَةٌ: تَبْدُرُ بِالنَّظَرِ، أو تَامَةٌ، كالبَدْرِ.

(٤) البيت لعمر بن أذينة.

(٥) القيس والفاس: القدر.

(٦) الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة.

أَرَأَيْبُ فِي الْمَجَرَّةِ^(١) كُلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ لِلْمَجَرَّةِ كَيْفَ يَجْرِي
لَهُمْ لَا أَزَالُ لَهُ مُدِيمًا كَأَنَّ الْقَلْبَ أُسْعِرَ حَرَّ جَمْرِ
عَلَى بَكَرٍ أَخِي وَلَى حَمِيدًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكَرٍ
[الوافر]

الشعر لعروة بن أذينة، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، وفيه لأبي عباد رمل بالوسطى، وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب الحرون.

[وفاة ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال ابن مقمّة: دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا يحيى؟ فقال: أصبحت واللّه كما قال الشاعر:

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرِ مَا أَلَاقِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلٌّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ^(٢)
[الوافر]

ثم مات.

قال إسحاق: قال ابن مقمّة: لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكي فبكى، وقال: إن من أكبر همي أنت، وأخشى أن تضيعي بعدي، فقالت: لا تخف؛ فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه، فقال: هاتي. فاندفعت تُغني أصواتاً وهو مصغٍ إليها، فقال: قد أصبت ما في نفسي، وهونت عليّ أمرك، ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إياها؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله؛ فهو الآن يُنسبُ إليه. قال إسحاق: فقال كثير بن كثير السهمي يرثيه:

مَا اللَّهُو بَعْدَ عَبِيدٍ حِينَ يَخْبُرُهُ مَنْ كَانَ يَلْهُو بِهِ مِنْهُ بِمَطْلَبٍ
لَلَّهِ قَبْرُ عَبِيدٍ مَا تَضُمَّنُ مِنْ لَذَاذَةِ الْعَيْشِ وَالْإِحْسَانِ وَالطَّرَبِ
لَوْلَا الْغَرِيضُ فِيهِ مِنْ شَمَائِلِهِ مِثَابُهُ لَمْ أَكُنْ فِيهَا بِذِي أَرْبٍ
[البسيط]

(١) كنية معبد المغني.

(٢) البيتان ينسبان إلى أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن ربيع. ينتهي نسبه إلى الحارث بن فهر، وفهر أصل قریش، تربى في قبيلة تميم وهي من القبائل العربية الكبيرة في شرق الجزيرة، كان لها شأن في الجزيرة والإسلام. شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ذكر الأصمعي أنه رآه ينشد الشعر بين يدي الرشيد، توفي سنة ١٧٦هـ.

قال إسحاق: وحدثني هشام بن المريّة أن قادمًا قدم المدينة فسارَّ معبدًا بشيء، فقال معبدٌ: أصبحت أحسن الناس غناءً، فقلنا: أو لم تكن كذلك؟ فقال: ألا تدرون ما أخبرني به هذا؟ قالوا: لا، قال: أعلمني أن عبيد بن سريج مات، ولم أكن أحسن الناس غناءً وهو حيٌّ. وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

قَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَجُودَانِهَا صَوِّبَتْ وَاللَّهِ لَكَ الرَّاعِي
يَا ابْنَ سُرَيْجٍ لَا تُذْعِ سِرَّنَا قَدْ كُنْتَ عِنْدِي غَيْرَ مَذِياعٍ
[السريع]

غنى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيوب المديني: توفي ابن سريج بالعلة التي أصابته من الجذام بمكة، في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد، بمكة ودفن في موضع بها يقال له دسم^(١).

[وقفة على قبر ابن سريج بدسم]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني هارون بن أبي بكر قال: حدثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال: إنا لبغناء دار عمرو بن عثمان بالأبطح في صبح خامسة من الثمان - يعني أيام الحج - قال: كُنْتُ جالساً أيام الحج، فما إن دريت إلا برجلٍ على راحلةٍ على رجلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنةٍ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب إليها فرساً وبغلاً، فوقفا عليّ وسألاني، فانتسبت لهما عثمانياً. فنزلا وقالوا: رجلان من أهلك لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تقضيها قبل أن نُشَدَّه بأمر الحج، فقلت: ما حاجتكما؟ قالوا: نريد إنساناً يقفنا على قبر عبيد بن سريج، قال: فنهضت معهما حتى بلغت بهما محلة بني أبي قارة من خزاعة بمكة، وهم موالي عبيد بن سريج، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما حتى يقفهما على قبره بدسم، فوجدت ابن أبي دباكل^(٢) فأنهضته معهما، فأخبرني بعد: أنه لما وقفهما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسر عمامته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، فعقر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شجيٍ كليلٍ حسنٍ ويقول:

(١) دَسَمٌ: بفتح أوله ثم السكون: موضع قرب مكة به قبر ابن سريج المغني .

(٢) شاعر من خزاعة، يعتبر من شعراء الحماسة .

وقفنا على قبرٍ بدسَمٍ فهاجنا
فجالت بأرجاء الجفون سوافح
إذا أبطأت عن ساحة الخد ساقها
فإن تُسعدا نندب عبيداً بعولة^(٢)
وذكرنا بالعيش إذ هو مصحب^(١)
من الدمع تستلي الذي يتعقب
دمٌ بعد دمعٍ إثره يتصبب
وقل له منّا البكا والتحوب^(٣)

[الطويل]

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته، وقال له القرشي: خذ في صوت أبي يحيى؛ فاندفع يتغنى:

أسعداني بعبرة أسراب
إن أهل الحصاب قد تركوني
أهل بيتٍ تتابعوا للمنايا
فارقوني وقد علمت يقيناً
كم بذاك الحجون^(٤) من أهل صدق
سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو
فلي الويل بعدهم وعليهم
من دموع كثيرة التسكاب
مُولهاً مُولعاً بأهل الحصاب
ما على الموت بعدهم من عتاب
ما لمن ذاق ميتةً من إياب
كهولٍ أعففةٍ وشباب
سى إلى النخل من صفي السباب
صرتُ فرداً وملّني أصحابي

[الخفيف]

قال ابن أبي دُبّاك: فوالله ما تمم صاحبه منها ثلاثاً حتى غشي على صاحبه، وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير معرّج عليه، فسألته من هو؟ فقال: رجلٌ من جذام، قلت: بمن تعرف؟ قال: بعبد الله بن المنتشر، قال: ولم يزل القرشي على حاله ساعةً ثم أفاق، ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له: أنت أبداً مصبوب^(٥) على نفسك! ومن كلفك ما ترى! ثم قرّب إليه الفرس، فلما علاه استخرج الجذامي من خُرْجٍ على بغلٍ قدحاً وإداوة ماءٍ، فجعل في القدح تراباً من تراب قبر ابن سريج وصَب عليه ماءً من الإداوة، ثم قال: هاك فاشرب هذه

(١) المصحب: الدليل المنقاد بعد صعوبة.

(٢) يقال: العويل يكون صوتاً من غير بكاء. (٣) التحوب: التوجع.

(٤) الحجون: آخره نون، والحجن: الاعوجاج؛ ومنه غزوة حجون التي يظهر الغازي الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره، وقيل: هي البعيدة. والحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وقال السكري: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال السهيلي: على فرسخ وثلاث، عليه سقيفة آل زياد بن عبيد الله الحارثي، وكان عاملاً على مكة في أيام السّفّاح وبعض أيام المنصور.

(٥) مصبوب: النقاد لمن استهوته.

السَّلوة^(١)، فشرب ثم فعل هو مثل ذلك، وركب على البغل وأردفني، فخرجا والله ما يعرّضان بذكر شيء مما كنا فيه، ولا أرى في وجوههما شيئاً مما كنت أرى قبل ذلك، فلما اشتمل علينا أبطح مكة قالاً: انزل يا خزاعي فنزلت وأوماً الفتى إلى الجذامي بكلام، فمدّ يده إليّ وفيها شيء فأخذته، فإذا هو عشرون ديناراً، ومضيا، فانصرفت إلى قبره ببعيرين، فاحتملت عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتهما بثلاثين ديناراً.

صوت

من المائة المختارة

وهو الثالث من الثلاثة المختارة:

أَهْجَاجُ هَوَاكَ الْمَنْزَلِ الْمُتَقَادِمُ نَعَمٌ وَبِهِ مِمَّا شَجَاكَ مَعَالِمُ
مُضَارِبِ أَوْتَادٍ وَأَشْعَثُ دَائِرِ مُقِيمٌ وَسَفْعٌ فِي الْمَحَلِّ جَوَائِمِ
[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لنصيب^(٢). والغناء في اللحن المختار لابن محرز ثاني ثقیلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وله فيه أيضاً هزجٌ بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر جحظة عن أصحابه أنه هو المختار. وحكى عن أصحابه أنه ليس في الغناء كله نغمة إلا وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها.

ومن قصيدة نصيب هذا مما يغنى فيه قوله:

(١) سلوي: السين واللام والحرف المعتل أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خفض وطيب عيش. من ذلك قولهم: فلان في سَلوةٍ من العيش، أي في رَغْدٍ يسليةٍ لهم، وتقول: سَلَاَ المحب يسَلو سَلْوًا، وذلك إذا فارقه ما كان به من همٍّ وعشقٍ؛ والسَّلْوَانَةُ: الحُرْزَةُ، وكانوا يقولون: إنَّ من شرب عليها سَلَاً ممَّا كان به.

(٢) نصيب بن رباح أبو محجن. مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح، كان عبداً أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية، وأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتره وأعتقه. وكان يتغزل بأم بكر (زينب بنت صفوان) وهي كنانية، وفي بعض الروايات (زنجية). له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة، وسئل عنه جرير، فقال: أشعر أهل جلدته، وتنسك في أواخر عمره، وكان له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب، فقيّل له: ما حال بناتك؟ فقال: صبيت عليهن من جلدي (بكسر الجيم) فكسدن علي، توفي سنة ١٠٨هـ.

لَقَدْ رَاعَنِي لِلْبَيْنِ نُوْحَ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنِ بَانَ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفَ أُمَّا مِنْ بَكِيْنٍ فَعَهْدُهُ قَدِيْمٌ وَأَمَّا شَجْوَهُنَّ فَدَائِمُ
[الطويل]

الغناء لابن سريج ثاني ثقیل مطلق في مجرى البنصر عن يونس ويحيى المكي
وإسحاق، وأظنه مع البيتين الأولين وأن الجميع لحن واحد، ولكنه تفرق لصعوبة
اللحن وكثرة ما فيه من العمل. فجعلنا صوتين.

ذكر نصيب وأخباره

[نسب نصيب ونشأته]

هو نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كنانة السكّان بـ«وَدَّان»^(١)، فاشتراه عبد العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل: بل كاتب مواليه، فأدّى عنه مكاتبته.

وقال ابن دأب: كان نصيبٌ من قُضاعة ثم من بليّ. وكانت أمه سوداء فوقع عليها سيدها فحبلت بنصيب، فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز.

وقال أبو اليقظان: كان أبوه من كنانة من بني ضمرة، وكان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدّماً في النسيب والمديح، ولم يكن له حظٌ في الهجاء، وكان عفيفاً، وكان يقال: إنه لم ينسب قط إلا بامراته.

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: كتب إليّ عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن نصيب بن رباح يذكر عن عمته غرضة بنت النصيب:

أن النصيب كان ابن نُوبِيَيْن^(٢) سبيّين كانا لخزاعة، ثم اشترت سلامة أم نصيب امرأة من خزاعة ضمريّة حاملاً بالنصيب، فأعتقت ما في بطنها.

(١) ودان: بالفتح، كأنه فعّال من الود وهو المحبة، ثلاثة مواضع: أحدها بين مكة والمدينة قرية جامعة من نواحي الفرع، بينها وبين هرشى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة، وهي لضمرة وغفار وكنانة.

(٢) نوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة، والنوب: جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها، فشبّه ذلك بنوبة الناس والرجوع مرة بعد مرة، وقيل: النوب جمع نائب من النحل، والقطعة من النحل تسمى نوبة، شبهوها بالنوبة من السودان، وهو في عدة مواضع: النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها، وكان عثمان بن عفان، رضي الله عنه، صالح النوبة على أربعمئة رأس في السنة، قد مدحهم النبي، صلى الله عليه وسلم، حيث قال: من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً من النوبة، وقال: خير سبيكم النوبة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال :

كان نصيبٌ من أهل ودان عبداً لرجلٍ من كنانة هو وأهل بيته، وكان أهل البادية يدعونه النصيب تفخيماً له، ويروون شعره. وكان عفيفاً كبير النفس مُقدِّماً عند الملوك، يجيد مديحهم ومراثيهم.

أخبرني الحسين بن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي قال :

كان نصيب من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة. وكانت أمه أمة سوداء، وقع عليها أبوه فحملت، ثم مات فباعه عمه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان.

[قوله الشعر]

قال حماد: وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية، وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عباية قال: حدثني رجلٌ من خزاعة من أهل كلية - وهي قريةٌ كان فيها النصيب وكثير - قال: بلغني أن النصيب قال: قُلْتُ الشعر وأنا شابٌّ فأعجبني قولي، فجعلت آتي مشيخةً من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة - وهم موالي النصيب - ومشيخةً من خزاعة، فأنشدهم القصيدة من شعري، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين، فيقولون: أحسن والله! هكذا يكون الكلام! وهكذا يكون الشعر! فلما سمعت ذلك منهم علمت أنني محسنٌ، فأزعموا وأزمنت الخروج إلى عبد العزيز بن مروان، وهو يومئذٍ بمصر، فقلْتُ لأختي أمانة وكانت عاقلةً جلدةً: أي أُخِيَّة، إني قد قلت شعراً، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان، وأرجو أن يُعتقك الله عزَّ وجلَّ به وأمك، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابتي، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! يابن أم، أتجتمع عليك الخصلتان: السواد، وأن تكون ضحكةً للناس! قال: قلت: فاسمعي، فأنشدتها فسمعت، فقالت: بأبي أنت! أحسنت والله! في هذا والله رجاءٌ عظيمٌ، فأخرج على بركة الله، فخرجت على قعودٍ لي حتى قدمت المدينة، فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله ﷺ، فعرجت إليه فقلت: أنشده وأستنشده وأعرض عليه شعري، فأنشدته، فقال لي: ويلك! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك؟ قلت: نعم، قال: فلست في شيء، إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل، فانفضحت عرقاً^(١)، فحصبني^(٢) رجلٌ من قريش كان قريباً من الفرزدق، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق، فأومأ إليّ فقمْتُ إليه، فقال: ويحك! أهذا

(١) انفضحت عرقاً: تدفقت عرقاً.

(٢) الحصب: رميك بالحصاء أي صغار الحصى أو كبارها.

شعرك الذي أنشدته الفرزدق؟ قلت: نعم، فقال: قد والله أصبت، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك، فإنا لنعرف محاسن الشعر، فامض لوجهك ولا يكسرَنَّك، قال: فسرَّني قوله، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال، فاعتزمتُ على الماضي، قال: فمضيت فقدمت مصر، وبها عبد العزيز بن مروان، فحضرت بابه مع الناس، فنحيت عن مجلس الوجوه، فكنت وراءهم، ورأيت رجلاً جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل، يُؤدِّن له إذا جاء، فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بغلته، فلما رأيته قال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ، وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً معروفيه، وقد ازدريتُ فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه، قال: فأنشدني، فأنشدته فأعجبه شعري، فقال: ويحك! أهذا شعرك؟ فإياك أن تتحل^(١)، فإنَّ الأمير راويةٌ عالمٌ بالشعر وعنده رواةٌ، فلا تفضحني ونفesk، فقلت: والله ما هو إلا شعري، فقال: ويحك! فقل أبياتاً تذكر فيها خوف^(٢) مصر وفضلها على غيرها، والقني بها غداً، فغدوت [عليه]^(٣) من غدٍ فأنشدته قولي:

سَرَى الْهَمُّ تَشْنِينِي إِلَيْكَ طَلَائِعُهُ بِمِصْرَ وَبِالْحُوفِ اعْتَرَتْنِي رَوَائِعُهُ
وَبَاتَ وَسَادِي سَاعِدٌ قَلَّ لَحْمُهُ عَنِ الْعَظْمِ حَتَّى كَادَ تَبْدُو أَشَاجِعُهُ^(٤)

[الطويل]

قال: وذكرت فيها الغيث فقلتُ:

وَكَمْ دُونَ ذَاكَ الْعَارِضِ الْبَارِقِ الَّذِي لَهُ اشْتَقَّتْ مِنْ وَجْهِ أَسِيلِ مَدَامِعُهُ
تَمْشِي بِهِ أَفْنَاءُ بَكْرٍ وَمَذْحَج وَأَفْنَاءُ^(٥) عَمْرُو وَهُوَ خِصْبٌ مَرَابِعُهُ
فَكُلُّ مَسِيلٍ مِنْ تَهَامَةٍ طَيِّبٍ دَمِيئُ الرِّبَا تَسْقِي الْبَحَارَ دَوَافِعُهُ
أَعْنِي عَلَى بَرْقِ أُرْيَكُ وَمِيضُهُ تُضِيءُ دُجَنَّاتِ الظَّلَامِ لَوَامِعُهُ
إِذَا اكْتَحَلْتُ عَيْنَا مُحِبٍّ بِضَوِّهِ تَجَافَتْ بِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ مَضَاجِعُهُ
هَنِيئاً لَأَمِّ الْبُخْتَرِيِّ الرَّوِيِّ بِهِ وَإِنْ أَنْهَجَ الْحَبْلُ الَّذِي أَنَا قَاطِعُهُ
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قُلْتُ إِنِّي لَخَالِغٌ وَلَا ئِي مِنْ مَوْلَى نَمْتُنِي قَوَارِعُهُ؟

(١) انتحل فلان شعر فلان: إذا ادعاه. ونحل الشاعر قصيدة: إذا رويت عنه وهي لغيره.

(٢) خوف: بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى خوف، ويظن أنها قرية بمصر.

(٣) لم ترد في جميع النسخ.

(٤) الأشجاع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٥) أفناء القبائل: أخلاطها، ويقال: رجلٌ من أفناء القبائل أي لا يدري من أي قبيلة هو.

وَمَانِحُ قَوْمٍ أَنْتَ مِنْهُمْ مَوَدَّتِي وَمُتَّخِذُ مَوْلَاكَ مَوْلَى فَتَابِعُهُ
[الطويل]

[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال: أنت والله شاعر! احضر بالباب حتى أذكرك للأمير، قال: فجلست على الباب ودخل، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي، فدخلت فسلمت على عبد العزيز، فصعد في بصره وصوب، ثم قال: أنت شاعر؟ ويليك!

قلت: نعم، أيها الأمير، قال: فأنشدني، فأنشدته، فأعجبه شعري، وجاء الحاجب فقال: أيها الأمير، هذا أيمن بن خريم الأسدي بالباب، قال: ائذن له، فدخل فاطمأن، فقال له الأمير: يا أيمن بن خريم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إلي فقال: والله لنعم الغادي في أثر المخاض^(١)، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار، قال: فإن له شعراً وفصاحة، فقال لي أيمن: أتقول الشعر؟ قلت: نعم، قال: قيمته ثلاثون ديناراً، قال: يا أيمن، أرفعه وتخفضه أنت! قال: لكونه أحقق أيها الأمير! ما لهذا وللشعر! أمثل هذا يقول الشعر! أو يُحسِنُ شعراً! فقال: أنشده يا نصيب، فأنشدته، فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمن؟ قال: شعر أسود، هو أشعر أهل جلدته، قال: هو والله أشعر منك، قال: أمني أيها الأمير؟ قال: إي والله منك، قال: والله أيها الأمير، إنك لملول طرف. قال: كذبت والله ما أنا كذلك! ولو كنت كذلك ما صبرت عليك! تنازعني التحية وتؤاكلني الطعام وتتكىء على وسائدي وفُرشي وبك ما بك! - يعني وضحاً^(٢) كان بأيمن - قال: ائذن لي [أن] أخرج إلى بشر بالعراق، واحملني على البريد، قال: قد أذنت لك، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر، فقال أيمن بن خريم^(٣):

رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، الْبَرِيدَا

(١) المخاض: الولادة، ويقال: الحوامل من النوق.

(٢) الوضع: بياض الصباح وبياض البرص، وبياض الغرة والتحجيل [في القوائم] ونحوه. وإذا كان بياض غالب في ألوان الشاة وفشا في الصدر والظهر والوجه يقال: إنه توضيح شديد، وقد توضح . . وأوضحت الامر فوضح، ووضحته فتوضح .

(٣) أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي. من بني أسد شاعر كان من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر. ثم تحول عنه إلى أخيه بشر بن مروان بالعراق. وكان يشارك في الغزو، وله رأي في السياسة، عرض عليه عبد الملك مالا ليذهب إلى الحجاز ويقاتل ابن الزبير فأبى، وكان به برص وهو ابن خريم الصحابي، وتوفي سنة ٧٠هـ.

فَلَوْ أَغْطَاكَ بِشَرِّ أَلْفِ أَلْفٍ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقِمْ بِبَشِيرٍ
 وَدَعْ بِشَرًّا يُقَوِّمُهُمْ وَيُحْدِثُ
 كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرْقُلٍ
 عَلَى دِيْبَاجٍ خَدِّي وَجْهَ بِشِيرٍ
 رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَا
 عَمُودَ الْحَقِّ إِنْ لَهُ عَمُودَا
 لِأَهْلِ الزَّيْغِ إِسْلَامًا جَدِيدَا
 جَلَّوْهُ لِأَعْظَمِ الْأَيَّامِ عِيدَا
 إِذَا الْأَلْوَانُ خَالَفَتْ الْخُدُودَا
 [الوافر]

قال أيوب يعني بقوله :

إِذَا الْأَلْوَانُ خَالَفَتْ الْخُدُودَا

أنه عرض بكلفٍ كان في وجه عبد العزيز :

وَأَعْقَبَ مَذْحَتِي سَرْجًا خَلْنَجَا
 وَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بِشِيرٍ
 وَأَبْيَضَ جُوزَ جَانِيَا^(١) عَقُودَا^(٢)
 كَأَمِ الْأَسَدِ مَذْكَارًا وَلُودَا
 [الوافر]

قال : فأعطاه بشرٍّ مائة ألف درهم .

[أول من نوّه باسم نصيب لعبد العزيز]

أخبرني الحرمي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : أول من نوّه باسم نصيب وقدم به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فروة ، قدم به عليه وهو وصيف^(٣) حين بلغ وأول ما قال الشعر . قال : أصلح الله الأمير ! جئتكَ بوصيفٍ نوبِّي يقول الشعر - وكان نصيب ابن نوبيين - فأدخله عليه ، فأعجبه شعره ، وكان معه أيمن بن خريم الأسدي ، فقال عبد العزيز : إذا دعوت بالغداء فأدخلوه عليّ في جبّة صوفٍ محترماً بعقالٍ ، فإذا قلت قوموه فقوموه^(٤) وأخرجوه وردّوه عليّ في جبّة وشيٍ ورداء وشيٍ ،

(١) جوزجانان أو جوزجان هما واحد ، كورة واسعة من كور بلخ بخراسان بين مرو الروذ وفارياب وبلخ .

(٢) العقود : القوي ، ويقال : عقدت الحبل والبيع والعهد فانهقد . والعقد : العهد ، والجمع عقود ، وهي أوكد العهود .

(٣) الوصيف : الخادم ، غلاماً كان أو جارية . ويقال : وصف الغلام إذا بلغ الخدمة ، فهو وصيف بيّن الوصافة ، والجمع وصفاء .

(٤) قَوْم : جعل له قيمة معلومة .

فلما جلس للغداء ومعه أيمن بن خريم أدخل نصيب في جبة صوفٍ محتزماً بعقالٍ، فقال: قوموا هذا الغلام، فقالوا: عشرة، عشرون، ثلاثون ديناراً، فقال: ردّوه، فأخرجوه ثم ردّوه في جبة وشي ورداء وشي، فقال: أنشدنا، فأنشدهم، فقال: قوموه، قالوا: ألف دينار، فقال أيمن: واللّه ما كان قطُّ أقل في عيني منه الآن، وإنه لنعم راعي المخاض، فقال له: فكيف شعره؟ قال: هو أشعر أهل جلدته، فقال له عبد العزيز: هو واللّه أشعر منك، قال: أمّي أيها الأمير؟ قال: نعم، فقال أيمن: إنك لملولٌ طرفٌ، فقال له: واللّه ما أنا بملولٍ وأنا أنزعك الطعام منذ كذا وكذا، تضع يدك حيث أضعها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة، كلّ ذلك أحتملك! - وكان بأيمن بياض - فقال له أيمن: ائذن لي أن أخرج إلى بشرٍ، فأذن له فخرج، وقال أبياته التي أولها:

رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى

وقد مضت الأبيات، قال: فلما جاز بعبد الملك بن مروان، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاك بشراً، قال: أتجوزني؟! قال: إي واللّه أجوزك إلى من قدم إليّ وطلبني، قال: فلم فارقت صاحبك؟ قال: رأيتمكم يا بني مروان، تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدباً، وشيخكم واللّه محتاجٌ إلى خمسة مؤدبين. فسر ذلك عبد الملك، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقد لابنه الوليد.

[من معتق نصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: يقال: إن نصيباً أضلّ إبلًا له فخرج في بُغائها^(١) فلم يُصِبها، وخاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته، فأخلف عليه ما ضلّ لمواليه وابتاعه وأعتقه.

أخبرنا الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال: أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان، وهو عبدٌ لبني محرز الضمري، فقالت أمّه له: إنك سترقد ويأخذك ابن محرزٍ يذهب بك، فذهب ولم يبال بقولها، حتى إذا كان بمكان ماءٍ يُعرف بالدوّ^(٢)، فبينما هو راقدٌ إذ هجم عليه ابن محرز، فقال حين رآه:

(١) بغائها: طلبها.

(٢) الدوّ: أرض ملساء بين مكة والبصرة على الجادة مسيرة أربع ليال ليس فيها جبل ولا رمل ولا شيء.

إِنِّي لِأَخْشَى مِنْ قِلَاصِ ابْنِ مُحَرَّرٍ إِذَا وَخَدَتْ^(١) بِالْدَّوِّ وَخَذَ النَّعَائِمَ
يَرْعُنَ بِطَيْنِ الْقَوْمِ^(٢) آيَةً رَوْعَةً ضَحِيًّا إِذَا اسْتَقْبَلْنَهُ غَيْرَ نَائِمٍ
[الطويل]

فأطلقوه، فرجع فأتى أمه فقالت: أخبرتك يا بني أنه ليس عندك أن تعجز القوم،
فإن كنت يا بني قد غلبتني أنك ذاهبٌ فخذ بنت الفلانة، فإني رأيته ووطئت
أفحوص^(٣) بيضات قطاة فلم تفلقه فركبها، فهي التي بلغته ابن مروان.

قال أبو عبد الله بن الزبير: عندنا أن التي أعتقته امرأة من بني ضمرة ثم من بني
حنبل.

[أول اتصال نصيب بعبد العزيز]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثنا
عبد الله بن صالح بن مسلم قال: حدثنا كليب بن إسماعيل مولى بني أمية وكان حديثاً
«أي حسن الحديث» قال: بلغني أن نصيباً كان حبشياً يرعى إبلاً لمواليه، فأضل منها
بعيراً، فخرج في طلبه حتى أتى الفُسطاط، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان، وهو
وليُّ عهد عبد الملك بن مروان، فقال نصيبٌ: ما بعد عبد العزيز واحدٌ أعتمده
لحاجتي! فأتى الحاجب فقال: استأذن لي على الأمير، فإني قد هياأت له مديحاً،
فدخل الحاجب فقال: أصلح الله الأمير! بالباب رجلٌ أسود يستأذن عليك بمديح قد
هياها لك، فظن عبد العزيز أنه ممن يهزأ به ويضحكهم، فقال: مُره بالحضور ليوم
حاجتنا إليه، فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر، وأتاه آت من
عبد الملك فسرّه، فأمر بالسريّر فأبرز للناس، وقال: عليّ بالأسود، وهو يريد أن
يُضحك منه الناس، فدخل، فلما كان حيث يسمع كلامه، قال:

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ نَعَمٌ غَامِرُهُ
فَبَابُكَ أَلَيْنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهَوْلُهُ عَامِرُهُ

(١) الوخذ: سعة الخطو والسرعة، والخدي لغة فيه، قال النابغة:

فَمَا وَخَدَتْ بِمِثْلِكَ ذَاتَ غَرْبٍ حَطُوطٌ فِي الزَّمَامِ وَلَا لَجُونٍ

خدي: خدى البعير يخدي خدياً وخدواً، والظليم خاد إذا أسرع في المشي.

(٢) بطين القوم: البعيد.

(٣) الأفحوص وهو أفحوص القطاة، وهو عش الطائر والعصفور، الذي يجمعه من العيدان وغيرها
فبيض فيه. وقد عشش الطائر، إذا اتخذ عشاً. والوكر في الجبل. قال: وسمعت أبا عمرو يقول:
الوكر العش حيثما كان، في جبل أو شجرة.

وَكَلْبُكَ أَنَسٌ بِالمَعْتَفِينَ مِنْ الأُمِّ بِالأَبْنَةِ الزَّائِرَةِ
وَكُفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ المَاطِرَةِ
فَمِنْكَ العَطَاءُ وَمَنْنِي الثَّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَةِ
[المقارب]

فقال: أعطوه أعطوه، فقال: إني مملوك. فدعا الحاجب فقال: اخرج فأبلغ في قيمته، فدعا المقومين فقال: قوموا غلاماً أسود ليس به عيب، قالوا: مائة دينار، قال: إنه راع للابل يبصرها ويحسن القيام عليها، قالوا: حينئذ مائة دينار، قال: إني يبري القسي ويثقفها ويرمي التبل ويريشها، قالوا: أربع مائة دينار، قال: إنه راوية للشعر بصير به. قالوا: ستمائة دينار، قال: إنه شاعر لا يلحق جذقا، قالوا: ألف دينار، قال عبد العزيز: ادفعوها إليه.

قال: أصلح الله الأمير! ثمن بعيري الذي أضللت، قال: وكم ثمنه؟ قال: خمسة وعشرون ديناراً، قال: ادفعوها إليه، قال: أصلح الله الأمير! جائزتي لنفسي عن مديحي إياك، قال: اشتر نفسك ثم عد إلينا، فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه، وخرج بشر بن مروان متنزهاً فعارضه، فلما ناكبه «أي صار حذاء منكبه» ناداه:

يَا بَشْرُ يَا بَنَ الجَعْفَرِيَّةِ مَا خَلَقَ الإِلَهُ يَدَيْكَ لِلبُخْلِ
جَاءَتْ بِهِ عُجْزٌ^(١) مُقَابِلَةٌ^(٢) مَا هُنَّ مِنْ جَرَمٍ^(٣) وَلَا عُكْلٍ^(٤)^(٥)
[الرجز]

(١) عجز: جمعها عجوز، ويريد بهن أمهاته وجداته.

(٢) المقابلة: الكريمة النسب من قبل أبيها.

(٣) الجرمي: بفتح الجيم وسكون الراء المهملة، هذه النسبة إلى جرم وهي قبيلة من اليمن، وهو جرم بن ربان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، قاله محمد بن عمران الأودي. قال ابن حبيب: وفي بجيلة جرم بن علقمة بن أنمار، وفي عاملة جرم بن شعل بن معاوية بن عاملة، وفي طيء جرم وهو ثعلبة بن عمرو بن الغوث. والمشهور بهذه النسبة جماعة، منهم القاسم الجرمي يروي عن صدقة بن أبي مفيد، روى عنه محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي.

(٤) العكلي: بضم العين المهملة، وسكون الكاف، وكسر اللام. هذه النسبة إلى «عكل» وهو بطن من تميم. وورد في الحديث الصحيح: أن نفراً من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر حديث العرنين: والمشهور بهذه النسبة: زيد بن الحباب العكلي التميمي الكوفي أبو الحسين.

(٥) البيتان ينسبان لنصيب بن رباح وابن الزبير الأسدي.

قال: فأمر له بشرٌ بعشرة آلاف درهم. الجعفرية التي عنها نصيبٌ: أمُّ بشر بن مروان، وهي قُطَيْة بنت بشر بن عامر ملاعب الأُسنة ابن مالك بن جعفر بن كلاب.

[أم بشر بن مروان بن الحكم]

أخبرنا اليزيدي عن الخراز عن المدائني عن عبد الله بن مسلم وعامر بن حفص وغيرهما: أن مروان بن الحكم مرَّ ببادية بني جعفر، فرأى قُطَيْة بنت بشر تنزع بدلو على إبلٍ لها، وتقول:

ليس بنا فقرٌ إلى التشكّي
جربَّةٌ كحمر^(١) الأبك^(٢)
لا ضرع^(٣) فيها ولا مذكّي^(٤)

[الرجز]

ثم تقول:

عامان ترقيق^(٥) وعامٌ تمّم^(٦) لم يترك لحمًا ولم يترك دما
ولم يدع في رأسٍ عظمٍ ملدما^(٧) إلا رذايا^(٨) ورجالا رزّما^(٩)

[الرجز]

فخطبها مروان فتزوَّجها، فولدت له بشر بن مروان.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيوب عن خليل بن عجلان. في خبر النُصيب مثل ما ذكره الزبير وإسحاق سواء.

(١) حمر: كناية عن القوة، وكأنه يقول: أفوياء كالحمير.

(٢) الأبك: موضع نسبت إليه الحمير.

(٣) ضرع الرجل يضرع فهو ضرع، أي: غمر ضعيف.

(٤) المذكي: المسن من كل شيء. ويقال: نحن جماعة لا ضرع فينا، ولا مذكي أي نحن جماعة متساوون وليس فينا صغير ولا مسن.

(٥) الترقيق: رقة الحال.

(٦) تمّم: أجهز.

(٧) وأم ملدم: الحمى، يقال: أنا أم ملدم أي أكل اللحم وأمص الدم.

(٨) الرذي: الضعيف من كل شيء.

(٩) الإرزام: صوت الرعد. ورزمت الناقة ترزم رزوماً، أي: قامت من إعياء أو هزال فهي رازمة، والجميع: رزمى. ويقال: أرزمت الناقة إرزاماً، وهو صوت تخرجه من حلقها، لا تفتح به فاهها.

[كرم نصيب]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا العمري عن العتبي قال: دعا النصيب مواليه أن يستلحقوه^(١) فأبى، وقال: واللّه لأن أكون مولى لائقاً^(٢) أحب إليّ من أن أكون دعيّاً لاحقاً! وقد علمت أنكم تريدون بذلك مالي، وواللّه لا أكسب شيئاً أبداً إلا كنت أنا وأنتم فيه سواء كأحدكم، لا أستأثر عليكم منه بشيء أبداً، قال: وكان كذلك معهم حتى مات، إذا أصاب شيئاً قسمه فيهم، فكان فيه كأحدكم.

[نصيب والفرزدق بحضرة سليمان]

أخبرني الحرمي قال: [حدثنا الزبيري، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة] حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال: دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مديحاً له، فأنشده قوله يفتخر:

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذِبِهِم بِالْعَصَائِبِ^(٣)
سَرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ^(٤) وَهِيَ تَلْفُهُمْ عَلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَاراً^(٥) يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَضِرَتْ أَيْدِيهِمْ، نَارُ غَالِبِ
[الطويل]

قال: وعمامته على رأسه مثل المنسف^(٦)؛ فغاظ سليمان وكلج^(٧) في وجهه، وقال لنصيب: قُمْ فَأُنْشِدْ مَوْلَاكَ وَيْلَكَ! فقام نصيب فأنشده قوله:

أَقُولُ لِرَكِبٍ صَادِرِينَ لِقَيْتِهِمْ قَفَا^(٨) ذَاتِ أَوْشَالٍ^(٩) وَمَوْلَاكَ قَارِبُ^(١٠)

(١) استلحق: ادعاه، ويقال: قضى أن كل مستلحق استلحق بعد أبيه الذي يدعى له فقد لحق بمن استلحقه.

(٢) لائقاً: لاصقاً. (٣) العصائب: العمائم.

(٤) ورد في الديوان «يَخِيطُونَ اللَّيْلَ» بدل «يركبون الرّيح».

(٥) ورد في الديوان «مَا رَأَوْا نَاراً» بدل «استوضحوا ناراً».

(٦) المنسف: الغريال. (٧) الكلج: التكشر في عبوس.

(٨) قفا: وراء.

(٩) وشل: الوشل، بالتحريك: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتصل قطره، وقيل: لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل، وقيل: هو ماء يخرج من بين الصخر قليلاً قليلاً، والجمع أوشال. ووشل يشل وشلأ ووشلأنا: سال أو قطر. وجبل واشل: يقطر منه الماء.

(١٠) القارب: طالب الماء ليلاً، ولا يقال: ذلك لطالب الماء نهراً.

قِفُوا خَبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي
فَعَّاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَقَالُوا عَهْدَنَاهُ وَكُلَّ عَشِيَّةٍ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَكِبُ حَوْلَهُ
لَمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانِ طَالِبُ
وَلَوْ سَكَّتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ^(١) رَاكِبُ^(٢)
وَهَلْ تَشَبَّهَ الْبَدْرُ الْمُضِيءُ الْكَوَكِبُ
[الطويل]

فقال له سليمان: أحسنت والله يا نصيب! وأمر له بجائزة ولم يصنع ذلك
بالفرزدق، فقال الفرزدق وقد خرج من عنده:

وَحَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالاً
وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ^(٣)
[الوافر]

[نصيب وعبد العزيز بجبل المقطم]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله
الزهري عن عمه موسى بن عبد العزيز قال: حمل عبد العزيز بن مروان النصيب
بالمقطم «مقطم مصر» على بُحْتِيٍّ قد رحله بغيط^(٤) فوقه، وألبسه مُقْطَعَاتٍ وشي، ثم
أمره أن ينشد؛ فاجتمع حوله السودان وفرحوا به، فقال لهم: أسررتكم؟ قالوا: إي
والله. قال: والله لما يسوءكم من أهل جلدتكم أكثر.

[نصيب وجريز]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام، قال: حدثني أبو العراف قال: مرَّ جريزٌ
بنصيب وهو ينشد، فقال له: اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك، قال: وجلدتك يا أبا
حرزة.

(١) [العرف] والعرف: الريح، يقال: ما أطيب عرفه، وهو الجود والمعروف، ويقال في مثل «لا يعجز
مسك السوء عن عرف السوء». والعرف: المعروف. والعرف: عرف الدابة وعرف الديك .
(٢) ورد هذا البيت بصيغة أخرى:

«فَقَالُوا تَرَ كُنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبُ»

(٣) البيت ينسب إلى النابغة الشيباني، وهو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس، من
بني شيبان. شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي. كان يفد إلى الشام فيمدح الخلفاء من بني
أمية، ويجزلون له العطاء. مدح عبد الملك بن مروان وولده من بعده، وله في الوليد مدائح
كثيرة، ومات في أيام الوليد بن يزيد، سنة ١٢٥هـ.

(٤) غبط: وهو الموضع الذي يوطأ للمرأة على البعير كالهودج يعمل من خشب وغيره، وأراد به ههنا
أحد أخشابه.

[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: حدثني أيوب بن عباية قال: بلغني أن النصيب كان إذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشدته مرثي بني أمية، فإذا أنشدته بكى وبكى معه، فأنشدته يوماً قصيدة له مدحه بها، يقول فيها:

إذا استَبَقَ النَّاسُ الْعُلَا سَبَقْتَهُمْ يَمِينُكَ عَفْوًا ثَمَّ صَلَّتْ شِمَالُهَا^(١)
[الطويل]

فقال له هشام: يا أسود، بلغت غاية المدح فسلني، فقال: يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسألتك، فقال: هذا والله أحسن من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته.

[نصيب وإعتاقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه أيوب بن عباية قال: أصاب نصيب من عبد العزيز بن مروان معروفاً، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بدّة^(٢)، فقالوا: لم يصب بمدحه شيئاً، فمكث مدة، ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها، ثم ابتاع أمّ أمّه بضعف ما ابتاع به أمه فأعتقها، وجاءه ابن خالة له اسمه سُحَيْمٌ فسأله أن يعتقه، فقال له: ما معي والله شيء، ولكنني إذا خرجت أخرجتك معي، لعل الله أن يعتقك؛ فلما أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سحيم يرعى إبله، وأخرجه معه، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه، فمرّ به يوماً وهو يزف^(٣) ويزمر مع السودان، فأنكر ذلك عليه وزجره، فقال له: إن كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً، وإن كنت أعتقتني لتصل رَحْمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده، أزف^(٣) وأزمر وأصنع ما شئت، فانصرف النصيب وهو يقول:

إِنِّي أَرَانِي لِسُحَيْمٍ قَائِلاً إِنْ سُحَيْمًا لَمْ يَثْبُنِي طَائِلاً

(١) صلت شمالها: تبعثها شمالها، ويقال: الفرس المصلي، وهو ثاني الحلبة الذي يجيء بعد السابق لأن رأسه يلي صلا المتقدم.

(٢) [بذذ] بذه بيذه بدأ، أي غلبه وفاقه. والبذ أيضاً: اسم كورة من كور بابك الخرمي. وحال فلان بذة، أي سيئة. وقد بذذت بعدى بالكسر، فأنت باذ الهيئة، وبذ الهيئة، أي رثها، بين البذاذة والبذوذة.

(٣) الزفن: الرقص. والزفن، بلغة عمان: ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم ومد البحر، أي: حره ونداه.

نَسِيتَ إِعْمَالِي لَكَ الرَّوَاجِلَا وَضَرَبِي الْأَبْوَابَ فَيْكَ سَائِلَا!
عِنْدَ الْمُلُوكِ أَسْتَثِيبُ النَّائِلَا حَتَّى إِذَا آنَسْتَ عِتْقاً عَاجِلَا
وَلَّيْتَنِي مِنْكَ الْقَفَا وَالْكَاهِلَا أَخْلَقَا شَكْساً وَلَوْنَا حَائِلَا
[الرجز]

[استعجاله جائزة]

قال إسحاق: وأبطأت جائزة النصيب عند عبد العزيز، فقال:

وَإِنْ وَرَاءَ ظَهْرِي يَا ابْنَ لَيْلَى أَنْسَاءً يَنْظُرُونَ مَتَى أَوْوَبُ
أُمَامَةٌ مِنْهُمْ وَلَمَّا قِيَّيْهَا^(١) غَدَاةَ الْبَيْنِ فِي أَثَرِي غُرُوبُ^(٢)
تَرَكْتُ بِلَادَهَا وَتَأَيْتُ عَنْهَا فَأَشْبَهَ مَا رَأَيْتُ بِهَا السَّلُوبُ^(٣)
فَاتَّبَعَ بَعْضُنَا بَعْضاً فَلَسْنَا نُثِيبُكَ لَكِنَّ اللَّهَ الْمُثِيبُ
[الوافر]

فعجل جائزته وسرحه، قال إسحاق: فحدثني ابن كناسة قال: ليلى أم عبد العزيز كلبية. وبلغني عنه أنه قال: لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشرفها؛ فكان الشعراء يذكرونها باسمها في أشعارهم.

[شرف نصيب لشعره]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن عباية قال: وقفت سوداء بالمدينة على نصيب وهو ينشد الناس، فقالت: بأبي أنت يا بن عمي، وأمي! ما أنت والله علي بخزي. فضحك وقال: والله لمن يخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك.

[خطبة ابن نصيب بنت سيده]

قال إسحاق: وحدثني ابن عباية وغيره أن ابناً لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي أعتقه بنتاً له من أخيه، فأجابه إلى ذلك، وعرف أباه فقال له: اجمع وجوه الحي لهذا الحال فجمعهم، فلما حضروا أقبل نصيب على أخي سيده فقال: أزوجت ابني هذا من ابنة أخيك؟ قال: نعم، فقال لعبيد له سود: خذوا برجل ابني هذا فجرؤوه

(١) المأق، مهموز: مأق العين: حرفها الذي يلي الأنف.

(٢) كل فيضة من الدمع غرب، يقال: فاضت غروب العين، قال: ألا لعينيك غروب تجري، قال: والغروب ها هنا الدمع.

(٣) السلوب: الناقة التي فقدت ولدها.

فاضربوه ضرباً مُبرّحاً، ففعلوا وضربوه ضرباً مُبرّحاً، وقال لأخي سيده: لولا أنني أكره أذاك لألحقتك به، ثم نظر إلى شاب من أشرف الحيّ، فقال: زوج هذا ابنة أخيك وعليّ ما يصلحهما في مالي، ففعل.

[نصيب وعبد الملك حين أراد منادمته]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل نصيبٌ على عبد الملك فتعدى معه، ثم قال: هل لك فيما نتنادم عليه؟ فقال: تؤمّني ففعل، فقال: لوني حائلٌ، وشعري مُفلفلٌ^(١)، وخِلقتي مشوّهةٌ، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرف أبٍ أو أمٍّ أو عشيرة، وإنما بلغته بعقلي ولساني، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك، فأعفاه.

[سبب تسميته بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال: بلغني عن خلاد بن مرة عن أبي بكر بن مزيدٍ قال: لقيت النصيب يوماً بباب هشام، فقلت له: يا أبا محجنٍ، لم سُميت نصيباً، ألقولك في شعرك عاينها النصيب؟ فقال: لا، ولكنني ولدت عند أهل بيتٍ من ودّان، فقال سيدي: ايتونا بمولودنا هذا لننظر إليه، فلما رأيته قال: إنه لمنصّب الخلق^(٢)؛ فسميت النصيب، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني.

[فصاحته وتخلّصه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسدي قال: قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصري: لئن وليتُ العراق لأستكتبن نصيباً لفصاحته وتخلّصه إلى جيد الكلام.

[صدق وإجازة]

أخبرني الأسدي قال: حدثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزهري قال: حدثني نصيبٌ قال: دخلت على عبد العزيز بن مروان، فقال: أنشدني قولك:

(١) مفلفل من فلفل، ويقال: تغفلل شعر الأسود أي اشتدت جعودته.

(٢) منصب الخلق: مستقيمه.

إذ لم يكن بين الخليلين ردة^(١) سوى ذكر شيء قد مضى درس الذكر
[الطويل]

فقلت: ليس هذا لي، هذا لأبي صخر الهذلي، ولكني الذي أقول:
وقفتُ بذِي ودان أنشد ناقتي وما إن بها لي من قلوَصٍ^(٢) ولا بكر^(٣)
[الطويل]
فقال لي عبد العزيز: لك جائزة على صدق حديثك، وجائزة على شعرك؛
فأعطاني على صدق حديثي ألف دينار، وعلى شعري ألف دينار.

[أوصاف نصيب الجسمية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال:
رأيت النصيب وكان أسود خفيف العارضين^(٤) ناتيء الحنجرة.
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير قال: حدثني إبراهيم بن يزيد
السعدي عن جدته جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدها قال: رأيت رجلاً
أسود مع امرأة بيضاء، فجعلت أعجب من سواده وبياضها، فدنوت منه وقلت: مَنْ
أنت؟ قال: أنا الذي أقول:

ألا لَيْتَ شعري ما الَّذي تحدّثين بي غداً غربة النَّأي المفرّق والبعد
لدى أُمِّ بَكْرٍ حينَ تَقْتَرِبِ النَّوى بنا ثمَّ يخلو الكاشِحونَ بها بعدي
أتصرُّمني عند الألى همُّ لنا العدا فتشمتهم بي أم تدوم على العهد
[الطويل]

قال: فصاحت: بل والله تدوم على العهد، فسألت عنهما فقل: هذا نصيب،
وهذه أُمُّ بكر.

[نصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال:

(١) الردة: البقية.

(٢) قلص الشيء: ارتفع وبابه جلس، وكذا قلص تقليصاً وتقلص كله بمعنى انضم وانزوى، وقلص الثوب بعد الغسل، وشفة قالصة، وظل قالص إذا نقص، والقلوص من النوق الشابة، وهي بمنزلة الجارية من الناس، وجمعها قلص بضمّتين وقلائص مثل قدوم وقدم وقدايم، وجمع القلص قلاص.

(٣) البكر: الفتى من الإبل.

(٤) عارض وجهك: ما يبدو منه عند الضحك. قال زائدة: أقول: عارض الفم لا غير.

حدثني أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: أتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه، فقال له قائل: يا أبا جعفر، أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا! فقال: والله لئن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإن شعره لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال، وما ذاك! إنما هي رواحل تُنْضَى^(١)، وثياب تبلى، ودراهم تفنى، وثناء يبقى، ومدائح تُروى!

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال: قال أبو الأسود: امتدح نصيب عبد الله بن جعفر وذكر مثله.

[نصيب ونسوة أردن سماع شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الخراز عن المدائني قال: قيل لنصيب: إن ها هنا نسوة يُردن أن ينظرن إليك ويسمعن منك شعرك، قال: وما يصنعن بي! يرين جلدة سوداء وشعراً أبيض، ولكن ليسمعن شعري من وراء ستر.

[تغنى منقذ الهلالي بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال: أتاني منقذ الهلالي ليلاً، فضرب علي الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: منقذ الهلالي، فخرجت إليه فزعاً، فقال: البشري، فقلت: وأيّ بشري أتتني بك في هذا الليل؟ فقال: خير، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين فتعشيت بها، ثم أتوني بقنينة من نبيذ قد التقى طرفاها صفاء ورقة، فجعلت أشرب وأترنم بقول نصيب:

بزيْنَب أَلَمَّمْ قَبْلَ أَنْ يَظْعَن الرِّكَبُ^(٢)

[الطويل]

ففكرت في إنسان يفهم حسنه ويعرف فضله، فلم أجد غيرك، فأتيتك مخبراً بذلك، فقلت: ما جاء بك إلا هذا؟! فقال: أولاً يكفي! ثم انصرف.

[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال مسلمة لنصيب: أنت لا تحسن الهجاء، فقال: بلى والله، أتراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك

(١) تنضى: تضعف وتهزل، يقال: أنضاه السفر أي هزله.

(٢) هذا البيت قد ورد في الديوان على الشكل التالي:

«بزيْنَب أَلَمَّمْ قَبْلَ أَنْ يَرَحَلَ الرِّكَبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ».

اللّه؟! قال: فإن فلاناً قد مدحته فحرمك فاهجه، قال: لا واللّه ما ينبغي أن أهجوه، وإنما ينبغي أن أهجو نفسي حين مدحته، فقال مسلمة: هذا واللّه أشد من الهجاء.

[نصيب وعمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأت على أبي عن ابن عباية عن الضحاك الحزامي قال: دخل نصيبٌ مسجد رسول - الله ﷺ - ، وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - يومئذ أمير المدينة، وهو جالس بين قبر النبي - ﷺ - ومنبره، فقال: أيها الأمير، ائذن لي أن أنشدك من مراثي عبد العزيز، فقال: لا تفعل فتحنني، ولكن أنشدني قولك: «قفا أخوي» فإن شيطانك كان لك فيها ناصحاً حين لقنك إياها، فأنشده:

صوت

قِفَا أَخُوِيَّ إِنَّ الدَّارَ لَيْسَتْ
لِيَالِي تَعْلَمَانِ وَآلٌ لَيْلَى
فَعُوجًا فَأَنْظُرَا أَتُبِينُ عَمَّا
فَظَلًّا وَاقْفَيْنِ وَظِلٌّ دَمْعِي
فَلَوْلَا إِذْ رَأَيْتِ الْيَأْسَ مِنْهَا
بَرِحْتَ^(٣) فَلَمْ يَلْمَكِ النَّاسُ فِيهَا
كَمَا كَانَتْ بِعَهْدِكَمَا تَكُونُ
قَطِينُ الدَّارِ فَاحْتَمَلَ الْقَطِينُ^(١)
سَأَلْنَاهَا بِهِ أَمْ لَا تُبِينُ
عَلَى خَدِّي تَجُودُ بِهِ الْجُفُونُ
بَدَأَ أَنْ كِدَتْ تَرشُقُكَ^(٢) الْعُيُونُ
وَلَمْ تَغْلُقْ كَمَا غَلَقَ الرَّهْنُ^(٤)

[الوافر]

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه للغريض خفيف ثقیلٍ أول بالوسطى عن عمرو ويونس.

[قصة نصيب مع امرأة عجوز بالجحفة]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: كان نصيبٌ ينزل على عجوزٍ بالجحفة إذا قدم من الشام، وكان لها بنتٌ صفراء وكان يستحليها، فإذا قدم

(١) القطان: المقيمون. والقطين: جماعة القطان، اسم للجمع، وكذلك القاطنة، وقيل: القطين الساكن في الدار، والجمع قطن.

(٢) ترشقك العيون: تحد النظر إليك، وكأنتها ترميك بالسهم.

(٣) برحت: تركت وزالت، يقال برحت المكان: زالت عنه.

(٤) يقال: غلق الرهن: صار ملكه وذلك إذا عجز الراهن عن افتكاكه في الوقت المشروط.

وهب لها دراهم وثياباً غير ذلك، فقدم عليهما قَدَمَةً وبات بهما، فلم يشعر إلا بفتى قد جاءها ليلاً فركضها^(١) برجله، فقامت معه فأبطأت ثم عادت، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت، فلما أصبح نصيب رأى أثر معتركهما ومغتسلهما، فلما أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتها: بأبي أنت! عادتك، فقال لها:

أَرَأَيْكَ طَمُوحَ الْعَيْنِ مِيَّالَةَ الْهَوَى لِهَذَا وَهَذَا مِنْكَ وَدُّ مَلَا طِفْ
فَإِنْ تَحْمَلِي رَدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَحُبِّي فَرَدُّ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَادِفُ
[الطويل]

ولم يعطها شيئاً ورحل.

[حديث النصيب مع امرأة من ملل]

قال أيوب: وكانت بملل امرأة ينزل بها الناس، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ وعمران بن عبد الله بن مطيع ونصيب، فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء، فقال لها: اختاري إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطيك إذا قدمت، وإن شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك، قالت: بل الشعر أحب إليّ، فقال:

أَلَا حَيَّ قَبْلَ الْبَيْنِ أَمْ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَثًّا غَدًا بِقَرِيبٍ
لَّيْنِ لَمْ تَكُنْ حُبِّيكَ حُبًّا صَدَقْتَهُ فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبٍ
تَهَامٍ^(٢) أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الْهَوَى يَا وَيْحَ كُلِّ غَرِيبٍ
[الطويل]

فشهرها بذلك، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً.

[عمر ينهائ عن التشبيب بالنساء]

قال أيوب: ودخل نصيب على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله عليه - بعد ما ولي الخلافة، فقال له: إيه يا أسود! أنت الذي تُشَهِّرُ النساء بنسيبك! فقال: إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين، وعاهدت الله عز وجل ألا أقول نسيباً، وشهد له بذلك من حضر وأثنوا عليه خيراً، فقال: أمّا إذ كان الأمر هكذا فسل حاجتك، فقال: بُنَيَاتٌ

(١) ركضها برجله: وكزها برجله للإسراع.

(٢) تهامة: بالكسر، تساير البحر، منها مكة.

لي نفضت عليهن سوادي فكسدن، أرعَبُ بهنَّ عن السودان ويرغب عنهنَّ البيضان، قال: فتريد ماذا؟ قال: تَفْرِضْ لهنَّ، ففعل. قال: ونفقةً لطريقي، قال: فأعطاه حلية سيفه وكساه ثوبيه، وكانا يساويان ثلاثين درهماً.

[النصيب والكميت وذو الرمة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال: اجتمع النصيب والكميت وذو الرمة، فأنشدتهما الكميت قوله:

هل أنت عن طلب الأيفاع^(١) منقلب^(٢)

[البسيط]

حتى بلغ إلى قوله فيها:

أم هل ظعائنٌ بالعلياء^(٣) نافعةٌ وإن تكامل فيها الأنس والشَّنبُ^(٤)

[البسيط]

فعقد نصيبٌ واحدةً. فقال له الكميت: ماذا تُحصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنس من الشنب، ألا قلت كما قال ذو الرمة^(٥):

لمياء^(٦) في شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ^(٧) لَعَسَ^(٨) وفي اللثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

[البسيط]

ثم أنشدتهما قوله:

أبت هذه النفس إلا أذكارا

[المقارب]

(١) الأيفاع: الكواعب التي شارفت البلوغ.

(٢) البيت هو:

«هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب أم هل يُحَسِّن من ذي الشبية اللعب»

(٣) العلياء: اسم بلد غير معروف موقعه.

(٤) الشنب: ماء ورقة يجري على الثغر، ويقال: الشنب: رقة الأنياب مع ماء وصفاء.

(٥) ذو الرمة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى الإمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه، توفي سنة ١٧٧هـ.

(٦) لمياء: بينة اللمي وهو سمرة الشفتين واللثة.

(٧) الحوة: سمرة الشفة.

(٨) اللعس: سواد اللثة والشفة في حمرة.

حتى بلغ إلى قوله :

إذا ما الهجارسُ^(١) غَنَيْنَهَا تُجَاوِزْنَ بالفلوات الوِبارا^(٢)
[المقارب]

فقال له النصيب: والوبار لا تسكن الفلوات، ثم أنشد حتى بلغ منها:

كَأَنَّ الْغُطَامَطَ^(٣) مِنْ غَلِيْهَا أَرَا جِيزَ أَسْلَمَ^(٤) تَهْجُو غِفَارَا^(٥)
[المقارب]

فقال النصيب: ما هجئت أسلم غفاراً قط، فانكسر الكمية وأمسك.

[نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي: أن نصيباً مدح عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، فأمر له بعشر قلائص^(٦)، وكتب بها إلى رجلين من الأنصار، واعتذر إليه وقال له: واللّه ما أملك إلا رزقي، وإنني لأكره أن أبسط يدي في أموال هؤلاء القوم. فخرج حتى أتى الأنصاريتين فأعطاهما الكتاب مختوماً. فقرأه وقال: قد أمر لك بثمانى قلائص، ودفعنا ذلك إليه، ثم عَزَلَ وولّى مكانه رجلٌ من بني نصر بن هوازن، فأمر بأن يتتبع ما أعطى ابن الضحاك ويُرْتَجِعَ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص، فأمر بمطالبتها بها، فقال: واللّه ما دفع إلي إلا ثمانى قلائص فقال: واللّه ما تخرج من الدار حتى تؤدي عشر قلائص أو أثمانها، فلم يخرج حتى قُبِضَ ذلك منه، فلما قدم على هشام سمر عنده ليلةً وتذاكروا النصيريّ، فأنشده قوله فيه:

أَفِي قَلَائِصَ جُرْبٍ كُنَّ مِنْ عَمَلٍ أَرَدَى وَتُنَزَّعُ مِنْ أَحْشَائِي الْكِبْدُ
ثَمَانِيَا كُنَّ فِي أَهْلِي وَعِنْدَهُمْ عَشْرُ فَأَيُّ كِتَابٍ بَعَدْنَا وَجَدُوا
أَخَانَنِي أَخَوَا الْأَنْصَارِ فَانْتَقَصَا مِنْهَا فَعِنْدَهُمَا الْفَقْدُ الَّذِي فَقَدُوا

(١) قيل: الهجارس جميع ما تعسس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع.

(٢) الوبار جمع وبر: الوبر: صوف الإبل والأرنب وما أشبههما. والأنثى وبرة: دويبة غبراء على قدر السنور، حسنة العينين، شديدة الحياء، تكون بالغور.

(٣) الغطامط: أزيز القدر.

(٤) أسلم: قبيلة عربية.

(٥) غفار: اسم قبيلة.

(٦) القلوص بالفتح، وهي الناقة الشابة بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قلص، وجمع القلص قلاص بالكسر.

وَإِنَّ عَامِلَكَ النَّصْرِيَّ كَلَّفَنِي فِي غَيْرِ نَائِرَةٍ^(١) دِينَالَهُ صَعَدَ^(٢)
أَذْنَبَ غَيْرِي وَلَمْ أَذْنَبْ يَكْلَفَنِي أَمْ كَيْفَ أَقْتُلُ لَا عَقْلٌ وَلَا قَوْدُ

[البسيط]

قال: فقال هشام: لا جرمَ والله، لا يعمل لي النصري عملاً أبداً، فكتب بعزله عن المدينة.

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أخبرنا الزبير بن بكار إجازةً عن هارون بن عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر^(٣) قال: قدم علينا النصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلسٍ حذاءه، فاستنشدناه، فأنشدنا قوله:

أَلَا يَا عُقَابَ الْوَكْرِ وَكَرِ ضَرِيَّةً^(٤) سَقَتِكَ الْعَوَادِي مِنْ عِقَابٍ وَمَنْ وَكَرِ
تَمَرَّ اللَّيَالِي مَا مَرَرْنَ وَلَا أَرَى مُرُورَ اللَّيَالِي مُنْسِيَاتِي ابْنَةَ النَّضْرِ
وَقَفْتُ بِذِي وَدَّانِ أَنْشَدَ نَاقَتِي وَمَالِي لَدَيْهَا مِنْ قُلُوصٍ وَلَا بَكْرِ
وَمَا أَنْشَدَ الرُّعْيَانِ إِلَّا تَعَلَّةً بِوَاضِحَةِ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ وَعَلِمَ أَيَّامَ الْمَنَاسِكِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْجَفْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامَتْهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْجَفْرِ

[الطويل]

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: أخبرني عمر بن إبراهيم السعدي عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال: قال عبد الملك بن مروان لنصيب: أنشدني، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

وَمُضْمَرُ الْكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ بِهِ طَيِّ الْحَمَائِلِ لَا جَافٍ وَلَا فَقِيرُ^(٥)

(١) النائرة: العداوة، ويقال: بينهم نائرة أي عداوة وشحناء. وفي الحديث: كانت بينهم نائرة أي فتنة حادثة وعداوة. ونار الحرب ونائرتها: شرها وهيجه.

(٢) الصعد: المشقة، ولعله يشير بذلك إلى الزيادة في الدين الذي تقاضوه إياه.

(٣) القود: القصاص وقتل القاتل بدل القاتل.

(٤) ضرية: بالفتح ثم الكسر، وياء مشددة، وما أراه إلا مأخوذاً من الضراء وهو ما وارك من شجر، وقيل: الضراء: البراز والقضاء، ويقال: أرض مستوية فيها شجر، فإذا كان في هبطة فهو غيضة، وضرية: هي قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة ونجد.

(٥) فقر فقراً من باب تعب: اشتكى فقاره.

وَذِي رَوَافٍ لَا يُلْفَى الْإِزَارُ بِهَا يُلَوِي وَلَوْ كَانَ سَبْعاً حِينَ يَأْتِزُ
[البسيط]

فقال له عبد الملك: يا نصيب، من هذه؟ قال: بنت عم لي نويبة، لو رأيتهما ما شربت من يدها الماء، فقال له: لو غير هذا قلت لضربت الذي فيه عيناك.

[رحلة نصيب إلى عبد العزيز]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال: حدثنا المدائني قال: كان عبد العزيز بن مروان اشترى نصيباً وأهله وولده فأعتقهم، وكان نصيب يرحل إليه في كل عام مستميحاً^(١) فيجيزه ويحسن صلته، فقال فيه نصيب:

يَقُولُ فَيُحْسِنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنَ مَا يَقُولُ
فَتَى لَا يَرْزَأُ^(٢) الْخِلَانُ إِلَّا مَوَدَّتَهُمْ وَيَرْزُوهُ الْخَلِيلُ
فَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مِصْرَ نِيلِ
[الوافر]

[نصيب وشاعر هجاء من أهل الحجاز]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي أبو دلف قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: كان نصيب يكنى أبا الحجناء، فهجاء شاعر من أهل الحجاز فقال:

رَأَيْتُ أَبَا الْحَجْنَاءِ فِي النَّاسِ جَائِزاً وَلَوْ أَبِي الْحَجْنَاءِ لَوْنُ الْبَهَائِمِ
تَرَاهُ عَلَى مَا لَاحَهُ مِنْ سَوَادِهِ وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَهُ وَجْهُ ظَالِمِ^(٣)
[الطويل]

فقال لنصيب: ألا تجيبه! فقال: لا، ولو كنت هاجياً لأحد لأجبتة، ولكن الله أوصلني بهذا الشعر إلى خير، فجعلت على نفسي ألا أقوله في شر، وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق، أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسي؟ قالوا: بلى، فأنشدهم قوله:

لَيْسَ السَّوَادُ نَاقِصِي مَا دَامَ لِي هَذَا اللِّسَانُ إِلَى فُؤَادٍ ثَابِتٍ

(١) استمache: سأله العطاء، فَعَلَ شَيْئاً فَسَهَّلَ فِيهِ.

(٢) رزأ فلان فلاناً، أي: ما أصاب من ماله شيئاً. والرزء: المصيبة، والاسم: الرزية والمرزئة.

(٣) البيتان لكثير عزة.

من كَانَ تَرَفَعَهُ مَنَابِتُ أَصْلِهِ فَبُيُوتِ أَشْعَارِي جُجِلْنَ مَنَابِتِي
كَمْ بَيْنَ أَسْوَدَ نَاطِقٍ بِبَيَانِهِ مَاضِي الْجِنَانِ وَبَيْنَ أَبْيَضَ صَامِتِ
إِنِّي لِيَحْسُدَنِي الرَّفِيعُ بِنَاؤُهُ مِنْ فَضْلِ ذَاكَ وَلَيْسَ بِي مِنْ شَامِتِ
[الكامل]

ويُروى مكان «من فضل ذاك»، «فضل البيان» وهو أجود.

أخبرني عمي ومحمد بن خلف قالوا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال: حدثني عمي عن محمد بن سعد قال: قال قائل للنصيب: أيها العبد، ما لك وللشعر؟ فقال: أما قولك عبدٌ فما وُلِدْتُ إلا وأنا حرٌّ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني، وأما السواد فأنا الذي أقول:

وَإِنْ أَكُ حَالِكًا لَوْنِي فَإِنِّي لِعَقْلٍ غَيْرِ ذِي سَقَطٍ وَعَاءٍ
وَمَا نَزَلْتُ بِي الْحَاجَاتِ إِلَّا وَفِي عَرْضِي مِنَ الطَّمَعِ الْحَيَاءِ
[الوافر]

[شعره في جارية طلبت منه أن يشبب بها]

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه قال: حدثت عن السدوسي قال: وقف نصيبٌ على أبيات فاستسقى ماءً، فخرجت إليه جاريةً بلبين أو ماءٍ فسقته، وقالت: شبب بي، فقال: وما اسمك؟ فقالت: هندٌ، ونظر إلى جبلٍ وقال: ما اسم هذا العلم؟ قالت: قنا، فأنشأ يقول:

أَحِبُّ قَنًا مِنْ حُبِّ هِنْدٍ وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي أَقْرَبًا زَادَهُ اللَّهُ أَمْ بَعْدَا
أَلَا إِنْ بِالْقِيَعَانِ مِنْ بَطْنِ ذِي قَنَا لَنَا حَاجَةٌ مَالَتْ إِلَيْهِ بِنَا عَمْدَا
أَرُونِي قَنًا أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَإِنَّنِي أُحِبُّ قَنًا إِنِّي رَأَيْتُ بِهِ هِنْدَا
[الطويل]

قال: فشاعت هذه الأبيات، وخطبت هذه الجارية من أجلها، وأصابته بقول نصيب فيها خيراً كثيراً.

[قصته مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال: حدثنا محمد بن سلام قال: دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك، فقال له: حدثني يا نصيب ببعض ما مر عليك. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! علقت جارية حمراء،

فمكثت زماناً تمنيني بالأباطيل، فلما ألححت عليها قالت: إليك عني، فوالله لكأنك من طوارق الليل^(١)، فقلت لها: وأنت والله لكأنك من طوارق النهار، فقالت: ما أظرفك يا أسود! فغاطني قولها، فقلت لها: هل تدرين ما الظرف؟ إنما الظرف العقل، ثم قالت لي: انصرف حتى أنظر في أمرك، فأرسلت إليها هذه الأبيات:

فإن ألك حالكاً فالمسكُ أحوى ومالِ سوادِ جلدي من دواءِ
ولي كرمٌ عن الفحشاءِ ناءٍ كبُعدِ الأرضِ من جوِّ السماءِ
ومثلي في رجالكم قليلٌ ومثلك ليس يُعدّم في النساءِ
فإن ترضي فردي قول راضٍ وإن تابي فنحن على السواءِ
[الوافر]

قال: فلما قرأت الشعر قالت: المال والشعر يأتیان على غيرهما، فتزوجتني.

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا الرياشي قال: أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها: قاتل الله نصيباً ما أشعره!:

فإن يك من لوني السَّوادِ فلإنني لكالمسك لا يُروى من المسكِ ذائقه
وما ضرَّ أثوابي سَوادي وتحتها لباسٌ من العلياءِ بيضٌ بنائقه^(٢)
إذا المرءُ لم يبدل من الودِّ مثل ما بذلتُ له فأعلم بِأني مُفارقه
[الطويل]

[نصيب وجري]

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام عن خلف: أن نصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره، فقال له: كيف ترى يا أبا حزره؟ فقال له: أنت أشعر أهل جلدتك.

(١) وكل آت بالليل طارق، وقيل: أصل الطروق من الطرق وهو الدق، وسمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب. وطرق القوم يطرقهم طرقاً وطروقاً: جاءهم ليلاً، فهو طارق. وفي حديث علي، رضي الله عنه: إنها حارقة طارقة أي طرقت بخير. وجمع الطارقة طوارق. وفي الحديث: «أعوذ بك من طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير».

(٢) بنق: البنية كل رقعة في الثوب نحو اللبنة وشبهها، والجميع بنائق، قيل: قميص من القوهي بيض بنائقه، وقيل: قد اعتدي والصبح ذو تبنق، شبه بياض الصبح ببياض البنية.

[أشعر السودان]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال: قال نصيب لعبد الرحمن بن أزهر: دخلتُ على عبد العزيز بن مروان، فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، واللّه ما زاد عليها! فقال لي عبد الرحمن: يا أبا محجن، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط؟! فقال له: وددت واللّه يابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك.

[رأيه في شعره وشعر معاصريه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم قال: أخبرنا أبو عبيدة قال: قال لي محمد بن عبد ربه: دخلت مسجد الكوفة، فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه، ولا أنقى ثياباً منه، ولا أحسن زياً. فسألتُ عنه، فقليل: هذا نصيب، فدنوت منه فحدثته، ثم قلت له: أخبرني عنك وعن أصحابك، فقال: جميل إمامنا، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحجال، وكثير أبكانا على الدّمن وأمدحنا للملوك، وأما أنا فقد قلت ما سمعت، فقلت له: إنّ الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو، فضحك ثم قال: أفترأهم يقولون: إني لا أحسن أن أمدح؟ فقلت: لا، فقال: أفما تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخراك الله؟ قال: قلت: بلى. قال: فإني رأيت الناس رجلين: إما رجلاً لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، وإما رجلاً سألتُه فمنعني فنفسى كانت أحق بالهجاء، إذ سولت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه.

[نصيب وكثير والأحوص]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهدي قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني أبو يوسف التّجيبى^(١) قال: حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال: حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكثير والأحوص غبّ يوم أمطرت فيه السماء، فقال: هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا؟ فقالوا: نعم، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكّروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق، فجعلوا يتصفّحون^(٢) ويرون بعض ما

(١) نسبة إلى تجيب وهي قبيلة من كندة.

(٢) تصفح: نظر إليه ليتعرف إليه.

يشتهون، حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيمٌ فأثوه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجالٌ من الموالي ونساء بارزات، فسألنهم أن ينزلوا، فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة، فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجةٍ لنا، فحلّفنهم أن يرجعوا إليهن، ففعلوا وأتوهن، فسألنهم النزول فنزلوا. ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت: ادخلوا، فدخلنا على امرأةٍ جميلةٍ برزة^(١) على فرش لها، فرحبت وحيّت، وإذا كراسيٌ موضوعةٌ، فجلسنا جميعاً في صف واحدٍ كل إنسانٍ على كرسيٍّ، فقالت: إن أحببتُم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك^(٢) أذنه فعلنا، وإن شئتم بدأنا بالغداء، فقلنا: بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء، فأومات بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكن إلا كلاً^(٣) ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَتْ بمطرفٍ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهرُها، ثم كشف عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمال مولاتها، فرحبت بهم وحيثهم، فقالت لها مولاتها: خذي - ويحك - من قول النصيب عافى الله أبا محجن:

أَلا هَلْ مِنَ الْبَيْنِ الْمَفْرَقُ مِنْ بُدْ وَهَلْ مِثْلَ أَيَّامِ بِمَنْقَطِعِ السَّعْدِ
تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوْلَيْكَ وَالْمُنَى عَلَى عَهْدِ عَادٍ مَا تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي^(٤)
[الطويل]

فغنته، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظٍ وأشجى صوت، ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

أَرْقَ الْمُحِبُّ وَعَادَهُ سَهْدُهُ^(٥) لِطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرِدُهُ
وَذَكَرْتُ مِنْ رَقَّتْ لَهُ كَبْدِي وَأَبَى فَلَيْسَ تَرِقُّ لِي كَبْدُهُ
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي وَلَا بَلَدِي فَنَكُونُ حِيناً جِيرَةً بَلَدُهُ
وَوَجَدْتُ وَجداً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صَبَابَةٍ يَجْدُهُ

(١) برز: رَجُلٌ بَرَزَ، أي: ظاهر الخُلُقِ عفيف، وامرأةٌ برزة: موثوق برأيها وفضلها، وعفافها.

(٢) عرك: عَرَكْتُ الْأَدِيمَ عَرَكاً: دَلَكْتُهُ. وَعَرَكْتُ الْقَوْمَ فِي الْحَرْبِ عَرَكاً.

(٣) كلاً على وجهين: تكون حقاً، وتكون نفيّاً. وقوله عَرَّ وَجَلَّ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾. أي: حقاً. وقوله سبحانه: ﴿أَيُّطْعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كَلَّا...، وهو نفي... كما تستخدم العرب كلاً للتقليل.

(٤) ما تعيد وما تبدي: يريد أنه لا نفع فيها.

(٥) السُّهْدُ، بالضَّمِّ، كالسُّهَادِ، كُغْرَابٍ: الْأَرْقُ، وفي الصحاح: السُّهَادُ: الْأَرْقُ.

إِلَّا ابْنُ عَجَلَانَ الَّذِي تَبَلَّتْ^(١) هَنْدُ فَفَاتَ^(٢) بِنَفْسِهِ كَمَدُهُ^(٣)

[الكامل]

قال: فجاء به أحسن من الأول، فكدت أطيّر سروراً، ثم قالت لها: ويحك! خذي من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَمَتَّعْتُ طَوْلَهُ وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَائِمٍ مُتَمَتَّعٌ
نَعَمْ إِنْ ذَا شَجْوٍ مَتَى يَلْقَى شَجْوَهُ وَلَوْ نَائِمًا مُسْتَعْتَبٌ^(٤) أَوْ مُودَّعٌ
لَهُ حَاجَةٌ قَدْ طَالَمَا أَسْرَهَا مِنَ النَّاسِ فِي صَدْرِ بِهَا يَتَصَدَّعُ
تَحَمَّلْتُهَا طَوْلَ الزَّمَانِ لَعَلَّهَا يَكُونُ لَهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَنْزِعُ
وَقَدْ قُرِعَتْ فِي أَمِّ عَمْرٍو لِي الْعَصَا قَدِيمًا كَمَا كَانَتْ لِذِي الْحُلُمِ تَقَرُّعُ

[الطويل]

قال: فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري، وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها، ثم قالت لها: خذي أيضاً من قول أبي محجن، عافى الله أبا محجن:

يَا أَيُّهَا الرِّكْبُ إِنِّي غَيْرُ تَابِعِكُمْ حَتَّى تُلِمُّوا وَأَنْتُمْ بِي مُلِمُّونَا
فَمَا أَرَى مِثْلَكُمْ رَكْبًا كَشَكْلِكُمْ يَدْعُوهُمْ ذُو هَوًى إِلَّا يَعْوجُّونَا
أَمْ خَبَرُونِي عَنْ دَائِي بَعْلَمَكُمْ وَأَعْلَمَ النَّاسُ بِالدَّاءِ الْأَطْبُونَا^(٥)

[البسيط]

قال نصيب: فوالله لقد زهوت بما سمعت زهواً خيلاً إليّ أني من قرّيش، وأن الخلافة لي، ثم قالت: حسبك يا بنيّة! هات الطعام يا غلام! فوثب الأحوص وكثير وقالوا: والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس؛ فقد أسأت عشتنا واستخففت بنا، وقدمت شعر هذا على أشعارنا، واستمعت الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفضل شعره، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا، فقالت: على معرفة كل ما

(١) تبلت: أعييت من الحب.

(٢) فات: ذهب.

(٣) الكمد، مُحَرَّكَة: الحُزْنُ الشَّدِيدُ لَا يُسْتَطَاعُ إِمْضَاؤُهُ. وفي الصحاح والأساس: الحُزْنُ المَكْتُومُ، وفي المحكم: هو أَشَدُّ الحُزْنِ. الكمد: مَرَضُ القَلْبِ مِنْهُ أَيْ مِنَ الحُزْنِ الشَّدِيدِ، والمقصود من هذا البيت: ذهب كمده بنفسه وأتى عليها فأهلكها.

(٤) الاستعتاب: طلب العتبي واللوم.

(٥) الأطبونا: البارعون في الطب.

كان مني، فأني شعركما أفضل من شعره؟ أقولك يا أحوص:

يَقْرُبُ عَيْنِي مَا يَقْرُبُ عَيْنَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
[الطويل]

أو قولك يا كثير في عزة:

وَمَا حَسَبَتْ ضَمْرِيَّةٌ جَدْوِيَّةً^(١) سِوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّ لَهَا بَعْلًا
[الطويل]

أم قولك فيها:

إِذَا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنِكَهَا فَإِنَّ عَطَاسَهَا طَرَفُ السَّفَادِ
[الوافر]

قال: فخرجا مُغْضِبِينَ واحتبستني، فتغديت عندها، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلّتين وطيب، ثم دفعت إليّ مائتي دينار، وقالت: ادفعها إلى صاحبك؛ فإن قبلها وإلا فهي لك، فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة، فأما الأحوص فقبلها، وأما كثير فلم يقبلها، وقال: لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها! فأخذتها وانصرفت، فسألت النصيب: ممن المرأة؟ فقال: من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد.

[رثاؤه لعبد العزيز]

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني قال: وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها «سكر»^(٢). فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك، فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ فقال: طالب بن مُدْرِك، فقال: أوّه، ما أراني راجعاً إلى الفسطاط أبداً! ومات في تلك القرية. فقال نصيب يرثيه:

أُصِبْتُ يَوْمَ الصَّعِيدِ مِنْ سُكْرٍ مُصِيبَةً لَيْسَ لِي بِهَا قِبَلُ
تَالَلَهُ أَنْسَى^(٣) مُصِيبَتِي أَبَدًا مَا أَسْمَعْتَنِي حَنِينَهَا الْإِبْلُ
وَلَا التَّبَكِّي عَلَيْهِ أَعْوَلُهُ^(٤) كُلُّ الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ جَلَلُ

(١) نسبة إلى جدوي بن ضمرة بن بكرة من كنانة.

(٢) سكر: بوزن زفر: موضع بشرقية الصعيد، بينه وبين مصر يومان، كان عبد العزيز بن مروان يخرج إليه كثيراً، وبه مات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وأبو بكر بن عبد الله بن مروان.

(٣) يمين الله بعدم النسيان.

(٤) أَعْوَلُ الرَّجُلُ: رفع صوته بالبكاء والصياح، كَعَوَلَ تَعْوِيلاً، قاله شَمِرٌ. والاسمُ الْعَوْلُ وَالْعَوْلَةُ وَالْعَوِيلُ، وقد تكونُ الْعَوْلَةُ: حرارةٌ وَجِدَ الْحَزِينِ وَالْمُحِبِّ مِنْ غَيْرِ نِدَاءٍ وَلَا بَكَاءٍ.

لَمْ يَعْلَمْ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَفِ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا
حَتَّى أَجْنُوهُ^(١) فِي ضَرِيحِهِمْ حَتَّى انْتَهَى مِنْ خَلِيلِهِ الْأَمَلِ

[السريع]

غنى في هذه الأبيات ابن سريج، ولحنه رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن
إسحاق، وذكر الهشامي أن له فيه لحناً من الهزج، وذكر ابن بانة أن الرمل لابن
الهربد^(٢).

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
عن مصعب الزبيري عن مشيخة من أهل الحجاز: أن نصيباً دخل على عبد الملك بن
مروان، فقال له: أنشدني بعض ما رثيت به أخي؛ فأنشده قوله:

عَرَفْتُ وَجَرَبْتُ الْأُمُورَ فَمَا أَرَى
وَلَكِنْ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ نِعْمَتِي
فَإِنْ أَبْكَه أُعْذِرُ وَإِنْ أَغْلِبَ الْأَسَى
وَكَاثَتْ رِكَابِي كُلَّمَا شِئْتُ تَنْتَحِي^(٣)
تَرَى الْوَرْدَ يُسْرًا وَالثَّوَاءَ غَنِيمَةً
فَقَدْ عَرِيتَ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى فَإِنَّمَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَزَلْ بِدُفُوفِهَا^(٤)
فَإِنْ كُنَّا قَدْ نَلْنُ ابْنَ لَيْلَى فَإِنَّهُ

[الطويل]

فلما سمع عبد الملك قوله:

فَإِنْ أَبْكَه أُعْذِرُ وَإِنْ أَغْلِبَ الْأَسَى
بِصَبْرِ فَمِثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ يَصْبِرُ

[الطويل]

(١) أجن الميت: جئن، بالفتح: هو القبر لسنه الميت. والجئن أيضاً: الكفن لذلك. وأجنه: كفنه،
والجئن: المقبور. وقال ابن بري: والجئن: الميت.

(٢) المغني إسماعيل بن الهربد مولى آل الزبير بن العوام.

(٣) غبر الشيء يغبر غبوراً كقعود: مكث وبقى. وغبر غبوراً: ذهب ومضى. والغابر: الباقي. والغابر:
الماضي، والغابر من الليل: ما بقي منه.

(٤) نحته: أي باعدته، والتأحية من كل شيء جانبه.

(٥) الدفوف: جمع دف وهو صفحة الجنب.

قال له: ويلك! أنا كنت أحق بهذه الصفة في أخي منك! فهلا وصفتني بها! وجعل يبكي.

[نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال: قال لي عبد الله بن إسحاق البصري: لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً، قلت: لماذا؟ قال: لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام، ألم تسمع قوله:

فَلَا النَّفْسُ مَلَّتْهَا وَلَا الْعَيْنُ تَنْتَهِي إِلَيْهَا سِوَى فِي الطَّرْفِ عَنْهَا فَتَرْجِعُ^(١)
رَأَتْهَا فَمَا تَرْتَدُّ عَنْهَا سَامَةً تَرَى بَدَلًا مِنْهَا بِه النَّفْسُ تَقْنَعُ
[الطويل]

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال: دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له، فقال إبراهيم: ما هذا بشيء! أين هذا من قول أبي دهبيل^(٢) لصاحبنا ابن الأزرق، حيث يقول:

إِنْ تَغْدُ مِنْ مَنْقَلِي نَجْرَانٌ مُرْتَحِلًا يَرْحَلُ مِنَ الْيَمَنِ الْمَعْرُوفُ وَالْجَوْدُ
[البسيط]

قال: فغضب نصيب ونزع عمامته وبرك عليها، وقال: لئن تأتونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبيل أو أحسن؛ إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال، قال: فأطرق ابن هشام، وعجبوا من إقدام نصيب عليه، ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم.

[نصيب وأم بكر الخزاعية]

أخبرني الحرمي عن الزبير عن إبراهيم بن يزيد السعدي قال: حدثتني جدتي

(١) المقصود من هذا البيت: «لا تفتأ اللواظ منقلبة عنها راجعة إليها».

(٢) أبو دهبيل الجمحي، وهب بن زمعة بن أسد بن جمح بن لؤي بن غالب القرشي. أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة، قال المرتضى: هو من شعراء قريش، وممن جمع إلى الطبع التجويد. له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية وعاتكة بنت معاوية، في شعره رقة وجزالة، وله ديوان من رواية الزبير بن بكار. ولاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي بعلب سنة ٦٣هـ.

جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدها قال: رأيت رجلاً أسود ومعه امرأة بيضاء حسناء فجعلت أعجب من سواده وبياضها فدنوت منه فقلت: من أنت؟ فقال: أنا الذي يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تَجِدِين بِي غَدَاً غُرْبَةَ النَّأْيِ الْمَفْرَقِ وَالْبَعْدِ
لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حِينَ تَغْتَرِبِ النَّوَى بِنَا ثُمَّ يَخْلُو الْكَاشِحُونَ بِهَا بَعْدِي
أَتَصْرِمْنِي عِنْدَ الَّذِينَ هُمْ الْعِدَا فَتَشْمَتُهُمْ بِي أَمْ تَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ
[الطويل]

قال: فصاحت بل والله أدوم على العهد. فسألت عنهما ف قيل: هذا نصيب وهذه أم بكر^(١).

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري: أن نصيباً كان ربما قدم من الشام فيطرح في حجر أم بكر الخزاعية أربعمائة دينار، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها، فنهاه عن ذلك حتى كف.

[شاعريته وخلقته]

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن أبيه قال: رأيت النصيب بالطائف، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قُوهيٌّ ورداءٌ وجبرة^(٢)، فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام، ثم قال: إن الوادي مسبعة، فمن أهل المجلس؟ قالوا: ثقيف؛ فعرف أننا بُغض ابن هشام وبغضنا، فقال: إنا لله! أبعد ابن ليلي أمتدح ابن جيداء^(٣)! فقال له أهل المجلس: يا أبا محجن، أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك؟ فقال: إي والله لربما فعلت، فأمر براحلتي فيشدُّ بها رحلي، ثم أسير في الشعاب الخالية، وأقف في الرباع المُقوية، فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر، والله إني على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحي الفتاة الحبيبة من إنشاده في ستر أبيها. قال إسحاق: قال عثمان بن حفص: فوصفه أبي وقال: كأني أراه صدعاً^(٤) خفيف العارضين ناتئ الحنجرة.

(١) هذه الفقرة سقطت في بعض النسخ.

(٢) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٣) أم محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك.

(٤) ويقال: رجل صدع وصدع، وهو الرجل الخفيف اللحم.

[رسالة إلى سعدى]

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة قال: أنشد نصيب قوله:

وَكِدْتُ وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا لَهَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
[الطويل]

فسمعه ابن أبي عتيق، فقال: يابن أمّ، قل غاق فإنك تطير، يعني أنه غراب أسود.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أسد قریش قال: قال ابن أبي عتيق لنصيب: إني خارج، أفترسل إلى سعدى بشيء؟ قال: نعم، بيتي شعر، قال: قل، فقال:

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
[الطويل]

قال: فأنشد ابن أبي عتيق سعدى البيتين، فتنفست تنفّساً شديدةً، فقال ابن أبي عتيق: أوّه! أحبته والله بأجود من شعره، ولو سمعك خليلك لنعق^(١) وطار إليك.

[نصيب والحكم بن المطلب]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال: حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن المسيبي قال: قال أبو النجم: أتيت الحكم بن المطلب فمدحته، وخرج إلى السعاية^(٢) فخرجنا معه ومعه عدّة من الشعراء، فبينما هو مع أصحابه يوماً واقف، إذا براكب يوضع^(٣) في السراب وإذا هو نصيب، فتقدم إليه فمدحه فأمر بإنزاله، فمكث أياماً حتى أتاه، فقال: إني قد خلفت صبيةً صغاراً وعبالاً ضعافاً، فقال له: ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضة^(٤)، فقال له: جعلني الله فداك قد أحسنت!

(١) نعق: التّعيق: دعاء الراعي الشاء. يقال: انّعق بضأنك أي ادّعها؛ ونعق الراعي بالغنم يُنعق، بالكسر، نَعَقًا ونُعَاقًا ونَعِيقًا ونُعَقَانًا: صاح بها وزجرها، يكون ذلك في الضأن والمعز.

(٢) سعي سعاية: مشى لأخذ الصدقة فقبضها من المصدق. والسعاة: ولاة الصدقة.

(٣) الوَضْعُ هو العَدْوُ؛ واعتبر الليث اللفظ ولم يعرف كلام العرب. وأما قوله تعالى ﴿وَلَا وَضَعُوا لَكُمْ يَغْوَنَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، فإنّ الفراء قال: الإيضاع السير بين القوم، وقال: العرب تقول: أَوْضَعَ الرَّابِطُ وَوَضَعَتِ النّاقَةُ، وربما قالوا للراكب: وَضَعَ.

(٤) الفَرَضُ: القراءة. يقال: فَرَضْتُ جُزْئِي أي قرأته، والفَرِيضَةُ من الإبل والبقر: ما بلغ عَدَدَهُ الزكاة. =

ومعي ابنٌ لي أخاف أن يثلمها^(١) عليّ، قال: فادخل فخذ له [سبعين] فريضة أخرى؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة.

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن عثمان عن أبيه قال: قيل لنصيب: هرم شعرك، قال: لا! والله ما هرم، ولكنّ العطاءَ هرم، ومن يُعطيني مثل ما أعطاني الحكم بن المطّلب! خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة، فلما رأيته قلت:

أبا مروان لست بخارجي^(٢) وليسَ قديمٌ مجدك بانتحال
أغر إذا الرواق انجاب^(٣) عنه بدا مثل الهلال على المِثال^(٤)
تراءه العُيونُ كما تراءى عشيّة فطرها وضح الهلال
[الوافر]

قال: فأعطاني أربعمئة ضائنة ومئة لقحة^(٥)، وقال: ارفع فراشي؛ فرفعته فأخذت من تحته مائتي دينار.

= وأُفْرِضَت الماشيةُ: وجبت فيها الفريضة، وذلك إذا بلغت نصاباً. والفريضة: ما فُرضَ في السائمة من الصدقة. أبو الهيثم: فرائض الإبل التي تحت الثني والرُبع. يقال للقلوص التي تكون بنت سنة وهي تؤخذ في خمس وعشرين: فريضة، والتي تؤخذ في ست وثلاثين وهي بنت لبون وهي بنت سنتين: فريضة، والتي تؤخذ في ست وأربعين وهي حقة وهي ابنة ثلاث سنين: فريضة، والتي تؤخذ في إحدى وستين جدعة وهي فريضة وهي ابنة أربع سنين، فهذه فرائض الإبل، وقال غيره: سميت فريضة لأنها فُرضت أي أُوجِبَتْ في عددٍ معلوم من الإبل، فهي مفروضة وفريضة، فأدخلت فيها الهاء لأنها جعلت اسماً لا نعتاً. وفي الحديث: في الفريضة تجب عليه ولا توجد عنده، يعني السنّ المعين للإخراج في الزكاة، وقيل: هو عامٌ في كل فرضٍ مشروع من فرائض الله عز وجل. ابن السكيت: يقال ما لهم إلا الفريضتان، وهما الجدعة من الغنم والحقة من الإبل.

(١) ثَلَمَ الإناءَ والسيِّفَ ونحوه يَثْلُمُهُ ثُلْماً وثَلَمَهُ فائِثْلَمَ وَثَلَمَ: كسر حَرْفِهِ. ابن السكيت: يقال في الإناء ثَلَمَ إذا انكسر من شَفَتِهِ شيء، وفي السيِّفِ ثَلَمَ. والثَّلْمة: الموضع الذي قد انثلم، وجمعها ثُلَم، وقد انثَلَمَ الحائط وَثَلَمَ؛ وقال الشاعر: بالحنن فالصمان فالمتثلَمَ ويقال: ثَلَمَتِ الحائطُ أثْلَمَهُ، بالكسر، ثَلَمًا فهو مثْلوم. والثَّلْمة: الخلل في الحائط وغيره.

(٢) الخَارجيُّ: الذي يَخْرُجُ وَيَشْرُفُ بنفسه من غير أن يكون له قديم؛ قال كثير:

أبا مروان، لست بخارجي وليس قديمٌ مجدك بانتحال
والخارجيةُ: خَيْلٌ لا عِرْقَ لها في الجَوْدَةِ فَتُخْرَجُ سوابق، وهي مع ذلك جيّاد.

(٣) انجاب: انكشف.

(٤) المِثالُ: الفراش، وجمعه مُثْل، وإن شئت خَفَفْتَ.

(٥) اللقحة: الناقة الحلوب، فإذا جعل نعتاً قيل: ناقة لقوح، ولا يقال: ناقة لقحة.

[نصيب وكثير عند أبي عبيدة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا الزبير قال: حدثني أسعد بن عبد الله المرني عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال: والله إني لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمعة في حواء^(١) له، إذ جاءه كثير فحيّاه، فاحتفى به، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير؛ وجاء رجل فسلم فرددنا عليه السلام واستدنيناه، فإذا نصيب في بزة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشام، فأكب على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء، فأكل مع القوم، ورفع كثير يده وأقلع عن الطعام، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل، فأبى فتركوه، وأقبل كثير على نصيب فقال: والله يا أبا محجن، إن أثر أهل الشام عليك لجميل، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء، فقال له نصيب: لكن أثر الحجاز عليك يا أبا صخر غير جميل، [لقد رجعت] وإنك لزائد النقص، كثير الحماقة، فقال كثير: أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك:

إِذَا أَمْسَيْتُ، بَطْنُ مُجَاحٍ^(٢) دُونِي وَعَمَقُ^(٣) دُونَ عَزَّةَ فَالْبَقِيعُ
فَلَيْسَ بِإِلْمِي أَحَدٌ يَصَلِّي إِذَا أَخَذَتْ مَجَارِيهَا الدُّمُوعُ
[الوافر]

فقال له نصيب: أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك:

خَلِيلِي إِنْ حَلَّتْ^(٤) كَلِيَّةَ الرُّبَا فَذِي أَمَجٍ فَالشَّعْبُ ذِي الْمَاءِ وَالْحَمَضُ
فَأَصْبَحَ مِنْ حَوْرَانِ رَحْلِي بِمَنْزِلِ يُبَعِّدُهُ مِنْ دُونِهِ نَازِحُ الْأَرْضِ
وَأَيَّاسُ مَا أَنْ يَجْمَعَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَخَوْضَا بِي السَّمِّ الْمُضْرَجِ بِالْمَحْضِ

(١) قال الليث: الحواء أختيَّة يُدَانِي بعضها من بعض، تقول: هم أهل جَوَاءٍ واحد، والعرب تقول لمُجْتَمِعِ بِيوتِ الْحَيِّ مُخْتَوًى وَمَخْوًى وَجَوَاءٍ، والجمع أَخْوِيَّةٌ وَمَحَاوٍ.

(٢) مجاح: موضع من نواحي مكة، قال كثير:

إِذَا أَمْسَيْتُ، بَطْنُ مُجَاحٍ دُونِي وَعَمَقُ دُونَ عَزَّةَ فَالْبَقِيعُ

(٣) عمق: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره قاف، عمق الشيء: قعره، والعمق المطمئن من الأراضي: وهو واد من أودية الطائف نزله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما حاصر الطائف، وفيه بئر ليس بالطائف أطول رشاء منها. والعمق أيضاً: موضع قرب المدينة وهو من بلاد مزينة.

(٤) من المرجح أن يكون المقصود بـ«حلت» «حالت» فالشاعر يقصد من خلال هذا البيت: «إن بانث كلية وحال دونها أمكنة: الربا، فذو أمج، فالشعب، من دونها نازح الأرض، وإياس منها الدهر، فلا أبالي الفقر بل أتمناه سماً في دسم».

فَفِي ذَاكَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ سَلَامَةٌ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى غَمَضٍ [الطويل]

قال: فاقتحم إليه^(١) كثيرٌ، وثبت له النصيب، فلما نالته رجلاه رمحه^(٢) نصيبٌ بساقه رَمَحَةً طاح منها بعيداً عنه، فما زال راقداً حتى أيقظناه عشيّاً لرمي الجمار.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النحوي عن أنيس بن ربيعة الأسلمي أنه قال:

غدوت يوماً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة وهو محتلٌّ بالرحبة^(٣)، فألفيت عنده جماعةً منّا ومن غيرنا، فأتاه آتٍ فقال له: ذاك النصيب منذ ثلاثٍ بالفرش^(٤) من ملل متلدّد^(٥) كأنه والّه في أثر قوم ظاعنين، فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه، فإذا نصيب على المنحر من صفر^(٦) فلما عايّنا وعرف أبا عبيدة هبط؛ فسأله عن أمره، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحلهم بالفرش فاستولاه^(٧) ذلك، فضحك به أبو

(١) اقتحم إليه: تقدم إليه.

(٢) رَمَحَتِ الدَّابَّةُ بِرِجْلِهَا تَرْمَحُ بِهَا رَمَحاً، وكل ذي حافر يَرْمَحُ رَمَحاً إذا ضَرَبَ بِرِجْلَيْهِ، ويقال: رَمَحَ الْجُنْدُبُ أَي: ضَرَبَ الْحَصَى بِرِجْلِهِ.

(٣) الرحبة: البقعة المتسعة بين أفنية القوم.

(٤) الفرش: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره شين معجمة، والفرش يأتي في كلامهم على معان، الفرش من فرشت الفراش معلوم، والفرش: الزرع إذا صار بثلاث ورقات أو أكثر، والفرش: اتساع في رجل البعير وهو مدح فإذا كثر فهو عقل وهو ذم، والفرش: صغار الإبل في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ﴾، وقال بعض أهل التفسير: والبقر والغنم أيضاً من الفرش، والفرش أيضاً: واد بين غميس الحمام وملل، وفرش وصخيرات الشام: كلها منازل نزلها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين سار إلى بدر وملل واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش سويقة وهو متبدي بني حسن بن علي بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم ثم يفرغ في البحر، وفرش الجبا: موضع في الحجاز أيضاً.

(٥) تلدد: تَلَفَّتْ يَمِيناً وَشَمَالاً.

(٦) صفر: بفتح أوله وثانيه، يقال: صفر الوطب يصفر صفرأ أي خلا، فهو صفر: جبل بنجد في ديار بني أسد. وصفر أيضاً: جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة، هكذا رواه أبو الفتح نصر، وقال الأديبي: صفر، بالتحريك، بلفظ اسم الشهر: جبل بفرش ملل كان منزل أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى جد ولد عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب عنده وبه صخرات تعرف بصخرات أبي عبيدة، قال محمد بن بشير الخارجي يرثيه:

إذا ما ابن زاد الركب لم يمس نازلاً قفا صفر لم يقرب الفرش زائر

(٧) الوَلَةُ: ذهابُ الْعَقْلِ وَالْفُؤَادِ مِنْ فُقْدَانِ حَبِيبٍ. يقال: وَلِهَتْ تَوَلُّهُ وَتَلَّهُ، وهي والهةٌ وَوَالِه. وكل أنثى فارقت وَلَدَهَا فهي والهة.

عبيدة والقوم، وقالوا له: إنما يهتر^(١) إذا عشق من انتسب عُذرياً، فأما أنت فما لك ولهذا؟! فاستحيا وسكن، وسأله أبو عبيدة: هل قلت في مقامك شعراً؟ قال: نعم! وأنشد:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَيْتَ بِالْفَرْشِ مُقْصِداً ثَوِيَاكَ^(٢) عَبُودُ^(٣) وَعُدْنَةُ^(٤) أَوْ صَفَرٍ
فَفَرَّعَ^(٥) صَباً أَوْ تَيْمَمَ^(٦) مُصْعِداً لربِ قَدِيمِ الْعَهْدِ يَنْتَكِفُ^(٧) الْأَثَرِ
دَعَا أَهْلَهُ بِالشَّامِ بَرَقَ فَأَوْجَفُوا وَلَمْ أَرِ مَتْبوعاً أَضَرَ مِنَ الْمَطَرِ
لِتَسْتَبْدِلْنَ قُلُوباً وَعَيْنَا سِوَاهُمَا وَإِلَّا أَتَى قَصِداً حُشَاشَتَكَ^(٨) الْقَدَرِ
خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا أَوْ رَأَيْتُمَا هَلِ اشْتِاقَ مَضْرُورٍ إِلَى مَنْ بِهِ أَضَرَ
نَعَمْ رُبَّمَا كَانَ الشَّقَاءُ مَتِيحاً^(٩) يُغْطِي عَلَى سَمْعِ ابْنِ آدَمَ وَالْبَصَرِ

[الطويل]

قال: فانصرف به [أبو عبيدة] إلى منزله، وأطعمه وكساه وحمله^(١٠)، وانصرف وهو يقول:

أَصَابَ دَوَاءَ عَلَّتِكَ الطَّبِيبُ وَخَاضَ^(١١) لَكَ السُّلُوءَ ابْنَ الرَّبِيبِ^(١٢)

- (١) الهُتَرُ، بالضم: ذهابُ العقل من كِبَرٍ أو مرضٍ أو حُزنٍ، عن ابن الأعرابي، وقد أهِتَرَ الرجلُ فهو مُهْتَرٌ، بفتح التاء: فَقَدَ عَقْلَهُ من أحدِ هذه الأشياءِ.
- (٢) ويقال: أَتْرَلْنِي فلان، وأثواني ثواء حسناً. وربُّ البيت: أبو مثواه. وربة البيت: أم مثواه. قال: والثوي: بيت في جوف بيت. وقال آخر: والثوي: البيت المهيأ للضيف. والثوي: الضيف نفسه.
- (٣) عبود: جبل بين السيلة وملل.
- (٤) عدنة: ثنية قرب ملل.
- (٥) أَفْرَعَ فِي الْجَبَلِ: انْحَدَرَ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ: لَقِيتُ فُلَاناً فَارِعاً مُفْرِعاً، يَقُولُ: أَحَدُنَا مُضْعِدٌ، وَالْآخَرُ مُنْحَدِرٌ، هَكَذَا فِي نُسْخِ الصَّحَاحِ.
- (٦) تَيْمَمٌ: يَمُمُّهُ: قَصَدْتُهُ. وَتَيْمَمْتُهُ: تَقَصَّدْتُهُ. وَتَيْمَمْتُ الصَّعِيدَ لِلصَّلَاةِ، وَأَصْلُهُ التَّعَمُّدُ وَالتَّوَحُّي.
- (٧) نَكَفْتُ أَثَرَهُ نَكْفًا وَانْتَكَمْتُهُ، وَذَلِكَ إِذَا عَلَا ظَلْفًا مِنَ الْأَرْضِ لَا يُؤْدِي أَثَرًا فَاعْتَرَضْتَهُ فِي مَكَانٍ سَهْلٍ. وَنَكَفْتُ مِنَ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِالْكَسْرِ نَكْفًا، أَيْ اسْتَنْكَفْتُ مِنْهُ.
- (٨) الحشاشة: رَمَقُ بَقِيَّةِ حَيَاةٍ.
- (٩) تَيْحٌ: أَتَاهُ اللَّهُ لِفُلَانٍ مَنْ أَتَقَدَّهُ، وَتَاحَ لَهُ أَيْضًا. وَأَتَيْحَ الشَّيْءُ: هَيَّأَ لَهُ. وَرَجُلٌ مَتِيحٌ: لَا يَزَالُ يَقَعُ فِي بَلِيَّةٍ، وَقَلْبٌ مَتِيحٌ، وَرِجَالٌ مَتَائِحُ. وَرَجُلٌ تَيْحَانٌ: أَيْ يَقَعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَابْنُ التَّيْحَانِ مُسْتَقْتُ مِنْهُ.
- (١٠) حملة: أَتَى لَهُ بِمَا يَرْكَبُهُ فِي السَّفَرِ.
- (١١) خَاضَ الْمَاءَ يَخْوضُهُ خَوْضًا وَخِيَاضًا، بِالْكَسْرِ: «دَخَلَهُ» وَمَشَى فِيهِ، وَخَاضَ «الشَّرَابَ» فِي الْمَجْدَحِ: «خَلَطَهُ» وَحَرَكُهُ.
- (١٢) يريد به ابن الربيب أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة.

وَأَبْصَرَ مِنْ رُقَاكَ مَنْقُشَاتٍ^(١) وَدَاوُكُ كَانَ أَعْرَفَ بِالطَّبِيبِ
[الوافر]

[نصيب ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ذات يوم، فأنشده قصيدة امتدحه بها، فطُربَ لها يزيد واستحسنها، فقال له: أحسنت يا نصيب! سلني ما شئت؟ فقال: يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة! فأمر به فملئ فمه جوهراً، فلم يزل به غنياً حتى مات.

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا أبو غزية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال:

دخل نصيب على إبراهيم بن هشام وهو وال على المدينة، فأنشده قوله:

يَا بَنَ الْهَشَامِينَ^(٢) لَا بَيْتَ كَبَيْتِكُمْ إِذَا تَسَامَتْ إِلَى أَحْسَابِهَا مُضَرٌّ
[البيسط]

فقال له إبراهيم: قم يا أبا محجن إلى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحليها، فقام إليها نصيب متباطئاً والناس يقولون: ما رأينا عطيةً هنا من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل! فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال: واللّه إنكم قلماً صاحبتم الكرام! وما راحلةً ورحلٌ حتى ترفعوهما فوق قدرهما!

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحرمي وعيسى بن الحسين قالوا: حدثنا الزبير عن عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال: استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة نصيباً ألا يكون جاءه وافداً عليه مادحاً له ووجد^(٣) عليه، وكان نصيب مريضاً، فبلغه ذلك حين برأ، فقدم عليه، وعليه أثر المرض،

(١) «نَفَتْ يَنْفُتُ»، بِالضَّمِّ، «وَيَنْفُتُ»، بِالْكَسْرِ، نَفْتًا وَنَفْتَانًا، مُحَرَّكَةٌ، «وَهُوَ كَالنَّفْخِ» مَعَ رِيْقٍ، كَذَا فِي الْكَشَافِ. وَفِي النَّشْرِ: النَّفْتُ: شِبْهُ النَّفْخِ يَكُونُ فِي الرُّقِيَّةِ وَلَا رِيْقَ مَعَهُ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ رِيْقٌ فَهُوَ التَّقْلُ، وَهُوَ الْأَصَحُّ، كَذَا فِي الْعِنَايَةِ.

(٢) يَرِيدُ بِالْهَشَامِينَ هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَبَاهُ وَهَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيَّ جَدَّ أَبِيهِ لِأُمِّهِ.

(٣) وَجَدَ عَلَيْهِ: غَضِبَ.

وعلى راحلته أثر النصب، فأشده قصيدته التي يقول فيها:

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ فُرَيْشُ لِبَيْتِهِ
لَئِنْ كُنْتُ طَالَتْ غَيْبَتِي عَنْكَ إِنِّي
وَلَكِنِّي قَدْ طَالَ سُقْمِي وَأَكْثَرْتُ
صَرِيْعُ فِرَاشٍ لَا يَزِلْنَ يُقْلَنَ لِي
فَلَمَّا زَجَرْتُ الْعَيْسَ أَسْرَتِ بِحَاجَتِي
وَإِنِّي فَلَا تَسْتَبْطِنِي ^(٣) بِمَوَدَّتِي
فَلَا تُقْصِنِي حَتَّى أَكُونَ بِصَرْعَةٍ ^(٤)
أَنْلِنِي وَقَرَّبَنِي فَإِنِّي بِالْعُ
أَبْتُ نَائِمًا أَمَّا فُؤَادِي فَهَمُّهُ
وَقَدْ كَانَ لِي مِنْكُمْ إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ
إِلَيْكَ رَحَلْتُ الْعَيْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا
وَحَتَّى هَوَادِيهَا ^(٧) دِقَاقٌ وَشَكُوها
وَحَتَّى وَتَ ذَاتِ الْمِرَاحِ ^(١١) فَأَذَعَنْتُ

وَأَهَدْتُ لَهُ بُدْنًا ^(١) عَلَيْهَا الْقَلَائِدُ
بِمَبْلَغِ حَوْلِي فِي رِضَاكَ لَجَاهِدِ
عَلَيَّ الْعِهَادِ ^(٢) الْمَشْفِقَاتِ الْعَوَائِدِ
بِنُصْحٍ وَإِشْفَاقٍ مَتَى أَنْتَ قَاعِدِ
إِلَيْكَ وَذَلْتُ لِلَّسَانِ الْقَصَائِدِ
وَنُصْحِي وَإِشْفَاقِي إِلَيْكَ لِعَامِدِ
فَيَأْسَ ذُو قُرْبَى وَيَشْمَتَ حَاسِدُ
رِضَاكَ بِعَفْوٍ مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدِ
قَلِيلٌ وَأَمَّا مَسُّ جِلْدِي فَبَارِدِ
لِيَانٌ ^(٥) وَمَعْرُوفٌ وَلِلْخَيْرِ قَائِدِ
قِسْيُ الشَّرَى ذَبْلَى بَرْتَهَا الطَّرَائِدِ ^(٦)
صَرِيفٌ ^(٨) وَبَاقِي النَّقْيِ ^(٩) مِنْهَا شَرَائِدِ ^(١٠)
إِلَيْكَ وَكُلَّ الرَّاسِمَاتِ ^(١٢) الْحَوَافِدِ ^(١٣)
[الطويل]

- (١) قال الليث وغيره: البدنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والعيير الذكر مما يجوز في الهدى، والأضاحي، ولا تقع على الشاة، سميت بدنة لعظمها، وجمع البدنة البدن.
- (٢) العهدة بفتح العين: أول مطر، وجمعها العهاد. والولي: الذي يليها من الأمطار، أي يتصل بها من الأمطار. قال: والعهد: ما عهده فتأفنته.
- (٣) لا تستبطني: لا تستبطني.
- (٤) بصرعة: أي حتى يحل بي الموت.
- (٥) الليان: نعمة العيش ورغده.
- (٦) الطرائد: جمع الطريدة: وهي القصة التي فيها حزة فتوضع على المغازل والعود فتنتح عليها.
- (٧) هواديها: أعناقها.
- (٨) الصريف: صرير الأنياب.
- (٩) النقي: مخ العظم.
- (١٠) الشرائد جمع الشريد: البقية من الشيء. ويقال: في إداوتهم شريد من ماء، أي بقية. وأبقت السنه عليهم شرايد من أموالهم، أي بقايا، فيما أن يكون شرايد جمع شريد، على غير قياس، وإما أن يكون شريد لغة في شريد، كما في اللسان.
- (١١) المراح: النشاط.
- (١٢) الراسمات من رسم، يقال: ناقة رسوم ترسم رسماً أي تؤثر في الأرض من شدة وطئها.
- (١٣) الحوافد: المسرعات.

قال: فرق له هشام وبكى، قال له: ويحك يا نصيب! لقد أضربنا بك وبرواحلك، ووصله وأحسن صلته واحتفل به.

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه عن أيوب بن عباية قال: قَدِمَ نصيبٌ على عبد الواحد النصري وهو أمير المدينة بفرض من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمرة، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غلمة لم يحتلموا، فردَّهم النصري. فكلَّمه نصيبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مطيع: أن اسكت وكفّ واخرج، فإني كافيك، فلما خرج إبراهيم لقيه نصيب، فقال له: أشرت إليّ فكرهت أن أغضبك، فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائي المُستعَب من أمير المؤمنين؟ فقال إبراهيم: هو رجلٌ عربي حديدٌ غليظٌ^(١)، وخشيت إن جاذبته شيئاً ألا يرجع عنه وأن يمضي عليه ويلجّ فيه، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان، فأردت أن تخرج قبل أن يلجّ ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضي عليه ويلجّ فيه، فتتظر لتصادف منه طيب نفس فتكلّمه وتُرفدك^(٢) عنده، فقال نصيب:

يَوْمَانِ يَوْمٌ لَزْرِيْقٍ فَسَلُّ وَيَوْمُهُ الْآخِرُ سَمَحٌ فَضَلُّ
[السريع]

أنا - جعلت فداك - فاعلٌ ذلك، فإذا رأيت القول فأشر إليّ حتى أكلمه، قال: ودخل إليه نصيب عشيات، كل ذلك يشير إليه ابن مطيع ألا يكلمه، حتى صادف عشيةً من العشيات منه طيب نفس، فأشار إليه: أن كلّمه، فكلّمه نصيبٌ فأصاب مختله بكلامه، ثم قال: إني قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه، ثم قال:

أَهَاجُ الْبَكَارِجَ بِأَسْفَلِ ذِي السُّدُرِ عَفَاهُ اخْتِلَافُ الْعَصْرِ بَعْدَكَ وَالْقَطَرِ
نَعَمْ فَثَنَانِي الْوَجْدَ فَاشْتَقْتُ لِلَّذِي ذَكَرْتُ وَلَيْسَ الشُّوقُ إِلَّا مَعَ الذِّكْرِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْمَوْضِعَيْنِ^(٣) لِرَبِّهِمْ وَحُرْمَةِ مَا بَيْنَ الْمَقَامِ إِلَى الْحَجَرِ
لَئِنْ حَاجَتِي يَوْمًا قَضَيْتُ وَرَشْتَنِي بِنَفْحَةِ عُرفٍ مِنْ يَدَيْكَ أَبَا بَشَرٍ
إِذَا تَعَرَّفَنَ الدَّهْرُ مِنِّي مَوْدَّةً وَنُصْحًا عَلَى نُصْحٍ وَشُكْرًا عَلَى شُكْرِ

(١) الغلق: الضيق الخلق العسير الرضا.

(٢) نرفده: نعينه ونساعده.

(٣) الموضعين: المسرعين في السير، ومن الإيضاع هو سير مثل الخب.

سَقَى اللَّهُ صَوْتَ الْمُزْنِ أَرْضاً عَمَرْتَهَا
بِوَجْهِكَ فَاسْتُعْمِلْتَ مَا دُمْتَ خَائِفاً
لِتَنْقِذَ أَصْحَابِي وَتَسْتُرَ عَوْرَةً
فَمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الَّتِي
وَقَدْ خَرَجْتَ مِنْهُ إِلَيْكَ فَلَا تَكُنْ
بَرِيٍّ وَأَسْقَاهَا بِلَادَ بَنِي نَصْرٍ
لِرَبِّكَ تَقْضِي رَاشِداً آخِرَ الدَّهْرِ
بَدَتْ لَكَ مِنْ صَحْبِي فَإِنَّكَ ذُو سَتَرٍ
سَأَلْتُ فَأَعْطَانِي لِقَومِي مِنْ فَقْرٍ
بِمَوْضِعِ بِيضَاتِ الْأَنْوَقِ^(١) مِنَ الْوَكْرِ
[الطويل]

قال: فقال عثمان بن حيان المُرِّي وهو عنده - وكان قد جاءه بالقود من ابن حزم - : قد احتلم الآن القوم أيها الأمير، واستوجبوا الفرض^(٢) ورفده ابن مطيع فأحسن، واشتد عليه أن شرکه ابن حيان في رِفده وتشيعه، وقال النصري لابن مطيع وابن حيان: صدقتما قد احتلما واستوجبوا الفرض، افرض لهما يا فلان - لكاتب من كتابه - ففرض لهما.

[عشقه أمة لبني مدلج وشعره فيها]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني جعفر بن علي الشكري قال: حدثني الرياشي عن العتبي قال: دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان، فقال له عبد العزيز، وقد طال الحديث بينهما: هل عشقت قط؟ قال: نعم، أمة لبني مدلج. قال: فكنت تصنع ماذا؟ قال: كانوا يحرسونها مني، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجبي، وفيها أقول:

وَقَفْتُ لَهَا كَيْمَا تَمَرَّ لَعَلَّنِي
وَلَمَّا رَأَتْني وَالْوُشَاةَ تَحَدَّرَتْ
مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ مَا كُنْتُ أَشْتَرِي
أَخَالِسُهَا التَّسْلِيمَ إِنْ لَمْ تُسَلِّمْ
مَدَامُعُهَا خَوْفاً وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
جَمِيعَ حَيَاةِ الْعَاشِقِينَ بِدَرَاهِمِ
[الطويل]

فقال عبد العزيز: ويحك! فما فعلت؟ قال: بيعت فأولدها سيدها، قال: فهل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم، عقابيل^(٣) أحزان.

(١) الْأَنْوَقُ عَلَى فَعُولٍ: الرَّخْمَةُ، وَقِيلَ: ذَكَرَ الرَّحْمَ.

(٢) فَرَضٌ: رِسْمٌ شَيْئاً وَأَثْبَتَ رِزْقَهُ فِيهِ.

(٣) عَقَابِيلُ أَحْزَانٍ: الْعَقَابِيلُ: بَقَايَا الْعِلَّةِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْعِشْقِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ عَلَى الشَّفَتَيْنِ غِبَّ الْحُمَى، الْوَاحِدَةُ مِنْهُمَا جَمِيعاً عَقْبُولَةٌ وَعُقْبُولٌ، وَالْجَمْعُ الْعَقَابِيلُ؛ قَالَ رُؤْبَةُ: مَنْ وَرَدَ حُمَى أَسَاوَرَتْ عَقَابِلًا أَيْ أَبْقَتْ؛ وَالْعَقَابِيلُ: الشَّدَائِدُ مِنَ الْأُمُورِ. وَالْعَقَابِيلُ: بَقَايَا الْمَرَضِ وَالْحُبِّ.

[عبد العزيز يحمل ديناً عن نصيب]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي: أن إبلاً لنصيب أجذبت وحالت، وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم، قال: فأخبرني أبي وعمي أنه وفد على عبد العزيز بن مروان، فقال له: جعلني الله فداك! إني حملت ديناً في إبل ابتعتها مجذباتٍ حيال، وقد قلت فيها شعراً، قال: أنشده، فأنشده:

فَلَمَّا حَمَلْتُ الدِّينَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ حَيَالاً مُسِنَّاتِ الْهَوَى^(١) كِدْتُ أَنْدَمَ
عَلَى حِينَ أَنْ رَأْتُ^(٢) الرَّبِيعَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِصَعِيدٍ مِنْ تِهَامَةٍ مَقْضَمَ
ثَمَانِيَةٍ لِأَسْلَمِيٍّ وَمَا دَنَا لِفُحْشٍ وَلَا تَدْنُو إِلَى الْفُحْشِ أَسْلَمَ
[الطويل]

فقال له عبد العزيز: فما دينك؟ ويحك! قال: ثمانية آلاف، فأمر له بثمانية آلاف درهم، فلما رجع أنشد الأسلمي الشعر فترك ماله عليه، قال: الثمانية الآلاف لك.

[نصيب والنسوة الثلاث في المسجد الحرام]

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني الموصلي عن ابن أبي عبيدة قال: أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلاً، فبينما هو كذلك إذ طلع نسوة فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء، وإذا هنَّ من أفصح النساء وأدبهن، فقالت إحداهن: قاتل الله جميلاً^(٣) حيث يقول:

وَبَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ ذَكَرْتُكُمْ بِمُخْتَلِفِ النَّاسِ سَاعَ وَمَوْجِفُ
وَعِنْدَ طَوَافِي قَدْ ذَكَرْتُكِ مَرَّةً هِيَ الْمَوْتُ بَلْ كَادَتْ عَلَى الْمَوْتِ تَضَعُفُ
[الطويل]

فقالت الأخرى: بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول:

(١) مسنات الهوى: كبرت بالعمر ولم يعد يرغب بها أحد.

(٢) رأت: أبطأ وتأخر.

(٣) المقصود هنا جميل بئينة، وهو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو. شاعر من عشاق العرب، افتتن ببشينة من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة، ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلاً ومات فيه سنة ٨٢هـ.

طَلَعْنَ عَلَيْنَا بَيْنَ مَرَوَةٍ فَالْصَّفَا يَمُرْنَ^(١) عَلَى الْبَطْحَاءِ مَوْرَ السَّحَائِبِ
فَكِدْنَ لَعَمْرُ اللَّهِ يُحْدِثْنَ فِتْنَةً لِمُخْتَشِعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَائِبٍ
[الطويل]

فقلت الأخرى: قاتل الله ابن الزانية نصيباً حيث يقول:

أَلَا أَمْ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أَسْتَطِيعُهَا وَحُرْمَةً مَا بَيْنَ الْبَنِيَّةِ وَالسُّتْرِ
لَمَلْتُ عَلَى لَيْلَى بِنَفْسِي مِيلَةً وَلَوْ كَانَ فِي يَوْمِ التَّحَالُقِ وَالنَّحْرِ
[الطويل]

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلم عليهنّ، فرددن عليه السلام. فقال لهنّ: إني رأيتكنّ تتحدثن شيئاً عندي منه علمٌ، فقلن: ومن أنت؟ فقال: اسمعن أولاً. فقلن: هات، فأنشدهنّ قصيدته التي أولها:

وَيَوْمَ ذِي سَلَمٍ شَاقَّتْكَ نَائِحَةٌ وَرَقَاءَ فِي فَنَنِ وَالرَّيْحِ تَضْطَرُّ
[البسيط]

فقلن له: نسألك بالله وبحق هذه البنيّة، من أنت؟ فقال: أنا ابن المظلومة المقدوفة بغير جرم «نصيب». فقمّن إليه فسلمن عليه ورَحَبْنَ به، واعتذرت إليه القائلة، وقالت: واللّه ما أردت سوءاً، وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعت، فضحك وجلس إليهنّ فحدثهنّ إلى أن انصرفن.

(١) يمرن: يتميلن ذهاباً وإياباً.

أخبار ابن محرز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسلم بن مُحَرز فيما روى ابن المكي، ويُكنى أبا الخطّاب، مولى بني عبد الدّار بن قصيّ، وقال ابن الكلبي: اسمه سلّم، قال: ويقال: اسمه عبد الله، وكان أبوه من سدنة^(١) الكعبة، أصله من الفرس، وكان أصفر أحنى^(٢) طويلاً.

[صنّاج العرب]

وأخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال: اسم ابن محرز سلم، وهو مولى بني مخزوم؛ وذكر إسحاق أنه كان يسكن المدينة مرةً ومكة مرةً، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزّة الميلاء، ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر، ثم شخص^(٣) إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم، ثم صار إلى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك ما لا يُستحسن من نغم الفريقين، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنّعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يُسمع مثله، وكان يقال له صنّاج^(٤) العرب.

(١) السّدين، كأمير: الشّحم، والدّم، والصّوف، والسّتر، كالسدان والسّدين، محرّكة. وسدّن سدنًا وسدّانة: خدّم الكعبة، أو بيت الصّنم، وعمل الحجابة، فهو سادّ ج: سدّنة. وسدّن ثوبه يسدّنه ويسدّنه: أرسله.

(٢) حنا: الحنيّة القوس، وحنيّت ظهري وحنيّت العود عطفته وبابه رمى وحنّوته أيضاً من باب عدا ورجل أحنى الظهر وامرأة حنياء وحنّاء أي في ظهرها احديداب

(٣) شخص: الشين والخاء والصاد أصل واحد يدلّ على ارتفاع في شيء. من ذلك الشّخص، وهو سواد الإنسان إذا سما لك من بُعد، ثم يحمل على ذلك فيقال شخّص من بلد إلى بلد أي ذهب، وذلك قياسه؛ ومنه أيضاً شخوص البصر، ويقال: رجل شخيص وامرأة شخيصة، أي جسيمة.

(٤) صنّج: الصنّج العربيّ: هو الذي يكون في الدفوف ونحوه، عربيّ؛ فأما الصنّج ذو الأوتار فدخيل معرب، تختص به العجم وقد تكلمت به العرب، الصنّج الذي تعرفه العرب هو الذي يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر. ابن الأعرابي: الصنّج السّيرى، وقال غيره: الصنّج ذو الأوتار الذي يلعب به، واللّاعب به يقال له: الصنّاج والصنّاجة. وكان أعشى بكر يُسمّى صنّاجة العرب لجودته شِعْره.

[ابن محرز أول من غنى الرمل]

أخبرني عمي قال: حدثني أبو أيوب المديني عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال أبي: أول من غنى الرمل ابن محرز وما غني قبله، فقلت له: ولا بالفارسية؟ قال: ولا بالفارسية، وأول من غنى رملاً بالفارسية سلمك في أيام الرشيد، استحسناً لحناً من ألحان ابن محرز، فنقل لحنه إلى الفارسية وغنى فيه.

[سبب خمول ذكره]

قال أبو أيوب وقال إسحاق: كان ابن محرز قليل الملبسة للناس، فأخمل ذلك ذكره فما يذكر منه إلا غناؤه، وأخذت أكثر غنائه جارية كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه، فأخذته الناس عنها. ومات بداءً كان به، وسقط إلى فارس فأخذ غناء الفرس، وإلى الشام فأخذ غناء الروم، فتخير من نغمهم ما تغنى به غناءه. وكان يقدم بما يصيبه فيدفعه إلى صديقه ذاك فينفقه كيف شاء، لا يسأله عن شيء منه، حتى إذا كاد أن ينفد جهزه وأصلح من أمره، وقال له: إذا شئت فارحل، فيرحل ثم يعود، فلم يزل كذلك حتى مات.

[قدوة المغنين]

قال: وهو أول من غنى بزواج من الشعر، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به، وكان يقول: الأفراد لا تتمُّ بها الألحان. وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح. قال إسحاق: وكانت العلة التي مات بها الجذام، فلم يعاشر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك.

قال أبو أيوب: قال إسحاق: قدم ابن محرز يريد العراق، فلما نزل القادسية^(١) لقيه حنين، فقال له: كم متت نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار، قال: فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف واحلف ألا تعود.

(١) القادسية: قال أبو عمرو: القادس: السفينة العظيمة؛ قال المنجمون: طول القادسية تسع وستون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثا درجة، ساعات النهار بها أربع عشرة ساعة وثلثان، وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، قيل: سميت القادسية بقادس هراة، وقال المديني: كانت القادسية تسمى قديساً، وروى ابن عيينة قال: مرَّ إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال: قُدِّست من أرض، فسميت القادسية، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في سنة ١٦ من الهجرة.

[علو كعبه في صنعة الغناء]

وقال إسحاق: وقلت ليونس: من أحسن الناس غناء؟ قال: ابن محرز، قلت: وكيف قلت ذاك؟ قال: إن شئت فسرت، وإن شئت أجملت، قلت: أجمل، قال: كأنه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ، فهو يغني لكلِّ إنسان بما يشتهي. وهذه الحكاية بعينها قد حُكِيت في ابن سريج، ولا أدري أيُّهما الحق.

قال إسحاق: وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعض من يُبصر الغناء: من أحسن الناس غناء؟ فقال: أمن الرجال أم من النساء؟ فقلت: من الرجال، فقال: ابن محرز، فقلت: فمن النساء؟ فقال: ابن سريج. قال: وكان إسحاق يقول: الفحول ابن سريج، ثم ابن محرز، ثم معبد ثم الغريض، ثم مالك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي حدثنا بعض أهل المدينة، وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال:

كان ابن محرز أحسن الناس غناءً، فمرَّ بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان بن أمية بن مُحرث الكناني حليف قريش، فسألته أن يجلس لها ولصواحب لها، ففعل وقال: أغنيكن صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أغنيه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذ أمير مكة؟ قلن: نعم، فغناهن:

صوت

فَوَدِدْتُ إِذْ شَحَطُوا وَشَطَّتْ دَارُهُمْ وَعَدْتُهُمْ عَنَّا عَوَادٍ تَشْغَلُ
أَنَا نَطَاعَ وَأَنْ تُنْقَلْ أَرْضُنَا أَوْ أَنْ أَرْضَهُمْ إِلَيْنَا تُنْقَلْ
لَتَرَدَّ مِنْ كَثْبٍ إِلَيْكَ رَسَائِلِي بِجَوَابِهَا وَيَعُودُ ذَاكَ الْمُرْسَلُ
[الكامل]

عروضه من الكامل. الغناء في هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى البنصر، ذكر عمرو بن بانه أنه لابن محرز، وذكر إسحاق أنه لابن سريج.

[ابن محرز وحنين الحيري]

وقال أبو أيوب المديني في خبره: بلغني أن ابن محرز لما شخص يريد العراق لقيه حنين فقال له: غني صوتاً من غنائك. فغناه:

صوت

وَحُسْنُ الزَّبْرَجِدِ^(١) فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْثِ^(٢) زَانَ الْعُقُودَا
يُفْصِّلُ يَأْقُوتُهُ دُرَّةً وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدَا^(٣)

[المتقارب]

عروضه من المتقارب. الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر - قال: فقال له حنين حينئذ: كم أمّلت من العراق؟ قال: ألف دينار، فقال له: هذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف. ولما شاع ما فعل لأمه أصحابه عليه؛ فقال: والله لو دخل العراق لما كان لي معه فيه خبزٌ آكله، ولا طرحتُ وسقطت إلى آخر الدهر، وهذا الصوت أعني:

وَحُسْنُ الزَّبْرَجِدِ فِي نَظْمِهِ

من صدور أغاني ابن محرز وأوائلها وما لا يتعلق بمذهبه فيه ولا يتشبه به أحد.

ومما يغنى فيه من قصيدة نصيب التي أولها:

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزَلِ الْمُتَقَادِمِ^(٤)

[الطويل]

صوت

لَقَدْ رَاعَنِي لِلْبَيْنِ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنِ بَانٍ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أُمَامٍ بَكِينِ فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجَوْهُنَّ فِدَائِمُ

[الطويل]

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكي، وهو ثاني ثقيل بالبنصر، وهو من جيد الألحان وحسن الأغاني، وهو مما عارض ابن سريج فيه ابن محرز وانتصف منه.

(١) الزَّبْرَجِدُ: بوزن السفرجل جوهر معروف.

(٢) الليث: صفحة العنق.

(٣) الْفَرْدُ: الوتر والجمع أفراد وفُرَادَى بالضم على غير قياس كأنه جمع فردان والْفَرِيدُ الدر إذا نظم وفصل بغيره، وقيل: فَرَائِدُ الدر كبارها. ويقال: جاءوا فُرَاداً وفُرَادَى منونا وغير منون أي واحداً واحداً، وفَرَدَ بمعنى انفرد يَفْرُدُ بالضم فَرَادَةً بالفتح وَتَفَرَّدَ بكذا واستَفَرَّدَهُ انفرد به

(٤) البيت لنصيب بن رباح.

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت

إِلَى جَيْدَاءٍ^(١) قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيُخْبِرَهَا فَلَا ضُحْبَ الرَّسُولُ
كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُولُ^(٢)
[الوافر]

الشعر للعرجي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ولحنه المختار ماخوري بالوسطى وهو من خفيف الثقل الثاني على مذهب إسحاق، وفيه لابن سريج ثاني ثقل بالسبابة في مجرى البنصر، وذكر عمرو بن بانة أن الماخوري لابن سريج.

(١) الجَيْدُ، بالكسر: العُنُقُ، أو مُقْلَدُهُ، أو مُقَدَّمُهُ، ج: أَجْيَادٌ وَجُيُودٌ، وبالتحريك: طُولُهَا، أو دَقَّتُهَا مع طُولٍ، وهو أَجِيدٌ، وهي جَيْدَاءٌ وَجَيْدَانَةٌ.

(٢) الشُّكُولُ: جمع شكل.

أخبار العرجي ونسبه

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وقد شُرح هذا النسب في نسب أبي قطيفة. وأم عفان وجميع بني أبي العاص آمنة بنت عبد العزى بن حريث بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب. وأم عثمان أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب - أبي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم، لأمه [وأبيه] ولدا في بطن واحد. وأم عمرو بن عثمان أم أبان بنت جُندب الدوسية.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن صالح عن يعقوب بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: حدثني محرز بن جعفر عن أبيه عن جده قال: قدم جُندب بن عمرو بن حممة الدوسية المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطاب، ثم مضى إلى الشام وخلف ابنته أم أبان عند عمر، وقال له: يا أمير المؤمنين، إن وجدت لها كفوءاً فزوجه بها ولو بشراك^(١) نعله، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسَّراة^(٢)، فكانت عند عمر، واستشهد أبوها، فكانت تدعو عمر أباهاً ويدعوها ابنته.

قال: فإن عمر على المنبر يوماً يكلم الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها، فقال: من له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حممة، وليعلم امرؤ من هو! فقام عثمان فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: أنت لعمر الله! كم سقت إليها؟ قال: كذا وكذا، قال: قد زوجتكها، فعجله؛ فإنها مُعدة.

قال: ونزل عن المنبر، فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها، فأخذه عمر في رُده فدخل به عليها، فقال: يا بنية، مدي حجرك، ففتحت حجرها، فألقى فيه المال، ثم

(١) الشُّراك: سيرُ النُّعل، وشرك النعل: سيرها الذي على ظهر القدم.

(٢) السَّراة: أعلى كل شيء، يقال سَراة النَّهار: ارتفاعه. وسَرَو الأرض: ما انحدر من حُزونة الجبل.

قال: يا بنية، قولي: اللهم بارك لي فيه، فقالت: اللهم بارك لي فيه، وما هذا يا أبتاه؟ قال: مهرُك، فنفحت به^(١) وقالت: واسوأته! فقال: احتسبي منه لنفسك ووسّعي منه لأهلك، وقال لحفصة: يا ابنتاه، أصلحي من شأنها وغيّري بدنّها^(٢) واصبغي ثوبها، ففعلت، ثم أرسل بها مع نسوة إلى عثمان، فقال عمر لما فارقت: إنها أمانة في عنقي أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان.

ولحقهن فضرب على عثمان بابه، ثم قال: خذ أهلك بارك الله لك فيهم. فدخلت على عثمان، فأقام عندهما مقاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجة، فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له: يا أبا عبد الله، لقد أقمت عند أهل الدّوسية مقاماً ما كنت تقيمه عند النساء، فقال: أما إنه ما بقيت خصلة كنت أحب أن تكون في امرأة إلا صادفتها فيها ما خلا خصلة واحدة، قال: وما هي؟ قال: إني رجل قد دخلت في السن، وحاجتي في النساء الولد، وأحسبها حديثاً لا ولد فيها اليوم، قال: فتبسمت، فلما خرج سعيد من عنده قال لها عثمان: ما أضحكك؟ قالت: قد سمعت قولك في الولد، وإني لمن نسوة ما دخلت امرأة منهن على سيد قط فرأت حمراء^(٣) حتى تلد سيّد من هو منه. قال: فما رأيت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان. وأم عمر بن عمرو بن عثمان وأم ولد. وأم العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان؛ وقال إسحاق: بنت سعيد بن عثمان، وهي لأم ولد.

[سبب تلقبه بالعرجي]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي: أنه إنّما لُقّب العرجي لأنّه كان يسكن عَرَجَ^(٤) الطائف، وقيل: بل سُمّي بذلك لماء كان له ومال عليه بالعرج.

(١) نفحت به: رمت به وردته.

(٢) البدن: شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط، قصير الكمين.

(٣) حمراء: تكني بهذا القول عن الحيض.

(٤) العَرَجُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وجيم؛ قال أبو زيد: العرج الكبير من الإبل، وقال أبو حاتم: إذا جاوزت الإبل المائتين وقاربت الألف فهي عَرَجٌ وعروج وأعراج، وقال ابن السكيت: العرج من الإبل نحو من الثمانين؛ وقال ابن الكلبي: لما رجع تُبّع من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دوابّ تعرج فسمّاها العرج، وقيل لكثير: لم سميت العَرَجُ عرجاً؟ قال: يعرج به عن الطريق: وهي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر وهو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهي أول تهامة، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً، وهي في بلاد هذيل.

[تشبهه بابن أبي ربيعة]

وكان من شعراء قريش، ومن شهر بالغزل منها، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد، وكان مشغوفاً باللّهُو والصيد حريصاً عليهما قليل المحاشاة^(١) لأحد فيهما، ولم يكن له نباهة في أهله، وكان أشقر أزرق جميل الوجه. وجيداء التي شبب بها هي أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضربه له، حتى مات في السجن.

وأخبرني محمد بن مزيد إجازة عن حماد بن إسحاق فذكر أن حماداً حدثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه: أن العرجي كان أزرق كوسجاً^(٢) ناتئ الحنجرة، وكان صاحب غزل وفُتوة، وكان يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج؛ فقليل له العرجي ونُسب إلى ماله، وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم، وكان له معه بلاء ونفقة كثيرة.

قال إسحاق: قد ذَكَرَ عُبَيْة بن إبراهيم اللّهُبي: أن العرجي فيما بلغه باع أموالاً عظماً كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفذ ذلك كله، وكان قد اتخذ غلامين، فإذا كان الليل نصب قدره وقام الغلامان يُوقدان، فإذا نام واحد قام الآخر، فلا يزالان كذلك حتى يُصبحا، يقول: لعل طارقاً يطرق.

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثني مصعب، وأخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه مصعب، وعن محمد بن الضحاك بن عثمان عن أبيه قال: دخل حديث بعضهم في بعض.

[العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة]

وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال: كانت حبشية من مولدات مكة ظريفة صارت إلى المدينة، فلما أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتدَّ جَزَعُها وجعلت تبكي وتقول: مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونُزْهها ووصف نساءها وحسنهنَّ وجمالهنَّ ووصف ما فيها! فقليل لها: حَفْضي عليك؛ فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه، فقالت: أنشدوني من شعره، فأنشدوها؛ فمسحت عينها وضحكت، وقالت: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

(١) المحاشاة: أي قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما.

(٢) الكوسج: الذي لا لحية له أصلاً، أو الخفيف شعر اللحية أو الخفيف شعر العارضين.

[العرجي وكلاية مولاة العبلي]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب، وأخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللّهي: أن مولاةً لثقيف يقال لها كلاية كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العبلي، وكان يبلغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لهنّ في شعره، وكانت كلاية تكثر أن تقول: لشدّ ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهنّ في شعره! ولعمري ما لقي أحداً فيه خير، ولئن لقيته لأسودّد وجهه! فبلغه ذلك عنها. قال إسحاق في خبره: وكان العبلي نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكة، والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف، فبلغ العرجي أنه خرج إلى مكة، فأتى قصره فأطاف به، فخرجت إليه كلاية وكان خلّفها في أهلها، فصاحت به: إليك، ويلك! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر، فاستسقاها ماءً فأبت أن تسقيه، وقالت: لا يوجد واللّهِ أثرك عندي أبداً فيلصق بي منك شرٌّ، فانصرف وقال: ستعلمين! وقال:

صوت

حُورٌ بَعَثْنَ رَسُولاً فِي مُلَاطَفَةٍ ثَقُفًا^(١) إِذَا عَفَلَ النِّسَاءُ^(٢) الْوَهْمُ^(٣)
إِلَيَّ أَنْ إِيْتِنَا هُدًى^(٤) إِذَا عَفَلْتَ أَحْرَاسُنَا وَافْتَضَحْنَا إِنْ هُمْ عَلِمُوا
فَجِئْتُ أَمْشِي عَلَى هَوْلٍ أَجْشَمُهُ^(٥) تَجَشَّمُ الْمَرْءَ هَوَلاً فِي الْهَوَى كَرُمُ

(١) ثَقُفٌ: بالفتح ثم السكون؛ رجل ثَقُفٌ أي حاذق: وهو موضع في قول الحُصَيْن بن الحُمَام المُرِّي:

فإِنْ دِيَارَكُمْ بِجَنُوبِ بُسْ لِي ثَقُفٌ إِلَى ذَاتِ الْعَظُومِ

(٢) النساء: صيغة مبالغة في الناسي، والتاء فيه للمبالغة.

(٣) الوهم: وهم: الوهم: من خَطَرَاتِ الْقَلْبِ، والجمع أَوْهَامٌ، ولِلْقَلْبِ وَهْمٌ. وَتَوَهَّمَ الشَّيْءَ: تَخَيَّلَهُ وَتَمَثَّلَهُ، كَانَ فِي الْوُجُودِ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَقَالَ: تَوَهَّمْتُ الشَّيْءَ وَتَفَرَّسْتُهِ وَتَوَسَّمْتُهِ وَتَبَيَّنْتُهُ

(٤) الهدى: يدلّ على السكون. وَهَذَا هُدُوءٌ، أَيْ سَكَنٌ، وَهَذَا الرَّجُلُ، إِذَا نَامَ النَّاسُ، وَأَهْدَأَتِ الْمَرْأَةُ صَبِيحَهَا بِيَدِهَا لِيَنَامَ، أَيْ سَكَنَتْهُ؛ وَمَضَى هَدْءٌ مِنَ اللَّيْلِ: بَعْدَ نَوْمَةِ أَوَّلِ مَا يَسْكُنُ النَّاسُ، وَالْهَدَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ السَّهْلِ. وَيُقَالُ الْهَدْءُ: الثَّلَاثُ الْأَوَّلُ مِنَ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ ابْتِدَاءُ سَكُونِهِ وَانْقِطَاعِ النَّاسِ عَنِ الْمَشْيِ وَالْإِخْتِلَافِ فِي الطَّرِيقِ.

(٥) جَشَمَ: الْجِيمِ وَالشِّينِ وَالْمِيمِ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَجْمُوعُ الْجِشَمِ. يُقَالُ: أَلْقَى فَلَانٌ عَلَى فَلَانٍ جِشْمَهُ، إِذَا أَلْقَى عَلَيْهِ ثِقْلَهُ، وَيُقَالُ: جِشَمَ الْبَعِيرَ صَدْرُهُ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ «جِشَمًا». فَأَمَّا قَوْلُهُمْ =

إِذَا تَخَوَّفْتُ مِنْ شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ
 أَمْشِي كَمَا حَرَكْتَ رِيحَ يَمَانِيَّةٍ
 فِي حُلَّةٍ مِنْ طِرَازِ السُّوسِ^(٢) مُشْرِبَةٍ^(٣)
 خَلَّتْ سَبِيلِي كَمَا خَلَّيْتُ ذَا عُدُرٍ^(٤)
 وَهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَالٍ وَلَيْسَ لَهُ
 حَتَّى جَلَسْتُ إِزَاءَ الْبَابِ مُكْتَتِمًا
 أَبْدِينَ لِي أَعْيُنًا نُجَلًّا كَمَا نَظَرْتُ
 قَالَتْ كِلَابَةٌ مَن هَذَا فَقُلْتُ لَهَا
 إِنِّي امْرُؤٌ جَدَّ بِي حُبٍّ فَأَحْضَرَنِي
 لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُمْ
 وَأَنْعَمِي نَعْمَةً تُجْزِي بِأَحْسَنِهَا
 سِتْرَ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا لَعَلَّهُمْ

قَدْ جَفَّ فَاْمَضَّ بِمَا قَدْ قُدِّرَ الْقَلَمُ
 عُصْنًا مِنَ الْبَانِ رَطْبًا طَلَّهُ الدَّيْمُ^(١)
 تَعَفُّوْا بِهَذَا بِهَا مَا أَثَرْتُ قَدَمُ
 إِذَا رَأَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ يَنْتَحِمُ^(٥)
 عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أَخْشَاهَا وَلَا نَدَمُ
 وَطَالِبُ الْحَاجِّ تَحْتَ اللَّيْلِ مُكْتَتِمُ
 أَدَمُ هِجَانٍ أَتَاهَا مُصْعَبٌ^(٦) قَطْمُ
 أَنَا الَّذِي أَنْتِ مِنْ أَعْدَائِهِ زَعُمُوا
 حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ
 مِنْ بُغْضِنَا أَطْعِمُوا لِحْمِي إِذَا طَعِمُوا
 فَطَالَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النُّعْمُ
 أَنْ يُحْدِثُوا تَوْبَةً فِيهَا إِذَا أَثْمُوا

= تَجَشَّمتُ الأمر، فمعناه تحملت بجشمي حتى فعلته؛ وَجَشَّمْتُ فلاناً كذا، أي كلفته أن يحمل عليه جشمه.

(١) والدَّيْمَةُ، بالكسر: مَطَرٌ يَدُومُ فِي سُكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ، أَوْ يَدُومُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، أَوْ سِتَّةً، أَوْ سَبْعَةً، أَوْ يَوْمًا وَلَيْلَةً، أَوْ أَقَلَّهُ ثُلُثُ النَّهَارِ أَوْ اللَّيْلِ، وَأَكْثَرُهُ مَا بَلَغَتْ، ج: دَيْمٌ وَدُيُومٌ. وَمَا زَالَتْ السَّمَاءُ دَوْمًا دَوْمًا وَدَيْمًا دَيْمًا: دَائِمَةُ الْمَطَرِ.

(٢) السُّوس: بضم أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة أخرى، بلفظ السوس الذي يقع في الصوف: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي، عليه السلام؛ قال حمزة: السوس تعريب الشوش، بنقط الشين، ومعناه الحسن والنزه والطيب واللطيف، بأي هذه الصفات وسمتها به جاز.

(٣) الشَّرْبَةُ: ماءٌ يَجْمَعُ حَوْلَ النَّخْلَةِ يَكُونُ مِنْهَا شُرْبُهَا، وَالْجَمْعُ شَرَبٌ، وَالْمَشْرَبَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَحَاطَ عَلَى مَشْرَبَةٍ»؛ وَالْمَشْرَبُ الْوَجْهَ الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ، وَيَكُونُ مَوْضِعًا وَيَكُونُ مَصْدَرًا. وَالشَّرِيبُ: الَّذِي يُشَارِبُكَ، وَيُقَالُ: أَشْرَبْتَنِي مَا لَمْ أَشْرَبْ، أَيْ ادَّعَيْتَ عَلَيَّ شُرْبَهُ، وَهَذَا مَثَلٌ، وَذَلِكَ إِذَا ادَّعَى عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ؛ وَمَاءُ شَرُوبٍ وَشَرِيبٍ، إِذَا صَلَحَ أَنْ يُشْرَبَ فِيهِ بَعْضُ الْكَرَاهَةِ. وَالْإِشْرَابُ: لَوْ قَدْ أَشْرَبَ مِنْ لَوْنٍ، يُقَالُ: شُرْبُهُ حُمْرَةٌ، وَيُقَالُ: أَشْرَبَ فَلَانٌ حَبًّا فَلَانٍ، إِذَا خَالَطَ قَلْبَهُ.

(٤) عُدُر: جَمْعُهُ عَدَارٌ وَهُوَ مِنَ الْفَرَسِ كَالْعَارِضِ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِنْسَانِ، ثُمَّ سُمِّيَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّجَامِ عَدَارًا بِاسْمِ مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ: عَدَارُ اللَّجَامِ السَّيْرَانِ اللَّذَانِ يَجْتَمِعَانِ عِنْدَ الْفَقَا.

(٥) نَحَمٌ يَنْحِمُ نَحْمًا وَنَحْمًا وَنَحْمَانًا: تَنْحَنٍ، أَوْ هُوَ كَالزَّحِيرِ، أَوْ قُوْفُهُ، وَنَحْمُ الْفَهْدُ: صَوْتٌ.

(٦) وَمِنَ الْبَابِ الْمُصْعَبِ، هُوَ الْفَحْلُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِقُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ، وَيُقَالُ: أَضْعَبْنَا الْجَمَلَ، إِذَا تَرَكْنَاهُ فَلَمْ نَرْكَبْهُ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَضْعَبْتُ النَّاقَةَ، إِذَا تَرَكْتُهَا فَلَمْ تَحْمِلْ عَلَيْهَا، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ.

هَٰذَا يَمِينِي رَهْنٌ بِالْوَفَاءِ لَكُمْ
 قَالَتْ رَضِيْتُ وَلَكِنْ جِئْتُ فِي قَمَرٍ
 فَبِتُّ أُسْقَى بِأَكْوَاسٍ أَعْلَىٰ بِهَا
 حَتَّىٰ بَدَأَ سَاطِعٌ لِلْفَجْرِ نَحْسُهُ
 كَغُرَّةِ الْفَرَسِ الْمَنَسُوبِ^(٤) قَدْ حُسِرَتْ^(٥)
 وَدَعَّتْهُنَّ وَلَا شَيْءٌ يُرَاجِعُنِي
 إِذَا أَرَدَنْتَ كَلَامِي عِنْدَهُ اعْتَرَضَتْ
 تَكَادُ مَا رُمِنَ نَهْضًا لِلْقِيَامِ مَعِي

فَارِضِي بِهَا وَلَا نَفِ الْكَاشِحِ^(١) الرَّغَمُ^(٢)
 هَلَّا تَلَبَّثْتُ حَتَّىٰ تَدْخُلَ الظُّلُمُ
 مِنْ بَارِدِ طَابَ الطَّعْمُ وَالنَّسَمُ^(٣)
 سَنَا حَرِيقٍ بَلِيلٍ حِينَ يَضْطَرُّ
 عَنْهُ الْجَلَالُ^(٦) تِلَالًا وَهُوَ يَلْتَجِمُ
 إِلَّا الْبَنَانُ وَإِلَّا الْأَعْيُنُ السُّجُمُ^(٧)
 مِنْ دُونِهِ عَبْرَاتُ فَاثْنَى الْكَلِمُ
 أَعْجَازُهُنَّ مِنَ الْأَقْطَانِ تَنْقُصُ^(٨)

[البسيط]

قال: فسمع ابن القاسم العبلي بالشعر يُغْنَى به، وكان العرجي قد أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه، فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان، وقال: واللّه لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من إيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله، قال: فلما سمع العبلي بالشعر يُغْنَى به أخرج كلابه واتهمها، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غرارتي^(٩) بعير، فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجي كذب

(١) الكاشح: الذي يتباعد عنك.

(٢) الرغم: مثلثة الراء مع سكون الغين: الذل والقسر، وأصله أن يلتصق أنفه بالرغام وهو التراب، وقد حَزَّكَ في الشعر للضرورة.

(٣) نسَم: النون والسين والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على خروج نَفَس، أو ريح غير شديدة الهبوب، ونَفَسُ الْإِنْسَانِ نَسِيم، وكذا الرِّيحُ اللَّيْنَةُ الْهُبُوبُ؛ ويقولون: من أين مَنَسِمُكَ، أي من (أين) وجهتك، والقياس واحدٌ، لأنّه إذا أقبلَ أقبلَ نَسِيمُهُ، ولذلك سَمِيَتِ النَّفْسُ نَسَمَةً.

(٤) المنسوب: من نسب وهو الأصل الكريم.

(٥) حَسِر: الحَسَر: كَشَطُكُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ. (يقال): حَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ، وَحَسَرَ الْبَيْضَةَ عَنْ رَأْسِهِ، وَحَسَرَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ حَسْرًا). وَاِنْحَسَرَ الشَّيْءُ إِذَا طَاوَعَ، ويقال: حَسَرَ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ يَحْسِرُهُ وَيَحْسِرُهُ فَاِنْحَسَرَ: كَشَفَهُ.

(٦) جل: جَلَّ فِي عَيْنِي أَيْ عَظُمَ، وَأَجْلَلْتُهُ أَيْ أَعْظَمْتُهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَدِيقُ فَجَلَالُهُ خِلَافُ دُقَاقِهِ. وَجُلُّ كُلِّ شَيْءٍ عَظْمُهُ.

(٧) سَجَم: السين والميم أصل واحد، وهو صَبُّ الشَّيْءِ مِنَ الْمَاءِ وَالْدَّمِ: يُقَالُ: سَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا، وَعَيْنٌ سَجُومٌ، وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ.

(٨) قَصَم: الْقَصْمُ: دَقُّ الشَّيْءِ، وَرَجُلٌ قَصِيمٌ: هَارٍ ضَعِيفٌ سَرِيعُ الْإِنْكَسَارِ، وَفَتَاةٌ قَصِيمَةٌ: مُنْكَسِرَةٌ.

(٩) غرارة: كيس أو عدل من صوف أو شعر.

فيما قاله، فحلفت سبعين يمينا، فرضي عنها وردّها. فكان بعد ذلك إذا سمع قول العرجي:

فَطَالَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النُّعْمُ

قال: كذب والله ما مسه ذلك قط. وقال إسحاق: وقد قيل: إن صاحب هذه القصيدة «والقصيدة» أبو حراب العبلي، وإن كلابة كانت أمة لسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، وكان العرجي قد خطبها وسميت به، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوّجته، فقال العرجي هذا الشعر فيها: غنى في قوله:

أَمْشِي كَمَا حَرَّكَتْ رِيحُ يَمَانِيَّةٍ^(١)

[البسيط]

علي بن هشام هزجاً مطلقاً بالبصرة، وفيه للمسدود^(٢) هزج آخر طنبوري، ذكر ذلك جحظة. وفي:

لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُمْ

رمل لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق بالسبابة في مجرى الوسطى. وفي «قالت كلابة» والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحن من خفيف الرمل. ولنبيه^(٣) في «أنا امرؤ جذبي» وما بعده، هزج بالوسطى. ولدحمان في «حور بعثن» وما بعده، هزج بالوسطى، وروى عنه الهشامي فيه ثقيلاً أول. ولأبي عيسى بن المتوكل في «وأنعمي نعمة» وبيتين بعده، ثقیل أول.

وأخبرني بخبر العرجي وكرابة هذه الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وأخبرني به وكيع عن أبي أيوب المدني عن مصعب، وذكر نحوه مما ذكره إسحاق؛ وزعم أن كلابة كانت قيمة لأبي حراب العبلي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس.

[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعره]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني

(١) البيت هو:

«أَمْشِي كَمَا حَرَّكَتْ رِيحُ يَمَانِيَّةٍ غُصْنَا مِنَ الْبَانِ رَطْباً طَلَّهُ الرَّهْمُ»

(٢) أحد المغنين.

(٣) كان نبيه في أول أمره شاعراً لا يغني، ثم هوى قينة ببغداد فتعلم الغناء من أجلها، ولم يزل يتزید حتى جاد غناؤه وعد من المحسنين.

مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال: كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب، فذكر قول العرجي:

أَيْنَ مَا قُلْتُ مُتُّ قَبْلَكَ أَيُّنَا أَيْنَ تَصْدِيقُ مَا عَهَدْتَ إِلَيْنَا
فَلَقَدْ خِفْتُ مِنْكَ أَنْ تَصْرِمِي الْحَبْ لَ وَأَنْ تُجْمِعِي مَعَ الصَّرَمِ بَيْنَا
مَا تَقُولِينَ فِي فَتَى هَامٍ إِذَا هَا مَ بِمَنْ لَا يُنَالُ جَهْلًا وَحَيْنَا
فَاجْعَلِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَدْلًا لَا تَحِيفِي وَلَا يَحِيفُ عَلَيْنَا
وَأَعْلَمِي أَنَّ فِي الْقَضَاءِ شُهُودًا أَوْ يَمِينًا فَاحْضِرِي شَاهِدِينَ
خُلْتُ لَوْ قَدَرْتُ مِنْكَ عَلَى مَا قُلْتُ لِي فِي الْخَلَاءِ حِينَ التَّقِينَا
مَا تَحَرَّجْتَ مِنْ دَمِي عِلْمَ اللَّ هُ وَلَوْ كُنْتُ قَدْ شَهِدْتُ حُنَيْنَا
[الخفيف]

قال: فقال أيوب لأشعب: ما تظنُّ أنها وعدته؟ قال: أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة، فعرض لها عارض شغل فقطعها عن مواعده، قال: فمن كان الشاهدان؟ قال: كُسيرٌ وعوير، وكلٌّ غير خير^(١): فند^(٢) أبو زيد مولى عائشة بنت سعد، وزور الفرق مولى الأنصار، قال: فمن العدل الحكم؟ قال: حصين بن غرير الحميري، قال: فما حكم به؟ قال: أدت إليه حقه وسقطت المؤنة عنه، قال: يا أشعب، لقد أحكمت صناعتك! قال: سل علامةً عن علمه.

[شعره في عاتكة زوجة طريح الثقيفي]

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللّهيي قال: قال العرجي في امرأة من بني حبيب «بطن من بني نصر بن معاوية» يقال لها عاتكة، وكانت زوجة طريح بن إسماعيل الثقيفي:

(١) يقول الميداني في مجمع الأمثال: «قال المفضل: أول من قال ذلك أمانة بنت نُشْبَة [بن غِيظ] بن مرة، وكان تزوّجها رجل من غطفان أعور يُقال له خلف بن رواحة، فمكثت عنده زمناً حتى ولدت له خمسة، ثم نُسِرت عليه ولم تصبر معه، فطلقها، ثم إن أباه وأخاه خَرَجَا في سفر لهما، فلقِيهما رجل من بني سُلَيْم يُقال له حارثة بن مرة، فخطب أمانة، وأحسن العطية، فزوّجها منه، وكان أعرج مكسور الفخذ، فلما دخلت عليه رآه مُحْطُومَ الفخذ فَقَالَتْ: كُسيرٌ وعوير وكل غير خير فأرسلتها مثلاً».

(٢) هو فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وكان أحد المغنين المجيدين، وكان يجمع بين الرجال والنساء.

يَا دَارَ عَاتِكَةَ الَّتِي بِالْأَزْهَرِ أَوْ فَوْقَهُ بِقَفَا الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ
لَمْ أَلْقِ أَهْلَكَ بَعْدَ عَامٍ لَقَيْتُهُمْ يَا لَيْتَ أَنَّ لِقَاءَهُمْ لَمْ يُقَدَّرِ
[الكامل]

صوت

بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَابْنِ مِشْعَبٍ حَاضِرٍ فِي سَامِرٍ^(١) عَطِرٍ وَلَيْلٍ مُقَمِّرٍ
مُسْتَشْعِرِينَ^(٢) مَلَا حِفَاءَ هَرَوِيَّةٍ بِالزَّعْفَرَانِ صِبَاغِهَا وَالْعُصْفُرِ
فَتَلَا زَمًا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْعَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
[الكامل]

الأزهر: على ثلاثة أميال من الطائف. وابن مشعب الذي عناه مغن من أهل مكة كان في زمن ابن سريج، والغناء في هذه الأبيات له رمل بالوسطى، قال إسحاق: كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغناء، ومات في تلك الأيام، فأدخل الناس غناه في غناء ابن سريج والغريض، قال: وهذا الصوت ينسبه من لا يعلم إلى ابن محرز، يعني:

بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَابْنِ مِشْعَبٍ حَاضِرٍ

قال: وهو الذي غنى:

أَقْفَرَ مِمَّنْ يَحُلُّهُ السَّنْدُ^(٣) فَالْمُنْحَنَى فَالْعَقِيقُ فَالْجُمْدُ
وَيَحْيِي غَدًا إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَكْرَهُ مِنْ فُرْقَةِ الْحَبِيبِ غَدُ^(٤)
[المنسرح]

(١) سمر: السين والميم والراء أصل واحد يدل على خلاف البياض في اللون. من ذلك السُمرة من الألوان، وأصله قولهم «لا آتيك السمر والقمر»، فالقمر: القمر، والسمر: سواد الليل، ومن ذلك سميت السُمرة؛ فأما السامر فالقوم يسمرون، والسامر: المكان الذي يجتمعون فيه للسمر، قال: وسامر طال لهم فيه السمر.

(٢) مستشعرين: لابسين، يقال: استشعر الثوب أي لبسه، وأصله من الشعار وهو يلبس تحت الدثار.

(٣) سند: السين والنون والdal أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء. يقال: سَدْتُ إلى الشيء أسنُدُ سنوداً، واستندت استناداً، وأسندتُ غيري إسناداً، والسناد: الناقة القويّة، كأنها أسندت من ظهرها إلى شيء قوي؛ والمُسند: الدهر، لأن بعضه متضام، وفلان سَدٌّ، أي معتمد، والسند: ما أقبل عليك من الجبل، وذلك إذا علا عن السَفْح.

(٤) البيتان ينسبان إلى طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى (من ثقيف)، أبو الصلت. شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليفه. وفي نهاية الأرب أن جدّه (سعيد بن عبيد) هو الذي رمى أبا سفيان بن حرب يوم الطائف فقلع عينه. =

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[حكاية يرويها ابن مخارق]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال: حدثني ابن مخارق قال: واعد العرجي هوى^(١) له شعباً من شعاب عرج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف، فجاءت على أتانٍ لها معها جارية لها، وجاء العرجي على حمار معه غلام له، فواقع المرأة، وواقع الغلام الجارية، ونزا الحمار على الأتان. فقال العرجي: هذا يومٌ قد غاب عدّاله:

[غنى العرجي]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني قال: حدثنا النضر بن عمرو عن ابن داحة قال: كان العرجي يستقي على إبله في شملتين^(٢)، ثم يغتسل ويلبس حُلَّتَيْنِ بخمسائة دينار، ثم يقول:

يَوْمًا لِأَصْحَابِي وَيَوْمًا لِلْمَالِ مَدْرَعَةً يَوْمًا وَيَوْمًا سِرْبَالُ^(٣)
أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله: أن العرجي كان غازياً فأصابته الناس مجاعةً، فقال للتجار: أعطوا الناس وعلي ما تعطون، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار، فألزمها العرجي نفسه، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال: بيت المال أحق بهذا، ففضى التجار ذلك المال من بيت المال.

= وفي الأغاني أن جد أمه (سباع بن عبد العزى) قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد. نشأ في الطائف ثم رحل إلى دمشق ووفد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت بينهما خؤولة، فقربه الوليد وأغدق عليه فمدحه طريح بشعره. وبعد مقتل الوليد سنة ١٢٦هـ انتهى ذكر الشاعر، وقد أغفلت المصادر العلاقة بين طريح وغيره من الشعراء الذين التفوا حول الوليد مثل النابغة الشيباني وإسماعيل بن يسار وابن هرمة القرشي. ويقال: إنه بقي إلى أول الدولة العباسية فمدح المنصور والسفاح.

(١) هوى بمعنى محبوبة.

(٢) يدل على دَوْرَان الشيء بالشيء وأخذه إياه من جوانبه. من ذلك قولهم: شَمَلَهُم الأمرُ، إذا عمَّهم، وهذا أمرٌ شامل، ومنه الشُّمْلَةُ، وهي كساءٌ يُؤْتَرَزُ به ويُشْتَمَلُ؛ وجمع الله شُملَه، إذا دعا له بتألف أموره، وإذا تألَّفَتْ اشتمل كلُّ واحدٍ منها بالآخر.

(٣) السُّرْبَالُ: القميص، وسُرْبَلُهُ فَتَسْرِبَلُ أي ألبسه السربال.

[العرجي وأم الأوقص]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير عن عمه، وأخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره: أن العرجي خرج إلى جنبات الطائف متنزهاً، فمرّ ببطن البقيع فنظر إلى أم الأوقص، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي، وكان يتعرض لها، فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه، وهي امرأة من بني تميم، فبصر بها في نسوة جالسةً وهنّ يتحدثن، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب، فعدل عنها ولقي أعرابياً من بني نصر على بكرٍ له ومعه وطبا^(١) لبن، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه، ثم أقبل على النسوة فصحن به: يا أعرابي، أملكك لبن؟ قال: نعم، ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص، وتواثب من معها إلى الوطيين، وجعل العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهنّ يشربن من اللبن، فقالت له امرأةٌ منهن: أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض؟ أضاع منك شيء؟ قال: نعم قلبي، فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته، فقالت: العرجي بن عمر ورب الكعبة! وثبت وسترها نساؤها وقُلن: انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك، فمضى منصرفاً، وقال في ذلك:

أَقُولُ لِصَاحِبَيَّ وَمِثْلُ مَا بِي شَكَاهُ الْمَرْءُ ذُو الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
إِلَى الْأَخَوَيْنِ مِثْلَهُمَا إِذَا مَا تَأَوَّبَهُ مُورِّقَةُ الْهُمُومِ
لِحَيْنِي وَالْبَلَاءُ لَقِيْتُ ظَهْرًا بَجَنْبِ النَّقْعِ^(٢) أُخْتُ بَنِي تَمِيمِ
فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ عَيْنَايَ مِنْهَا أَسِيلَ الْخَدْفِ فِي خَلْقِ عَمِيمِ^(٣)
وَعَيْنِي جُوذِرٍ^(٤) خَرِقٍ^(٥) وَثَغْرًا كَلُونَ الْأَقْحُوانِ وَجِيدِ رِيمِ

(١) وطب: الواو والطاء والباء كلمة واحدة، هي وَطَبَ اللَّيْنُ: سقاؤه، ويشبه به المرأة العظيمة الثدي، فيقال: وَطَبَاءُ؛ وَالْوُطْبُ: الرَّجُلُ الجافي، وهذا أيضاً من التشبيه.

(٢) النَّقْعُ: بالفتح ثم السكون، كل ماء مستنقع من ماء عِدٍّ أو غدير، ونهى النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يمنع نقع البئر، وهو فضل مائه، والنقع: رفع الصوت بالبكاء، والنقع: الغبار، والنقع: القتل والنحر، ومنه سَمٌ نَاقِعٌ أي قاتل؛ والنقع: موضع قرب مكة في جنبات الطائف.

(٣) عميم من فعل عم أي شمل، وهو هنا بمعنى تام.

(٤) الْجُوذَرُ: الْقَطْعُ، وَالْأَصْلُ، أو أَصْلُ اللسانِ والذِّكْرِ والحساب، ويكسرُ فيهنَّ، أو في أَصْلِ الْحِسَابِ، بالكسر فقط، والاستئصال، كالأجْدَارِ، وَمَعْرُزُ الْعُنُقِ، ج: جُوذُورٌ. والجُوذُورُ، وتفتح الذال، وَجِيدُورٌ والجُوذُورُ، بالواو كَمُوفَلٍ وَكَوْكَبٍ، والجُوذُورُ، بفتح الجيم وكسر الذال: وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ، وَبَقَرَةٌ مُجْدَرٌ. وَأَجْدَرٌ: انْقَطَعَ، وَأَجْدَرًا: انْتَصَبَ لِلْسَّبَابِ، وَالنَّبَاتُ: نَبَتٌ وَلَمْ يَطْلُ.

(٥) خرق: يقال: خرق الطبي فهو خرق إذ دهش من فزع.

حَنَا أَتْرَابُهَا دُونِي عَلَيْهَا حُنُوءُ الْعَائِدَاتِ عَلَى السَّقِيمِ
[الوافر]

قال إسحاق في خبره: فقال رجل من بني جُمح يقال له ابن عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فتظلم منه: واللّه لو كنت أنا عبد الله بن عمر العرجي لكنت قد أسرفت علي، فضربه الأوقص سبعين سوطاً.

[أبو السائب المخزومي وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال: أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعد ما رقد السامر فأشرفت عليه، فقال: سهرت وذكرت أخاً لي أستمع به، فلم أجد سواك، فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدثنا! فمضينا، فأنشدته في بعض ذلك [بيتين] للعرجي:

بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ حَتَّى بَدَا صُبْحُ تَلَوِّحِ كَالْأَعْرِ الْأَشْقَرِ
فَتَلَاَزَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
[الكامل]

فقال: أعدّه عليّ، فأعدته، فقال: أحسن واللّه! امرأته طالقُ إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته، قال: فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرفٌ من ماله يريد المدينة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال له:

فَتَلَاَزَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
[الكامل]

فالتفت إليّ فقال: متى أنكرت صاحبك؟ فقلت: منذ الليلة، فقال: إنا لله! وأي كهل^(١) أصيبت منه قريش! ثم مضينا، فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالا له على بغلة له ومعه غلامٌ على عنقه مِخْلَاةٌ فيها قيد البغلة، فسلم ثم قال: كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال:

فَتَلَاَزَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ
[الكامل]

فالتفت إليّ فقال: متى أنكرت صاحبك؟ قلت: آنفاً، فلما أراد المضي قلت:

(١) الكهل: أصلٌ يدلُّ على قُوَّةٍ في الشَّيْءِ أو اجتماع جِبِلَّةٍ. من ذلك الكَاهِل: ما بين الكتفين، سَمِيَ بذلك لِقُوَّتِهِ، ويقولون للرَّجُلِ المجتَمع إذا وَخَطَهُ الشَّيْبُ: كَهْلٌ، وامرأة كَهْلَةٌ.

أفتدعه هكذا؟ واللّه ما آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق! قال: صدقت؛ يا غلام قيد البغلة، فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يُري أنه يفهم عنه قصته، ثم نزل الشيخ وقال لغلّامه: يا غلام، احمله على بغلتي وألحقه بأهله، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره، فقال: قبحك اللّه ماجناً! فضحت شيخاً من قریش وغررتني.

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عروة بن عبد اللّه بن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال: أنشد ابن جُندبِ الهذلي ابن أبي عتيق قول العرجي:

وَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلُهَا لِخَادِمِهَا قُومِي أَسْأَلِي لِي عَنِ الْوَتْرِ
فَقَالَتْ يَقُولُ النَّاسُ فِي سِتِّ عَشْرَةٍ فَلَا تَعْجَلِي مِنْهُ فَإِنَّكَ فِي أَجْرِ
فَمَا لَيْلَةٌ عِنْدِي وَإِنْ قِيلَ جُمُعَةٌ وَلَا لَيْلَةٌ الْأَضْحَى وَلَا لَيْلَةُ الْفِطْرِ
بِعَادِلَةِ الْاِثْنَيْنِ عِنْدِي وَبِالْحَرَى يَكُونُ سَوَاءً مِنْهُمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

[الطويل]

فقال ابن أبي عتيق: أشهدكم أنها حرّة من مالي إن أجاز ذلك أهلها، هذه واللّه أفقه من ابن شهاب.

[شعر العرجي في زوجته أم نعمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: تزوج العرجي أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان، [وأمها] سكيّنة بنت مصعب بن الزبير، فقال فيها:

إِنَّ عُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ أَحْلَا دَارَهَا بِالْيَفَاعِ^(١) إِذْ وَلَدَاهَا
إِنَّهَا بِنْتُ كُلِّ أَبِيضٍ قَرَمٍ^(٢) نَالَ فِي الْمَجْدِ مِنْ قُصَيٍّ ذُرَاهَا
سَكَنَ النَّاسُ بِالظُّوَاهِرِ مِنْهَا وَتَبَوَّأَ لِنَفْسِهِ بَطْحَاهَا

[الخفيف]

(١) اليفاع: قطعة من الأرض على غير هيئة التي بجنبها، والجمع يُفَع وِيَفَاع. ويقال: اليفاع المشرف من الأرض والجبل.

(٢) قرم: القَرْمُ: الفحلُ المصعَّب.

قال إسحاق: ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها، فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات.

[العرجي وأبو عدي العبلي]

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا عدي العبلي خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جلدان، فمرَّ بعبد الله بن عمر العرجي وهو نازلُ هناك بواٍ يقال له العرج، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه، فأتاه الغلام فقال له: هذا أبو عدي، فأمر أن ينزله في مسجد الخيف، فأنزل وأبطأ عليه في الخروج، فقال للغلام: ويحك! ما يحبس مولاك؟ قال: عنده ابن وردان مولى معاوية، وهما يأكلان القسب^(١) والجُلجلان^(٢)، ثم بعث إليه بخبز ولبن، وبعث لرواحله بحمض^(٣) وقدم إلى رواحله ابن وردان القَتَّ^(٤) والشعير، فكتب إليه أبو عدي:

أبا عُمَرٍ لَمْ تَنْزِلِ الرِّكْبَ إِذْ أَتَوْا مَنَازِلَهُمُ وَالرِّكْبَ يَحْفُونَ^(٥) بِالرِّكْبِ
رَفَعْتَ لِنَامِ النَّاسِ فَوْقَ كِرَامِهِمْ وَآثَرْتَهُمُ بِالْجُلْجُلَانِ وَبِالْقَسْبِ
فَأَمَّا بَعِيرَانَا فَبِالْحَمْضِ غُذِّيَا وَأَوْثَرَ عَبَّادَ بْنَ وَرْدَانَ بِالْقَضْبِ
[الطويل]

فكتب إليه العرجي:

أَتَانَا فَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَهُ لِحْيَةٌ طَالَتْ عَلَى حُمْقِ الْقَلْبِ
كَرَائِيَّةَ بَيْطَارٍ بِأَعْلَى حَدِيدَةٍ إِذَا نُصِبَتْ لَمْ تَكْسِبِ الْحَمْدَ بِالنَّصْبِ
أَتَانَا عَلَى سَغَبٍ^(٦) يُعَرِّضُ بِالْقِرَى وَهَلْ فَوْقَ قُرْصٍ مِنْ قِرَى صَاحِبِ السَّغَبِ
[الطويل]

(١) قسب: القَسْبُ: تَمَرٌ يَابِسٌ يَتَقَتَّتُ فِي الْقَمِّ، وَالصَّادُ خَطَأً.

(٢) الْجُلْجُلَانُ: تَمَرُ الْكُزْبُرَةِ.

(٣) حمض: الحاء والميم والضاد أصل واحد صحيح، وهو شيء من الطعوم. يقال: شيء حامض وفيه حُموضة، وَالْحَمْضُ مِنَ الثَّبَتِ مَا كَانَتْ فِيهِ مَلُوحَةٌ، وَالْخَلَّةُ مَا سَوَى ذَلِكَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: الْخَلَّةُ خَبْزُ الْإِبِلِ وَالْحَمْضُ فَكْهَتُهَا؛ وَإِنَّمَا تَحْوَلُ إِلَى الْحَمْضِ إِذَا مَلَتْ الْخَلَّةُ. وَكُلُّ هَذَا مِنَ الثَّبَتِ. وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الشَّجَرِ الْعِظَامِ بِحَمْضٍ وَلَا خَلَّةٍ.

(٤) الْقَتُّ: نَمُ الْحَدِيثِ وَبَابُهُ رَدٌ وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» وَالْقَتُّ الْفَصْفَصَةُ الْوَاحِدَةُ قَتَّةٌ كَتَمْرَةٍ وَتَمَرٍ.

(٥) حَفَى: حَفَى يَحْفِي حِفَاوَةً وَحَفَايَةً: بَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ.

(٦) سَغَبٌ: السَّيْنُ وَالْغَيْنُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْجُوعِ. فَالْمَسْغَبَةُ: الْمِجَاعَةُ، يُقَالُ: سَغِبَ =

قال: فارتحل أبو عديّ مغضباً وقال: مزحتُ معه فهجاني، وأنشأ يقول في العرجي:

سرت ناقتي حتى إذا ملّت السُرى^(١) وعارضها عرجُ الجبانة والخصبِ
طواها الكرى بعد السُرى بمعرّسٍ^(٢) جديبٍ وشيخٍ بئس مستعرض الركب
وهمت بتعريس فحلت قيودها إلى رجلٍ بالعرج ألام من كلب
تمطى^(٣) قليلاً ثم جاء بصربة^(٤) وفُرس شعيرٍ مثل كركرة^(٥) السَّقب^(٦)
فقلتُ له أزدد قراك مُذمّماً فلست إليه بالفقير ولا صَحبي
جزى الله خيراً خيراً خيراً عند بيته وأنحرنّا للكوم^(٧) في اليوم ذي السَّغب
لقد علمت فِهْر^(٨) بأنك شرُّها وأكلُ فِهْرٍ للخبيث من الكسب
وتلبس للجارات إتباً^(٩) ومزراً ومرطاً^(١٠) فبئس الشيخ يرفل في الإتب

= يَسْعَبُ سُعُوباً، وهو ساغب وسَعْبَان؛ قال ابن دريد: قال بعض أهل اللغة: لا يكون السَّعْب إلا الجوع مع التعب، قال: وربما سُمي العطش سَعْباً، وليس بمستعمل.

- (١) سري: السُرى: سير الليل، وكلُّ شيء طرُق ليلاً فهو سارٍ.
(٢) معرس: الموضع يعرس فيه من القوم من العرس.
(٣) تمطى: تبختر في مشيته وتطاول.
(٤) صرب: الصَّرْبُ والصَّرْبُ: اللبن الحَقِيقُ الحامِض. وقيل: هو الذي قد حَقِنَ أياماً في السقاء حتى اشتدَّ حَمَضُهُ، واحدته: صَرْبَةٌ وصَرْبَةٌ.

- (٥) الكركرة بالكسر: زور البعير الذي إذا برک أصاب الأرض، وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة.
(٦) السَّقب والصَّقب، وهو عمود الخياء، وشبّه به السقب ولد الناقة.
(٧) كوم: الكاف والواو والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تجمُّع في شيء مع ارتفاع فيه. من ذلك الكُوماء، وهي النَّاقَةُ الطَّوِيلَةُ السَّنام، والكُوم: القِطْعَةُ من الإبل؛ والكُومة: الصُّبْرَةُ من الطَّعام وغيره، وربما قالوا: كامَ الفرسُ أنثاه يَكُومُها، وذاك نفس التجمُّع.

- (٨) فِهْر: الفاء والهاء والراء ليس فيه من اللُّغة الأصيلَةُ شيءٌ (إلا) كلمةً واحدة، وهي الفِهْر، مؤنثة، وهي الحجر من الحجارة؛ ويقولون: إنَّ الفِهْر: أن يُجامع الرَّجلُ المرأةَ ويُفرِّغَ في غيرها، وقد جاء فيه، ويقال: تَفَهَّرَ في المال: اتَّسع فيه، (و) يقولون: ناقةٌ فَيْهَرَةٌ: شديدة، وكلُّ هذا قريبٌ بعضه في الضَّعف من بعض.

- (٩) الإتب، بالكسر، والمِثْبَةُ، كَمِكنَسَةٍ: بُرْدٌ يَشَقُّ، فَتَلْبَسُهُ المرأةُ من غيرِ جَبِّ ولا كُمَيْنِ، والبَقِيرَةُ، ودَرْعُ المرأةِ، وما قَصُرَ من الثَّيابِ فَنَصَفَ السَّاقِ، أو سَراويلُ بلا رِجْلَيْنِ، أو قَمِيصٌ بلا كُمَيْنِ، ج: آتابٌ وإتابٌ وأُتوبٌ. وأُنْبُ الثُّوبِ تَأْتِيْباً: صَبْرٌ إِيْباً. وتَأْتَبَ به، وأَتَبَ: لَبَسَهُ. وأَتَبَهُ إِيْباً تَأْتِيْباً: أَلْبَسَهُ إِيْباً. وإِتْبُ الشَّعِيرِ، بالكسر: قَشْرُهُ. والتَّأْتَبُ: الاستِعْدَادُ، والتَّصَلُّبُ، وأن تَجْعَلَ حِمالَ القَوْسِ في صَدْرِكَ، وتُخْرِجَ مِنْكَ مِنْهَا. ورجُلٌ مُؤْتَبُ الطُّفْرِ، كَمُعْظَمٍ: مُعْجُجُهُ.

- (١٠) المِرْطُ: رِداءٌ من صُوفٍ أو خَزٍّ أو كَتانٍ، وجَمْعُهُ: مِرْوَطٌ.

يُدخَنَ بالعود اليلنجوج^(١) مرةً وبالضُرو^(٢) والسوداء^(٣) والمائع الرطب^(٤)
 فإن قلت عثمان بن عفان والدي فقد كان عثمانُ بريئاً من الوشب^(٥)
 وقدماً يجيء الحي بالنسل ميّثاً ويأتي كريم الناس بالوكل^(٦) الثلب^(٧)
 له لحيّةٌ قد مُزّقت فكأنها مِقَمّةٌ^(٨) حشّاش^(٩) مُخالفة العُشب
 [الطويل]

فلما بلغ ذلك العرجي أتى عمه علي بن عبد الله بن علي العبلي فشق قميصه
 بين يديه وشكاه إليه، فبعث إلى ابن عدي فنهاه عنه وقال: لئن عدت لا كلمتك أبداً
 فكف عنه.

[كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم]

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن
 سليمان بن عثمان بن يسار: رجل من أهل مكة وكان هيباً^(١٠) أديباً قال: كان
 للعرجي حائطٌ يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية، فكانت إبلهم
 وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها، فكانت تضرّ به ويضرّ بأهلها ويشكونه
 ويشكوههم، وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم، فكان ربما برى مائة
 سهم من الرّمان، ثم يقول: واللّه لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفه^(١١) من إبل
 بني نصر، فيفعل ذلك.

- (١) لنج: الأَلَنُجُوجُ واليَلَنُجُوجُ: عُودٌ جَيِّدٌ يتم التبخر به.
- (٢) الضرو: بكسر الصاد وفتحها: شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه في العطر.
- (٣) السوداء: هي الحبة التي تعرف بهذا الاسم وباسم حبة البركة.
- (٤) المائع الرطب: نوع من الطيب.
- (٥) وشب: الواو والشين والباء كلمة يقال: أوباش من الناس وأوشاب.
- (٦) الوكل بفتح الكاف وكسرهما: العاجز البليد الذي يكل أمره إلى غيره.
- (٧) الثلب: الرجل المعيب المثلّم الذي ينتقصه الناس.
- (٨) قم: القم: من القَمَامَاتِ والقَمَاشَاتِ تَجْمَعُهُ بِيْدُكَ. ويقال: إنها المكنسة.
- (٩) الحشاش: الذي يحتش وهو اليباس من الكلاء.
- (١٠) الهَيْبَةُ: المَخَافَةُ، والتَّقْيُّةُ، كالمَهَابَةِ. وهَابَهُ يَهَابُهُ هَيْباً وَمَهَابَةً: خَافَهُ، كَاهْتَابَهُ، وهو هَائِبٌ وهَيُوبٌ وهَيَّابٌ وهَيِّبٌ وهَيِّبَانٌ وهَيِّبَانٌ، بكسر المُشَدَّدَةِ وفتحها، وهَيَّابَةٌ: يَخَافُ النَّاسَ، وَمَهُوبٌ ومَهِيْبٌ وهَيُوبٌ وهَيَّابٌ: يَخَافُهُ النَّاسُ.
- (١١) الخلفة: الناقة الحامل.

[حبس العرجي]

قال إسحاق: فحدثني ابن غرير قال: لما حبس العرجي وضرب وأقيم على البلس^(١) قال:

مَعِيَ ابْنُ غَرِيرٍ وَإِقْفَاءٌ فِي عَبَاءَةٍ لَعَمْرِي لَقَدْ قَرَّتْ عُيُونُ بَنِي نَصْرِ
[الطويل]

فقال فتى من بني نصر يجيبه - وكان حاضراً لضربه وإقامته - :

أَجَلٌ قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ فِيكَ عِيُونَنَا فَبئس الفتى والجار في سالف الدهر
[الطويل]

وقال إسحاق في خبره: قال رجل للعرجي: جئتكَ أخطب إليك مودتك، قال: بل خذها زناً، فإنها أحلى وألذ!

[تمثل امرأة بشعره في الحج]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني عن عبد الله بن سلم قال: قال عبد الله بن عمر العمري: خرجت حاجاً، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفث^(٢) فيه، فأدريت ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أمة الله، ألسنت حاجاً! أما تخافين الله! فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسناً، ثم قالت: تأمل يا عم! فإنني ممن غنا العرجي بقوله:

صوت

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا وَأَدْنَتْ عَلَى الْخَدَّيْنِ بُرْدًا مُهْلَهَلًا
مِنْ اللَّاءِ لَمْ يَحْجَجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلًا
[الطويل]

قال: فقلت لها: فإني أسأل الله ألا يُعَذِّبَ هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء^(٣) العراق لقال لها: اغربي

(١) البلس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين، ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه.

(٢) رَفَثٌ: وهو كلُّ كلام يُسْتَحْيَا من إظهاره، وأصله الرَّفَثُ، وهو النِّكاح، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَا أَرْفَثُ إِلَىٰ إِسَاءِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ وَالرَّفَثُ: (الفُحْش) في الكلام، يقال: أَرْفَثَ وَرَفَثَ.

(٣) بعض البغضاء: يريد بهم الحديث عن المتمزتين والمغالين في إظهار الورع.

قبحك الله! ولكته ظرف عبّاد أهل الحجاز. وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار، وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما، وروى عنه مالك وابن أبي أيوب. والحكاية عنه في هذا أصح منها عن عبد الله العمري، حدثنا بهذا وكيع. والغناء في هذه الأبيات لعرار المكي ثاني ثقل، وفيه خفيف ثقل لمعبد، وفيها لعبد الله بن العباس الربيعي ثقل أول، ويقال إن خفيف الثقل لابن سريج، ويقال للغريض.

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي بشعره]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو ثوبة قال: قال عبد الله بن العباس: دعاني المتوكل، فلما جلست مجلس المنادمة قال لي: يا عبد الله، تغن، فغنيت في شعر مدحته به، فقال: أين هذا من غنائك في:

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الْحَزْزِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا

ومن صنعتك في:

أَقْفَرُ مَنْ يَحُلُّهُ سَرَفٌ^(١)

فقلت: يا أمير المؤمنين، إن صنعتي حينئذ كانت وأنا شاب عاشق، فإن استطعت رد شبابي وعشقي صنعت مثل تلك الصنعة، فقال: هيهات! وقد لعمري صدقت، ووصلني. والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقوله في جدياء أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وكان يهجو ويشتب بأمه وبامراته، وكان محمد تيّهاً شديد الكبر جباراً، فلم يزل يتطلب عليه العلل حتى حبسه وقيده بعد أن ضربه بالسوط وأقامه على البلس للناس، واختلف الرواة في السبب الذي اعتل به عليه، وقد ذكرت ذلك في رواياتهم.

[هجاؤه محمد بن هشام المخزومي وتشبيهه بأمه]

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلبی قالاً: حدثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال: أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك

(١) سَرَفٌ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وآخره فاء، وهو موضع على ستّة أميال من مكّة، وقيل: سبعة وتسعة وأثنى عشر، تزوّج به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ميمونة بنت الحارث وهناك بنى بها وهناك توفيت.

الحزامي عن الضحاك بن عثمان، وذكره حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية، ونسخته أيضاً من رواية محمد بن حبيب قالوا: كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك، فلما ولي الخلافة ولّاه مكة، وكتب إليه يحج بالناس، فهجاه العرجي بأشعار كثيرة.

منها قوله فيه:

كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُوكُ
إِلَى جِيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رُسُلًا لِيُخْبِرَهَا فَلَا ضَحَبَ الرَّسُولُ
[الوافر]

ويروى: ليحزنها وهكذا يغنى.

ومنها قوله:

أَلَا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بِمَكَّةَ قَاطِنًا وَمَنْ جَاءَ مِنْ عَمَقٍ ^(١) وَنَقَبٍ ^(٢) الْمُشَلَّلِ ^(٣)
دَعُوا الْحَجَّ لَا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكُمْ فَمَا حَجَّ هَذَا الْعَامَ بِالْمُتَقَبَّلِ
وَكَيْفَ يُزَكِّي حَجَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِمَامٌ لَدَى تَجْمِيرِهِ غَيْرُ دُلْدُلٍ ^(٤)
يَظُلُّ يُرَائِي بِالصَّيَامِ نَهَارَهُ وَيَلْبَسُ فِي الظَّلْمَاءِ سِمَاطِي ^(٥) قَرْنَفِلٍ
[الطويل]

فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه.

[تشبيهه بأمه جيداء]

قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد الضحاك، وقال إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية: كان العرجي يشبب بأم محمد بن هشام، وهي من بني الحارث بن كعب، ويقال لها جيداء:

-
- (١) عمق: واد من أودية الطائف نزله الرسول لما حاصر الطائف، وفيه بئر أطول رشاً منها. والعمق أيضاً: كورة بنواحي حلب بالشام الآن، وكان أولاً من نواحي أنطاكية ومنه أكثر ميرة أنطاكية.
- (٢) النَّقَبُ وَالْمَنْقَبَةُ: الطريق في الجبل.
- (٢) الْمُشَلَّلُ: بالضم ثم الفتح، وفتح اللام أيضاً، والشلّ الطرد: وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.
- (٤) الدُّلدُلُ: شيء أعظم من القنُذ، ذو شوكٍ طوال.
- (٥) السمط: الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك.

صوت

عُوجِي^(١) عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ
إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي
أَيْسَرُ مَا نَالَ مُحِبُّ لَدَى
تُقْضَى إِلَيْهِ حَاجَةٌ أَوْ يُقْلَلُ
إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرُجِي
إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مُذْجِجٍ
لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجٍ
وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ
بَيْنَ حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجٍ
هَلْ لِي مِمَّا بِي مِنْ مَخْرَجٍ
[السريع]

قال إسحاق في خبره: فحدثني حمزة بن عتبة اللّهي قال: أنشد عطاء بن أبي رباح قول العرجي:

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ
[السريع]

فقال: الخيرُ واللّه كله بمنى وأهله! حجت أو لم تحج. قال: ولقي ابن سريع عطاء وهو راكب [بمنى] على بغلته، فقال له: سألتك بالله إلا وقفت لي حتى أسمعك شيئاً. قال: ويحك! دعني فإنني عَجَلٌ، قال: امرأته طالقُ لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأمسكن بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قُطعت يدي حتى أغنيك وأرفع صوتي لا أُسرّه، قال: هات وعجل؛ فغناه:

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ
[السريع]

قال: الخيرُ كُلُّه واللّه بمنى، لا سيما وقد غيَّبها الله عن مشاعره! خلَّ سبيل البغلة.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثني حمزة بن عتبة اللّهي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال: كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجي:

إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ
إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مُذْجِجٍ
لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجِ

(١) عاج: أصلٌ صحيح يدلُّ على مَيْلٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَيْلٍ، وهو يدلُّ على الإذعان.

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتَ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ [السريع]

فقال عطاء: خيرٌ كثيرٌ بمنى إذ غيَّبا الله عن مشاعره .

[تشبيهه بزوجة محمد بن هشام]

قال: وقال في زوجته جبرة المخزومية، «يعني زوجة محمد بن هشام»:

صوت

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلَّمِي جَبْرُ فِيمَ الصُّدُودُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
مَا لَتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مَنَى حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ
الْحَوْلَ بَعْدَ الْحَوْلِ يَجْمَعُنَا مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ [الكامل]

قال حماد بن إسحاق في خبره: حدثني ابن أبي الحويرث الثقفي عن ابن عمِّ لعمارة ابن حمزة قال: حدثنا سليمان الخشاب عن داود المكي قال: كُنَّا فِي حَلَقَةٍ ابْنِ جَرِيحٍ وَهُوَ يَحْدِثُنَا وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَعِدَّةٌ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ، إِذْ مَرَّ بِهِ ابْنُ تَيْزَنَ الْمَغْنِي وَكَانَ يَتَزَرُّ بِمِئْزَرٍ عَلَى صَدْرِهِ، وَهِيَ إِزْرَةُ الشُّطَارِ^(١) عِنْدَنَا، فَدَعَا ابْنَ جَرِيحٍ فَقَالَ لَهُ: أَحَبُّ أَنْ تَسْمَعَنِي، قَالَ: إِنِّي مُسْتَعْجِلٌ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: امْرَأَتُهُ طَالَتْ إِنْ غَنَّاكَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَصْوَاتٍ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ! مَا أَعْجَلَكَ إِلَى الْيَمِينِ! غَنَنِي الصَّوْتُ الَّذِي غَنَّاهُ ابْنُ سَرِيحٍ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ مَنَى عَلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَغَنَنِي فَقَطَعَ طَرِيقَ الذَّاهِبِ وَالْجَائِي حَتَّى تَكْسُرَ الْمَحَامِلُ، فَغَنَاهُ:

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلَّمِي جَبْرُ

فقال له ابن جريح: أحسنت والله! «ثلاث مرات»، ويحك! أعده. قال: من الثلاثة فإنِّي قد حلفت، قال: أعده، فأعاده. فقال: أحسنت! فأعده من الثلاثة، فأعاده وقام ومضى، وقال: لولا مكان هؤلاء الثقلاء عندك لأطلت معك حتى تقضي وطرك، فالتفت ابن جريح إلى أصحابه فقال: لعلكم أنكرتم ما فعلت! فقالوا: إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرهه، قال: فما تقولون في الرجز؟ «يعني الحداء»، قالوا: لا بأس به عندنا، قال: فما الفرق بينه وبين الغناء؟!

(١) الشطار: من شطر أي من أعياء أهله خبثاً. والشطار طائفة من أهل الدعارة كانوا يمتازون بملابس خاصة وزِي خاص.

[حقد ابن هشام عليه وحبسه]

قال إسحاق في خبره: بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء [بنت عفيف]: أنت غضضت مني بأنك أُمي، وأهلكتنني وقتلتني، فتقول له: ويحك! وكيف ذاك؟ قال: لو كانت أُمي من قريش ما ولي الخلافة غيري، قالوا: فلم يزل محمد بن هشام مُضطغناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس، ثم حبسه وأقسم: لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطان، فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه.

[روايات أخرى في سبب الخصومة بينهما]

وذكر إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية ووافقه عمر بن شبة ومحمد بن حبيب: أن السبب في ذلك أن العرجي لاحي^(١) مولى كان لأبيه فأمضه^(٢) العرجي، فأجابه المولى بمثل ما قاله له، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كتافاً^(٣)، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا، ثم قتله وأحرقه بالنار. فاستعدت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه.

وذكر الزبير في خبره عن الضحاك بن عثمان: أن العرجي كان وُكِّل بحرمه^(٤) مولى له يقوم بأمورهن، فبلغه أنه يخالف إليهن، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن، فقتله وأحرقه بالنار. فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاء كثيراً لما ولاه هشام الحج فأحفظه، فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلس للناس، وسجنه حتى مات في سجنه.

وذكر الزبير أيضاً في خبره عن عمه وغيره أن أشعب كان حاضراً للعرجي وهو

(١) ولحا الرجل لَحَوْاً: شَتَّمَهُ، وحكى أبو عبيد: لَحَيْتُهُ أَلْحَاهُ لَحَوْاً، وهي نادرة. وفي الحديث: نُهِيتُ عن مُلاحاةِ الرِّجالِ أي مُقاوَلَتِهِمْ ومُخاصَمَتِهِمْ، هو من لَحَيْتِ الرجل أَلْحَاهُ لَحَوْاً إذا لُمْتُهُ وَعَذَلْتُهُ. ولاحَيْتُهُ مُلاحاةٌ وَلِحَاءٌ إذا نازَعْتَهُ. وفي حديث ليلة القدر: تلاخى رجلان فَرُفَعَتْ. وفي حديث لُثْمان: فَلَحِيّاً لِصاحِبِنَا لَحِيّاً أي لَوْمَاً وَعَذَلاً، وهو نصب على المصدر كسْتَفِيّاً وَرَغِيّاً. ولحا الرجل يُلْحَاهُ لَحِيّاً: لامه وشتمه وعَنَّفَهُ.

(٢) أمضه: آلمه وأوجعه.

(٣) الكتاف: الوثاق وهو الجبل الذي يوثق ويكتف به.

(٤) الحرم: النساء.

يشتّم مولاه هذا، وأنه طال شتمه إياه، فلما أكثر رد المولى عليه، فاختلط^(١) من ذلك، فقال لأشعب: اشهد على ما سمعت، قال أشعب: وعلام أشهد! قد شتمته ألفاً وشتّمك واحدة. واللّه لو أن أمك أم الكتاب، وأمّه حمالة الحطب ما زاد على هذا!

[تعذيب محمد بن هشام للعرجي]

قال الزبير: وحدثني حمزة بن عتبة اللّهي قال: لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميري، فجلدهما، وصبّ على رؤوسهما الزيت، وأقامهما في الشمس على البلس في الحنّاطين بمكة؛ فجعل العرجي ينشد:

سَيْنُصُرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَغْضَبُ حِينَ يُخْبِرَ عَنْ مَسَاقِي
عَلَيَّ عِبَاءٌ بَلَقَاءُ^(٢) لَيْسَتْ مَعَ الْبَلَوِ تُغَيِّبُ نِصْفَ سَاقِي
وَتَغْضَبُ لِي بِأَجْمَعِهَا فُصَيٌّ قَطِينُ الْبَيْتِ وَالْدُمْتُ^(٣) الرِّقَاقُ^(٤)

[الوافر]

ثم يصيح: يا غُرَيْرُ أجياد^(٥)، يا غرير أجياد! فيقول له الحميري المجلود معه: ألا تدعنا! ألا ترى ما نحن فيه من البلاء! يعني بقوله: يا غرير، الحصين بن غرير الحميري المجلود معه، وكان صديقاً للعرجي وخليطاً. وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها:

فَكَمْ مِنْ كَاعِبٍ^(٦) حَوَراءِ بَكْرٍ أَلُوفِ السِّتْرِ وَاضِحَةِ التَّرَاقِي

(١) اختلط: من غضب غضباً جديداً حتى كأنه فسد عقله.

(٢) بلقاء: ما اجتمع فيه اللونان الأبيض والأسود.

(٣) دمت: الدَّمَائَةُ: اللّين، والدَّمَْتُ المكان السَّهْلُ.

(٤) الرِّقَاقُ: بفتح أوله، والتكرير: موضع في عامر، وأصله الأرض المستوية اللينة التراب تحتها صلابه، واللّه أعلم.

(٥) أجياد: بفتح أوله وسكون ثانيه، كأنه جمع جيد، وهو العُنُقُ. وأجياد أيضاً جمع جواد من الخيل، يقال للذكر والأنثى، وجياد وأجاويد، حكاه أبو نصر إسماعيل بن حمّاد، وقد قيل في اسم هذا الموضع جياد، أيضاً، وقد ذكر في موضعه. وهو مكان بمكة يلي الصفا. وسبب التسمية كان إسماعيل أول من دلّك له الخيل العتاق، وأول من ركبها وارتبطها، فذكر أهل العلم أن الله، عزّ وجلّ، أوحى إلى إسماعيل، عليه السلام: إني ادخرت لك كنزاً لم أعطه أحداً قبلك، فاخرج فناد بالكنز، فأتى أجياداً، فآلهمة الله تعالى الدعاء بالخيل، فلم يبق في بلاد الله فرس إلا أتاه، فارتبطها بأجياد، فبذلك سمي المكان أجياداً.

(٦) كَعَبَتِ المرأةُ كَعَابَةً، وهي كاعبٌ، إذا نتأ ثديها.

بَكَتْ جَزَعاً وَقَدْ سُمِرَتْ^(١) كُبُولٌ^(٢)
 عَلَى دَهْمَاءٍ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ^(٣)
 عَلَيَّ عَبَاءَةٌ بَلَقَاءٌ لَيْسَتْ
 كَأَنَّ عَلَى الْخُدُودِ وَهْنٌ شُعْتُ
 فَقُلْتُ تَجَلُّدًا وَحَلَفْتُ صَبْرًا
 سَيْنُصْرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي
 وَتَغَضَّبُ لِي بِأَجْمَعِهَا فُصِّي
 بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ إِذَا تَنَحَّى
 وَجَامِعَةٌ^(٤) يُشَدُّ بِهَا خِنَاقِي
 ثَنَاهَا الْقَمَحُ مُزْلَقَةُ التَّرَاقِي
 مِنَ الْبَلَوِ تُغَيِّبُ نِصْفَ سَاقِي
 سِجَالٌ^(٥) الْمَاءِ يُبَعَثُ فِي السَّوَاقِي
 أَبَالِي الْيَوْمَ مَا دَمَعَتْ مَآقِي
 وَيَغْضَبُ حِينَ يُخْبِرُ عَنْ مَسَاقِي
 قَطِينُ الْبَيْتِ وَالْدُمُثِ الرِّقَاقِ
 لِنِئَامِ النَّاسِ فِي الشُّعْبِ الْعِمَاقِ
 [الوافر]

قال: فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غرير فصاح به: يا غرير أجياد، يا غرير أجياد! يعني بني مخزوم، وكانت منازلهم في أجياد، فغيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح.

وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلاً مرَّ بالعرجي وهو واقفٌ على البلس ومعه ابن غرير وقد جُلدا وحُلِقا وُصِبَ الزيت على رؤوسهما وألبسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما. قال: وكان الرجل صديقاً للعرجي، وكان فأفأء، فوقف عليه فأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له، فلجلج لما كان في لسانه كما يفعل الأفأء، فقال له ابن غرير: عني، لا خرجت من فيك أبداً! فقال له الرجل: فمكانك إذاً لا برحت منه أبداً.

قال: ومر به صبيانٌ يلْقُطون النوى، فوقفوا ينظرون إليه، فالتفت إلى ابن غرير وقال له: ما أعرف في الدنيا سَخْلِينَ^(٦) أشأم مني ومنك! إن هؤلاء الصبيان لأهلهم

(١) سمرت: شددت.

(٢) كبول: جمع كبل وهو القيد.

(٣) الجامعة: الغل.

(٤) سَمُوقٌ: السين والميم والقاف فيه كلمة، ولعلَّ القاف أن تكون مبدلة من الكاف: سَمَقٌ، إذا غَلَا وارتفع.

(٥) سِجَالٌ: جمع سجل وهو الدلو العظيمة المملوءة ماء.

(٦) سَخْلٌ: السين والخاء واللام أصلٌ مطرد صحيح ينقاس، يدلُّ على حَقَارَةِ وَضْعٍ. من ذلك السَّخْلُ من ولد الضَّانِّ، وهو الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ، والأنثى سَخْلَةٌ؛ ومنه سَخَلَتِ النَّخْلَةُ، إذا كانت ذات شَيْصٍ، وهو التَّمَرُ الذي لا يشتدُّ نواه. والسَّخْلُ: الرجال الأراذل.

عليهم في كل يوم على كل واحدٍ منهم مُدَّ نوى، فقد تركوا لقطهم للنوى، وقد وقفوا ينظرون إلَيَّ وإليكَ وينصرفون بغير شيءٍ فيضربون، فيكون شؤمنا قد لحقهم.

قال: وقال العرجي في حبسه:

صوت

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَّى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ^(١) ثَغَرِ
وَصَبِرَ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْمَنَايَا وَقَدْ شَرَعْتَ أَسْنَتُهَا بِنَحْرِي
أَجَرَّرُ فِي الْجَوَامِعِ^(٢) كُلَّ يَوْمٍ أَلَا لِلَّهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي^(٣)
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطاً^(٤) وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرٍو^(٥)
[الوافر]

[أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعره]

وأخبرني محمد بن زكريا الصَّحَّاف^(٦)، قال: حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال: كان لأبي حنيفة جارٌّ بالكوفة يغني، فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته، ويسمع أبو حنيفة غناؤه فيعجبه. وكان كثيراً ما يغني:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَّى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغَرِ
[الوافر]

فلقيه العَسَسُ^(٧) ليلةً فأخذوه وحُبَسَ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل

(١) سداد الثغر بالكسر: ما يسد به الثغر من خيل ورجال وغير ذلك من عدد الحرب.

(٢) الجوامع: جمع جامعة وهي الغلّ.

(٣) صبر: الصاد والباء والراء أصول ثلاثة: الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة، والمقصود المعنى الأول.

(٤) وسيط: يقال: فلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً.

(٥) يريد به عمرو بن عثمان بن عفان.

(٦) صحف: الصُّحُفُ: جمع الصَّحِيفَةِ، يُخَفَّفُ وَيُثَقَّلُ، مثل سفينة وسُفْنٌ، نادران، وقياسه صحائف وسفائن. وصحيفة الوجه: بشرة جلده، وسُمِّيَ الْمُصْحَفُ مُصْحَفاً لِأَنَّهُ أُصْحِفَ، أي جُعِلَ جامعاً للصحف المكتوبة بين الدَّقَّتَيْنِ. والصَّحْفَةُ شِبْهُ الْقَضْعَةِ الْمُسْلَنْطِحَةِ الْعَرِيضَةِ وجمعُه صحاف.

(٧) عسس ع س س: عَسَّ من باب رد طاف بالليل وعَسَساً أيضاً وهو نَفْضُ اللَّيْلِ عن أهل الريبة فهو عَاسٌّ وقوم عَسَسٍ كخادم وخدم وطالب وطلب وَاغْتَسَّ مثل عَسَّ وعَسَسَ الليل أقبل ظلامه، وقوله تعالى ﴿وَالْأَيْلُ إِذَا عَسَسَ﴾ قال الفراء: أجمع المفسرون على أن معنى عسس أدبر، قال: وقال بعض أصحابنا: إنه دنا من أوله وأظلم

عنه من غدٍ فأخبر، فدعا بسواده^(١) وطويلته^(٢) فلبسهما، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له: إن لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس، وما علمتُ منه إلا خيراً، فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة، فأطلقوا جميعاً، فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سرّاً: أأنت كنت تغني يا فتى كل ليلة:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا

فهل أضعناك؟ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك، قال: فعد إلى ما كنت تغنيه، فإني كنت آنس به، ولم أر به بأساً. قال: أفعُل.

[تمثل عبد الله بن علي بقوله أضاعوني]

وقال إسحاق في خبره: لما حبس المنصور عبد الله بن علي، كان يكثر التمثُّل بقول العرجي:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغَرٍ [الوافر]

فبلغ ذلك المنصور، فقال: هو أضاع نفسه بسوء فعله، فكانت أنفسنا عندنا أثر من نفسه.

[حكاية كناس بالبصرة كان يتمثل بهذا البيت]

قال إسحاق: وقال الأصمعي: مررت بكنَّاسٍ بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغَرٍ [الوافر]

فقلت له: أما سداد الكنيف فأنت مليء^(٣) به، وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه - وكنت حديث السن فأردت العبث به - فأعرض عني ملياً، ثم أقبل علي فأنشد متمثلاً:

وَأَكْرَمُ نَفْسِي إِنِّي إِنْ أَهْنَيْتُهَا وَحَقَّقْتُ لَمْ تَكْرُمَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي [الطويل]

(١) السواد هو شعار العباسيين.

(٢) الطويلة: قلنسوة عالية مدعمة بعيدان.

(٣) مليء به: مضطلع به.

قال: فقلت له: واللّه ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له، فبأي شيء أكرمتها؟ فقال: بلى! واللّه إن من الهوان لشرّاً مما أنا فيه، فقلت: وما هو؟ فقال: الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس. فانصرفت عنه أخزى الناس. قال محمد بن مزيد: فحدثني حماد قال: قال لي أبي: اختصر الأصمعي - فيما أرى - الجواب، وستر أقبحه على نفسه، وإلا فكئاس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له!

[اقتصاص الوليد من محمد وإبراهيم بن هشام]

وقال إسحاق في خبره: كان الوليد بن يزيد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبُلّغه عنه في حياة هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام، ثم دعا بالسياط، فقال له محمد: أسألك بالقرابة، قال: وأي قرابة بيني وبينك! وهل أنت إلا من أشجع! قال: فأسألك بصهر عبد الملك، قال: لم تحفظه، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد نهى رسول الله ﷺ أن يُضرب قرشي بالسياط إلا في حدّ، قال: ففي حدّ أضربك وقود أنت أول من سنّ ذلك على العرجي، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان، فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام، وقد ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولي ثأره، اضرب يا غلام، فضربهما ضرباً مبرحاً، وأثقلا بالحديد، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية - يعني خالد القسري - ونفسك نفسك إن عاش أحدُ منهما. فعذبهم عذاباً شديداً، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضع للضرب. فكان محمد بن هشام مطروحاً، فإن أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها. ولما اشتدت عليهما الحال، تحامل^(١) إبراهيم لينظر في وجه محمد، فوقع عليه فماتا جميعاً، ومات خالد القسري معهما في يوم واحد، فقال الوليد بن يزيد^(٢) لما حملهما إلى يوسف بن عمر:

- (١) تحامل: يتحامل في مشيه. وتحاملت الشيء: احتملته على مشقة. وتحامل عليّ فلان: لم يعدل.
(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس. من ملوك الدولة المروانية بالشام، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك في اللّهو وسماع الغناء. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. قال أبو الفرج: (له أصوات صنعها مشهورة وكان يضرب بالعود ويوقع بالطلل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز). وقال السيد المرتضى: (كان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد) وقال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا: إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به. ولي الخلافة سنة ١٢٥هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك. خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك، بينما كان غائباً في الأغداف (شرقي =

قَدْ رَاحَ نَحْوَ الْعِرَاقِ مَشْخَلَبَهُ^(١) قُصَارُهُ السَّجْنُ بَعْدَهُ الْخَشَبَهُ^(٢)
يَرْكَبُهَا صَاغِرًا بِلا قَتَبٍ^(٣) وَلَا خِطَامٍ^(٤) وَحَوْلَهُ جَلَبَهُ
فَقُلْ لِدَعِجَاءٍ^(٥) إِنْ مَرَرْتَ بِهَا لَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ هَارِبُ طَلَبِهِ
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ بَعْدَ غَلَبَتِكُمْ لَنَا عَلَيَكُمْ يَا دُلْدُلُ الْعَلَبَهُ
لَسْتُ إِلَى هَاشِمٍ وَلَا أَسَدٍ وَلَا إِلَى نَوْفَلٍ وَلَا الْحَجَبَهُ^(٦)
لَكِنَّمَا أَشْجَعُ أَبوكَ سَلِ الْكَلْبِيِّ لَا مَا يُزَوِّقُ الْكَذَبَهُ
[المنسرح]

[الرشيد وإسحاق]

قال إسحاق في خبره: غنيت الرشيد يوماً في عرض الغناء:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغْرِ
[الوافر]

فقال لي: ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات، فرأيت أنه يتغيظ كلما مر منه شيء، فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام، فجعل وجهه يسفر وغيظه يسكن. فلما انقضى الحديث، قال لي: يا إسحاق! والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أمثال بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي.

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه:

= الأردن) فجاءه النبأ، فانصرف إلى النجاء، فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه في قصر النعمان بن بشير، وحمل رأسه إلى دمشق، فنصب في الجامع، ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة ٢١٥ وأمر بحكه.

- (١) كلمة تستخدم في العراق لوصف نوع معين من الحلي.
- (٢) الخشبة: كناية عن الصليب الذي كان يستخدم في التعذيب والقتل.
- (٣) القَتَبَةُ: إبل يوضع عليها أفتابها لنقل أحمال الناس.
- (٤) الخُطْمُ: جمع خطام، وهو الحبل الذي يقاد به البعير.
- (٥) دَعِجَاء: شديدة السواد مع سعة.
- (٦) فِينَا الْحِجَابَةُ، يعنون حجابة الكعبة، وهي سِدَانَتُهَا، وتَوَلَّى حِفْظَهَا، وهم الذين بأيديهم مَفَاتِيحُهَا. وَالْحَجَابُ: اسم ما أُحْتَجَبَ به، وكلُّ ما حَالٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ: حِجَابٌ، والجمع حُجُبٌ لا غير. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾.

صوت

إِذَا مَا طَوَاكِ الدَّهْرُ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَشَأْنُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَاتِ وَشَانِيَا
 تَمَرُّ اللَّيَالِي وَالشَّهَوْرُ، وَتَنْقُضِي وَحُبُّكَ مَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
 خَلِيلِي إِنْ دَارَتْ عَلَى أُمِّ مَالِكٍ صُرُوفُ اللَّيَالِي فَاَبْغِيَا لِي نَاعِيَا
 وَلَا تَتْرُكَانِي لِاخِيرِ مُعْجَلٍ وَلَا لِبَقَاءِ تَنْظُرَانِ بَقَائِيَا
 [الطويل]

الشعر للمجنون، ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحداذية وهو جاهلي.

والغناء لابن محرز ثاني ثقليل بالوسطى، وذكر حبش وابن المكي أن فيه لإسحاق لحناً آخر من الثقليل الثاني بالخنصر والبنصر.

فهرس المحتويات

٥	كلمة الناشر
٦	مقدمة
١١	ترجمة المؤلف
١٢	انظر ترجمته في
١٣	ذكر المائة الصوت المختارة
١٣	إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة
١٥	رواية وتفنيدها
١٧	الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة
١٧	فيه لحنان
١٩	خبر أبي قطيفة
١٩	نسبه
٢٠	ذكر العنابس والأعياص
٢٢	عود إلى نسب أبي قطيفة
٢٣	قتل ورثاء
٢٦	ولاية الوليد بن عقبة ثم عزله
٢٧	خروج ابن الزبير ووفد يزيد
٢٩	وقعة الحرة
٣١	من غير المائة فيه لحنان
٣١	الشوق إلى المدينة
٣٢	من غير المائة فيه ثلاثة ألحان
٣٢	من غير المائة المختارة

٣٣	 من غير المائة المختارة
٣٤	 عودة المنفي
٣٥	 من غير المائة المختارة
٣٧	 قصر سعيد بن العاص وشيء من أخباره
٣٨	 اعتداد بالنسب وهجو
٣٩	 طلاق وندامة
٣٩	 مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة
٤١	 ذكر معبد وبعض أخباره
٤١	 نسبه ونشأته وأسلوب حياته
٤٢	 كرامة الفن
٤٣	 معبد المتفوق السباق
٤٥	 علو كعبه
٤٦	 إقرار بتفوق معبد
٤٦	 من غير المائة المختارة
٤٨	 نسبة هذا الصوت
٤٨	 تقدير الأكفاء
٤٩	 تنافس الموهوبين
٤٩	 مع تلامذته
٥٠	 في الطريق إلى الحجاز
٥١	 معبد وابن سريج
٥١	 نسبة هذين الصوتين وأخبارهما
٥٢	 رحلة معبد إلى الأهواز
٥٥	 عند الوليد بن يزيد
٥٨	 معبد في الحمام
٥٩	 معبد وابن عائشة
٥٩	 قدومه مكة

- ٦١ نسبة هذا الصوت
- ٦١ ومن الثلاثة الأصوات المختارة صوت فيه أربعة ألحانٍ من رواية علي بن يحيى
- ٦١ ثاني الثلاثة الأصوات المختارة
- ٦٣ ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه
- ٦٣ نسب عمر بن أبي ربيعة
- ٦٦ أم عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث
- ٦٧ نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء
- ٦٨ رأي يزيد في غناء معبد وابن سريج
- ٦٩ سيرة جُوان بن عمر
- ٧٠ أمة الواحد بنت عمر
- ٧٠ مولد عمر ووفاته
- ٧١ عمر في مجلس ابن عباس
- ٧٣ شهادة الشعراء فيه
- ٧٧ نسبة ما مضى في هذه الأخبار
- ٧٧ شعره المغنى
- ٨١ شعره في فاطمة الكندية
- ٨٦ شعره في زينب بنت موسى الجمحية
- ٩٦ شهادة جرير
- ٩٨ المفاضلة بين شعره وشعر الحارث
- ٩٩ شيء من أخبار الحارث
- ١٠٠ خروج وحنين
- ١٠١ عمر دليل الوليد
- ١٠٢ المفاضلة بينه وبين ابن قيس الرقيات
- ١٠٣ المفاضلة بينه وبين جميل بن معمر
- ١٠٥ الفرزدق وشعر عمر
- ١٠٥ نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

١٠٥	 الغناء في قصيدتي جميل وعمر اللاميتين
١٠٧	 موقع شعر عمر بين الناس
١٠٧	 نقد لرؤية عمر
١٠٧	 عود إلى سيرته وخلقه
١٠٨	 مميزات شعره
١٠٩	 دقة معانيه
١١٠	 الثريا وسهيل
١١٠	 استنطاقه الربع
١١٢	 حسن غزله في مخاطبة النساء
١١٤	 خليلي بعض اللوم
١١٤	 أشمس
١١٥	 هوانا هواه
١١٦	 الهوى دليله
١١٦	 جلمد
١١٦	 عتيق الشيطان
١١٧	 كذب المتحرّش
١١٧	 مناجاة الاطلال
١١٨	 مطلع الرؤية
١١٩	 فداء الرباب
١١٩	 أحب لحبك
١٢٠	 وهي أحلى من عتب
١٢٢	 رجّع إلى خبر عمر الطويل
١٢٢	 ليالي الحبيب
١٢٣	 عمر يتشكى
١٢٤	 عمر الخير
١٢٤	 عمر يرقب النجوم

- ١٢٤ غمه الطير
- ١٢٤ سيرا
- ١٢٥ عدد القطر
- ١٢٥ لست أول أنثى
- ١٢٦ مقياس الهوى
- ١٢٦ عمر المغامر
- ١٢٦ لو طاوعاه
- ١٢٧ وحشية أنسية
- ١٢٧ نولي عمرك
- ١٢٨ القتل والجنون
- ١٢٨ ليت حظي
- ١٢٨ إنكاحه النوم
- ١٢٩ ثمار الحديث
- ١٢٩ عشر ليالٍ
- ١٣٠ شكوى الحبيب
- ١٣٠ قناعة
- ١٣٠ رسالة
- ١٣١ وغاب قمير
- ١٣٢ عمر بن أبي ربيعة وعروة بن الزبير
- ١٣٣ عمر بن أبي ربيعة ومالك بن أسماء
- ١٣٣ عمر وأبو الأسود الدؤلي وقد عرض لامراته
- ١٣٤ رأي الفرزدق في شعر ابن أبي ربيعة
- ١٣٥ وما النسك أسلاني
- ١٣٦ عمرو ونسوة عقيق
- ١٣٧ عمر وابن أبي عتيق
- ١٣٨ اعتراف واستغفار

١٣٨	عمر في الكوفة
١٣٨	عمر والشعراء والبرق
١٣٩	بقية خبر عمر ونسوة العقيق
١٤٠	عمر وليلى البكرية
١٤٢	نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء
١٤٢	حديثه مع نوار
١٤٣	عمر وشعره بأم الحكم
١٤٤	سكينة وشعره فيها
١٤٦	بغوم ابن أبي ربيعة
١٤٨	عمر وبنت مروان بن الحكم
١٤٩	عمر وحميدة جارية ابن تفاحة
١٥٠	عمر وجواري بني أمية في موسم الحج
١٥١	بنات أبصرنه من وراء المضرب
١٥٢	لقاء في الطواف وارتحال إلى العراق
١٥٤	شهادة جرير في شعر عمر
١٥٤	حنين إلى الغزل
١٥٥	قصته مع هند بنت الحارث المريّة
١٦٤	قصته مع فاطمة بنت عبد الملك
١٦٧	إعجاب وخوف
١٧٠	عمر وعائشة بنت طلحة
١٧٤	عمر وكلثم المخزومية
١٧٦	عمر ولبابة بنت عبد الله
١٧٧	عمر والثريا بنت عبد الله بن الحارث
١٧٧	نسب الثريا
١٧٨	أبو الفرج يغربل الروايات
١٧٩	حبه الثريا

- ١٨٠ عمر ورملة بنت عبد الله الخزاعية
- ١٨٤ شعر عمر حين هجرته الثريا
- ١٨٥ تساؤل استغرابي
- ١٨٦ خبر صلحهما ووساطة ابن أبي عتيق
- ١٨٩ تغني ابن عائشة بشعره
- ١٩٠ عمر وابن أبي عتيق
- ١٩١ خبر السواد في ثنيّ عمر
- ١٩٢ خبر الثريا مع الحارث
- ١٩٣ تزوج الثريا بسهيل
- ١٩٦ نسبة الأبيات التي أنشدتها الثريا
- ١٩٩ عمر والثريا
- ٢٠٠ وفاة الثريا
- ٢٠١ وفاة عمر بن أبي ربيعة
- ٢٠٢ أخبار ابن سريج ونسبه
- ٢٠٢ نسب ابن سريج وأوصافه
- ٢٠٤ إنه أول من ضرب بالعود الفارسي
- ٢٠٤ أم ابن سريج
- ٢٠٤ أقطاب الغناء
- ٢٠٤ أول شهرته
- ٢٠٤ شهادة هشام بن المَرِيّة
- ٢٠٥ شهادة يونس بن محمد
- ٢٠٥ شهادة إبراهيم الموصلي
- ٢٠٥ شهادة إسحاق الموصلي
- ٢٠٦ من لحن الأبحر
- ٢٠٦ نسبة هذا الصوت
- ٢٠٦ مولده ووفاته واشتغاله بالغناء

- ٢٠٨ ابن سريج وعطاء بن أبي رباح
- ٢٠٩ ابن سريج ويزيد بن عبد الملك
- ٢١٠ يوم غنى في طريق الحاج
- ٢١٣ نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
- ٢١٤ إجلال المغنين له وعلو كعبه
- ٢١٦ نسبة هذين الصوتين
- ٢١٦ نسبة الصوت الآخر
- ٢١٧ عدد الأصوات التي غنى فيها
- ٢١٨ من المائة المختارة من رواية جحظة
- ٢٢٠ نسبة هذه الأصوات وأجناسها
- ٢٢١ تنافر معبد ومالك بن أبي السمع
- ٢٢٣ نسبة هذه الأغاني كلها
- ٢٢٤ ابن سريج والغريض
- ٢٢٤ تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج
- ٢٢٤ اعتراف معبد لابن سريج
- ٢٢٥ أبو السائب وأغاني ابن سريج
- ٢٢٥ تغنيه بمسمع من عطاء بن أبي رباح
- ٢٢٨ نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات
- ٢٢٩ لسنا نبالي حين ندرك حاجة
- ٢٢٩ الغمر بن يزيد وشعر ابن أبي ربيعة
- ٢٣٠ متى يُطرب القرشي؟
- ٢٣٢ وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه
- ٢٣٣ تفضيل لحن ابن سريج
- ٢٣٣ تفضيل غناء ابن سريج
- ٢٣٤ تغني رقطاع الحبطية برملى ابن سريج
- ٢٣٥ غناؤه مخلوق من قلوب الناس

- ٢٣٦ عند بئر الفصح
- ٢٣٧ تغني الذلفاء بلحن ابن سريج
- ٢٣٧ تأثير غناء ابن سريج في الحاج
- ٢٣٨ مذاكرة ابن المهدي وإسحاق في تفضيله
- ٢٣٨ اعتراف معبد له بالتفوق
- ٢٣٨ سكوت المغنين بحضرته
- ٢٣٨ الأحوص وابن سريج
- ٢٣٩ ارتحال جرير إلى مكة لسمع غناؤه
- ٢٤١ الوليد وابن سريج
- ٢٤٥ عتاب الناس له في صنعة الغناء
- ٢٤٦ نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات
- ٢٤٩ رجوع الخبر إلى سياقه أحاديث ابن سريج
- ٢٤٩ ابن سريج أحسن الناس غناء
- ٢٥٠ ابن سريج ببعض أندية مكة
- ٢٥٠ ابن سريج مع فتية من بني مروان
- ٢٥١ نسبة هذا الصوت
- ٢٥٢ مدح جرير لغناء ابن سريج
- ٢٥٢ غناء وتحكيم
- ٢٥٣ ثناء جرير المديني على ابن سريج
- ٢٥٣ ثناء الشعبي عليه
- ٢٥٤ ثناؤه على نفسه
- ٢٥٤ من هو المغني الحسن
- ٢٥٥ يزيد بن عبد الملك ومولى حباة المغنية
- ٢٥٥ سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج
- ٢٥٦ غناؤه ووقفه الحاج
- ٢٥٦ استحراق ابن سريج لجائزة سليمان

٢٥٦	نسبة هذا الصوت
٢٥٧	وفاة ابن سريج
٢٥٨	وقفه على قبر ابن سريج بدسم
٢٦٠	من المائة المختارة
٢٦٢	ذكر نصيب وأخباره
٢٦٢	نسب نصيب ونشأته
٢٦٣	قوله الشعر
٢٦٥	نصيب وأيمن بن خريم الأسدي
٢٦٦	أول من نوه باسم نصيب لعبد العزيز
٢٦٧	من معتق نصيب
٢٦٨	أول اتصال نصيب بعبد العزيز
٢٧٠	أم بشر بن مروان بن الحكم
٢٧١	كرم نصيب
٢٧١	نصيب والفرزدق بحضرة سليمان
٢٧٢	نصيب وعبد العزيز بجبل المقطم
٢٧٢	نصيب وجريير
٢٧٣	هشام بن عبد الملك ونصيب
٢٧٣	نصيب وإعتاقه ذوي قرابته
٢٧٤	استعجاله جائزة
٢٧٤	شرف نصيب لشعره
٢٧٤	خطبة ابن نصيب بنت سيده
٢٧٥	نصيب وعبد الملك حين أراد منادته
٢٧٥	سبب تسميته بهذا الاسم
٢٧٥	فصاحته وتخلصه
٢٧٥	صدق وإجازة
٢٧٦	أوصاف نصيب الجسمية

- نصيب وعبد الله بن جعفر ٢٧٦
- نصيب ونسوة أردن سماع شعره ٢٧٧
- تغنى منقذ الهاللي بشعر نصيب ٢٧٧
- عفة نصيب في شعره ٢٧٧
- نصيب وعمر بن عبد العزيز ٢٧٨
- قصة نصيب مع امرأة عجوز بالجحفة ٢٧٨
- حديث النصيب مع امرأة من ملل ٢٧٩
- عمر ينهائه عن التشيب بالنساء ٢٧٩
- النصيب والكميت وذو الرمة ٢٨٠
- نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك ٢٨١
- شعر لنصيب في الجفر ٢٨٢
- نصيب وعبد الملك بن مروان ٢٨٢
- رحلة نصيب إلى عبد العزيز ٢٨٣
- نصيب وشاعر هجاء من أهل الحجاز ٢٨٣
- شعره في جارية طلبت منه أن يشبب بها ٢٨٤
- قصته مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته ٢٨٤
- استجادة الأصمعي شعراً لنصيب ٢٨٥
- نصيب وجري ٢٨٥
- أشعر السودان ٢٨٦
- رأيه في شعره وشعر معاصريه ٢٨٦
- نصيب وكثير والأحوص ٢٨٦
- رثاؤه لعبد العزيز ٢٨٩
- نصيب وعبد الله بن إسحاق البصري ٢٩١
- نصيب وإبراهيم بن هشام ٢٩١
- نصيب وأم بكر الخزاعية ٢٩١
- شاعريته وخلقه ٢٩٢

- رسالة إلى سعدى ٢٩٣
- نصيب والحكم بن المطلب ٢٩٣
- نصيب وكثير عند أبي عبيدة ٢٩٥
- نصيب ويزيد بن عبد الملك ٢٩٨
- نصيب وإبراهيم بن هشام ٢٩٨
- نصيب وهشام بن عبد الملك ٢٩٨
- نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة ٣٠٠
- عشقه أمة لبني مدلج وشعره فيها ٣٠١
- عبد العزيز يحمل ديناً عن نصيب ٣٠٢
- نصيب والنسوة الثلاث في المسجد الحرام ٣٠٢
- أخبار ابن محرز ونسبه ٣٠٤
- نسب ابن محرز ٣٠٤
- صنّاج العرب ٣٠٤
- ابن محرز أول من غنى الرمل ٣٠٥
- سبب خمول ذكره ٣٠٥
- قدوة المغنين ٣٠٥
- علو كعبه في صنعة الغناء ٣٠٦
- ابن محرز وحنين الحيري ٣٠٦
- ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة ... ٣٠٨
- أخبار العرجي ونسبه ٣٠٩
- نسب العرجي من قبل أبويه ٣٠٩
- سبب تلقيه بالعرجي ٣١٠
- تشبهه بابن أبي ربيعة ٣١١
- العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة ٣١١
- العرجي وكلاية مولاة العبلي ٣١٢
- أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعره ٣١٥

- شعره في عاتكة زوجة طريح الثقيفي ٣١٦
- حكاية يرويها ابن مخارق ٣١٨
- غنى العرجي ٣١٨
- العرجي وأم الأوقص ٣١٩
- أبو السائب المخزومي وشعر العرجي ٣٢٠
- ابن أبي عتيق وشعر العرجي ٣٢١
- شعر العرجي في زوجته أم نعمان ٣٢١
- العرجي وأبو عدي العبلي ٣٢٢
- كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم ٣٢٤
- حبس العرجي ٣٢٥
- تمثل امرأة بشعره في الحج ٣٢٥
- غناء عبد الله بن العباس الربيعي بشعره ٣٢٦
- هجاؤه محمد بن هشام المخزومي وتشبيهه بأمه ٣٢٦
- تشبيهه بأمه جيداء ٣٢٧
- تشبيهه بزوجة محمد بن هشام ٣٢٩
- حقد ابن هشام عليه وحبسه ٣٣٠
- روايات أخرى في سبب الخصومة بينهما ٣٣٠
- تعذيب محمد بن هشام للعرجي ٣٣١
- أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعره ٣٣٣
- تمثل عبد الله بن علي بقوله أضاعوني ٣٣٤
- حكاية كناس بالبصرة كان يتمثل بهذا البيت ٣٣٤
- اقتصاص الوليد من محمد وإبراهيم بن هشام ٣٣٥
- الرشيد وإسحاق ٣٣٦
- فهرس المحتويات ٣٣٨